

الذمعة الساجدة
في
أحوال النبي وآل بيته الطاهرة

تأليف

المعالم المحقق والمناظر المدقق
المولى محمد باقر بن عبد الكريم البهبهاني
الترقيم سنة ١٢٨٥ هـ

ملاحظات

مكتبة المؤلف العامة
موسسة الأعلی المطبوعات
للشامة البهري
مبيعت. لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين ، والصَّلَاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، وبعد : فهذا هو الجزء الثالث من كتاب (الدمعة السَّاكبة والمصيبة الراتبة في أحوال النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلّم والعترّة الطَّاهرة) حسب تجزئتنا ، ويتبدء هذا الجزء بغزوات إمام المتقين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد وفاة الرُّسول الأكرم صَلَّى الله عليه وآله ، ونبذة من بقيّة حياته إلى حين وفاته .

وكذلك حياة الإمام السبط الزكي أبي محمد الحسن بن علي عليهما السلام من حين ولادته إلى شهادته .

نرجو من الله العليّ القدير أن يوفقنا لإخراج هذا الكتاب وإتمامه بما يليق ومقام الكتاب آمين ربّ العالمين .

النَّاشِر



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

وقعة الجمل

ذكرها علي بن عيسى الأربلي رحمه الله في كتاب كشف الغمّة ، قال : والمجتمعون لها لما رفضوا علياً ونقضوا بيعته ونكثوا بيعته التي لزمهم فرض حكمها مستبقيين إلى مآثره فتنة عامة باؤوا بإثمها لم ير إلا مقاتلتهم على مسارعتهم إلى نكث بيعته ومقابلتهم على الخروج عن حكم الله ولزوم طاعته ، وكان من الداخلين في البيعة أولاً والملتزمين بها ثم من المحرضين ثانياً على نكثها ونقضها طلحة والزبير فأخرجوا عائشة وجمعاً من استجاب لهما وخرجوا إلى البصرة ونصبوا لعلي عليه السلام حبائل الغوائل وآلبوا عليه مطيعهم من الرامح والنابل مظهرين المطالبة بدم عثمان مع علمهم في الباطن أنّ علياً عليه السلام ليس بالأمر ولا القاتل ، ومن العجب أنّ عائشة حرّضت الناس على قتل عثمان بالمدينة ، وقالت : اقتلوا نعثلاً قتل الله نعثلاً ، فلقد أبلى سنة رسول الله وهذه ثيابه لم تبل وخرجت إلى مكة وقتل عثمان ، وعادت إلى بعض الطريق فسمعت بقتله ، وإنهم بايعوا علياً عليه السلام ، فورم أنفها وقالت : لأطالبن بدمه ، فقيل لها : يا أمّ المؤمنين أنت أمرت بقتله وتقولين هذا ، قالت : لم يقتلوه إذ قلت وتركوه حتى تاب وعاد كالسبيكة من الفضة وقتلوه ، وخرج طلحة والزبير من المدينة على خفية ووصلا إلى مكة وأخرجاهما إلى البصرة ، وفعل علي عليه السلام من المدينة يطلبهم ، فلما قرب من البصرة كتب إلى طلحة والزبير :

أما بعد فقد علمتما أنّي لم أرد الناس حتى أرادوني ، ولم أبايعهم حتى أكرهوني ، وأنتما ممن أراد بيعتي وبايعتما ولم تبايعا لسلطان غالب ، ولا لغرض حاضر ، فإن كنتما بايعتما طائعين فتوبا إلى الله عزّ وجلّ عمّا أنتما عليه ، وإن كنتما بايعتما مكرهين فقد جعلتما السبيل عليكما بإظهاركما الطاعة ، وكتمانكما المعصية ، وأنت يا زبير فارس قریش ، وأنت يا طلحة شيخ المهاجرين ، ودفعكما هذا الأمر قبل أن تدخلا فيه

كان أوسع لكما من خروجكما منه بعد إقراركما به ، وأما قولكما إنني قتلت عثمان بن عفان فبيني وبينكما من تخلف عني وعنكما من أهل المدينة ، ثم يلزم كل امرئ بقدر ما احتمل وهؤلاء بني عثمان إن قتل مظلوماً كما تقولان أولياؤه وأنتم رجلا من المهاجرين وقد بايعتماني ونقضتما بيعتي وأخرجتما أمكما من بيتها التي أمرها الله تعالى أن تقر فيه ، والله حسبكما والسلام .

وكتب عليه السلام إلى عائشة :

أما بعد : فإنك خرجت من بيتك عاصية لله ولرسوله تطلبين أمراً كان عنك موضوعاً ، ثم تزعمين أنك تريدان الإصلاح بين الناس ، فخبيريني ما النساء وقود العساكر ، وزعمت أنك طالبة بدم عثمان ، وعثمان رجل من بني أمية وأنت امرأة من بني تيم بن مرة ، ولعمري إن الذي عرضك للبلاء وحملك على المعصية لأعظم إليك ذنباً من قتلة عثمان ، وما غضبت حتى أغضبت ولا هجت حتى هيجت ، فاتفق الله يا عائشة وارجمي إلى منزلك واسبلي عليك سترك والسلام .

فجاء الجواب إليه : يا بن أبي طالب جل الأمر عن العتاب ، ولن ندخل في طاعتك أبداً ، فاقض ما أنت قاض والسلام .

ثم تراءى الجمعان وتقاربا ، ورأى علي عليه السلام تصميم عزمهم على قتاله ، فجمع أصحابه وخطبهم خطبة بليغة ، قال فيها : واعلموا أيها الناس إنني قد تأنيت هؤلاء القوم وراقبتهم وناشدتهم كيما يرجعوا ويرتدعوا ، فلم يفعلوا ولم يستجيبوا ، وقد بعثوا إلي أن أبرر إلى الطعان وأثبت للجلاد ، وقد كنت وما اهدد بالحرب ، ولا أدعي إليها ، وقد أنصف القارة من رامها ، فأنا أبو الحسن الذي فللت حدّهم وفرقت جماعتهم ، فبذلك القلب ألقى عدوي وأنا على بينة من ربي لما وعد من النصر والظفر ، وإنني لعلّ غير شبهة من أمري ألا وأن الموت لا يفوته المقيم ولا يعجزه الهارب ومن لم يقتل يمت وإن أفضل الموت القتل ،

والذي نفس علي بيده لآلف ضربة بالسيف أهون علي من ميتة علي الفراش .

ثم رفع يده إلى السماء وقال : اللَّهُمَّ إِنَّ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ أَعْطَانِي صَفْقَةَ يَمِينِهِ طَائِعاً ، ثُمَّ نَكَثَ بِيْعَتِي ، اللَّهُمَّ فَعَاجِلْهُ وَلَا تَمُهَلْهُ ، وَإِنَّ الزَّيْبِرَ بْنَ الْعَوَامِ قَطَعَ قِرَابَتِي وَنَكَثَ بِيْعَتِي وَعَهْدِي وَظَاهَرَ عَدُوِّي وَنَصَبَ الْحَرْبَ لِي وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ ظَالِمٌ ، اللَّهُمَّ فَاكْفِنِيهِ كَيْفَ شِئْتَ وَأَنْتَ شِئْتَ .

ثم تقاربوا وتعبوا لابسى سلاحهم ودروعهم متأهبين للحرب كل ذلك وعلي عليه السلام بين الصّفين عليه قميص ورداء وعلي رأسه عمامة سوداء ، وهو راكب على بغلته ، فلما رأى أنّه لم يبق إلا مصافحة الصّفاق والمطاعنة بالرّماح صاح بأعلى صوته : أَيْنَ الزَّيْبِرُ بْنُ الْعَوَامِ فليخرج إليّ ، فقال النّاس : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أُنْخَرِجْ إِلَى الزَّيْبِرِ وَأَنْتَ حَاسِرٌ وَهُوَ مُدْجِجٌ فِي الْحَدِيدِ ، فقال عليه السلام : لَيْسَ عَلَيَّ مِنْهُ بَأْسٌ ، ثُمَّ نَادَى ثَانِيَةً فخرج إليه ودنّى منه حتى واقفه ، فقال له : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ فقال : السُّلْبُ بِدَمِ عَثْمَانَ ، فقال عليه السلام : أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ قَتَلْتُمُوهُ فَيَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَقِيدَ مِنْ نَفْسِكَ ، وَلَكِنْ أُنْشِدُكَ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ (ص) أَمَا تَذْكُرُ يَوْمَ قَالَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) : يَا زَيْبِرُ أَتَحِبُّ عَلِيّاً؟ فقلت : وَمَا يَمْنَعُنِي مِنْ حُبِّي لَهُ وَهُوَ ابْنُ خَالِي ، فقال لك : أَمَا أَنْتَ فَتُخْرِجُ عَلَيْهِ يَوْماً وَأَنْتَ لَهُ ظَالِمٌ ، فقال الزَّيْبِرُ : اللَّهُمَّ بَلِّغْنِي ، فَقَدْ كَانَ ذَلِكَ ، فقال عليه السلام : فَأُنْشِدُكَ اللَّهَ الَّذِي أَنْزَلَ الْفُرْقَانَ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ (ص) : أَمَا تَذْكُرُ يَوْماً جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ عِنْدِ ابْنِ عَوْفٍ وَأَنْتَ مَعَهُ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِكَ فَاسْتَقْبَلْتَهُ أَنَا فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَضَحَكَ فِي وَجْهِهِ وَضَحَكَتُ أَنَا إِلَيْهِ ، فقلت أنت : لَا يَدْعُ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ زَهْوَهُ أَبَداً ، فقال لك النبي (ص) : مَهْلًا يَا زَيْبِرُ فَلَيْسَ بِهِ زَهْوٌ وَلَتُخْرِجَنَّ عَلَيْهِ يَوْماً وَأَنْتَ لَهُ ظَالِمٌ لَهُ ، فقال الزَّيْبِرُ : اللَّهُمَّ بَلِّغْنِي ، وَلَكِنْ نَسِيتُ فَإِذَا ذَكَرْتَنِي ذَلِكَ فَلَا تُصْرِفْنِي عَنْكَ وَلَوْ ذَكَرْتَ هَذَا لَمَا خَرَجْتَ عَلَيْكَ .

ثم رجع إلى عائشة فقالت : ما وراك يا أبا عبدالله ، فقال الزبير :
والله ورائي أني ما وقفت موقفاً في شرك ولا إسلام إلا ولي فيه بصيرة ،
وأنا اليوم على شك من أمري ، وما أكاد أن أبصر موضع قدمي ثم شقَّ
الصفوف وخرج من بينهم ونزل على قوم من بني تميم ، فقام إليه عمرو بن
جرموز المجاشعي فقتله حين نام ، وكان في ضيافته ، فنفذت دعوة علي
عليه السلام فيه ، وأما طلحة فجاءه سهم وهو قائم للقتال فقتله ، ثم
التحم القتال وجعل علي عليه السلام يقرأ : ﴿ وإن نكثوا إيمانهم من بعد
عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر أنهم لا إيمان لهم لعلهم
يتتهون ﴾ .

ثم حلف عليه السلام حين قرأها أنه ما قوتل عليها منذ نزلت حتى
اليوم ، واتصل الحرب وكثر القتل والجرح ، ثم تقدم رجل من أصحاب
الجمال يقال له عبدالله ، فحال بين الصفوف فقال : أين أبو الحسن ،
فخرج إليه علي عليه السلام وشدَّ عليه وضربه بالسيف فأسقط عاتقه ووقع
قتيلاً ، فوقف عليه وقال : لقد رأيت يا أبا الحسن وكيف وجدته ولم يزل
القتل يؤجج ناره والجمال يفني أنصاره حتى خرج رجلٌ مدجج في الحديد
يظهر بأساً ويعرض بعلي عليه السلام ويقول : أضربكم ولا أرى علياً
عمته أبيض مشرفياً ، فخرج إليه علي عليه السلام متنكراً وضربه على
وجهه فرمى بنصف قحف رأسه ، ثم انصرف ، فسمع صائحاً من ورائه ،
فالتفت فرأى ابن أبي خلف الخزاعي من أصحاب الجمال ، فقال : هل
لك يا علي في المبارزة ، فقال علي عليه السلام : ما أكره ذلك ولكن
ويحك يا بن أبي خلف ما راحتك في القتل وقد علمت من أنا ، فقال :
ذرني يا بن أبي طالب من بذحك بنفسك وادن مني لترى أينما يقتل
صاحبه ، فثنى علي عليه السلام عنان فرسه إليه فبدره ابن أبي خلف
بضربة فأخذها علي عليه السلام في جحفته ، ثم عطف عليه السلام عليه
بضربة أطار بها يمينه ، ثم ثنى بأخرى أطار بها قحف رأسه الخ . . .

أقول : قال عبدالحميد بن أبي الحديد في شرح النهج قالوا :

وخرج من أهل البصرة شيخ صبيح الوجه ، نبيل عليه جبة وشى ، يحض
الناس على الحرب ويقول :

يا معشر الأزد عليكم أمكم فإنها صلاتكم وصومكم
والحرمة العظمى التي تعممكم فاحضروها جدمكم وحزمكم
لا يغلبن سم العدو سمكم إن العدو إن علاكم زمكم
ونخصكم بجوره وعمكم لا تفضحوا اليوم فداكم أمكم

قال المدائني والواقدي وهذا الرجز يصدق الرواية إن الزبير والطلحة
قاما في الناس وقالوا : إن علياً إن يظفر فهو فناكم يا أهل البصرة ، فاحموا
حقيقتكم فإنه لا يبقى حرمة إلا انتهكها ولا حرباً إلا هتكه ولا ذرية إلا
قتلها ، ولا ذوات خدر إلا سباهن ، فقاتلوا مقاتلة من يحمي عن حريمه ،
ويختار الموت على الفضيحة يراها في أهله .

وقال أبو مخنف : لم يقل أحد من رجّاز البصرة قولاً كان أحب إلى
أهل الجمل من قول هذا الشيخ ، استغفل الناس عند قوله وثبتوا حول
الجمل وانتدبوا ، فخرج عوف بن قطن الضبي وهو ينادي : ليس لعثمان
نار إلا علي بن أبي طالب وولده ، فأخذ خطام الجمل وقال :

يا أمّ يا أمّ خلا مني الوطن لا أبتغي القبر ولا أبقى الكفن
من ههنا محشر عوف بن قطن إن فاتنا اليوم علي فالغبين
أو فاتنا ابنه حسين وحسن إذن امت بطول همّ وحزن

ثم تقدم فضرب بسيفه حتى قتل ، وتناول عبدالله بن أبيزي خطام
الجمل وكان كل من أراد الجدّ في الحرب وقاتل قتال مستميت يتقدّم إلى
الجمل فيأخذ بخطامه ثم شدّ على عسكر علي عليه السلام وقال :

أضربهم ولا أرى أبا حسن ها إن هذا حزن من الحزن
فشدّ عليه علي أمير المؤمنين عليه السلام بالرّمح فطعنه فقتله ،
وقال : قد رأيت أبا حسن فكيف رأيت ، وترك الرّمح فيه وأخذت عائشة

كفأ من حصا فحصبته به أصحاب علي عليه السلام وصاحت بأعلى صوتها ، شامت الوجوه كما صنع رسول الله (ص) يوم حنين ، فقال لها قائل : وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ، وزحف علي عليه السلام نحو الجمل بنفسه في كتيبة الخضراء من المهاجرين والأنصار وحوله بنوه الحسن والحسين ومحمد عليهم السلام ، ودفع الراية إلى محمد وقال : أقدم بها حتى تركزها في عين الجمل ولا تقفنّ دونه ، فتقدم محمد فرشفتها السهام فقال لأصحابه : رويداً حتى ينفذ سهامهم فلم يبق لهم إلا رشقة أو رشقات فأنفذ علي عليه السلام إليه يستحثه ويأمره بالمناجزة ، فلما أبطل عليه جاء بنفسه من خلفه فوضع يده اليسرى على منكبه الأيمن ، وقال له : أقدم لا أم لك فكان محمد رضي الله عنه إذا ذكر ذلك بعد يبكي ويقول لكأنني أجدر ربح نفسه في قفائي والله لا أنسى ذلك أبداً ، ثم أدركت علياً عليه السلام رفة علي ولده فتناول الراية منه بيده اليسرى وذو الفقار مشهور في يمين يديه ، ثم حمل فغاص في عسكر الجمل ، ثم رجع وقد انحنى سيفه فأقامه بركبته ، فقال له أصحابه وبنوه والأشتر وعمار : نحن نكفيك يا أمير المؤمنين ، فلم يجب أحداً منهم ولا ردّ إليهم بصره ، وظلّ ينحط ويزار زثير الأسد حتى فرقه من حوله وتبادروه وإنه لطامح ببصره نحو عسكر البصرة لا يبصر من حوله ولا يرد حواراً ، ثم دفع الراية إلى محمد ، ثم حمل حملة ثانية وحده فدخل وسطهم فضربهم بالسيف قدماً قدماً والرجال تفرّ من بين يديه وتنحاز عنه يمنة وشامة حتى خضبت الأرض بدماء القتلى ، ثم رجع وقد أحنى سيفه فأقامه بركبته فاعصوب به أصحابه وناشدوه الله في نفسه وفي الإسلام ، وقالوا : إنك إن تصيب يذهب الذين فامسك ونحن نكفيك ، فقال : والله ما أريد بما ترون إلا وجه الله والدار الآخرة .

ثم قال لمحمد : هكذا تصنع يا ابن الحنفية ، فقال الناس من الذي يستطيع ما تستطيع يا أمير المؤمنين إلى أن قال : قالوا واستدار الجمل كما

تدور الرّحى وتكاثف الرجال حوله واشتدّ رغاء^(١) واشتدّ زحام النّاس عليه ونادى الحمات المجاشي : أيها النّاس أمّكم أمّكم واختلط النّاس فضرب بعضهم بعضاً وتقصد أهل الكوفة قصد الجمل دونه كالجبال ، كلّما خفّ قوم جاء أضعافهم فنادى عليه السلام : ويحكم ارشقوا الجمل بالنبل اعقروه لعنه الله ، فرشق بالسّهام ، فلم يبق فيه موضع إلّا أصابه النّبل ، وكان مجففاً^(٢) فتعلّقت السّهام به ، فصار كالقنفذ ونادت بني ضبّة يا لثارات عثمان فأخذوها شعاراً ونادى أصحاب علي عليه السلام : يا محمد فاتخذوها شعاراً واختلط الفريقان ونادى علي عليه السلام بشعار رسول الله (ص) : يا منصور امت .

وهذا في يوم الثاني من أيام الجمل ، فلمّا دعا بها تزلزلت أقدام وذلك وقت العصر بعد أن كان الحرب من وقت الفجر .

قال الواقدي : وقد روي أنّ شعاره عليه السلام كان في ذلك اليوم حم لا يبصرون ، اللهم انصرنا على القوم الناكثين ، ثم تحاجز الفريقان والقتل فاش فيهما إلّا أنّه في أهل البصرة أكثر وإمارات النّصر لائحة لعسكر الكوفة ، ثم توافقوا في اليوم الثالث فبرز أول النّاس عبدالله بن الزّبير ودعى إلى المبارزة فبرز إليه الأشتر ، فقالت عائشة : من برز إلى عبدالله قالوا الأشتر ، فقالت : وا ثكل أسماء فضرب كلّ منهما صاحبه فجرحه ثم اعتنقا فصرع الأشتر عبدالله وقعد على صدره واختلط الفريقان بهؤلاء لينقذوا عبدالله وهؤلاء ليعينوا الأشتر ، وكان الأشتر طاوياً ثلاثة أيام لم يطعم وهذه عادته في الحرب وكان أيضاً شيخاً عالي السن فجعل عبد الله يقول : اقتلوني ومالكاً فلو قال اقتلوني والأشتر لقتلوهما إلّا أن أكثر من

(١) رغا البعير : يرغوا رغاء ضجّ .

(٢) في حديث الحديبية فجاء إلى رسول الله (ص) على فرس مجفّف أي عليه تجفاف وهو شيء من سلاح يترك على الفرس يقبه الأذى ويلبسه الإنسان وقاية (نهاية).

كان يمرّ بهما لا يسرّ فهما لكثرة من وقع في المعركة صرعى بعضهم فوق بعض وأفلت ابن الزبير من تحته ، ولم يكد فذلك قول الأشتر :

أعاش لولا أنني كنت طاوياً ثلاثاً لألفيت ابن اختك هالكا
غداة ينادي والرجال تحوزه بأضعف صوت اقتلونني ومالكا
فلم يعرفوه إذ دعاهم وغمه جذب عليه في العجاجة باركا
فنجاه مني أكله وسبابه ولاني شيخ لم أكن متماسكا

وروى أبو مخنف عن الأصمغ بن نباتة قال : دخل عمار بن ياسر ومالك بن الحرث الأشتر على عائشة بعد انقضاء أمر الجمل ، فقالت عائشة : يا عمار من معك؟ قال : الأشتر ، فقالت : يا مالك أنت الذي صنعت بابن اختي ما صنعت ، قال : نعم ، ولولا أنني كنت طاوياً ثلاثة أيام لأرحت أمة محمد منه . فقالت : أما علمت أن رسول الله (ص) قال : لا يحل دم مسلم إلا بإحدى أمور ثلاث ، كفر بعد الإيمان ، أو زنا بعد إحصان ، أو قتل نفس بغير حق ، فقال الأشتر : على بعض هذه الثلاثة قاتلناه يا أم المؤمنين ، وأيم الله ما خانني سيفي قبلها ولقد أقسمت لا يصحبني بعدها .

قال أبو مخنف : ففي ذلك يقول الأشتر من جملة هذا الشعر الذي ذكرناه :

وقالت على أي الخصال صرعه بقتل أتى أم ردة لا أبالكا
أم المحصن الزاني الذي حلّ قتله فقلت لها لا بدّ من بعد ذالكا

ثم قال ابن أبي الحديد : قال أبو مخنف : فحدثنا مسلم الأعور عن حبة العرنى قال : فلما رأى علي عليه السلام أن الموت عند الجمل وإنه ما دام قائماً فالحرب لا يطفأ وضع سيفه على عاتقه وعطف نحوه وأمر أصحابه بذلك ومشى نحوه والخطام مع بني ضبة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً واستحر القتل في بني ضبة ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وخلص علي عليه

السلام في جماعة من النجع ، وهمدان إلى الجمل ، فقال لرجل من النجع اسمه بحير دونك الجمل يا بحير ، فضرب عجز الجمل بسيفه فوقع لجنبه وضرب بجرائنه الأرض وعج عجيماً لم يسمع بأشد منه ، فما هو إلا أن صرع الجمل حتى فرت الرجال كما يطير الجراد في الريح الشديدة الهبوب ، واحتملت عائشة بهودجها فحملت إلى دار عبدالله بن خلف وأمر علي عليه السلام بالجمل أن يحرق ، ثم يذرى في الريح ، وقال عليه السلام : لعنه الله من دابة فما أشبهه بعجل بني إسرائيل ، ثم قرأ وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفاً لنحرقه ثم لتنسفنه في اليم نسفاً .

هذا آخر كلام ابن أبي الحديد .

قال كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي في كتابه مطالب السؤول : فكان عدة من قتل من جند الجمل ست عشر ألفاً وسبعمئة وتسعين إنساناً ، وكان جملة ثلاثين ألفاً ، فأتى القتل على أكثرهم أو نصفهم ، وقتل من أصحاب علي عليه السلام ألف وسبعون رجلاً ، وكان عدتهم عشرين ألفاً ، وفي مقابلة علي عليه السلام ثلاثين ألفاً بعشرين ألف ، ومقاتلتهم حتى يقتل منهم أكثر من نصفهم ، ولم يقتل من أصحابه غير نصف عشرهم حجة واضحة تشهد بشجاعتهم وتسجل بشهامته وإذا تأمل الناظر والبصير ونظر المتأمل الخبير فيما صدر من علي عليه السلام من أقواله وأفعاله علم علماً لا يرتاب معه أنه عليه وآله السلام يخوض لجج الحروب وينغمس في غمرات الموت ويصادم ظباً الصوارم ، ويغمد مصلت سيفه في لبات الكماة ، ونحور الأبطال ، ولا يحمل لذلك عباء ولا يبالي به ، ولما انقضت وقعة الجمل وتدمت عائشة على ما كان ورحلت إلى المدينة وسكنت النائرة ورحل علي عليه وآله السلام إلى الكوفة قام إليه أبو بردة بن عون الأزدي فقال : يا أمير المؤمنين أرايت القتلى الذين قتلوا حول الجمل بماذا قتلوا؟ فقال علي عليه السلام : قتلوا بماذا قتلوا من شيعتي وعمالي بلا ذنب كان منهم إليهم ثم صرت إليهم وأمرتهم أن

يدفعوا إليّ قتلة أصحابي فأبوا عليّ وقاتلوني وفي أعناقهم بيعتي ودماً قريب
من ألف رجل من أصحابي من المسلمين أفي شك أنت من ذلك يا أخا
الأزد فقال الآن استبان لي خطاهم وإنك أنت المحق .

حرب صفين

المشتملة على وقائع يضطرب لها فؤاد الجليد ويشيب لهولها فؤاد
الوليد ، ويذوب لتسعر بأسها زير الحديد ، ويجب منها قلب البطل
الصنديد ، ويذهب بها عناد المريد وتمرد العنيد ، فإنها أسفرت عن نفوس
آساد مختطفة باللهازم ، ورؤوس أجلاذ مقتطفة بالصوارم ، وأرواح فرسان
طائرة عن أوكارها ، وأشباح شجعان قد نبذت بالعرا دون إدراك أوتارها ،
وفراخ هام قد انهضت عن مجاثمها ، وتراثب دوام أباح حرمتها من أمر
يحفظ محارمها ، فأصبحت فرائس الوحوش في السباسب ، وطعمة
الكواسر والكواسب ، قد ارتوت الأرض من دمائها المطلولة ، وغصت
البيداء بأشلائها المقتولة ، ورغمت أنوف حماتها ودنت حتوف كماتها
بأيدي رجالات بني الهاشم الأخيار ، وسيوف سروات المهاجرين
والأنصار ، في طاعة سيدها وإمامها وحامي حقيقتها من خلفها وإمامها
مفرق جموع الكفر بعد التشامها ، ومشتت طواغيت النفاق بعد انتظامها ،
شيخ الحرب وفتاها وسيّد العرب ومولاها ذي النسب السامي والعرق النامي
والجود الهامي والسيف الدامي والشجاع المحامي والبحر الطامي ، مزبل
الضيم ، وري الظامي ، مقتحم اللجج صاحب البراهين والحجج ، أكرم
من ربّ بعد المصطفى ودرج الذي ما حولكم إلا وفلج ، فارس الخيل
وسابق السيل ، وراكب النهار والليل ، تولى الحروب بنفسه النفيسة ،
فخاض غمارها ، واصطلى ناراها ، واذكى أوارها ، ودوخ أعوانها
وأنصارها ، وأجرى بالدماء أنهارها ، وحكم في مهج القاسطين بسيفه ،
فعجل بوارها ، فصارت الفرسان تتحاماه إذا بدر ، والشجعان تلوذ بالهزيمة
إذا زار عالمة انه ما صافحت صفحة سيفه مهجة ، إلا فارقت جسدها ،

ولا كافح كثية إلا افترس ثعلب رمحه أسدها ، وهذا حكم انصف به بطريق الاجمال وثبت له بعموم الاستدلال ، ولا بد من التنصيص على بعض مواقفه في القتال في التخصيص بذكر بعض وقائعه في النزال ، إذا سمعت نزال فبذلك يصير الإجمال تفصيلاً فيها من تطرق الأشكال ، وينقلب دليلاً سالماً عن خلل الاعتراض والسؤال ، ولكثرة مواقفه يقع الاختصار على يسرها ، وكأين من حادثة يستغني في ثبوتها عن طولها بقصيرها ، وما أنا ذاكر قليلاً من كثيرها ، ورجعة من غديرها ، وهو من بعض ما أورده الحميد ابن أبي الحديد في شرح النهج ، وما ذكره كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي في كتابه مطالب السؤول .

قال ابن أبي الحديد : قال نصر بن مزاحم في كتاب صفين ، وهو ثقة ثبت صحيح النقل ، ومن رجال أصحاب الحديث ، حدثنا عمرو بن شمر حال حدثنا أبو ضرار ، قال حدثني عمار بن ربيعة ، قال : غلس^(١) علي عليه السلام بالناس صلاة الغداة يوم الثلاثاء عاشر شهر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين وعاشر شهر صفر ، ثم زحف إلى أهل الشام بعسكر العراق والناس على راياتهم ، وزحف إليهم أهل الشام وقد كانت الحرب أكلت الفريقين ، ولكنها في أهل الشام أشد نكاية وأعظم وقعاً ، فقد ملأوا الحرب وكرهوا القتال وتضعضت أركانهم .

قال : فخرج رجل من أهل العراق على فرس كميث دنوب عليه السلاح ، لا يرى عنه إلا عيناه ونبذ الرمح ، فجعل يضرب رأس أهل العراق بالقتاة ويقول : سَوُوا صفوفكم رحمكم الله حتى إذا عدل الصفوف والرأيات استقبلهم بوجهه وولّى أهل الشام ظهره ، ثم حمد الله وأثنى وقال : الحمد لله الذي جعل فينا ابن عمّ نبيّه أقدمهم هجرة ، وأولهم إسلاماً سيف من سيوف الله صبه الله على أعدائه فانظروا إذا حمى الوطيس

(١) الغلس : بحركة ظل آخر الليل (ق) .

وتار القتام وتكسر المران وجالت الخيل بالأبطال ، فلا أسمع إلا غمغمة أو همهمة ، فاتبعوني وكونوا في أثري ، ثم حمل على أهل الشام فكسر فيهم رمحه ثم رجع فإذا هو الأشتر .

وقال كمال الدين : إن في تعين وقائع صفين وقد تحركت الخيل للنزال والرجال للقتال خرج من عسكر معاوية فارس مشهور من أهل الشام مشهود له يقال له المحزان بن عبدالرحمن فوقف بين الصفين وسأل المبارزة ، فخرج إليه من أهل العراق فارس يقال له المؤمل بن عبيد المرادي فتقاربا بأسيا فهما ، فقتله الشامي ، ونزل ثم جز رأسه وحك وجهه بالأرض وكب الرأس على وجهه ، فخرج إليه فتى من الأسد يقال له مسلم بن عبد ربّه فقتله الشامي ونزل جز رأسه وحك وجهه بالأرض وكب الرأس على وجهه .

فلما رأى علي عليه السلام ذلك تنكر الشامي وهو واقف بين الصفين يطلب المبارزة ، فخرج إليه والشامي لا يعرفه فطلبه فبدره علي عليه السلام بضربة على راتقه فرمى بشقه فسقط فنزل علي عليه السلام فاجتزأ رأسه وجل وجهه إلى السماء ، ثم ركب ونادى هل من مبارز ، فخرج إليه آخر من فرسان الشام فضربه وقتله ونزل فاجتزأ رأسه وجل وجهه إلى السماء ، ثم ركب ونادى هل من مبارز ، فلم يزل يخرج إليه فارس بعد فارس وهو يفعل بهم كالأول إلى أن قتل منهم سبعة فأحجم الناس عنه ولم يعرفوه وكان لمعاوية عبد يسمى حرباً هو فارس بطل ، فقال له معاوية : ويلك يا حرب اخرج إلى هذا الفارس فاكفى أمره ، فإنه قتل من أصحابي ما قد رأيت ، فقال له حرب : إني والله أرى مقام فارس لو ترك أهل عسكرك لأفناهم عن آخرهم ، قال : فإن شئت برزت إليه واعلم إنه قاتلي وإن شئت فاسبقني لغيره ، فقال معاوية : لا والله ما أحب أن تقتل ، فقف مكانك حتى أخرج إليه غيرك ، وجعل علي عليه السلام ينادي ويدعوهم لا يخرج إليه أحد ، فرفع المغفر عن رأسه ورجع إلى عسكره ، فخرج رجل

من أبطال عسكر الشام يقال له كريب ابن الصباح ، فوقف بين الصّفين وسأل المبارزة فخرج إليه من عسكر العراق فارس يقال له المبرقع الخولاني فقتله الشامي ثم خرج إليه الحرث الحكمي فقتله أيضاً .

فنظر علي عليه السلام إلى مقام فارس بطل فخرج إليه بنفسه ، فوقف قبالة ثم قال : من أنت؟ قال : أنا كريب ابن الصباح الحميري ، فقال له علي عليه السلام : ويحك يا كريب إني أحذرك الله في نفسك وأدعوك إلى كتابه وسنة نبيه محمد (ص) ، فقال له كريب : من أنت؟ قال : أنا علي بن أبي طالب ، فالله الله في نفسك فلإني أراك فارساً فيكون لك ما لنا وعليك ما علينا ، وتصون نفسك عن عذاب الله ولا يدخلنك ومعاوية نار جهنم ، وقال كريب : ادن مني إن شئت وجعل يلوح بسيفه فمشى إليه علي عليه السلام والتقيا بضربتين بدره علي عليه السلام فقتله ، ثم وقف فخرج إليه الحرث الحميري فحمل إليه علي عليه السلام فقتله ، فخرج إليه آخر فقتله ، هكذا قتل أربعة وهو يقول : ﴿ الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين ﴾ .

ثم صاح علي عليه السلام : يا معاوية هلم إلى مبارزتي ولا تفنين العرب بيننا ، فقال معاوية : لا حاجة لي في مبارزتك فقد قتلت أربعة من سباع العرب فحسبك ، فصاح رجل من أصحاب معاوية يقال له عروة بن داود ، فقال : يا بن أبي طالب إن كان معاوية قد كره مبارزتك فهلم إلى مبارزتي ، فذهب علي عليه السلام نحوه فبدره عروة بضربة فلم تعمل شيئاً ، وضربه علي عليه السلام فأسقطه قتيلاً ، ثم قال : انطلق إلى النار وكبر على أهل الشام قتل عروة وجاء الليل فحجز بين الفريقين .

ثم قال : وفي بعض أيامها قد تقابل الجيشان وعمرو بن العاص في جيش أهل الشام تنكر علي عليه السلام وخرج ووقف ودعى للبراز فخرج إليه عمرو بن العاص وهو لا يعرفه أنه علي وعلي عليه السلام قد عرفه

فاطرد علي عليه السلام بين يديه ليعده عن صفوف أهل الشام فتبعه عمرو مرتجزاً وقال :

يا قادة الكوفة يا أهل الفتن أضربكم ولو أرى أبا حسن
فرجع علي عليه السلام وهو يقول :

أبو حُسين فاعلمنّ والحسن جاءك يقتاد العنان والرّسن
فعرفه فولّى ركضاً فلحقته فطعنه طعنة وقع الرّمح في فضول درعه
فسقط إلى الأرض وخشى أن يقتله علي عليه السلام فرفع رجله فبدت
سوءته ، فصرف علي عليه السلام وجهه وانصرف إلى عسكره ، وأقبل
عمرو إلى معاوية فجعل معاوية يضحك من عمرو ، فقال له عمرو : ممّا
تضحك والله لو بدأ علي من صفحتك ما بدأ له من صفحتي إذا لا وجع
قذلك وأيتم عيالك وأنهب أموالك ، فقال له معاوية : لو كنت تحتل
مزاحاً لمأزحتك . فقال عمرو : وما أحملني المزاح ، ولكن إن كان رجل
لقى رجلاً فصدّ عنه ولم يقتله أقطرت السماء دماً ، فقال معاوية : لا
ولكنّها تعقب فضيحة الأبد وجبناً أما والله لو أنك عرفته لما أقدمت عليه .

وكان من فرسان معاوية فارس مشهور يقال له بسر^(١) بن أرطاة مشهور
له بالشجاعة ، فلما سمع أنّ علياً عليه السلام يطلب مبارزة معاوية ومعاوية
يمنتع ولا يعرض نفسه لها ، قال : قد عزمتم على مبارزة علي عليه السلام
فلعلي أقتله ، فاذهب بشهرته في العرب إلى آخر الدهر ، وشاور غلاماً له
يقال له لاحق ، فقال له : إن كنت واثقاً من نفسك فافعل وإلا فلا تبرز
إليه ، فإنّه الشجاع المطرق .

فأنت له يا بشر إن كنت مثله وإلا فإنّ الليث للضبع آكل

(١) قال العلامة في الخلاصة بسر بضم الباء وإسكان السين المهمة ابن أرطاة لعنه الله
هو الذي قتل ابنا عبدالله بن العباس ، قثم وعبدالرحمن نقلته من حواشي بعض
نسخ كشف الغمة لعلّ بن عيسى رحمه الله .

متى تلقه فالموت في رأس رمحه وفي سيفه شغل لنفسك شاغل
فما بعده في آخر الخيل عاطف ولا قبله في آخر الخيل حامل

فقال بسر : ويحك هل هو إلا الموت ولا بد من لقاء الله تعالى على
كل حال إما بموت أو بقتل ، ثم خرج بسر بن أرطاة إلى علي عليه السلام
وهو ساكت بحيث لا يعرفه علي عليه السلام بحالة كانت صدرت منه ،
فلما نظر إليه علي عليه السلام حمل عليه فسقط بسر عن فرسه على
قفاه ، فرفع رجله فانكشفت عورته فصرف علي عليه السلام وجهه عنه ،
ووثب بسر قائماً فسقط المغفر عن رأسه فصاح أصحاب علي عليه
السلام : يا أمير المؤمنين إنه بسر بن أرطاة ، فقال علي عليه السلام :
ذروه عليه لعنة الله ، فجعل معاوية يضحك من بسر ، وقال له : لا عليك
ولا تستحي فقد نزل بعمره مثلها ، فصاح فتى من أهل الكوفة ويحكم يا
أهل الشام أما تستحون ، لقد علمكم ابن العاص في الحروب كشف
الأساة وأنشد يقول :

أفي كل يوم فارس ذو كريمة له عورة وسط العجاجة بادية
يكف لها عنه علي سنانه ويضحك منها في الخلاء معاوية
فيا سونها من حالة مستهانة فضيحتها بين البرية باقية
فقولا لعمره وابن أرطاة أبصرا سليلكما لا تلقيا الليث ثانية
فلا تحمد إلا الحياء وخصاكما هما كانتا والله للنفس واقية
فلولاهما لم تنجوا من سنانه وتلك بما فيها عن العود ناهية

فكان بسر بن أرطاة يضحك من عمرو وصار عمرو يضحك منه ،
وتحامي أهل الشام علياً عليه السلام وخافوه خوفاً شديداً .

وكان لعثمان مولى يقال له أحمر وخرج ووقف يطلب المبارزة ،
فخرج إليه مولى لعلي عليه السلام يقال له كيسان ، فحمل عليه مولى
عثمان فطعنه فقتله ، فقال علي عليه السلام : قتلتني الله إن لم أقتلك ، ثم
حمل علي عليه السلام فاستقبله بالسيف وهو لا يعرفه فضربه فالتفاه علي

بجحفته ثم مَدَّ علي عليه السلام يده إليه ، فقبض علي ثوبه ثم رفعه عن فرسه وضرب به الأرض فكسر منكبه وأضلعه ، ثم رجع وكان لمعاوية عبد يقال له حريث ، وكان فارساً بطلاً ، فحذَّره معاوية من التعرض لعلي عليه السلام ، فلما خرج حريث إلى الحرب تنكر له علي عليه السلام وخرج إليه ، فقال عمرو بن العاص لحريث : لا يفوتك هذا الفارس وقد عرفت عمرو أنه علي عليه السلام ، فحمل حريث علي عليه السلام فداخله علي عليه السلام وضربه ضربة أطار بها قحف رأسه فسقط حريث قتيلاً ، وعلم معاوية بذلك فاغتمَّ علي حريث غماً شديداً ثم قال لعمرو : أنت قتلت حريثاً فإنك غرَّرتَه .

قال كمال الدين : وفي بعض مضافاتها خرج العباس بن ربيعة بن الحرث الهاشمي فأبلى بلاءً حسناً وخرج إليه من أصحاب معاوية فارس معروف يقال له غراد بن أدهم ، فقال : يا عباس يا عباس هل لك في البراز ، فقال له العباس : هل لك في النزول ، فإنه أيسر من القفول ، فقال : نعم ، فرمى العباس بنفسه عن فرسه وسلم فرسه إلى غلامه ، ورمى غراد بن أدهم بنفسه عن فرسه ، ثم تلاقيا وكفَّ أهل الجيشين أعنة خيولهم ينظرون إلى الرجلين ، ثم تضاربا بأسيا فهما فما قدر أحدهما على صاحبه لكمال لامته وعلي عليه السلام يراهما ، فنظر العباس إلى وهن في درع الشامي فضربه العباس على ذلك الوهن ففقه باثنتين ، فكبر جيش علي عليه السلام وجيش معاوية ، ثم عطف العباس فركب فرسه فقال معاوية لأصحابه : من خرج منكم إلى هذا فتولاه وقتله فله كذا وكذا من المال ، فوثب رجلان من بني لخم من اليمن فقالا : نحن نخرج إليه ، فقال : اخرجوا أيكما سبق إليه فله من المال ما بذلت وللاخر مثله ، فخرجوا جميعاً ووقفوا في مقرِّ المبارزة ، ثم صاحوا بالعباس ودعوا إلى القتال ، فقال : استأذن صاحبي وأبرز إليكما وجاء إلى علي عليه السلام ليستأذنه فقال علي عليه السلام : ادن مني فلما دنى منه أخذ منه سلاحه وأخذ فرسه وخلع علي عليه السلام سلاحه ولباسه ولبس سلاح العباس ، وما

كان عليه وركب فرس العباس وخرج إلى بين الصّفين كأنه العباس ، فقال له اللّخميان : استأذنت فأذن لك مولاك فتخرج علي من الكذب فقراً : ﴿ اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ﴾ فتقدّم إليه أحد الرجلين فالتقيا بضربتين ضربه علي عليه السلام على مرقا بطنه قطعه باثنتين فظنّ الناس أنّه أخطأ ، فلما تحرّك الفرس سقط الرّجل قطعتين ، وغار فرسه وصار إلى عسكر علي عليه السلام ، فتقدّم الآخر فضربه علي عليه السلام فألحقه بصاحبه ، ثم جال علي جولة ثم رجع إلى موضعه ، وعلم معاوية أنّه علي عليه السلام ، فقال : قبح الله اللّجاج إنّه ليعود ما ركبته إلّا خذلت ، فقال له عمرو بن العاص المخدول : والله اللّخميان لا أنت ، فقال له معاوية : اسكت أيّها الإنسان ليس هذه الساعة من ساعاتك ، قال عمرو : فإن لم تكن هذه من ساعاتي فرحم الله اللّخمين ولا أظنه يفعل .

قال ابن أبي الحديد : قال نصر : وحدثنا محمد بن عتبة الكندي قال : حدثني شيخ من حضر موت شهد مع علي عليه السلام صفين ، قال : كان منّا رجل يعرف بهاني بن فهدي ، وكان شجاعاً فخرج رجل من أهل الشّام يدعو إلى البراز ، فلم يخرج إليه أحد ، فقال هاني : سبحان الله ما يمنعكم أن يخرج منكم إلى هذا فوالله لولا أنّي موعوك واني أجد ضعفاً شديداً لخرجت إليه ، فما ردّ أحد عليه ، فقام وشدّ عليه ليخرج فقال له أصحابه : يا سبحان الله أنت موعوك وعكة شديدة فكيف تخرج؟ قال : والله لأخرجنّ ولو قتلني فخرج ، فلما رآه عرفه وإذا الرّجل من قومه من حضر موت يقال له يعمر بن الأسد الحضرمي ، فقال : يا هاني ارجع فإنّه إن يخرج إليّ رجل غيرك أحبّ إليّ فلمّا لا أحبّ قتلك قال هاني : سبحان الله ارجع وقد خرجت لا والله لأقاتلن اليوم حتى أقتل ولا أبالي قتلتني أنت أو غيرك ، ثم مشى نحوه وقال : اللهم في سبيلك ونصراً لابن عمّ رسولك واختلفا ضربتين وقتله هاني وشدّ أصحاب يعمر بن أسد على هاني فشدّ أصحاب هاني عليهم فاقتتلوا وانفرجوا عن اثنين وثلاثين قتيلاً .

ثم إن علياً عليه السلام أرسل إلى جمع العسكر أن يحملوا فحملوا
الناس كلهم رايات كل منهم يحمل على من بإزائه ، فتجالدوا بالسيف
وعمد الحديد لا يسمع إلا صوت ضرب الهامات كوقع المطارق على
السنادين ، ومَرَّت الصلوات كلها فلم يصل أحد إلا تكبير عند مواقيت
الصلاة حتى تَفَانُوا ورقَّ الناس وخرج رجل من بين الصَّفين لا يعلم من
هو ، فقال : إِيَّهَا اخرج فيكم المحلفون قليل لا ، فقال : إنهم سيخرجون
أستهم أحلى من العسل وقلوبهم أَمَرَّ من الصبر ، لهم حمة كحمة
الحَيَات ، ثم غاب الرَّجل فلم يعلم من هو .

قال نصر : ثم كانت بين الفريقين الوقعة المعروفة بوقعة الخميس
حدَّثنا بها عمرو بن سعد عن سليمان الأعمش ، عن إبراهيم النخعي ،
قال : حدَّثنا الققعاق بن الأبرد الطهوي قال : والله إنِّي لواقف من علي
عليه السلام بصفين يوم وقعة الخميس ، وقد التفت مدحج وكانوا في ميمنة
علي عليه السلام بعد ولخم وجذام والأشعرين وكانوا مستبصرين في قتال
علي عليه السلام .

فلقد والله رأيت ذلك اليوم من قتالهم وسمعت من وقع السيوف على
الرؤوس وخط الخيول بحوافرها في الأرض وفي القتلى ما الجبال تهذ ولا
الصَّواعق تصعق بأعظم هؤلاء في الصَّدور من تلك الأصوات ، ونظرت
إلى علي عليه السلام وهو قائم فدنوت منه فأسمعه يقول : (لا حول ولا
قوة إلا بالله اللهم إليك الشكوى وأنت المستعان) ، ثم نهض حين قام
قائم الظهيرة وهو يقول : ﴿ ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير
الفاطحين ﴾ وحمل على الناس بنفسه وسيفه مجرد بيده ، فلا والله ما حجر
بين الناس ذلك اليوم إلا الله رب العالمين في قريب من ثلث الليل
الأول ، وقتلت يومئذ أعلام العرب ، وكان في رأس علي عليه السلام
ثلاث ضربات ، وفي وجهه عليه السلام ضربتان .

قال نصر : وحدَّثنا عمرو بن شمر قال : حدثني مجالد عن الشعبي ،

عن زياد بن النضر الحارثي ، قال : شهدت مع علي عليه السلام بصفتين فافقتنا مرة ثلاثة أيام وثلاثة ليال حتى تكسرت الرماح ، ونفدت السهام ، ثم صرنا إلى المسابقة فاجتلدنا بها إلى نصف الليل حتى صرنا نحن وأهل الشام في اليوم الثالث يعانق بعضنا بعضاً ، ولقد قاتلت ليلة إذ بجميع السلاح فلم يبق شيء من السلاح إلا قاتلت به حتى تحاثبنا وتكادمننا بالأفواه ، حتى صرنا قياماً ينظر بعضنا إلى بعض ما يستطيع أحد من الفريقين أن ينهض إلى صاحبه ولا يقاتل ، فلما كان نصف الليل من الليلة الثالثة انحاز معاوية وخيله من الصف وغلب علي عليه السلام على القتلى ، فلما أصبح أقبل على أصحابه يدفنهم وقد قتل كثير منهم وقتل من أصحاب معاوية أكثر ، وقتل فيهم تلك الليلة شهر بن أبرة .

في كيفية ليلة الهرير :

ومن وقائع صفين ليلة الهرير التي خاضت الفرسان فيها في دماء أقرانها ، وأضرمت الحرب فيها شواطئ نيرانها ، وتعاطى الشجعان فيها كاسات الحمام ، فمالت بصاحبيها وسكرانها وجل الأمر عن المضاربة بسيفها والمطاعنة بسنانها ، فهزت لحقدها كادمة بأنيابها عاضة بأسنانها ، قد شعلت بنيران الحمية فطائفة تجتهد في طاعتها وأخرى تدأب في عصيانها ، قد صهرت هذه أتباعاً لحقها وصدقها ، وتلك لباطلها وبهتانها ، وقاتلت هذه حبة في سبيل ربها وإمامها ، وتلك في اتباع غويها وشيطانها ، وهذه تعلن بتلاوة كتابها وترتيل قرائتها ، وتلك القاسطة تنادي بدعوى الجاهلية وأوثانها ، والإمام عليه السلام قد باشرها بنفسه فكم قتل من رجالها وأردى من فرسانها ، وكم أنحى على كتية فما عاد إلا بعد تفريق جمعها وهد أركانها ، ووصل بين الحزن وأهلها ، وفرق بين رؤوسها وأبدانها ، وشتت شمل اجتماعها فجمع عليها بين وحوش الأرض وعقبانها ، فيا لها من ليلة خرس فيها الشقاشق ، فلا تسمع إلا همهمة وخشعت لها الأصوات ، فلا تحس إلا غمغمة ، وعجزت بها الألسن عن

النَّطق ، فكان نطقها متممة ، وأدارت التقريع على فعالها ، فلم تستطعه
 فاغتاضت عنه زئيراً ودمدمة ، وأظلم سواد حديدتها وليلها وغبارها فغدت
 بليالي وسال بأرضها طوفان الدّم ، فسوى بين السّافل والعالي ، وأرмضت
 في ظلماتها بوارق السيوف وبدود البيض وشهب العوالي ، ودارت بها رحي
 الحرب فطحنت الأواخر والأوائل ، وانتصب مالك لتلفي روح المعادي ،
 واستبشر رضوان بروح الموالي ، وأمير المؤمنين عليه السلام فارس ذلك
 الجمع وأسده وإمامه ومولاه وسيّده وهادي من أتبعه ومرشده ، يهدر
 كالفحل ويزار كالأسد ، ويفرقهم ويجمعهم كفعله بالنقد لا يعترضه في
 إقامة الحق وإرحاض الباطل فتور ، ولا يلم به في إعلاء كلمة الله وخزي
 أعداء الله قصور ، يختطف النفوس ويقتطف الرؤوس ، ويلقى بطلاقة
 وجهه اليوم العبوس ، ويذلّ بسطوة بأسه الأسود السّود ، والفرسان
 الشّوس^(١) ويخجل بأنواره في ليل القتام الأقمار والشّموس ، فما لقي
 شجاعاً إلا وأراق دمه ولا بطلاً إلا وزلزل قدمه ، ولا مرتداً إلا أسدّمه
 وأعدمه ، ولا قاسطاً إلا قصر عمره وأطال ندمه ، ولا جمع نفاق إلا فرقه ،
 ولا بناء ضلال إلا هدمه ، وكان عليه السلام كلّما قتل فارساً أعلن بالتكبير
 فأحصيت تكبيراته ليلة الهرير فكانت خمس مائة وثلاث وعشرين تكبيرة
 بخمس مائة وثلاث وعشرين قتيلاً من أصحاب السّعر .

وقيل : إنّه عليه السلام في تلك الليلة فتق درعه لثقل ما كان
 يسيل من الدّم على دراعه ، وقيل إنّ قتلاه عرفوا في النّهار ، فإنّ ضرباته
 كانت على وتيرة واحدة إن ضرب طولاً قدّ وعرضاً قطّ وكانت كأنّها مكواة
 بالنّار هكذا ذكر علي بن عيسى في كشف الغمّة .

وقال كمال الدين : فما تحلّى بهذه المزايا والخلال ولا أبني بلاوة
 المذكورة في النّزال ولا صدرت منه هذه الأفعال إلا عن شجاعة تدلّ لها

(١) الشّوس الأشوس هو الذي ينظر بمؤخر عينيه تكبراً وتغيظاً .

الأبطال ، وتقل لديها الأهوال ، ولا تقوم بوصفها الأقلام والأقوال ، ولا تحتاج في تحققها إلى أن يدل بها الاستدلال ، وعلى الجملة والتفصيل فمقام شجاعته لا ينال ، وماذا بعد الحق إلا الضلال .

ولما أسفر صبح ليلة الهرير عن ضيائه وحسر الليل جنح ظلماته كانت القتلى من الفريقين ستة وثلاثين ألف قتيل ، هكذا نقله مصنف كتاب الفتوح ومؤرخ الوقائع ، فهي في الرواية منسوبة إليه والعهد فيها عند تتبعها عليه ، وهذه الوقائع المذكورة مع أهوالها الصغار ، وصيالتها المصلى لظى الطعان والضراب ، هي بالنسبة إلى بقايا وقائعه بصفين كالفطرة من السحاب والشذرة^(١) من السحاب^(٢) (انتهى).

قال ابن أبي الحديد : قال نصر : وحدثنا عمرو بن شمر ، عن جابر بن نمير الأنصاري قال : والله لكأني أسمع علياً عليه السلام يوم الهرير وذلك بعدما طحنت رحا مدجج فيما بينها وبين عك ولحم وحدام والأشعرين بأمر عظيم ، تشيب منه النواصي حتى استقلت الشمس ، وقام قائم الظهر ، وعلي عليه السلام يقول لأصحابه : حتى متى تخلقى بين هذين الحميين قد فنيا وأنتم وقوف تنظرون ، أما تخافون مقت الله ، ثم استقبل إلى القبلة ورفع يديه إلى الله عز وجل ونادى يا الله يا رحمن يا رحيم يا واحد يا أحد يا صمد يا الله يا إله محمد (ص) : اللهم إليك نقلت الأقدام ، وأفضت القلوب ، ورفعت الأيدي ، ومدت الأعناق ، وصخت الأبصار ، وطلبت الحوائج . اللهم إنا نشكو إليك غيبة نبينا وكثرة عدونا ، وتشتت أهوائنا ، ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق ، وأنت خير الفاتحين ، سيروا على بركة الله .

ثم نادى : لا إله إلا الله والله أكبر كلمة التقوى . قال : فلا والذي بعث محمداً بالحق نبياً ما سمعنا رئيس قوم منذ خلق الله السماوات

(٢) والسحاب خيط ينظم فيه الخزف .

(١) الشذرة الصغار اللؤلؤ .

والأرض أصاب بيده في يوم واحد ما أصاب أنه قتل فيما ذكر العادون زيادة على خمس مائة من أعلام العرب يخرج بسيفه منحنيًا فيقول : معذرة إلى الله تعالى وإليكم من هذا لقد هممت وإن أفلقه ولكن يحجزني عنه أنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : (لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي) وأنا أقاتل به دونه صلوات الله عليه وآله . قال : فكنا نأخذه فنقومه ثم يتناوله من أيدينا فينقحم به في عرض الصف فلا والله ما ليث بأشد نكاية منه عليه السلام في عدوه .

وقال أيضاً : قال نصر : وحدثنا عمرو بن شمر ، عن جابر قال : حدثنا أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام قال : لما كان يوم الأعظم قال أصحاب معاوية : والله لا نبرح اليوم العرصة حتى نموت أو يفتح لنا فبادروا القتال غدوة في يوم من أيام الشعرى طويل شديد الحر فتراموا حتى فئت النبال وتطاعنوا حتى تقصفت الرماح ، ثم نزلوا القوم على خيولهم ومشى بعضهم إلى بعض بالسيف حتى كسرت جفونها ، وقام الفرسان في الركب ، ثم اضطربوا بالسيف ويعمد الحديد ، فلم يسمع السامعون إلا تغمغم القوم ، وصليل الحديد في الهام وتكارم الأفواه ، وكسفت الشمس وثار القتام وضلت الألوية والرايات ومرت مواقيت أربع صلوات ما يسجد فيهن لله إلا تكبيراً ونادت المشيخة في تلك الغمرات يا معشر العرب الله الله في الحرمات من النساء والبنات . قال جابر : فبكى أبو جعفر عليه السلام وهو يحدثنا بهذا الحديث .

قال ابن أبي الحديد أيضاً : وذكر ابن ديزيل الهمداني في كتاب صفين ، قال : خرج عبدالرحمن بن خالد بن الوليد ومعه لواء معاوية فاترجز فخرج إليه جارية بن قدامة السعدي فارتجز أيضاً مجيباً ثم اطعنا فلم يصنع شيئاً وانصرف كل واحد منهما عن صاحبه ، فقال عمرو بن العاص لعبدالرحمن : أقحم يا ابن سيف الله فتقدم عبدالرحمن بلوائه وتقدم أصحابه فأقبل علي عليه السلام على الأشر فقال له : قد بلغ لواء معاوية حيث ترى فدونك القوم فأخذ الأشر لواء علي عليه السلام وقال :

إني أنا الأشتر معروف الشتر إني أنا الأفعى العراقي الذكر
 لست ربيعياً ولست من مضر لكنني من مدحج الشم الفرر
 فضارب القوم حتى ردهم فانتدب له همام بن قبيصة الطائي وكان مع
 معاوية فشده عليه في مدحج فانتصر عدي بن حاتم الطائي الأشتر فحمل
 عليه في طي فاشتد القتال جداً فدعا علي عليه السلام ببغلة رسول الله
 فركبها ثم تعصب بعمامة رسول الله ونادى أيها الناس من يشري نفسه لله
 إن هذا يوم له ما بعده فانتدب معه ما بين عشرة آلاف إلى اثنا عشر ألفاً
 فتقدمهم علي عليه السلام فقال :

دَبُّوا دَبِيبَ النَّمْلِ لَا تَفُوتُوا
 وَاصْبَحُوا أَمْرَكُمْ وَبَيْتُوا
 حَتَّى تَنَالُوا الشَّارَ أَوْ تَمُوتُوا

وحمل وحمل الناس كلهم حملة واحدة ، فلم يبق لأهل الشام صف
 إلا أزالوه حتى أفضوا إلى معاوية ، فدعا معاوية بفرسه ليفر عليه ، وكان
 معاوية بعد ذلك يحدث فيقول : لما وضعت رجلي في الركاب ذكرت قول
 عمرو بن الأطنابة :

أبت لي عفتي وأبت بلائي وأخذي الحمد بالثمن الربيع
 وإقدامي على المكروه نفسي وضربي هامة البطل المشيح
 وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي

فأخرجت رجلي من الركاب وأقمت ونظرت إلى عمرو فقلت له :
 اليوم صبر وغداً فخر . قال : صدقت .

قال إبراهيم بن ديزيل : وروى عبدالله بن أبي بكر عن
 عبدالرحمن بن حاطب ، عن معاوية قال : أخذت بمعرفة فرسي ووضعت
 رجلي في الركاب للهرب حتى ذكرت شعر أبي اطنابة ، فعدت إلى
 مقعدي فأصبت خير الدنيا وإني لراج أن أصيب خير الآخرة .

قال إبراهيم بن ديزيل : فكان ذلك يوم الهرير ، ثم رفعت المصاحف بعده .

قال ابن أبي الحديد أيضاً : قال نصر : فحدثنا عمرو بن شمر ، عن جابر قال : سمعت تميم بن جزييم يقول : لما أصبحنا من ليلة الهرير نظرنا ، فإذا أشباه الرايات أمام أهل الشام في وسط الغليق حيال موقف علي عليه السلام ومعاوية ، فلما أسفرنا إذا هي المصاحف قد ربطت في أطراف الرماح وهي عظام مصاحف العسكر وقد شدوا علي ثلاثة أرماع جميعاً واربطوا عليها مصحف المسجد الأعظم يمسكه عشرة رهط .

قال نصر : وقال أبو جعفر وأبو الطفيل استقبلوا علياً عليه السلام بمائة مصحف ووضعوا في كل مجنبه مائتي مصحف ، فكان جميعها خمس مائة مصحف .

قال أبو جعفر : ثم قام الطفيل بن أدهم حيال علي عليه السلام وقام أبو شريح الجذامي حيال العيصنة وقام ورقاء بن المعمر حيال الميسرة ، ثم نادوا يا معشر العرب الله الله في النساء والبنات والأبناء من الروم والأتراك وأهل فارس ، غداً إذا أفنيتم الله الله في دينكم هذا كتاب الله بيننا وبينكم .

فقال علي عليه السلام : اللهم إني أعلم أنهم ما الكتاب يريدون فاحكم بيننا وبينهم إني أنت الحكيم الحق المبين ، فاختلف أصحاب علي عليه السلام في الرأي وطائفة قالت : القتال القتال ، وطائفة قالت : المحاكمة إلى الكتاب ولا يحل لنا الحرب وقد دعينا إلى حكم الكتاب ، فعند ذلك بطلت الحروب ووضعت أوزارها .

قال ابن أبي الحديد في رواية نصر عن الشعبي قال : فجاء عدي بن حاتم الطائي فقال : يا أمير المؤمنين إنه لم يصب منا عصبية إلا وقد أصيب منهم مثلها ، وكلّ مقروح ، ولكننا أمثل بقية منهم وقد جزع القوم وليس بعد الجزع إلا ما نحب فناجزهم .

وقام الأشتر فقال : يا أمير المؤمنين إن معاوية لا خلف له من رجاله ، ولكن نحمد الله الخلف ولو كان له مثل رجالك لم يكن له مثل صبرك ولا نصرك ، فاقرع الحديد بالحديد واستعن بالله الحميد .

ثم قام عمرو بن الحمق فقال : يا أمير المؤمنين إنا والله ما أجبنك ولا نصرناك على الباطل ولا أجبننا إلا الله ولا طلبنا إلا الحق ، ولو دعانا غيرك ما دعوتنا إليه لاستشرى فيه اللجاج وطالت فيه النجوى ، وقد بلغ الحق مقطعه وليس لنا معك رأي .

فقام الأشعث بن قيس مغضباً فقال : يا أمير المؤمنين إنا لك اليوم على ما كنا عليه أمس ، وليس آخر أمرنا كأوله ، وما من القوم أحد أحنى على أهل العراق ، ولا أوتر لأهل الشام مني ، فأجب القوم إلى كتاب الله عز وجل ، فإنك أحق به منهم ، وقد أحب الناس البقاء وكرهوا القتال .

فقال علي عليه السلام : هذا أمر نظرفيه ، فنادى الناس من كل جانب الموادة ، فقال علي عليه السلام : أيها الناس إني أحق من أجاب إلى كتاب الله ، ولكن معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي معط وابن أبي سرح وابن مسلمة ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، إني أعرف بهم منكم ، صحبتهم صغاراً ورجالاً ، فكانوا شرّ صغار وشرّ رجال ، ويحكم إنها كلمة حق يراد بها باطل ، إنهم ما رفعوها وإنهم يعرفونها ولا يعملون بها ، ولكنها الخديعة والوهن والمكيدة ، أعيروني سواعدكم وجماعكم ساعة واحدة ، فقد بلغ الحق مقطعه ولم يبق إلا أن يقطع دابر الذين ظلموا ، فجاءه من أصحابه رهاء عشرين ألفاً مقنعين في الحديد شاكي سيوفهم على عواتقهم ، وقد اسودت جباههم من السجود يتقدمهم مسعر بن فدكي وزيد بن حصين وعصابة من القراء الذين صاروا خوارج من بعد ، فنادوه باسمه لا بإمرة المؤمنين يا علي أجب القوم إلى كتاب الله إذ دعيت إليه ، وإلا قتلناك كما قتلنا ابن عقّان ، فوالله لنفعلنها إن لم تجبهم ، فقال لهم : ويحكم أنا أول من دعى إلى كتاب الله وأول من أجاب إليه ، وليس يحل

لي ولا يسعني في ديني أن أدعى إلى كتاب الله ، فلا أقبله إنني إنما أقاتلهم ليدِينُوا بحكم القرآن ، فإنهم قد عصوا الله فيما أمرهم ونقضوا عهده ونبذوا كتابه ، ولكنني قد أعلمتكم أنهم قد كادوكم وإنهم ليس العمل بالقرآن يريدون ، قالوا : فابعث إلى الأشتر ليأتيك وقد كان الأشتر صبيحة ليلة الهرير قد أشرف على عسكر معاوية ليدخله .

قال نصر : فحدثني فضيل بن خديج قال : سألت مصعب ابن إبراهيم بن الأشتر ، عن الحال كيف كانت؟ فقال : كنت عند علي عليه السلام حين بعث إلى الأشتر ليأتيه وقد كان الأشتر أشرف على عسكر معاوية ليدخله فأرسل إليه علي عليه السلام يزيد بن هاني أن اتني فأتاه فأبلغه فقال الأشتر : انتبه فقل له : ليس هذه بالساعة التي ينبغي لك أن تزيلني عن موقعي إنني قد رجوت الفتح فلا تعجلني ، فرجع يزيد بن هاني إلى علي عليه السلام فأخبره ، فما هو إلا أن انتهى إلينا حتى ارتفع الرهج وعلت الأصوات من قبل الأشتر وظهرت دلائل الفتح والنصر لأهل العراق ، ودلائل الخذلان والادبار على أهل الشام ، فقال القوم لعلي عليه السلام : والله ما نراك إلا بالقتال . قال : أرايتموني شاورت رسولي إليه أليس إنما كلمته على رؤوسكم وعلانية وأنتم تسمعون ، قالوا : فابعث إليه فليأتك وإلا فوالله اعتزلناك ، فقال : ويحك يا يزيد قل له أقبل إلي فإن الفتنة قد وقعت ، فأتاه وأخبره ، فقال الأشتر : برفع هذه المصاحف ، قال : نعم . قال : أما والله لقد ظننت أنها حين رفعت ستوقع اختلافاً وفرقة أنها شورة ابن النابغة .

ثم قال ليزيد بن هاني : ويحك ألا ترى إلى الفتح ألا ترى إلى ما يلقون ، ألا ترى إلى الذي يصنع الله لنا أينبغي أن ندع هذا ونصرف عنه ، فقال له يزيد : أتحب أنك ظفرت ههنا وأن أمير المؤمنين بمكانه الذي هو فيه يفرج عنه ويسلم إلى عدوه ، قال : سبحان الله لا والله لا أحب ذلك ، قال : فإنهم قد قالوا إليه وحلفوا عليه لترسلن إلى الأشتر فليأتينك أو لتقتلنك بأسيا فنا ، كما قتلنا عثمان أو لنسلمنك إلى عدوك ،

فأقبل الأشر حتى انتهى إليهم فصاح يا أهل الذلّ والوهن أحيين علوتم القوم وظنّوا أنكم لهم قاهرون رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها ، وقد والله تركوا ما أمر الله به فيها ، وتركوا سنة من أنزلت عليه فلا تجيئوهم أمهلوني فواقاً فلآتي قد أحسست بالفتح ، قالوا : لا نمهلك . قال : فأمهلوني عدوة الفرس فلآتي قد طمعت في النصر . قالوا : إذن ندخل معك خطيتك . قال : فحدثوني عنكم وقد قتل أمائلكم وبقي أراذلكم متى كنتم محقّين أحيين كنتم تقتلون أهل الشّام ، فأنتم الآن حين أمسكنم عن قتالهم مبطلون أم أنتم الآن في إمساكلهم عن القتال محقّون ، فقتلاكهم إذن الذين لا تنكرون فضلهم وإنهم خير منكم في النار ، قالوا : دعنا منك يا أشر قاتلناهم في الله وندع قتالهم في الله إنا لسنا نطيعك فاجتنبنا ، فقال : خدعتم والله فانخدعتم ودعيتم إلى وضع الحرب فاجبتم يا أصحاب الجباه السود ، كنا نظنّ صلاتكم زهادة في الدنيا وشوقاً إلى لقاء الله فلا أرى فراركم إلّا إلى الدّنيا من الموت ألا فقبحاً يا أشباه النّيب الجلالة ما أنتم برائين بعدها غراً أبداً ، فابعدوا كما بعد الظالمين ، فسبّوه وسبّهم وضربوا بسياطهم وجهه دأبته وضرب بسوطه وجوه دوائهم وصاح بهم علي عليه السلام ، فكفروا .

وقال الأشر : يا أمير المؤمنين احمل الصّف على الصّف تصرع القوم فتصايحوا إنّ أمير المؤمنين قد قبل الحكومة ورضي بحكم القرآن ، فقال الأشر : إن كان أمير المؤمنين عليه السلام قد قبل ورضي فقد رضيت بما رضي به أمير المؤمنين ، فأقبل الناس يقولون : قد رضي أمير المؤمنين قد قبل أمير المؤمنين وهو ساكت لا يقبض بكلمة مطرق إلى الأرض .

ثم قام فسكت الناس كلّهم فقال : أيها النّاس إنّ أمري لم يزل معكم على ما أحبّ إلى أن أخذت منكم الحرب ، وقد والله أخذت منكم وتركت وأخذت من عدوكم فلم تترك وإنها فيهم أنكى وأنهك إلّا أنّي كنت بالأمس أمير المؤمنين فأصبحت اليوم مأموراً ، وكنت ناهياً فأصبحت منهاياً وقد

أجبتهم البقاء وليس لي أن أحملكم على ما تكرهون ، ثم قعد ثم تكلم رؤساء القبائل فكلّ قال ما يراه ويهواه إمّا من الحرب أو من السلم .

قال ابن أبي الحديد أيضاً ، قال نصر : وجاء الأشعث إلى علي عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين ما أرى الناس إلّا وقد رضوا وسرّهم أن يجيئوا القوم إلى ما دعوهم إليه من حكم القرآن ، فإن شئت أتيت معاوية فسألته ما يريد ونظرت ما الذي يسأل . قال : ايتبه إن شئت فاتاه فسأله يا معاوية لأيّ شيء رفعتم هذه المصاحف؟ قال : لنرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله به فيها فابعثوا رجلاً منكم ترضون به ونبعث منّا رجلاً ونأخذ عليهما أن يعملّا بما في كتاب الله ولا يعدوانه ، ثم نتبع ما اتفقا عليه ، فقال الأشعث : هذا هو الحق وانصرف إلى علي عليه السلام فأخبره ، فبعث علي عليه السلام قراء من أهل العراق فبعث معاوية قراء من أهل الشام فاجتمعوا بين الصّفين ومعهم المصحف فنظروا فيه وتدارسوا واجتمعوا على أن يحييوا ما أحيا القرآن ويميتوا ما أمت القرآن ، ورجع كلّ فريق إلى أصحابه ، فقال أهل الشام : إنّنا قد رضينا واخترنا عمرو بن العاص ، وقال الأشعث والقراء الذين صاروا خوارج فيما بعد وقد رضينا نحن واخترنا أبا موسى الأشعري ، فقال لهم علي عليه السلام إنّني لا أرضى بأبي موسى ولا أرى أن أولّيه ، فقال الأشعث وزيد بن حصين ومسر بن فدكي في عصابة من القراء : إنّنا لا نرضى إلّا به ، فإنّه قد كان حذرنا ما وقعنا فيه ، فقال علي عليه السلام : فإنّه ليس لي برضا وقد فارقتني وخذل الناس عني وهرب مني حتى أمنتّه بعد أشهر ، ولكن هذا ابن عباس أولّيه ذلك ، قالوا : والله لا نبالي أكنت أنت أو ابن عباس ولا نريد إلّا رجلاً هو منك ومن معاوية سواء ليس إلى واحد منكما أدنى من الآخر . قال علي عليه السلام فإنّي أجعل الأشتر ، فقال الأشعث : وهل سعر الأرض علينا إلّا الأشتر وهل نحن إلّا في حكم الأشتر . قال علي عليه السلام وما حكمه قال حكمه أن يضرب بعضنا بعضاً بالسيف حتى يكونن ما أردت وما أراد .

قال نصر : وحدّثنا عمرو بن شمر عن جابر ، عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام قال : لما أراد الناس علياً عليه السلام أن يضع الحكمين قال : إنّ معاوية لم يكن ليضع لهذا الأمر أحداً لهو أوثق برأيه ونظره من عمرو بن العاص ، وإنّه لا يصلح للقُرشي إلّا مثله ، فعليكم بعبدالله بن العباس فارموه به ، فإنّ عمرو لا يعقد عقدة إلّا حلّها عبدالله ولا يحلّ عقدة إلّا عقدها ولا يبرم أمر إلّا نقضه ولا ينقض أمر إلّا أبرمه ، فقال الأشعث : لا والله لا يحكم فينا مضرّيان حتى تقوم الساعة ، ولكن اجعل رجلاً من أهل اليمن إذا جعلوا رجلاً من مضر ، فقال علي عليه السلام إنّني أخاف أن يخدع يمينكم فإنّ عمرو ليس من الله في شيء إذا كان له في أمر هوى ، فقال الأشعث : والله لأريحكما ببعض ما نكره واحدهما من أهل اليمن أحبّ إلينا من أن يكون بعض ما تحبّ في حكمهما وهما مضرّيان .

قال : وذكر الشعبي أيضاً مثل ذلك ، قال نصر : فقال علي عليه السلام : قد أبيت إلّا أبا موسى ، قالوا : نعم ، قال : فاصنعوا بما شئتم فبعثوا إلى أبي موسى وهو بأرض من أرض الشام يقال لها عرض قد اعتزل القتال ، فأتاه مولى له فقال : إنّ الناس قد اصطلموا ، فقال : الحمد لله رب العالمين ، قال : وقد جعلوك حكماً ، فقال : إنّنا لله وإنّا إليه راجعون ، فجاء أبو موسى حتى دخل عسكر علي عليه السلام ورأى الأشتر علياً عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين ألزمني بعمر بن العاص فوالذي لا إله غيره لئن ملأت عيني منه لأقتلنه ، وجاء الأحنف بن قيس علياً عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين إنّك قد رميت بحجر الأرض ومن حارب الله ورسوله أنف الإسلام ، وإنّي قد عجنت هذا الرجل يعني أبا موسى وحلبت أشطره فوجدته كليل الشفرة ، قريب القمر ، وإنّه لا يصلح لهؤلاء القوم إلّا رجل يدنو منهم حتى يكون في أكفهم ويتباعد منهم حتى يكون بمنزلة النجم منهم فإن شئت أن تجعلني حكماً فاجعلني وإن شئت أن تجعلني ثانياً أو ثالثاً ، فإنّ عمرو لا يعقد عقدة إلّا حللتها ولا يحلّ عقدة

إلاً عقدت لك أشدّ منها فعرض علي عليه السلام ذلك على الناس فأبوه وقالوا : لا يكون إلا أبا موسى .

وقال أيضاً : قال نصر : فلمّا رضي أهل الشّام بعمره وأهل العراق بأبي موسى أخذوا في سطر كتاب المودعة ، وكانت صورته هذا ما تقاضى أمير المؤمنين ومعاوية بن أبي سفيان ، فقال معاوية : بش الرجل أنا إن أقررت إنه أمير المؤمنين ثم قاتلته ، وقال عمرو : بل نكتب اسمه واسم أبيه إنما هو أميركم فأما أميرنا فلا ، فلمّا أُعيد إليه الكتاب أمر بمحوه ، فقال الأحنف : لا تمنح اسم أمير المؤمنين عنك فلإني أتخوف إن محتوها ألا ترجع إليك أبداً ، فلا تمحها ، فقال علي عليه السلام : إنّ هذا اليوم كيوم الحديبية ، حين كتب الكتاب عن رسول الله (ص) هذا ما يصلح محمد رسول الله وسهيل بن عمرو ، فقال سهيل : لو أعلم أنك رسول لم أقاتلك ، ولم أخالفك ، إني إذا الظالم لك إن منعتك أن تطوف بيت الله الحرام وأنت رسوله ، ولكن أكتب من محمد بن عبدالله ، فقال لي رسول الله (ص) : يا علي إني لرسول الله وأنا محمد بن عبدالله ولن تمحو عني الرسالة كتابي لهم من محمد بن عبدالله واكتبها وامح ما أراد محوه أما إن لك مثلها ستعطيهما وأنت مضطهد .

قال نصر : وقد روي أن عمرو بن العاص عاد بالكتاب إلى علي عليه السلام فطلب منه أن يمحوا اسمه من إمرة المؤمنين ، فقص عليه وعلى من حضر قصة صلح الحديبية ، قال : إنّ ذلك الكتاب أنا كتبت بيننا وبين المشركين ، واليوم أكتبه إلى أبنائهم كما كان رسول الله صلّى الله عليه وآله كتبه إلى آبائهم شبيهاً ومثلاً ، فقال عمرو : سبحان الله أتشبهنا بالكفار ونحن مسلمون ، فقال علي عليه السلام : يابن النابغة ومتى لم تكن من الكافرين ولياً وللمسلمين عدواً ، فقام عمرو وقال : والله لا يجمع بيني وبينك مجلس بعد اليوم . فقال عليه السلام : أما والله إني لأرجو أن يظهر الله عليك وعلى أصحابك ، وجاءت عصاة قد وضعت سيوفها على

عواتقها فقالوا : يا أمير المؤمنين مرنا بم شت؟ فقال لهم سهل بن حنيف : أيها الناس اتهموا رأيكم فلقد شهدنا صلح رسول الله يوم الحديبية ولو نرى قتالاً لقاتلنا .

وقال أيضاً : قال نصر : وقد روى أبو اسحاق الشيباني قال : قرأت كتاب الصلح عند سعيد بن أبي بردة في صحيفة صفراء عليها خاتمان ، خاتم من أسفلها وخاتم من أعلاها على خاتم علي عليه السلام محمد رسول الله وعلى خاتم معاوية محمد رسول الله ، وقيل لعلي عليه السلام حين أراد أن يكتب الكتاب بينه وبين معاوية وأهل الشام : أتقر أنهم مؤمنون مسلمون . فقال علي عليه السلام : ما أقر لمعاوية ولا لأصحابه أنهم مؤمنون مسلمون ، ولكن يكتب معاوية ما شاء ويقر بما شاء لنفسه ولأصحابه ويسمي نفسه بما شاء وأصحابه ، فكتبوا هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان قاض علي بن أبي طالب على أهل العراق ، ومن كان معه من شيعته من المؤمنين والمسلمين ، وقاض معاوية بن أبي سفيان على أهل الشام ومن كان معه من شيعته من المؤمنين والمسلمين ، إنا ننزل عند حكم الله تعالى وكتابه ، ولا يجمع بيننا إلا إياه ، وإن كتاب الله سبحانه بيننا من فاتحته إلى خاتمته نحبي ما أحيا القرآن ونميت ما أمات القرآن ، فإن وجد الحكمان ذلك في كتاب الله اتبعناه وإن لم يجدها أخذنا بالسنة العادلة غير المفرقة ، والحكمان عبدالله بن قيس وعمرو بن العاص وقد أخذ الحكمان من علي ومعاوية ومن الجندين أنهما أمينان على أنفسهما وأموالهما وأهلهم والأمة لهما أنصار ، وعلى الذي يقضيان عليه وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين عهد الله أن يعمل بما يقضيان عليه ممّا وافق الكتاب والسنة ، وإن الأمن والموادعة ووضع السلاح متفق عليه من الطائفتين إلى أن يقع الحكم وعلى كلّ واحد من الحكامين عهد الله ليحكم بين الأمة بالحق لا بالهوى وأجل الموادعة سنة كاملة ، فإن أحب الحكمان أن يعجل الحكم عجلاه وإن توفي أحدهما فلأمير شيعته أن يختار مكانه رجلاً لا يألوا الحق والعدل ، وإن

توفى أحد الأميرين كان نصب غيره إلى أصحابه ممن يرضون أمره ويحمدون طريقته ، اللهم إنا نستنصرك على من ترك ما في هذه الصحيفة وأراد فيها إلحاداً وظلماً .

قال نصر : هذه رواية محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام والشعبي ، وروى جابر عن زيد بن الحسن بن الحسن زيادات على هذه النسخة .

أقول : وذكر تلك الرواية وساقها إلى أن قال : وشهد فيه من أصحاب علي عشرة ومن أصحاب معاوية عشرة ، وتاريخ كتابته ليلة بقيت من صفر سنة سبع وثلاثين .

قال نصر : وحدثنا عمرو بن سعيد قال : حدثني أبو حباب عن عمار بن ربيعة الحربي ، قال : لما كتبت الصحيفة دعا بها الأشرليشهد الشهود عليه ، فقال : لا صحبتني يميني ولا نفعني بعدها الشمال إن كتب لي في هذه الصحيفة اسم علي صلح أو موادة أو لست على بينة من أمري ويقين من ضلالة عدوي ، أولستم قد رأيتم الظفران لم تجمعوا على الحور ؟ فقال له رجل : والله ما رأيت ظفراً ولا حوراً ، هلم فاشهد على نفسك واقرب بما كتب في هذه الصحيفة فإنه لا رغبة لك عن الناس ، فقال : بلى والله إن لي لرغبة عنك في الدنيا للدنيا وفي الآخرة للآخرة ، ولقد سفك أبيه بسيفي هذا دماء رجال ما أنت عندي بخير منهم ولا أحرم دماً .

قال نصر بن مزاحم : الرجل هو الأشعث بن قيس ، قال : فكأنما قصع على أنفه الحمم ، ثم قال : ولكني قد رضيت بما يرضى به أمير المؤمنين ودخلت فيما دخل فيه وخرجت مما خرج منه ، فإنه لا يدخل إلا في الهدى والصواب .

وقال أيضاً : قال نصر : وقال : حدثني عمرو بن نمر بن وغلة ، عن أبي السوداك قال : لما تداعا الناس إلى المصاحف وكتبت صحيفة الصلح

والتحكيم قال علي عليه السلام : إنما فعلت ما فعلت لما بدا فيكم من خور والفشل عن الحرب ، فجاء إليه همدان كأنها ركن حصين فيهم سعيد بن قيس وابنه عبدالرحمن غلام له ذوابة ، فقال سعيد : ها أنا ذا وقومي لا نردّ أمرك ، فقل ما شئت نعمله ، فقال : أما هذا قبل سطر الصّحيفة لأزلتهم عن عسكرهم أو تنفرد سالفتي ، ولكن انصرفوا راشدين .

وقال أيضاً : قال نصر : ثم إنّ الناس أقبلوا على قتلاهم فدفنوهم .

أقول : قال أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي في تاريخه : وكان علي عليه السلام قد سار إلى صفين في تسعين ألفاً ومعاوية في مائة وعشرين ألفاً ، فقتل من أهل العراق خمسة وعشرون ألفاً منهم عمار بن ياسر وهاشم بن عتبة بن أبي وقاص وخزيمة بن ثابت ، وقيل : وأويس القرني في الآخرين ، وقتل من أهل بدر خمسة وعشرون ، قال : وذكر الزبير بن بكار قال : شهد صفين مع أمير المؤمنين عليه السلام من أهل بدر سبعة وثمانون رجلاً منهم سبعة عشر رجلاً من المهاجرين وسبعون من الأنصار ، أما من باقي الصّحابة فكان معه ألف وثمان مائة منهم تسعون رجلاً بايعوا رسول الله صلّى الله عليه وآله تحت الشجرة بيعة الرضوان ، وقتل من أهل الشام سبعون ألفاً ، وكان بينهم سبعون وقعة في مائة وعشرين يوماً انتهى .

وقال ابن أبي الحديد : قال نصر : وروى أبو حباب الكلبي أنّ عمرو وأبا موسى لما التقيا بدومة الجندل أخذ عمرو يقدم أبا موسى في الكلام ويقول : إنك صحبت رسول الله صلّى الله عليه وآله قبلي وأنت أكبر مني سنّاً فتكلم أنت ثم أتكلّم أنا ، فجعل ذلك سنة وعادة بينهما ، وإنما كان مكرراً وخديعة واغتراراً له أن يقدمه فتبدأ بخلع علي عليه السلام ثم يرى رآيه .

وقال ابن ديزيل في كتاب صفين : أعطاه عمرو صدر المجلس وكان يتكلّم قبله ، وأعطاه التّقدم في الصلاة وفي الطّعام لا يأكل حتى يأكل ،

فإذا خاطبه فإنما يخاطبه بأجل الأسماء ، ويقول : يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله حتى اطمأن إليه وظن أنه لا يغشيه ، فلما انمحضت الزبدة منهما قال عمرو : أخبرني ما رأيك يا أبا موسى ؟ قال : أرى أن أخلع هذين الرجلين ونجعل الأمر شورى بين المسلمين يختارون من شاؤا ، فقال عمرو : الرأي والله ما رأيت فابتلا الناس وهم مجتمعون ، فتكلم أبو موسى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن رأيي ورأي عمرو قد اتفق على أمر نرجو أن يصلح الله به شأن هذه الأمة ، فقال عمرو : صدق ، ثم قال له : تقدم يا أبا موسى فتكلم ، فقام ليتكلم فدعاه ابن عباس فقال : ويحك والله إنني لأظنه خدعك إن كنتما قد اتفقتما على أمر فقدمه قبلك ليتكلم به ، ثم تكلم أنت بعده ، فإنه رجل غدار ولا آمن أن يكون قد أعطاك الرضا فيما بينك وبينه ، فإذا قمت به في الناس خالفك ، وكان أبو موسى رجلاً مغفلاً فقال : إياها عنك إنا قد اتفقنا فتقدم أبو موسى فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نر شيئاً هو أصليح لأمرها ولا ألم لنعتها من أن لا تتبنى أمورها وقد اجتمع رأيي ورأي صاحبي على خلع علي ومعاوية ، وأن تستقبل هذا الأمر فيكون شورى بين المسلمين يولون أمورهم من أحبوا وإنني خلعت علياً ومعاوية فاستقبلوا أموركم وولوا من رأيتموه لهذا الأمر أهلاً ، ثم تنحنى .

فقام عمرو بن العاص في مقامه فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إن هذا قد قال ما سمعتم وخلع صاحبه ، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه وأثبت صاحبي في الخلافة ، فإنه ولي عثمان والطلاب بدمه وأحق الناس بمقامه ، فقال له أبو موسى : ما لك لا وفقك الله قد غدرت وفجرت إنما مثلك كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ، فقال له عمرو : إنما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً ، وحمل شريح بن هاني على عمرو فقنعه بالسوط وحمل ابن عمرو على شريح فقنعه بالسوط ، وقام الناس فحجزوا بينهما ، فكان شريح يقول بعد ذلك : ما ندمت على شيء ندامتي إن لا أكون ضربت عمرو بالسيف بدل السوط أتى الدهر بما

أتى به والتمس أصحاب علي عليه السلام أبا موسى فركب ناقته ولحق بمكة وكان ابن عباس يقول : قُبِحَ الله أبا موسى لقد حذّرتَه وهديته إلى الرأي فما عقل ، وكان أبو موسى يقول : لقد حذّرتني ابن عباس عذرة الفاسق ولكنني اطمأنتت إليه وظننت أنه لا يؤثر شيئاً على نصيحة الأمة .

أقول : وقد صنفوا في وقعة صفين كتباً منفردة لا يتحمل تفصيلها كتابنا هذا ولو جئنا بمثله مدداً ، وإنما غرضنا هنا وصف مواقفه وشدة بأسه وإقدامه لتعداد مناقبه إجمالاً .

ومنها مقاتلته مع الخوارج :

وهي مبسّطة مذكورة في كتب المؤرخين من العامة والخاصة بأسانيد عديدة ، ولكن نقتصر هنا على ما ذكره كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي في كتابه مطالب السؤول ، فإن فيه غنية لمن خلع عنان المرء حيث أن الفضل ما شهد به الأعداء .

قال فيه : ومنها قتال الخوارج الذين قاموا على سوق مخالفة الملة الإسلامية وشاموا بروق جهلهم من مطالع الجاهلية طلباً للحمية واتفقوا على اتباع أهواء نفوسهم الامارة وقلوبهم العمية ومارقوا بذلك من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، فسدد إليهم علي عليه السلام سهام الانتقام بأيدي نظرائه الإمامية وجرّد لهم صوارم الاصطلام بمرفقات غرائمه الهاشمية وحصد رؤوسهم وأخذ نفوسهم بشياشفار شنشنة الأخزمية ، ولا تظهر حقيقة ما ابتدعوه من حالهم وما تبعوه من استباحتهم واستحلالهم إلا بتفصيل أقوالهم وأعمالهم ، وما اعتمدوه من تعليل انفصالهم عن الطاعة وجدالهم وها أنا الآن أشرح قصّتهم مختصرة وأختصرها مشروحة بحيث يعقلها من ملاها ويستوي في معرفتها من سمعها ومن أملاها .

وهو أن علياً عليه السلام لما عاد من صفين إلى الكوفة بعد الذي رأى من أمر الحكمين أقام ينتظر انقضاء المدة التي كانت بينه وبين معاوية

ليرجع إلى المقاتلة والمحاربة إذ انعزلت طائفة من خاصة أصحابه في أربعة آلاف فارس ، وهم العباد والنسك ، فخرجوا من الكوفة وخالفوا علياً عليه السلام وقالوا : لا حكم إلا لله ولا طاعة لمن عصى الله وانحاز إليهم ينيف على ثمانية آلاف رجل ممن يرى رأيهم ، فصاروا في اثنا عشر ألفاً وساروا حتى نزلوا بحر وراء وأمروا عليهم عبدالله بن كوا ، فدعا علي عبدالله بن العباس وأرسله إليهم لينظر أمرهم ويسمع كلامهم ، فأقبل إليهم وقال لهم : وأطال ، فلم يرتدعوا وقالوا : ليخرج إلينا علي بنفسه لنسمع كلامه عسى يزول ما بقلوبنا إذا سمعناه ، فرجع ابن عباس رضي الله عنه فأعلمه بذلك ، فركب علي عليه الصلاة والسلام في جماعة ومضى إليهم ، فركب ابن الكوا في جماعة منهم وواقفه فقال له علي عليه السلام : يا ابن الكوا إن الكلام كثير وبرز إلي من أصحابك لأكلّمك . قال ابن الكوا : وأنا آمن من سيفك ، قال : نعم ، فخرج ابن الكوا إليه في عشرة من أصحابه ودنا منه فقال له علي عليه السلام عن الحرب مع معاوية وذكر رفع المصاحف على الرماح وأمر الحكمين ، وقال : ألم أقل لكم في ذلك اليوم إن أهل الشام يخدعونكم بها فإن الحرب قد عضتكم فذروني أناجزهم فأبيتهم ألم أرد أن أبعث ابن عمي عبدالله بن العباس ليكون لي حكماً ، فإنه رجل لا يخدع فأبيتهم وختموني بأبي موسى ، وقتلتم رضيعنا به فأجبتكم ثم شرطت على الحكمين بحضوركم أن يحكما بما أنزل الله تعالى من فاتحته إلى خاتمته ، والسنة الجامعة ، وإنهما إن لم يفعلا فلا طاعة لهما علي ، كان ذلك أو لم يكن؟ قال ابن الكوا : صدقت قد كان هذا كله ، فلم لا ترجع الآن إلى حرب القوم ، فقال علي عليه السلام : حتى تنقضي المدة التي بيننا وبينهم ، قال ابن الكوا : وأنت معزم مجمع على ذلك ، قال : نعم ولا يسعني غيره ، فعند ذلك ضرب ابن الكوا بطن فرسه وسار إلى علي عليه السلام هو والعشرة التي معه ورجعوا من دين الخوارج وانصرفوا مع علي عليه السلام إلى الكوفة ، وتفرق الباقيون وهم يقولون : لا حكم إلا لله ، ثم إنهم أمروا عليهم عبدالله بن وهب الراسبي

وجرقوص بن زهير البجلي المعروف بالثديّة وقصدوا فمكروا بالنهروان ، فخرج علي عليه السلام وسار بأصحابه حتى نزل على فرسخين من النهروان ، ثم راسلهم وكاتبهم فلم يرتدعوا ، فاركب إليهم ابن عباس ، فقال : سلهم ما الذي نعموا وأنا رديفك لا تخف منهم .

فلما جاء ابن عباس رضي الله عنه فقال لهم : ما الذي نعمتم من أمير المؤمنين ؟ فقالوا : نعمنا منه أشياء لو كان حاضراً لكفرناه بها وعلي حذاه يسمع ذلك ، فقال له ابن عباس : يا أمير المؤمنين إنك قد سمعت كلامهم وأنت أحقّ بالجواب ، فتقدّم علي عليه السلام حتى واجه القوم وقال : أيها الناس أنا علي بن أبي طالب فتكلّموا بما نعمتم به علي ، فقالوا : نعمنا عليك أولاً أننا قاتلنا بين يديك بالبصرة ، فلما أظهرك الله وأظفرك بهم ابحتنا ما كان في عسكرهم ومنعتنا النساء والذرية ، فكيف تستحل ما كان في العسكر ولا تستحل النساء والذرية ، فقال لهم علي عليه السلام : يا هؤلاء إن أهل البصرة قاتلونا وبدؤنا بالقتال ، فلما ظفرتهم بهم اقتسمتم سلب من قاتلكم ومنعتكم من النساء والذرية فإن النساء لم يقاتلن والذرية ولدوا على الفطرة ولم ينكثوا ولا ذنب لهم ، ولقد رأيت رسول الله (ص) من على المشركين فلا تعجبوا إن مننت على المسلمين ، فلم أسب نسائهم ولا ذريتهم .

وقالوا : نعمنا عليك يوم صفين وقت الكتاب إنك قلت لكاتبك : اكتب هذا ما تقاضى به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان ، فأبى معاوية أن يقبل أنك أمير المؤمنين فمحوت اسمك من إمرة المؤمنين وقلت لكاتبك : اكتب هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان ، فإن لم تكن أمير المؤمنين ونحن المؤمنون فلست أميرنا ، فقال : يا هؤلاء أنا كنت كاتب رسول الله (ص) يوم الحديبية ، فقال لي النبي (ص) : اكتب هذا ما اصطلاح عليه محمد رسول الله (ص) وسهيل بن عمرو ، فقال سهيل : لو علمنا أنك رسول الله لما صددناك ولا

قاتلناك ، فأمرني رسول الله فمحوت اسمه من الكتاب وكتبت هذا ما اصطلاح عليه محمد بن عبدالله وإنما محوت اسمي من إمرة المؤمنين كما محى رسول الله اسمه من الرسالة ، وكانت لي به أسوة .

قالوا : فإننا نقمنا عليك أنك قلت للحكمين انظرا في كتاب الله فإن كنت أفضل من معاوية فأثبتاني في الخلافة وإن كان معاوية أفضل مني فأثبتاه في الخلافة ، فإن كنت شاكاً في نفسك أنك أفضل من معاوية فنحن فيك أعظم شكاً ، فقال لهم علي عليه السلام : إنما أردت بذلك النصفة لمعاوية ، فإنني لو قلت للحكمين احكما لي وذرا لمعاوية كان لا يرضى بذلك ، والنبى (ص) لو قال : لنصارى نجران لما قدموا عليه ، تعالوا حتى أبتهل وأجعل لعنة الله عليكم كانوا لا يرضون بذلك ، ولكنه أنصفهم من نفسه فقال كما أمره الله تعالى به : ﴿ ندع أبنائنا وأبنائكم ونسائنا ونسائكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴾ فأنصفهم من نفسه ، فكذا أنصفت من نفسي ، ولم أعلم بما أراد عمرو بن العاص من خديعة أبي موسى .

قالوا : فإننا نقمنا عليك أنك حكمت حكماً في حق هولك ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله حكم سعد بن معاذ في بني قريظة ، ولو شاء لم يفعل حكم فيهم سعد بما علمتم ، وإنما أقيمت حكماً كما أقام رسول الله (ص) ، فهل عندكم شيء غير هذا تحتجون به علي؟ فسكت القوم ثم صاحت جماعة منهم من كل ناحية : التوبة التوبة يا أمير المؤمنين واستأمن منهم ثمانية آلاف وبقي على حربه أربعة آلاف ، فأقبل علي عليه السلام على هؤلاء الذين استأمنوا إليه وقال : اعتزلوا في وقتكم هذا عني ودعوني والقوم ، وتقدم علي عليه السلام في أصحابه حتى دنا منهم ، وتقدم عبدالله بن وهب وتقدم ذو الثدية حرقوص وصاح بصوته ما نريد بقتالنا إياك ، فقال علي عليه السلام : ﴿ هل انبشكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴾ .

ثم التحم القتال بين الفريقين إلى أن اشتدَّ الضرب بينهم فوق الأعناق ، وامتدَّ أعمال الصعدان الدقاق والمرهفات الرقاق وحامت نفوس المارقين على الحمام ، فشربت منه بالكأس الذهاق ، وشامت الأبطال برق الوغى ، وقامت الحرب بهم على ساق ، وصافحتهم بصفاح الردى ، وما لهم واق يقي ولا واق ، كان كلاً بشبا سيفه وقد نضاً الأعباء بمخراق ، واستقرت الحرب بينهم بظاها ، واستقرت عمره زرقة صبحها وحمرة ضحاها ، فتجادلوا وتجادلوا بالسنة رماحها وحداد ظباها .

وتقدم من أبطال الخوارج فارس يقال له أخنس بن العين الطائي وهو ممن شهد وقعة صفين ، وقاتل فيها فحمل وشق الصفوف وقصد علياً عليه السلام ، فبدره علي عليه السلام بضربة فقتله ، فحمل ذو الشدية على علي عليه السلام ليضربه بسيفه فسبقه علي عليه السلام فضربه ضربة فلق بها البيضة من على رأسه ، وفلق رأسه فحمل فرسه به وهو لما به من الضربة حتى رمى به في آخر المعركة على شط النهر وان في جوف دالية خربة ، وخرج من بعده ابن عم له يقال له مأكد بن الرضة وحمل على علي عليه السلام فضربه علي عليه السلام فقتله ، وتقدم عبدالله بن وهب الراسبي ثم صاح يا بن أبي طالب والله لا نبرح من هذه المعركة أو تأتي على أنفسنا أو تأتي على أنفسك فابرز إلي وأبرز إليك وفر الناس جانباً ، فلمّا سمع علي عليه السلام كلامه تبسّم وقال له : قاتله الله من رجل ما أقل حياته أما إنه ليعلم إنني حليف السيف وخدين الرمح ولكنه قد يش من الحياة وإنه ليطمع طمعاً كاذباً .

ثم حمل على علي عليه السلام فحمل عليه علي عليه السلام وضربه ضربة قتله بها وألحقه بأصحابه القتلى ، واختلط القوم فلم يكن إلا ساعة حتى قتلوا بأجمعهم وقد كانوا أربعة آلاف ، فما أفلت منهم إلا تسعة أنفس ، رجلاً هربا إلى خراسان وإلى أرض سجستان فيهما نسلهما إلى الآن وهم الذين يقال لهم الأباضية ورجلان صارا إلى بلاد الجزيرة إلى

موضع يقال له السّن والبواذخ وإلى شاطئ الفرات وصار رجل إلى تلّ يقال له تلّ رزن وغنم أصحاب علي عليه السلام غنائم كثيرة ، وقتل من أصحاب علي عليه السلام قيل رجلاً وقيل تسعة بعدّة من سلم من الخوارج المارقين وهي من جملة كرامات علي عليه السلام ، فإنه قال نقتلهم ولا يقتل منا عشرة ولا يسلم منهم عشرة .

قال : فلمّا قتل بعضهم على بعض فلم يبق منهم سوى التسعة المنهزمين . قال علي عليه السلام : التمسوا المخدع فالتمسوه ، فلم يجدوه فقام علي عليه السلام بنفسه حتى أتى أناساً قد قتلوا بعضهم على بعض قال آخروهم فوجدوه ممّا يلي الأرض ، فكبر علي عليه السلام ثم قال : صدق الله وبلغ رسوله .

قال أبو الرّضى : فكأنّي أنظر إليه حبشي عليه قرطق إحدى ثدييه مثل ثدي المرأة عليها شعرات مثل شعرات ذنب اليربوع ، وهذا أبو الرضى هو عباد بن نشيب القيسي تابعي يروي هذا القول عنه الإمام أبي داود في مسنده .

فهذا تلخيص مواقفه عليه وآله السلام في منازله الطوائف المتبعة تضليل أهوائها ومقاتلة الناكثين والقاسطين والمارقين بقيامه في مقاتلتها بأعيانها وذكر كيفية قذفه بحقه لإزهاق باطلها وكفّ غلوائها وإزهاق عصيها صعود بوار قاض عليها بشقائها وقد تضمّن هذا الفصل من وقائعه المذكورة ومواقفه الماثورة ما فيه غنية كافية وكفاية مغنية في أنه قد ملك عظم الشجاعة وأنه من أكفاء أكفائها .

قال المفيد رحمه الله في الإرشاد : ومن آيات الله تعالى الخارقة للعادة في أمير المؤمنين عليه السلام أنه لم يعهد لأحد مبارزة الأقران ومنازلة الأبطال مثل ما عرف له عليه السلام من كثرة ذلك على مرّ الزمان ، ثم لم يوجد في ممارسي الحروب إلّا من عرته بشر وأنالته بجراح أو شين إلّا أمير المؤمنين عليه السلام ، فإنه لم ينله مع طول مدّة زمان حربه جراح

من عدوه ولا شين ولا وصل إليه أحد منهم بسوء حتى كان من أمره من ابن ملجم لعنه الله على اغتياله إياه ما كان ، وهذه أعجوبة أفرد الله تعالى بالآية فيها وحصنه بالعلم الباهرة في معناها ، ودلّ بذلك على مكانه منه وتخصّصه بكرامته التي بان بفضلها من كافة الأنام .

ومن آيات الله تعالى فيه : أنه عليه السلام لا يذكر ممارس للحروب لقي فيها عدواً إلا وهو ظافر به حيناً وغير ظافر به حيناً ، ولا نال أحد منهم خصمه بجراح إلا وقضى منها وقتاً ، وعوفي منها زماناً . ولم يعهد من لم يفلت منه قرن في الحروب ولا نجا من ضربته أحد فصالح منها إلا أمير المؤمنين عليه السلام ، فإنه لا مرية في ظفره بكل قرن بارزه واهلاكه كل بطل نازله ، وهذا أيضاً مما انفرد به عليه السلام عن كافة الأنام ، وخرق الله تعالى به العادة في كل حين وزمان ، وهو من دلائله الواضحة عليه السلام .

ومن آيات الله تعالى فيه : أنه مع طول ملاقاته الحروب وملاسته إياها وكثرة من بنى به فيها من شجعان الأعداء وصناديدهم وتجمعهم عليه عليه السلام واحتيالهم في الفتك^(١) به وبذل الجهد في ذلك ما ولى قط أحداً منهم ظهره ولا انهزم عن أحد منهم ولا تخرج من مكانه ولا هاب أحداً من أقرانه ، ولم يلحق أحد سواه خصماً له في حرب إلا وثبت له حيناً وانحرف عنه حيناً ، وأقدم عليه وقتاً وأحجم عنه زماناً ، وإذا كان الأمر على ما وصفناه ثبت ما ذكرناه من انفراده بالآية الباهرة والمعجزة الظاهرة وخرق العادة فيه بما نصّ رسول الله صلى الله عليه وآله على إمامته وكشف به عن فرض طاعته وأبانه ذلك من كافة خليقته .

تنبيه : يناسب ما مضى فيما نزل من القرآن في شأن علي صلوات الله عليه وآله وهي أكثر من أن تحصي بل في كشف الغمة بسند الحافظ

(١) الفتاك : الجري والجمع الفتاك والفتك أنه يأتي الرجل صاحبه وهو غافل حتى يشد عليه فيقتله (ص).

أبي بكر أحمد بن موسى بن مردويه ، عن ابن عباس ، قال : ما في القرآن آية إلا وعلي رأسها وقائدها وقد أوردها أصحاب الصحاح والسّير في تواريتهم وسيرهم فاستوى في إيرادها المخالف والمؤلف وأحاط علماً بحقيقتها الجاهل والعارف ولكن نذكر شطراً منها .

فمنها ما رواه الصدوق رحمه الله في الأمالي عن محمد بن إبراهيم بن إسحاق ، عن عبدالعزيز بن يحيى الجلودي ، عن الحسن البصري ، عن محمد بن زكريا ، عن شعيب بن واقد ، عن القسم بن بهرام ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، وحديثنا محمد بن إبراهيم بن إسحاق ، عن أبي أحمد عبدالعزيز بن يحيى الجلودي ، عن الحسن بن مهران ، عن سلمة بن خالد ، عن الصادق (ع) ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه عليهم السلام في قول الله عز وجل : ﴿ يوفون بالتّذر ﴾ قال : مرض الحسن والحسين عليهما السلام وهما صبيان صغيران ، فعادهما رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه رجلان ، فقال أحدهما : يا أبا الحسن لو نذرت في ابنك نذراً عافاهما . فقال : أصوم ثلاثة أيام شكراً لله تعالى ، وكذلك قالت فاطمة عليها السلام . وقال الصبيان : نحن أيضاً نصوم ثلاثة أيام . وكذلك قالت جاريتهما فضة ، فالبسهما الله عافية وأصبحوا صياماً وليس عندهم طعام ، فانطلق علي عليه السلام إلى رجاله من اليهود يقال له شمعون يعالج الصّوف ، فقال : هل لك أن تعطيني جرّة من صوف تغزلها لك ابنة محمد (ص) بثلاثة أصوع من شعير . قال : نعم ، وأعطاه فجاء بالصوف والشعير فأخبر فاطمة عليها السلام ، فقبلت وأطاعت ، ثم عمدت فغزلت ثلث الصّوف ، ثم أخذت صاعاً من الشعير فطحنته وعجنته وخبزت منه خمسة أقراص لكل واحد قرصاً وصلى عليه السلام مع النبي صلى الله عليه وآله المغرب ثم أتى منزله فوضع الخوان وجلسوا خمستهم فأول لقمة كسرها علي عليه السلام إذا مسكين قد وقف بالباب ، فقال السلام عليكم يا أهل بيت محمد أنا مسكين من مساكين المسلمين أطعموني ممّا تأكلون أطعمكم الله على موائد الجنّة فوضع اللقمة من يده . ثم قال :

فاطم ذات المجد واليقين يا بنت خير الناس أجمعين
أما ترين البائس المسكين جاء إلى الباب له حنين
يشكو إلى الله ويستكين يشكو إلينا جائعاً حزين
كل أمرىء بكسبه رهين من يفعل الخير يقف سمين
موعده في جنة رهين حرمها الله على الضنين
وصاحب البخل يقف حزين تهوى به النار إلى سجين
شرابه الحميم والغسلين

فأقبلت فاطمة عليها السلام تقول :

أمرك سمع يا بن عم وطاعة مالي من لوم ولا ضراعة
غذيت باللبّ وبالبراعة أرجو إذا أشبعت من مجاعة
أن الحق الأخيار والجماعة وادخل الجنة في الشفاعة
وعمدت إلى ما كان على الخوان فدفعته إلى المسكين وباتوا جوعاً
وأصبحوا صياماً لم يذوقوا إلا الماء القراح .

ثم عمدت إلى الثلث الثاني من الصوف فغزلته ثم أخذت صاعاً من
الشعير وطحنته وعجنته وخبزت منه خمسة أقراص لكل واحد قرصاً ،
وصلّى المغرب مع النبي صلّى الله عليه وآله ثم أتى إلى منزله ، فلما
وضع الخوان بين يديه وجلسوا خمستهم فأول لقمة كسرها علي عليه
السلام إذا يتيم من يتامى المسلمين قد وقف بالباب فقال : السلام عليكم
يا أهل بيت محمد ، أنا يتيم من يتامى المسلمين أطعموني ممّا تأكلون
أطعمكم الله على موائد الجنة ، فوضع علي عليه السلام اللقمة من يده ثم قال :

فاطم بنت السيد الكريم بنت نبي ليس بالزنيـم
قد جاءنا الله بهذا اليتيم من يرحم اليوم فهو رحيم
موعده في الجنة النعيم حرمها الله على اللثيم
وصاحب البخل يقف ذميم تهوى به النار إلى الجحيم
شرابه الصديد والحميم

فأقبلت فاطمة وهي تقول :

فسوف أعطيه ولا أبالي وأؤثر الله على عيالي
أمسوا جوعاً وهم أشبالي أصغرهما يقتل في القتال
بكر بلاء يقتل باغتيال لقاتليه الويل مع وبال
تهوى به النار إلى سفالي كبولة نادت على الأكبال

ثم عمدت فأعطته جميع ما كان على الخوان وباتوا جوعاً لم يذوقوا
إلا الماء القراح ، وأصبحوا صياماً ، وعمدت فاطمة عليه السلام فغزلت
ثلث الباقي من الصوف وطحنت الصاع الباقي وعجنته وخبزت منه خمسة
أقراص لكل واحد منهم قرصاً ، وصلى علي المغرب مع النبي صلى الله
عليه وآله ثم أتى منزله فقرب إليه الخوان وجلسوا خمستهم فأول لقمة
كسرها علي عليه السلام إذا أسير من أسراء المشركين قد وقف بالباب
فقال : السلام عليكم يا أهل بيت محمد (ص) تأسروننا وتشدوننا ولا
تعلموننا ، فوضع علي عليه السلام اللقمة من يده ثم قال :

فاطم يا بنت النبي أحمد بنيت نبي سيد مسدد
قد جاءك الأسير ليس يهتدي مكبلاً في غلة مقيد
يشكو إلينا الجوع قد تقدد من يطعم اليوم يجده في غد
عند العلي الواحد الموحد ما يزرع الزارع سوف يحصد
فأعطينه لا تجعله ينكد

فأقبلت فاطمة عليها السلام وهي تقول :

لم يبق مما كان غير صاع قد دبرت كفي مع الذراعي
شبلاي والله هما جوع يا رب لا تتركهما ضياع
إلا عبا نسجتها بصاع

وعمدوا إلى ما كان على الخوان فأعطوه وباتوا جوعاً وأصبحوا
مفطرين وليس عندهم شيء . قال شعيب في حديثه : وأقبل علي عليه

السلام والحسن والحسين عليهم السلام نحو رسول الله وهما يرتعشان كالفراخ من شدة الجوع ، فلما بصرهما النبي (ص) قال : يا أبا الحسن شذ ما يسوءني ما أرى بكم ، انطلق إلى ابنتي فاطمة فانطلقوا إليها وإذا هي في محرابها قد لصق بطنها من شدة الجوع وغارت عيناها . فلما رآها رسول الله ضمها إليه وقال : وا غوثاه بالله أنتم منذ ثلاث فيما أرى ، فهبط جبرئيل عليه السلام فقال : يا محمد خذ ما هيأك الله لك في أهل بيتك . قال : وما آخذ يا جبرئيل؟ قال : ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر ﴾ حتى بلغ ﴿ إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً ﴾ .

وقال الحسن بن مهران في حديثه : فوثب النبي صلى الله عليه وآله حتى دخل منزل فاطمة فرأى ما بهم فجمعهم ثم انكب عليهم يبكي ويقول : أنتم منذ ثلاثة أيام فيما أرى وأنا غافل عنكم ، فهبط جبرئيل بهذه الآيات : ﴿ إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجييراً ﴾ .

قال : هي عين في دار النبي صلى الله عليه وآله تفجر إلى دور الأنبياء والمؤمنين ﴿ يوفون بالنذر ﴾ يعني علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وجاريتهم ﴿ ويخافون يوماً كان شره مستطيراً ﴾ يقول عابساً كلوحاً ﴿ ويطعمون الطعام على حبه ﴾ يقول : على شهوتهم الطعام وإشارهم له ﴿ مسكيناً ﴾ من مساكين المسلمين . ﴿ ويتيماً ﴾ من يتامى المسلمين ﴿ وأسيراً ﴾ من أسارى المشركين . ويقولون : إذا أطعموهم ﴿ إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً ﴾ .

قال : والله ما قالوا هذا لهم ولكنهم اضمروه في أنفسهم ، فأخبر الله بإضمارهم يقولون لا نريد منكم جزاء تكافئوننا به ولا شكوراً تشنون علينا به ، ولكننا إنما نطعمكم لوجه الله ، وطلب ثوابه .

قال الله تعالى ذكره : ﴿ فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة ﴾ في الوجوه ﴿ وسروراً ﴾ في القلوب ﴿ وجزاهم بما صبروا جنة ﴾ يسكنونها ﴿ وحريراً ﴾

يفترشونه ويلبسونه : ﴿ متكئين فيها على الأرائك ﴾ والأريكة السرير عليه
الحجلة ﴿ لا يرون فيها شمساً ولا زمهرياً ﴾ قال ابن عباس : فبينما أهل
الجنة في الجنة إذ رأوا مثل الشمس قد أشرقت لها الجنان ، فيقول أهل
الجنة : يا رب إنك قلت في كتابك ﴿ لا يرون فيها شمساً ﴾ فيرسل الله
جل اسمه إليهم جبرئيل فيقول : ليس هذه لشمس ولكن علياً وفاطمة
ضحكا فأشرقت الجنان من نور ضحكهما ، ونزلت ﴿ هل أتى فيهما ﴾ إلى
قوله : ﴿ وكان سعيكم مشكوراً ﴾ .

أقول : فأما مناقبه عليه السلام فهي لاشتهارها وامتلاء الأفاق بها قد
استغنينا عن الإطناب فيها ، وإنما أوردنا طرفاً منها للغرض الذي وضعنا
الكتاب له وبنينا عليه بنيانه وشيّدنا أركانه ، وقد استعذ بنا فيهم هذا المقام
أيضاً بما يتخلّى به من الأزرية التي قرّت بها عيون محبي أئمة الأنام وهو
بقية ما قاله رحمه الله بعد الشجاعة والغزوات في مدح مولانا علي عليه
السلام ، ويشتمل آخرها على الإشارة إلى بعض الفتن وجملة من مطاعن
اللثام ويأيرادها يتم ذكر تلك القصيدة في كتابنا هذا بالتّمام ، وهي هذه :

هل أتت هل أتى بمدح ستواه	لا ومولى بذكره حلاها
كم عرى مشكل فحلّ عراه	ليس للمشكلات إلا فتاهها
بل هو الروح لم يزل كل دهر	مستمداً حياته من قواها
فتأمل بعزم تنبئك عنه	نبأ كل فرقة أعيابها
ويعنى أحبّ خلقك فانظر	تجد الشمس قد أزاحت دجاها
واسئل الأعصرا القديمة عنه	كيف كانت يداه روح غذاها
واسأل الأنبياء تنبيك عنه	إنه سرّها الذي نبأها
وهو علامة الملائك فاسأل	روح جبريل عنه كيف هداها
وتفكّر بانّت مني تجدها	حكمة تورث الرقود انتباهها
أو ما كان بعد موسى أخوه	خير أصحابه وأعظم جاها
ليس تخلو إلا النبوة منه	ولهذا خير الورى استنهاها
وهو في آية التباهل نفس	المصطفى ليس غيره أيها

ثم سل إنَّما وليكم الله
 آية جاءت الولاية فيها
 آية خصت الولاية لله
 وبسَد الأبواب أي افتتاح
 من تولَّى تغسيل سلمان إلا
 ليلة قد طوى بها الأرض طياً
 وابن عفان حوله لم يجهزه
 لست أدري أكان ذلك مقتاً
 فلك لم يزل يدور به الحق
 ويختم ماذا جرى يوم ختم
 ذاك يوم من الزمان أبانت
 كم حوى ذلك الغدير أموراً
 إذ رقى منبر الحداثج هاد
 موقفاً للجيش في فلوات
 خاطباً فيهم خطابة وحي
 أيها الناس لا بقاء لحي
 إنَّ ربَّ الورى دعاني لحال
 أن أولي عليكم خير مولى
 سيداً من رجالكم هاشمياً
 صالح المؤمنين سر هداها
 صاحب الهمة التي لو أرادت
 فتفكرت في ضمائر قوم
 وتطيرت من مقالة قوم
 فأتتني عزيمة من إلهي
 فهداني إلى التي هي أهدي
 أيها الناس حدثوا اليوم عني
 ترى الاعتبار في معناها
 لثلاث يعد والهدى من عداها
 وللطهر حيدر بعد طاهها
 لكنوز الهدى ففوز بغناها
 ذات قدس تقدست اسمها
 إذ نأت داره وشط مداها
 ولا كف عنه كف أذاها
 من علي أم عفة ونزاها
 وهل للنجوم إلا سماها
 تلك اكرومة أبت أن تضاهها
 ملة الحق فيه عن مقتداها
 ما جرت أنجم الدجى مجراها
 طاول السبعة العلى برقها
 وعرات بالقيظ يشوي شواها
 يثر الذين كله من وعها
 أن من مدتي أوان انقضاها
 قبل أن يخلق الورى أفضاها
 كلما اعتلت الأمور شفاها
 صافحته العلى فطاب شذاها
 عظم الذكر نفسه بكنهاها
 وطأت عاتق السها قدماها
 وهي مطوية على شحناها
 قد علا بابن عمه وتباها
 أو عدتني إن لم أبلغ سطاها
 وحباني بعصمة من أذاها
 وليبلغ أدنى الملا أقصاها

فلتسرى اليوم حيدراً مولاهـا
 وإليك الأمين قد أذاها
 لعلي وعاد من عاذاها
 القوم تغلي على مغالي قلاها
 وإن كان قصدهم ما عداها
 نية الكون وانطوى رباها
 فأصابت قلوبهم مشتهاها
 وهو إذ ذاك ليس يأبى السفاها
 يمسك الناس عن مجاري سراها
 عن أمور كالشمس رأد ضحاها
 بقلوب تقلبت من جواها
 واخلع النعل درن وادي طواها
 وأنوار ربها تغشاها
 تتمنى الأملاك لثم ثراها
 والحشي تصطلي بنار غضاها
 التي عم كل شيء نداها
 فك آياته التي أوحاها
 هي مثل الاعداد لا تتناهى
 قذيت واستمر فيها قذاها
 والسما خير ما بها قمرها
 كان من جوهر التجلي غذاها
 أنها مثلها لما آخاها
 نية لا يحاط في عليهاها
 والمراقى المقدسات ارتقاها
 جعل الله كل نفس فداها
 لما دارت الرّحى لولاها

كل نفس كانت تراني مولى
 ربّ هذي أمانة لك عندي
 والـ من لا يرى الولاية إلّا
 فأجابوا بخ بخ وقلوب
 لم تسعهم إلّا الإجابة في القول
 ثم لما مضى القضاء بروحا
 وجدوا فرصة من الدهر لاحت
 قل لمن أول الحديث سفاها
 أترى أرجح الخلائق رأياً
 راكباً ذروة الحداثج ينبي
 أيها الرّاكب المجدّ رويداً
 إن ترائت أرض الغريين فاحبس
 وإذا شمت قبة العالم الأعلى
 فتواضع فثمّ دارة قدس
 قل له والدموع سفع عقيق
 يابن عمّ النبي أنت يد الله
 أنت قرآنه القديم وأوصا
 حسبك الله في مآثر شتى
 ليت عيناً بغير روضك ترعى
 أنت بعد النبي خير البرايا
 قد تراضعتما بشدي وصال
 لك ذات كذاته حيث لولا
 يا علي المقدار حسبك لا هو
 أيّ قدس إليه طبعك ينمي
 لك نفس من معدن اللطف صيغت
 هي قطب المكوّنات ولولاها

لك كف من أبحر الله تجري
 حزت ملكاً من المعالي محيطاً
 ليس يحكي دري فخرك در
 كل ما في الفضاء من كائنات
 يا أبا النيرين أنت سماء
 لك بأس يذيب جامدة الكونين
 زان شكل الوغى حسامك والرمح
 ما تتبععت معشراً قط إلا
 كلما أحفت الوغى لك خيلاً
 قذتها قود قادر لم يرعه
 لك ذات من الجلالة تحوي
 لم يزل بانتظارك الدين حتى
 فرفعت الرّشاد فوق الثّريا
 فاستمرت معالم الدّين تدعو
 إنما البأس والتقى والعطايا
 لك من آدم القديم مراعى
 يا غياث الصّريخ دعوت عاف
 كيف تخشى العصاة بلوى المعاصي
 يا أخا المصطفى لدى ذنوب
 لك في مرتقى العلا والعوالي
 عرفت ذاتك القديمة مولاك
 أين معنأك من معاني أناس
 سبحوا في الضلال سبحاً طويلاً
 يا خليلي إنّ الله خلقاً
 إن تناسيتم السقيفة والقوم
 يوم خطت صحيفة الغي يملئها
 أنهر الأنبياء من جدواها
 بأقاليم يستحيل انتهاها
 أين من كدرة المياه صفها
 أنت مولى بقائها وفناها
 قد جلى كل ظلمة نيرها
 رعباً ويجمد الأمواها
 كما زان غادة قرطهاها
 وأناخ الفنا بعقر فناها
 أنعلتها من الملوكة طلاها
 أمم غير ممكن أحصاها
 عرش علم عليه كان استواها
 جردت كف عزمتيك ظباها
 ووضعت الضلال تحت ثراها
 لك طول الزّمان فاغنم دعاها
 جلبات بلغت أقصى مداها
 أمة بعد أمة ترعاها
 ليس الأك سامع نجواها
 وبك الله منقذ مبتلاها
 هي عين القذى وأنت جلاها
 درجات لا يرتقي أدناها
 فوحدت في القديم الإلهها
 كان معبودها اتباع هواها
 وعلى الرشد اكرهوا إكراها
 حسبها النار في غد تصلاها
 فإني والله لا أنساها
 عليها خداعها ودهاها

فيها وقد علت غوغاها
 ووزير يريد قطب رحاها
 فارتضاها بعض وبعض أباهها
 فلماذا في الأمر طال مراها
 لم يحل عن محلها ألقاها
 وهو باب العلوم بل مغناها
 أحمد فيه بأنه أقضاها
 فتنة طال جورها وبلاها
 كفي المسلمون شرّاً أذاها
 عن مقام العلى وما أدرها
 هل رأيت في أخ النبي اشتباها
 وهو في كل ذمة أوفاهها
 كان رشداً فرارها من عداها
 عتياً يقوله سفهاها
 ترك الناس فيه ترك سداها
 ترجع الناس في اختلاف نهاها
 فإذا لافساد إلا قضاها
 تارك من أموره أولاهها
 ففاتت أمثالكم مثلاها
 أقرب العالمين من أنبياهها
 دهرأ بالله من أوصيائها
 قبله فاقتفى خلاف اقتفاها
 قصّة الغار من مساوى دهاها
 أوهنت من حبا عتيق قواها
 يوم خوف سكينه وعداها
 وهو يوم الوبال أقصى وقاها

ما اجتماع المهاجرين مع الأنصار
 حيث قالوا منّا ومنكم أمير
 وأرادوا لها تدابير سعد
 أتراها درت بأمر عتيق
 إن تكن بيعة الصحابة ديننا
 كيف لم يسرع الوصي إليها
 كيف لم تقبل الشهادة من
 بيعة أورثت جميع البرايا
 بل هي الفتنة التي زعموها
 ياترى هل درت لمن آخرته
 أخرت أشبه الورى بأخيه
 كيف لم تأمن الأمين عليها
 ولو أن الأصحاب لم تعد رشداً
 أنبي بلا وصي تعالى الله
 زعموا أن هذه الأرض مترعى
 كيف تخلو من حجة وإلى من
 وأرى السوء للمقادير ينمي
 قد علمتم أن النبي حكيم
 أم جهلتم طرق الصواب من الدين
 هل ترى الأوصياء بأسعد إلا
 أوترى الأنبياء قد اتخذوا المشرك
 أم نبي الهدى رأى الرّسل ضلّت
 أولاً ينظرون ماذا دهتهم
 يوم طافت طوائف الحزن حتى
 إن يكن مؤمناً فكيف عدته
 إن للمؤمنين فيها نصيب

كم وكم صحبة جرت حيث لا
وكذا في براءة لم يبسم
ثم سلها من بعد ما رد عنها
أين هذا من راقد في فراش
فاستدارت به عتات قریش
وأرادت به مكائد سوء
ورأت قسوراً لو اعترضته
مد كف الردى فلو لم تكفكف
نظرت نظرة إليه فلاقته
فتولت عنه وللعرب فيها
بأبي من عدا يؤدي أمانات
بأبي من حمى بطن العوالي
رتبة سل بها العظيمين جبريل
صاح ما هؤلاء في الناس إلا
ألها منظر لإدراك معني
أم خير أمة أخرجت للناس
أنسراها من ولد آدم حقاً
أي مرمى من الفخار قديم
أي اكرومة ولوانها قلت

إيمان والله في الكتاب حكاهما
حيث جلت بذكره بلواها
صاحب الغار خائباً من تلاها
المصطفى يسمع العدى ويراهما
حيث دارت به رحي بغضاها
فشفى الله دائها بدواها
الجن والإنس في غي أفناها
عنه آثار بغيا لمحاها
قدرة الله لا يرد قضاها
فلك دائر على أعضاها
أخيه حتى أتم أداها
حرم المصطفى وصان خباها
وميكال كيف قد خدماها
كعميون داء العمى أعيها
أم لها مسمع^(١) لمن ناجاها
هيهات ذاك بل أشقاها
أم سوام^(٢) كانت لهم أشباها
أو حديث أصابه شيخاها
ودقت إليهما منتماها

(١) المسمع : جمع مسمع وهي آلة السمع والمسمع بالفتح خرقها ومنها الحديث الميت لا يقرب مسامعه الكافور يعني إذا حنط (مجمع).

(٢) يقال له سوام وسائمة أي إبل دا حية على وزن سحاب تخصيص المؤلف بالبعير بالنسبة إلى العرب والألف هو عام في جميع الماشية والدابة إلا أن يكون أول وضعه على البعير ، ثم صار متسعاً ، وأشباه جمع شباه : الحصاة يقال كأنه شباه السنان أي حدّه (ق).

ألزهد في الجاهلية عمّا
 أم لذكر اناف أم لعهود
 إن يكونا كزعمهم أسدى بأس
 كيف لم يظفروا ولا بجريح
 إن تكن فيهما شجاعة قوم
 ذخراها لمنكر ونكير
 لم يجيبا نداء أحمد إلا
 علما أن أحمداً سيليها
 فأجابا لرغبة لا لرشد
 نكثا بيعة الذي بايعته
 أهو المختفي بظل عريش
 أم هو القائل الملح أقبلوا
 أيّ وحق الإسلام لولا علي
 لو حوى قلب بنته لم يرعه
 يوم جاءت تقود بالجمال العسكر
 فألحت كلاب حوآب^(١) ينجا
 يا ترى أي أمة لنبي
 أيّ أم للمؤمنين أساءت
 شتتهم في كلّ واد وشعب
 نسبت آية التبرج أم لم
 حفظت أربعين ألف حديث
 عهدته الأيام من جهلاها
 في ذمام الإسلام قد حفظاها
 فأَيّ الفرائس افترساها
 ويد الليث جمّة جرحاها
 فلماذا في الدّين ما بذلاها
 أم لأجناد مالك ذخراها
 لأمر من كاهن عقلاها
 وإذا مات أحمد ولياها
 كلمات الإسلام إذ سمعاها
 من ملوك السّبع الأولى عظماها
 حيث ظلّ الكمأة كان قناها
 ني منها فلأنني أءباها
 ما قضاها فتى ولا أفتاها
 من صفاح اليهود وقع شباها
 لا تنقي ركوب خطاها
 فاستدلّت به على حوباها
 جاز في شرعه قتال نساها
 ببنيها وشتتهم سواها
 بشن أم عنت على ابنائها
 تدر أنّ الرّحمن عنه نهاها
 ومن الذّكر آية تنساها

(١) الحوآب ككوكب منزل بين مكة والبصرة وهو الذي نزلت فيه عائشة لما جاءت إلى البصرة في وقعة الجمل ، ومنه حديث نساء النبي (ص) نبهها كلاب الحوآب في حديث الصادق عليه السلام أوّل شهادة بالزور في الإسلام شهادة سبعين رجلاً حين انتهوا إلى ماء الحوآب نبههم كلابها فأرادت صاحبهم الرجوع .

ذكرتنا بفعلها زوج موسى
قاتلت يوشعاً كما قاتلته
واستمرت تجرّ اريدية اللهو
فبإحراق مالك سوف تجزى
صاحبوه وناققوا في هواه
سبحوا في الضلال سبحاً طويلاً
إذ سعت بعد فقده مسعاها
لم تخالف حمرائها صفراها
الذي عن إلهها ألهاها
من لظى مالك اشتر جزاها
فلما يترك السفية السفاهها
وعلى الرشد أكرهوا إكراها

أقول : ولما وصل القلم في ميدان البيان إلى هذا المقام فيما ورد من مناقب وصيّ سيد الأنام ، وشفيع يوم القيام ، فلا بأس بإيراد بعض المطاعن على أعدائه اللثام ، بطريق الخاص والعام ، ليتضح عند الصيرف النقد ، وينشرح عند ذي الفهم الوقاد ، مقام من قاس بأولياء الله أعدائه ، ومن نازع وصيّ رسول الله ردائه ، ونذكرها في مطالب تسهيلاً للمطالب .

المطلب الأول : في المطاعن التي رواها العامة في أبي بكر :

ذكر الفاضل الحسن بن يوسف بن المطهر الحلبي قدس سره في نهج الحق : أنهم قالوا : إنه سمي نفسه خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وكتب إلى الأطراف بذلك ، وهذا كذب صريح ، لأن رسول الله اختلف الناس فيه فالإمامية قالوا : إنه مات حين وصيته وإنه استخلف أمير المؤمنين عليه السلام إماماً بعده ، وقالت السنة كافة : إنه مات بغير وصية ولم يستخلف أحداً وإن إمامة أبي بكر لم تثبت بالنص إجماعاً ، بل بيعة عمر بن الخطاب ورضاء أربعة لا غير . وقال عمر : إن لم أستخلف فإن رسول الله لم يستخلف وإن استخلف فإن أبا بكر استخلف ، وهذا تصريح منه بعدم استخلاف النبي صلى الله عليه وآله عليه وآله أحداً ، وقد كان الأولى أن يقال : إنه خليفة عمر لأنه هو الذي استخلفه .

ومنها : أنه تخلف عن جيش أسامة وقد أنفذه رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يزل النبي (ص) يكرّر الأمر بالخروج ، ويقول : جهّزوا جيش أسامة لعن الله المتخلف عنه .

ومنها : أنه قال : إِنَّ لي شيطاناً يعتريني ، فإن استقمت فأعينوني وإن زعمت فقوموني ، وكيف يجوز نصب من يرشد العالم ، ثم يطلب الرشاد منهم .

ومنها : قول عمر : كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله المسلمين شرّها ، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه ، ويلزم منه خطأ أحد الرجلين لارتكاب أحدهما ما يوجب القتل .

ومنها قول أبي بكر : أقبلوني أقبلوني ، فلست بخيركم وعلي فيكم ، فإن كان صادقاً لم يصلح لها أيضاً .

ومنها قوله عند موته : ليتني كنت سألت رسول الله هل للأنصار في هذا الأمر حق ، وهذا شك في صحّة ما كان عليه وبطلانه وهو الذي دفع الأنصار لما قالوا منّا أمير ومنكم أمير بقوله الأئمة من قريش ، فإن كان الذي رواه حقاً كيف حصل له الشك وإلا فقد دفع بالباطل .

ومنها قوله في مرضه : ليتني كنت تركت بيت فاطمة عليها السلام ولم أكشف وليتني في بني ساعدة كنت ضربت يدي على يد أحد الرجلين فكان هو الأمير ، وكنت الوزير .

ومنها أن النبي صلّى الله عليه وآله لم يؤلّه شيئاً من الأعمال وولّى غيره ونفذه لأداء سورة البراءة ، ثم ردّه ، فمن لم يستطع لأداء آيات كيف يستصلح للرئاسة العامة المتضمنة لنقل جميع الأحكام إلى عموم الرعايا في سائر البلاد .

ومنها أنه منع فاطمة عليها السلام إرثها فقالت له : يا بن أبي قحافة أترث أباك ولا أرث أبي ، واحتجّ عليها برواية تفرد بها هو عن جميع المسلمين ، مع قلة رواياته وقلة علمه وكونه الغريم لأن الصدقة تحلّ عليه ، فقال لها : إِنَّ النبي (ص) قال : نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة ، والقرآن مخالف لذلك ، فإن صريحه يقتضي دخول النبي

فيه بقوله تعالى : ﴿ يوصيكم الله في أولادكم ﴾ ، وقد نصّ على أنّ الأنبياء يورثون فقال الله تعالى : ﴿ وورث سليمان داود ﴾ . وقال عن زكريا : ﴿ إني خفت الموالى من ورائي وكانت امرأتي عاقراً فهب لي من لدني ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب ﴾ وناقض فعله أيضاً هذه الرواية لأنّ أمير المؤمنين عليه السلام والعباس اختلفا في بغلة رسول الله وسيفه وعمامته وحكم بها ميراثاً لأمير المؤمنين عليه السلام ، ولو كانت صدقة لما حلّت على علي عليه السلام ، وكان يجب على أبي بكر انتزاعها منه ، ولكان أهل البيت الذين حكى الله عنهم بأنّه طهرهم تطهيراً مرتكبين ما لا يجوز نعوذ بالله من هذه المقالات الرديّة والاعتقادات الفاسدة ، وأخذ فذك من فاطمة وقد وهبها إياها رسول الله ، فلم يصدقها مع أنّ الله تعالى طهرها وزكّاها واستعان بها النبي في الدّعاء على الكفار على ما حكى الله تعالى وأمره بذلك فقال له : ﴿ قال تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم ونسائنا ونسائكم وأنفسنا وأنفسكم ﴾ فكيف يأمره الله تعالى بالاستعانة وهو سيّد المرسلين بابنته ، وهي كاذبة في دعواها غاصبة لمال غيرها ، نعوذ بالله من ذلك ، فجاءت بأمير المؤمنين عليه السلام وشهد لها ، فلم يقبل شهادته ، وقال : إنّّه يجرّ إلى نفسه وهذا من قلّة معرفته بالأحكام ومع أنّ الله تعالى قد نصّ في آية المباهلة على أنّه نفس رسول الله فكيف يليق بمن هو بهذه المنزلة واستعان به رسول الله (ص) بأمر الله تعالى في الدّعاء يوم المباهلة أن يشهد بالباطل ويكذب ويفضب المسلمين أموالهم نعوذ بالله من هذه المقالة ، وشهد لها الحسنان عليهما السلام فردّ شهادتهما . وقال : هذان ابنك لا أقبل شهادتهما لأنهما يجرّان نفعا بشهادتهما ، وهذا من قلّة معرفته بالأحكام مع أنّ الله تعالى قد أمر النبي بالاستعانة بدعائهما يوم المباهلة ، فقال : أبنائنا وأبنائكم ، وحكم رسول الله (ص) بأنهما سيّدا شباب أهل الجنّة ، فكيف بجامع هذا شهادتهما بالزور والكذب وغضب المسلمين حقهم نعوذ بالله من ذلك ، ثم جاءت بأمّ أيمن فقال لها امرأة لا يقبل قولها مع أنّ النبي (ص) قال : أمّ أيمن امرأة من أهل الجنّة ، فعند ذلك غضبت

عليه وعلى صاحبه وحلفت أن لا تكلمه ولا صاحبه حتى تلقى أباهما وتشكو له ، فلما حضرته الوفاة أوصت أن تدفن ليلاً ولا يدع أحداً منهم يصلي عليها وقد رووا جميعاً أن النبي (ص) قال : يا فاطمة إن الله تعالى يغضب بغضبك ويرضا لرضاك ورووا جميعاً أنه قال : فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله .

ومنها أنه طلب هو وعمر بن الخطاب احتراق بيت أمير المؤمنين عليه السلام وفيه أمير المؤمنين وفاطمة وابناهما وجماعة من بني هاشم لأجل ترك مبايعة أبي بكر .

ذكر الطبري في تاريخه قال : أتى عمر بن الخطاب منزل علي عليه السلام فقال : والله لأحرقن عليكم أو لتخرجن للبيعة .

وذكر الواقدي أن عمر جاء إلى علي عليه السلام في عصابة فيهم أسيد بن الحصين وسلمة بن أسلم ، فقال : اخرجوا أو لنحرقنها عليكم ونقل ابن خزيمة في غرره قال زيد بن أسلم : كنت ممن حمل الحطب مع عمر إلى باب فاطمة حين امتنع علي وأصحابه عن البيعة أن يبايعوا ، فقال عمر لفاطمة : اخرجي من في البيت وإلا لأحرقنه ومن فيه ، قال : وفي البيت علي وفاطمة والحسن والحسين وجماعة من أصحاب النبي (ص) ، فقالت فاطمة : أتحرق علي وولدي؟ قال : أي والله أو لتخرجن ولتبايعن .

وقال ابن عبد ربّه : وهو من أعيان السّنة : فأما علي والعبّاس قعدا في بيت فاطمة عليها السلام وقال له أبو بكر : إن أبا فقاتلهما ، فأقبل بقبس من نار علي أن يضرهم عليهما النار ، فلقيت فاطمة فقالت : يا ابن الخطّاب أجنّت لتحرق دارنا ؟ قال : نعم .

ونحوه روى مصنف كتاب المحاسن وأنفاس الجواهر فلينظر العاقل في نفسه هل يجوز له تقليد مثل هؤلاء إن كان هذا نقلهم صحيحاً عن أئمتهم وإنهم قصدوا بيت النبي لإحراق أولاده على شيء لا يجوز فيه هذا الانتقام ولا يحل بسببه هذه العقوبة مع مشاهدتهم تعظيم النبي صلّى الله

عليه وآله لهم وكان ذات يوم يخطب فعرّ الحسَن وهو طفل صغير فنزل من منبره وقطع الخطبة وحمله على كتفه وأصعده المنبر ، ثم أكمل الخطبة وبال الحسين عليه السلام يوماً في حجره وهو صغير فزعقوا به فقال (ص) : لا تزدموا على ولدي بوله مع أن جماعة أخرى لم يبايعوا فكلاً أمر بقتلهم وبأي اعتبار وجب الانقياد إلى هذه البيعة والنّص غير دالّ عليها ولا العقل فهذا بعض ما نقله السّنة من الطعن في أبي بكر والذنب فيه على الرواة من السّنة إنتهى كلام العلامة .

وقال صاحب كتاب الزام النواصب : أجمع أهل السّير والنّسابون أن أبا قحافة كان أجيراً لليهود يعلم أولادهم .

وقال الفاضل الجليل والعالم النبيل السيّد نعمة الله الجزائري في الأنوار النعمانية : أنه لما ولي أبو بكر الخلافة كان أبو قحافة بالطائف ، فلما بويع لأبي بكر كتب إلى أبيه كتاباً عنوانه من خليفة رسول الله إلى أبيه أبي قحافة ، أما بعد فإنّ الناس قد تراضوا بي فأنا اليوم خليفة الله ، فلو قدّمت علينا كان أحسن بك ، فلما قرأ أبو قحافة الكتاب قال للرّسول : ما منعكم عن علي عليه السلام؟ قال : هو حدث السنّ وهو قد أكثر القتل في قريش وغيرها ، وأبو بكر أسنّ منه ، فقال أبو قحافة : إن كان الأمر في ذلك بالسنّ فأنا أحقّ من أبي بكر لقد ظلموا علياً حقّه ، وقد بايع النبي صلوات الله عليه وآله وأمرنا ببيعته .

ثمّ كتب إليه من أبي قحافة إلى أبي بكر ، أما بعد فقد أتاني كتابك فوجدته كتاب أحقّ ينقض بعضه بعضاً مرّة تقول خليفة رسول الله ومرّة تقول خليفة الله ، ومرّة تقول تراضوا الناس بي وهو أمر متلبّس في تدخلك في أمر يصعب عليك الخروج منه غداً وتكون عقباك منه إلى النّدامة وملامة النفس اللّوامة لدى الحساب يوم القيامة ، فإنّ للأمر مداخل ومخارج وأنت تعرف من هو أولى منك فراقب الله كأنك تراه ولا تدعن صاحبها فإن تركها اليوم أحقّ عليك وأسلم لك .

وقال مؤلف كتاب الزام النواصب في بعض ما أورده السنة في فرار
أثمتهم من الزحف مع قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ
كَفَرُوا فَلَا تُولَوْهُمْ الْاَدْبَارَ وَمَنْ يُولَهُمْ يَوْمئِذٍ دَبْرُهُ إِلَّا مَنْ حَرَفَ ﴾ الآية . ذلك
وقد فرّوا من الزحف في مواطن كثيرة واستحقوا بالفرار العار والخلود في
النار .

منها يوم التسيير أجمع المسلمون أن أبا بكر سار بالرأية ثم رجع
مهزوماً فأخذها عمر ، فرجع مهزوماً وكان الفتح في يد علي عليه السلام ،
فقال عبد الحميد بن أبي الحديد المعتزلي أصولاً والحنفي فروعاً ، وهو من
أعيان علماء السنة ، له مصنفات كثيرة منها ، شرح نهج البلاغة عشرون
جزءاً ، أوله أشعار خمسة ، منها السبع العلويات ، فقال في انهزام أبي
بكر وعمر يوم خيبر في قصيدته البائية ما يتضمّن ذمهما وهو قوله :

وإن انس لا انس الذين تقدّما	وفرّهما والفرّ قد علما حوب
وللرأية العظما وقد ذهب بها	ملابس ذلّ فوقها وجلايب
يشلهما من آل موسى شمردل	طويل نجاد السيف أجيد يعبوب
يمجّ منوناً سيفه وسناته	ويلهب ناراً غمده والأنابيب
أحضرهما أم حضرا خرج خاضب	وذاتهما أم ناعم الخدّ مخضوب
عذرتكما أن الحمام لمبغض	وإن بقاء النفس للنفس محبوب
ويكره طعم الموت والموت طالب	فكيف يلذّ الموت والموت مطلوب
دعا قصب العليا يملكها امرء	بغير أفاعيل الذنائة مغضوب

قال في البيت الأول : وما انس من شيء فلا انس حال هذين
الرجلين الذين تقدّما في الخلافة ، وفرّهما من الزحف بعد علمهما بقوله
تعالى : ﴿ وَمَنْ يُولَهُمْ يَوْمئِذٍ دَبْرُهُ إِلَّا مَنْ حَرَفَ أَوْ مَتَحِيزاً إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ
بِغَضَبِ اللَّهِ وَمَاوَاهُ جَهَنَّمُ وَبَشِ الْمَصِيرِ ﴾ . يقول : إن تقدّمهما في
الخلافة مع فعلهما ما يوجب غضب الله ويوجب النار شيء لا ينسى وإن
جهنّم تنسى غيره .

ومعنى البيت الثاني أن هذه الرواية العزيزة قد شملها الذلّ بحمل
هذين الرجلين لها وصار الذلّ لها كالملابس لها برجوعها منكوسة في
أيديهما من غير عادة لها بذلك .

ومعنى البيت الخامس الاستهزاء بهما يقول : احضرهما أي أعدوهما
أي عدو أبا بكر وعمر حين رجعا بالرأية منهزمين مهزومين ، أو عدو الظليم
الظبي الذي قد رعى الربيع واشتدّ يصف قوة جريهما في حال انهزامهما .
وقوله : وذاتهما أي وهذان الشخصان هما أبو بكر وعمر أم شخص ناعم
الخدّ مخضوب شههما بالمرأة لأن الوصفين مختصان بالنساء ، وهما
نعومة الخدّ والخضاب .

وقوله في البيت السادس : عذرتكما على سبيل الاستهزاء والتهكم
والفرار من الزحف خوف الموت يورث العار والخلود في النار والبيت الذي
بعده مثله في الاستهزاء والتهكم .

وقوله دعا قصب العليا يقول : يا أبا بكر ويا عمر دعا قصب العليا
يملكها من لا فيه عيب يعاب به يريد به أمير المؤمنين صلوات الله عليه .

وقال ابن أبي الحديد في قصيدته الرائية :

وأعجب إنساناً من القوم كثرة	فلم يغن شيئاً ثم هروا مدبراً
وضاقت عليه الأرض من بعد رحبها	وللنص حكم لا يدافع بالمرأ
وليس بنكر في حنين فراره	وفي أحد قد فرّ خوفاً وخيراً
وما كل من رام المعالي تحملت	مناكبه منها الركام الكهنورا
تنح عن العليا يسحب ذيلها	هما تردى بالعلی وتأزرا
فتى لم يعرف فيه تيم بن مرة	ولا عبد اللات الخيثة أعصرا
ولا كان معزولاً غداة براءة	ولا عن صلاة أم فيها مؤخرأ
فليت فاضحى لابن زيد مؤملاً	ولا كان في بعث ابن زيد مضمراً
ولا كان يوم الغار يهفو جنانه	حذاراً ولا يوم العريش تسترا

إمام هدى بالقرص أثر فاقضى له القرص ردّ القرص أبيض أزهر
يزاحمه جبريل تحت عباءة لها قيل كالصيد في جانب الفرا

قال في البيت الأول : أراد بالإنسان أبا بكر فإنه لما رأى يوم حنين
كثرة المسلمين قال : يا رسول الله لن تغلب اليوم من قلة فأصابهم عينه
حتى أنهم انكسروا .

وقال في البيت الثاني : مراده بالنص قوله تعالى : ﴿ ويوم حنين إذ
أعجبتكم ﴾ الآية .

وقال في البيت الثالث : إن الفرار عادة له فلا تنكروه عليه وهو
استهزاء وتهكم .

وقال في البيت الرابع : ما أنت يا أبا بكر من أهل المعالي لأنك
لست ممن يتحمل أثقالها ببذل النفس عند الحرب ، وبذل المال في
الجدب .

وقال في البيت الخامس المعنى أنه خاطب أبا بكر وأمره بالتنحي عن
العليا ، فإنها لا تصلح له وإنما تصلح لأمير المؤمنين عليه السلام الذي
تردى بالعلی ونال بأصله وفعله .

وقال في البيت السادس أخذ يوصف أمير المؤمنين عليه السلام
بالصفات السلبية الموجبة للنقص وهي مسلوقة عنه وثابتة لأبي بكر كما في
هذا البيت وما بعده من تعريف تيم بن مرة أرذل قبيلة في قريش ومثل عبادة
الأصنام .

أقول : قال السيد السند صاحب المدارك أعلى الله مقامه في شرح
البيتين الأخيرين : الفتى المنتجى الكريم وجمعه فتیان وفتية وأيضاً الشاب
لما أثبت صفة الأول وعجزه أمره بالبعد عن هذا المقام الذي لا يصلح
إلاً لأمير المؤمنين والهمام الملك العظيم الهمة ، استعار لفظ التردي
والتأزر على أنواع العلمية ، ثم شرع بذكر مطالب الأول مقابل لها بمناقب

علي عليه السلام ، فذكر أولاً أَنَّ علياً عليه السلام من جوهر النبي (ص) لم يضرب فيه تيم بن مرة ، يعرف وهو جدّ الأول واسمه في الجاهلية عتيق ، وقيل عبدالكعبة ، وفي الإسلام عبدالله وهو عبدالله بن عثمان بن أبي قحافة بن عاص بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ، ثم إِنَّ علياً لم يشرك بالله طرفة عين ، فهذه منقبة في مقابلتها مثلبة للأول ، وهي عبادته الأصنام مدة طويلة (انتهى) .

وقال في البيت السابع : فإنّ عزله عن تأدي براءة وتأخيرته عن الصلاة يوم خرج النبي (ص) معصوب الرأس وقد أمرته عائشة أن يصلي بالناس فأخّره النبي (ص) وصلّى بهم وهو لا ينكره أحد ، ومن لا يصلح لتأدي بعض آيات سورة لا يصلح أن يأمر الناس بصلاة واحدة كيف يصلح لتأدي جميع الأحكام لولا عمى الطغام وبلوى الأنام ، وحقدهم على تكسر الأصنام ، وقتل آبائهم والأعمام .

وقال في البيت الثامن : إنّ علياً عليه السلام لم يأمر عليه أسامة بن زيد كما كان أميراً على أبي بكر ، وذلك عجب (انتهى) .

وقال السيد نور الله قبره وهذه أيضاً مثلبة أخرى مقابلتها منقبة كونه كان تحت حكم أسامة بن زيد بن حارثة عتيق النبي (ص) من بعد ذلك ، ولآه وجعله أميراً ، وذلك إنّ النبي قبل وفاته جهّز جيشاً وأمر عليه أسامة ، ثم دعاه وقال له : سر إلى مقتل أبيك فأوطئهم الخيل ، فقد وليتك على هذا الجيش وأمر الأول والثاني باتباعه ، فلما ثقل في المرض نفذت عائشة إلى أبيها وكذا حفصة بنت الثاني وأمرتهما بالرجوع فرجعا ، ولو كان الأول صالحاً للخلافة لم يتأمر عليه أسامة ولم يبعده النبي عند موته (انتهى) .

وقال في البيت التاسع : يعني أبا بكر هفا جنانه وهو في الغار وأمير المؤمنين عليه السلام ما هفا جنانه وهو على فراش رسول الله ، وقد قصده قريش يريدون قتله وأبو بكر تستر في العريش يوم بدر وأمير المؤمنين عليه السلام يقطع رقاب الكفار ويعجل بأرواحهم إلى النار . فبينهما فرق بعيد .

وقال في البيت العاشر : القرص الأول والثاني هو الذي تصدَّق به أمير المؤمنين عليه السلام على المسكين واليتيم والأسير ، فنزل في حقِّه وحق زوجته وابنيه عليهم السلام سورة : ﴿ هل أتى ﴾ . والقرص الثالث يريد به قرص الشمس حين رَدَّتْ له يبابل حتى صلَّى الظهر والعصر ، وذلك مشهور لا ينكره مخالف ولا مؤلف ، وذلك فضل اختصَّ به عليه السلام .

وقال في البيت الحادي عشر : يعني العبادة التي ألقاها رسول الله (ص) على أهل بيته علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ، ثم قال : اللهمَّ إن هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾ . فقال جبرئيل وأنا من أهل بيتك يا رسول الله . فقال (ص) : وأنت من أهل بيتي يا جبرئيل .

ومن تأمل هذه الفضيلة التي تضمنتها هذه الآية الكريمة الشريفة عرف عصمة النبي وعلي وزوجته وولده عليهم السلام ، وعلم أنه أحقَّ بالخلافة من سائر الناس ، انظروا إلى شعر عالمهم المعتزلي أصولاً والحنفي فروعاً كيف أمر أبا بكر بالتنحي عن المعالي يقول : بأي سبب تطلب المعالي يا أبا بكر وأنت لم تضرب فيها بعرق ولم تحصلها بسعي ، وكيف تطلبها وأنت من تيم بن مرة من أرذل قبيلة في قريش ، وقد عبت الأضنام دهرًا طويلاً ، وكنت معزولاً عن تأدي براءة ، وكان أسامة بن زيد أميراً عليك ، وفررت من الزحف يوم خيبر وأحد وحنين ، واستحققت بالفرار غضب الله والنار كما أخبره الجبار ، وهفا جنانك يوم الغار وبكيت خوفاً وأخرك النبي عن الصلاة ، ولا لك فضيلة مذكورة ، ولا حقبة مشهورة ، بل مثالبك لا تحصى لمن أراد الاستقصاء فسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

المطلب الثاني

في المطاعن التي نقلها السّنة في عمر بن الخطاب

قال الفاضل الجليل والعالم النبيل العلامة الحلي قدّس سرّه في نهج الحقّ : أنّه نقل الجمهور عن عمر مطاعن كثيرة منها : قولهم عن النبي (ص) لما طلب في حال مرضه دواتاً وكتفاً ليكتب فيه كتاباً لا يختلفون بعده وأراد أن ينصّ حال موته على ابن عمّه علي عليه السلام فمنعهم عمر وقال : إنّ نبيكم ليهجر ، فوقعت الغوغاء واختلفوا فضجر النبي (ص) فقال أهله : إنّ لا ينبغي عند النبي (ص) هذه الغوغاء ، فاختلفوا ، فقال بعضهم : احضروا ما طلب ، ومنع آخرون ، فلمّا أفاق قال بعض من حضر ألا نأتيك يا رسول الله بالدّواة والبياض ، فقال النبي (ص) : ابعد الذي قلت فلا ، ولكن أوصيكم بأهل بيتي خيراً .

في صحيح مسلم : وهل يجوز مواجهة العامي بمثل هذا السّفه فكيف بسيد المرسلين .

ومنها : ايجاب بيعة أبي بكر على جميع الخلق ومخاصمته على ذلك وصد بيت النبوة وذرية الرّسول الذين فرض الله تعالى موذتهم وأكد النبي (ص) عدّة مرات في موالاتهم وأوجب محبتهم وجعل الحسن والحسين عليهما السلام ودائع الأّمة . فقال : اللهم إنّ هذان وديعتي عند أمتي بالإحراق بالنّار ، وكيف يحلّ عليه إيجاب شيء على جميع الخلق من غير أن يوجبه الله تعالى ونبيّه ، أو يأمران به أترى كان أعلم منهما بمصالح العباد أو كانا قد استناباه في نصب أبي بكر إماماً أو فوّضت الأّمة بأسرها إليه ذلك ، وحكموه على أنفسهم فليراجع العاقل المنصف من نفسه وينظر هل يستحسن لنفسه المصير إلى هذه الاعتقادات الرديّة مع أن النبي كان أشرف الأنبياء وشريعته أتم الشرائع وقنع من اليهود بالجزية ولم يوجب عليهم مبايعته قهراً وإجباراً وكذا من النصارى والمجوس ولم يعاقبهم بالإحراق بالنّار فكيف استجاز هؤلاء الصّحابة قصد أهل البيت بذلك مع أن

مسألة الإمامة عندهم ليست من أصول العقائد ولا من أركان الدين بل هي مما يتعلق بمصالح العباد في أمور الدنيا وكيف يعاقب من يمتنع من الدخول فيه وهلا قصدوا بيوت الأنصار وغيرهم من سلمان وأبي ذر والمقداد وأكابر الصحابة لما امتنعوا من البيعة وأسامة بن زيد لم يبايع إلى أن مات . وقال : إن رسول الله (ص) أمرني عليكم فمن أمرك علي يا أبا بكر .

ومنها: أنه قد بلغ من قلة المعرفة أنه لم يعلم أن الموت يجوز على النبي (ص) بل أنكر ذلك لما قالوا : قد مات رسول الله فقال : والله ما مات محمداً حتى قطع أيدي الرجال وأرجلهم ، فقال له أبو بكر ، أما سمعت قول الله تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ . وقوله : ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ﴾ فقال : أيقنت بوفاته وكأنني لم أسمع هذه الآية ومن هذه حاله كيف يجوز أن يكون إماماً واجب الطاعة على جميع الخلق .

ومنها: أنه أمر برجم امرأة حامل فقال له أمير المؤمنين : إن كان لك عليها سبيل فليس لك على ما في بطنها سبيل ، فقال : لولا علي لهلك عمر .

ومنها: أنه أمر برجم مجنونة فنبهه أمير المؤمنين وقال (ع) : القلم مرفوع عن المجنون حتى يفيق ، فقال : لولا علي لهلك عمر . وهذا يدل على قلة معرفته وعدم تنبيهه لظواهر الشريعة .

ومنها: أنه منع عن المغالات في المهر وقال : من غالى في مهر ابنته اجعله في بيت المال بشبهة أنه أي النبي زوج فاطمة بخمسمائة درهم فقامت امرأة إليه ونبهته بقوله تعالى : ﴿ وَأَتَيْتُم أَحَدَاهُنَّ قُنْطَاراً ﴾ على جواز ذلك ، فقال : كل الناس أفقه من عمر حتى المخدرات في البيوت ، واعتذر قاضي القضاة بأنه طلب الاستحباب في ترك المغالات والتواضع في قوله : كل الناس أفقه من عمر خطأ ، فإنه لا يجوز ارتكاب المحرم

وهو أخذ المهر وجعله في بيت المال لأجل فعل مستحب . فالرواية منافية لأن المروي أنه حرمه ومنع حتى قالت المرأة : يا عمر تمنعنا ما أحله الله لنا في محكم كتابه . وأما التواضع فإنه لو كان الأمر كما قال عمر لاقتضى اظهار القبيح وتصويب الخطأ ، ولو كان العذر صحيحاً لكان هو المصيب والمرأة مخطئة .

ومنها: أنه تسور على قوم ووجدهم على منكر ، فقالوا : اخطارنا من جهات تجسست وقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾ ودخلت الدار من غير الباب والله يقول : ﴿ وَلَا تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَاتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ ودخلت بغير إذن وقد قال الله تعالى : ﴿ لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا ﴾ ولم تسلم وقد قال الله تعالى : ﴿ وَتَسَلَّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ فلحقه الخجل .

أجاب قاضي القضاة بأنه له أن يجتهد في إزالة المنكر ولحقه الخجل لأنه لم يصادف الأمر على ما قيل له ، وهذا خطأ لأنه لا يجوز للرجل أن يجتهد في الحرام ومخالفة الكتاب والسنة خصوصاً ، مع عدم علمه ولا ظنه ولهذا ظهر كذب الافتراء على أولئك .

ومنها: أنه كان يعطي من بيت المال ما لا يجوز حتى أنه أعفى عائشة وحفصة في كل سنة عشرة آلاف درهم ، وحرّم على أهل البيت خمسهم وكان عليه ثمانون ألف درهم لبيت المال ، ومنع فاطمة ارثها ونحلتها التي وهبها رسول الله . أجاب قاضي القضاة بأنه يجوز أن يفضل النساء وهو خطأ أن التفضيل إنما يكون بسبب يقتضيه كالجهد وغيره .

ومنها: أنه عطل حدود الله في المغيرة بن شعبة لما شهد عليه بالزنا ولقن الشاهد الرابع الامتناع من الشهادة ، وقال له : أرى وجه رجل لا يفضح الله به رجلاً من المسلمين اتباعاً لهواه ، فلمّا فعل ذلك عاد إلى الشهود فحدهم وفضحهم فتجنب أن يفضح المغيرة وهو واحد قد فعل المنكر ووجب عليه الحد ، وفضح ثلاثة مع تعليله حكم الله ووضعه الحد

في غير موضعه ، وأجاب قاضي القضاة بأنه أراد صرف الحد عنه واحتال في دفعه .

قال السيد المرتضى رحمه الله : كيف يجوز أن يحتال في صرفه عن واحد ويوقع ثلاثة فيه وفي الفضيحة مع أن عمر كان كلما رأى المغيرة يقول : قد خفت أن ينزل الله تعالى بحجارة من السماء .

ومنها: أنه كان يتلون في الأحكام حتى روي عنه أنه قضى في الحد بسبعين قضية ، وروي مائة قضية ، وأنه يفضل في الغنمة والعطاء ، وقد سوى الله تعالى بين الجميع ، وأنه قال في الأحكام من جهة الرأي والحدث والظن .

ومنها: أنه قال : متعتان كانتا على عهد رسول الله (ص) أنا أنهي عنهما وأعاقب عليهما ، وهذا يقدح في عدالته حيث حرم ما أحل الله تعالى ، وكيف يسوغ له أن يشرع في الأحكام وينسخها ويجعل اتباعه أولى من اتباع الرسول الذي لا ينطق عن الهوى فإن حكم هاتين المتعتين إن كان من عند الرسول لا من قبل الله تعالى لزم تجويز كون الأحكام كذلك نعوذ بالله ، وإن كان من عند الله فكيف يحكم عمر بخلافه .

وأجاب قاضي القضاة بأنه قال ذلك كراهة بمتعة وأيضاً يجوز أن يكون ذلك برواية عن النبي واعترضه المرتضى رضي الله عنه بأنه أضاف النهي إلى نفسه ، وقال : كانتا على عهد رسول الله وهو يدل بمفهومه على أنه كان في جميع زمانه حتى مات عليهما ، ولو كان النهي من الرسول (ص) كان أبلغ في الانتهاء ، فلم لم يقل ذلك على سبيل الرواية ، وقد روى عن ابنه عبدالله بإاحتها ، فقل : إن أباك كان يحرمهما ، فقال : إنما ذلك عن رأي رآه .

وقد روى السنة في الجمع بين الصحيحين عن جابر بن عبدالله قال : تمنعنا مع رسول الله (ص) ، فلما قام عمر قال : إن الله تعالى كان يحل لرسوله ما يشاء بما يشاء ، وإن القرآن قد نزل منازلته ﴿فأتَمُوا الْحَجَّ﴾

والعمرة لله ﴿ كما أمركم الله تعالى ، ودعوا نكاح هذه النساء ، فإن أوتي
برجل نكح امرأته إلى الرجل إلا رجمته بالحجارة ، وهذا نص في مخالفة
كتاب الله والشرعة المحمدية ، لأننا لو فرضنا تحريمها لكان فاعلها على
شبهة والنبي (ص) قال : ادرؤا الحد بالشبهات ، فهذه الروايات هم
الصحيحة عندهم تدل على ما دلت عليه ، فلينظر العاقل ويخاف الجاهل
وفي الصحيحين عن جابر من طرق أخر كنا نستمتع بالقبضة بالتمر والدقيق
أياماً على عهد رسول الله وأبي بكر حتى نهى عمر لأجل عمرو بن
الحريث ، لما استمتع وفي الجمع بين الصحيحين من عدة طرق إباحتها
أيام رسول الله وأبي بكر وبعض أيام عمر .

وروى أحمد بن حنبل في مسنده عن عمران بن الحصين قال :
فأنزلت متعة النساء في كتاب الله تعالى ، وعلمناها وفعلناها مع النبي
(ص) ولم ينزل القرآن بحرمتها ، ولم ينه عنها حتى مات ، وفي صحيح
الترمذي قال : سئل ابن عمر عن متعة النساء فقال : هي حلال ، وكان
السائل من أهل الشام ، فقال : إن أباك قد نهى عنها ، فقال ابن عمر :
إن كان قد نهى عنها ووضعها رسول الله نترك السنة ونتبع قول أبي .

قال محمد بن حبيب البحري : كان ستة من الصحابة وستة من
التابعين يفتون بإباحة متعة النساء .

وقد روى الحميدي ومسلم في مسنديهما والبخاري أيضاً من عدة
طرق جواز متعة النساء ، وإن عمر هو الذي أبطلها بعد أن فعلها جميع
المسلمين بأمر النبي (ص) إلى حين وفاته وأيام أبا بكر .

ومنها أنه منع من متعة الحج مع أن الله تعالى أوجبها في كتابه .

ومنها قضية الشورى وقد أبدع فيها أموراً ، فإنه خرج بها عن
الاختيار والنص جميعاً وحصرها في ستة وذم كل واحد منهم بأن ذكر فيه
طعناً لا يصلح معه للإمامة ، ثم أهله بعد أن طعن فيه وجعل الأمر إلى
ستة ثم إلى أربعة ، ثم إلى واحد ووصفه بالضعف والقصور . وقال : إن

اجتمع علي وعثمان فالقول ما قالاه ، وإن صاروا ثلاثة ثلاثة فالقول للذين فيهم عبدالرحمن بن عوف ، وذلك لعلمه بأن علياً عليه السلام وعثمان لا يجتمعان ، وإن عبدالرحمن لا يكاد يعدل بالأمر عن ختنه وابن عمه وإنه أمر بضرب أعناقهم إن تأخروا عن البيعة فوق ثلاثة أيام ، وأمر بقتل من يخالف الأربعة منهم أو الذين ليس فيهم عبدالرحمن .

وروى الجمهور أن عمر لما نظر اليهم قال : قد جاء في كل واحد منكم يهز عفرته يرجو أن يكون خليفة ، أما أنت يا طلحة أفلست القائل ان قبض النبي (ص) لتتكنن أزواجه من بعده ، فما جعل الله محمداً أحق بينات عمنا منا ، فأنزل الله فيك ﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً﴾ ، وأما أنت يا زبير فوالله ما لان قلبك يوماً ولا ليلاً وما زلت جلفاً جافياً مؤمن الرضا كافر الغضب يوماً شيطاناً يوماً رحماً ، شحيح . وأما أنت يا عثمان والله لروثة خير منك ولئن وليتها لتحملن بني أبي معيط على رقاب الناس ، ولئن فعلها لتقتلن ثلاث مرات ، وأما أنت يا عبدالرحمن فإنك رجل عاجز تحت قومك جميعاً ، وأما أنت يا سعد فصاحب عصبية وتيه ومقت وقتال ، لا تقوم بقرية لو حملت بأمرها . وأما أنت يا علي فوالله لو وزن إيمانك بإيمان أهل الأرض جميعاً لرجحتهم ، فقال علي عليه السلام : مولياً يخرج ، فقال عمر : والله إنني أعلم مكان رجل لو وليتموه أمركم حملكم على المحجة البيضاء . قالوا : من هو؟ قال : هذا المولى من بينكم إن ولوها الأجلح سلك بكم الطريق ، قالوا : فما يمنعك من ذلك؟ قال : ليس إلى ذلك سبيل . قال له ابنه عبدالله بن عمر : فما يمنعك منه؟ قال : أكره أن أتحمّلها حياً وميتاً .

وفي رواية لا أجمع بيني هاشم بين النبوة والخلافة ، وكيف وصف كل واحد منهم بوصف قبيح كما ترى زعم أنه يمنع من الإمامة ، ثم جعل الأمر فيمن له تلك الأوصاف ، وأي تقليد أعظم من الحصر في الستة ، ثم تعين من اختاره عبدالرحمن بن عوف والأمر بضرب رقاب من خالف

منهم ، وكيف أمر بضرب أعناقهم إن تأخروا عن البيعة أكثر من ثلاثة أيام ، ومن المعلوم أنهم لا يستحقون ذلك ، لأنهم إن كلفوا أن يجتهدوا آراءهم في اختيار الإمام فربما طال زمان الاجتهاد ، وربما نقص بحسب ما يعرض فيه من العوارض ، وكيف يسوغ الأمر بالقتل إذا تجاوزت الثلاثة ، ثم أمر بقتل من يخالف الأربعة ، ومن يخالف العدد السذي فيه عبدالرحمن ، وكل ذلك مما لا يستحق به القتل ، ومن العجب اعتذار قاضي القضاة بأن المراد بالقتل إذا تأخروا على طريق شق العصا ، فطلبوا الأمر من غير وجه ، فإن هذا مناف ظاهر الخبر لأنهم إذا شقوا العصا فطلبوا الأمر من غير وجه ، فمن أول يوم وجب قتالهم .

ومنها أنه أبدع في الدين ما لا يجوز مثل الترويح ووزع الخراج على السواد وترتيب الجزية وكل هذا مخالف للقرآن واللغة . لأنه تعالى جعل الغنيمة للغانمين والخمس لأهل الخمس والسنة تنطق بأن في الجزية على كل بالغ ديناراً وإنما الجماعة إنما تجوز في الفريضة . أجاب قاضي القضاة : بأن قيام رمضان جاز أن يفعل النبي (ص) ثم تركه واعترضه المرتضى بأنه لا شبهة في أن التواريخ بدعة ، لأن رسول الله (ص) قال : يا أيها الناس إن الصلاة بالليل في شهر رمضان من النافلة جماعة بدعة ، وصلاة الضحى بدعة ألا فلا تجمعوا شهر رمضان في النافلة ولا تصلوا صلاة الضحى ، فإن قليلاً من سنة خير من كثير من بدعة ، ألا وإن كل بدعة ضلالة وكل ضلالة سبيلها إلى النار .

وخرج عمر في شهر رمضان ليلاً فرأى المصاييح في المساجد ، فقال : ما هذا؟ فقليل : إن الناس قد اجتمعوا لصلاة التطوع . فقال : بدعة ، وقد شهد الرسول بأن كل بدعة ضلالة وسئل أهل الكوفة أمير المؤمنين عليه السلام أن ينصب لهم إماماً يصلي بهم نافلة شهر رمضان لما اجتمعوا ، فزجرهم وعرفهم أن ذلك خلاف السنة ، فتركوه واجتمعوا لأنفسهم وقدموا بعضهم فبعث إليهم ابنه الحسن عليه السلام ، فدخل عليهم المسجد ومعه الدرة ، فلما رأوه تبادروا الأبواب وصاحوا واعمراه

وقيام شهر رمضان أيام الرسول ثابت عندنا لكن على سبيل الانفراد ، وإنما أنكرنا الاجتماع على ذلك ومدعيه مكابر لم يقل به أحد ولو كان كذلك لم يقل عمر انها بدعة .

فهذه البدع بعض ما رواه الجمهور ، فإن كانوا صادقين في هذه الروايات كيف يجوز الاقتداء بمن طعن فيه بهذه المطاعن ، وإن كانوا كاذبين والذنب لهم والزور عليهم ، وعلى من يقلدهم حيث عرف كذبهم ، ونسب رواياتهم إلى الصحة ، وجعلوها واسطة بينهم ، وبين الله تعالى .

وروى السيد نعمة الله الجزائري في أنواره عن ابن عبد ربّه في المجلد الثاني من كتاب العقد ، قال : وخرج عمر بن الخطاب ويده على المعالي بن جارود ، فلقيته امرأة من قريش ، فقالت : يا عمر ، فوقف لها ، فقالت له : كنّا نعرفك مرة عميراً ثم صرت من بعد عمير عمر ، ثم صرت من بعد عمر أمير المؤمنين ، فاتق الله يا ابن الخطاب وانظر في أمور الناس ، فإنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ، ومن خاف الموت خشي الفوت .

وفي إلزام النواصب روي عن الحميدي في الجمع بين الصحيحين في مسند أبي موسى الأشعري قال : قال أبو عامر بن أبي موسى ، قال لي عبدالله بن عمر : هل تدري ما قال أبي لأبيك؟ قال : أبوك قال ، قلت : لا . قال : فإن أبي قال لأبيك : يا أبا موسى هل سيرك أنّ اسلامنا مع رسول الله وهجرتنا معه وجهادنا معه وعلمنا كله معه يرد كلّ عمل عملناه بعده نجونا معه كفافاً رأساً برأس ، فقال أبوك لأبي : لا والله لقد جاهدنا بعد رسول الله وصلينا وصمنا وعملنا خيراً كثيراً ، وأسلم على أيدينا خلق كثير ، وأنا أرجو ذلك . قال أبي : لكني والذي نفس عمر بيده لو ددت أنّ ذلك يردّ لنا كلّ شيء عملناه بعده نجونا منه كفافاً رأساً برأس ، فلينظر العاقل إلى هذا الكلام الذي اعترف به عمر على نفسه ، وشهد عليه ولده

به ، ونقل عنه مسلم ، والبخاري في صحيحهما أنه أحدث بعد رسول الله ما يؤد أن إسلامه وجميع أعماله مع رسول الله يسقط بسقوط ما أحدثه بعد رسول الله رأساً برأس ، فقد تمنى أنه لم يكن أسلم مع رسول الله (ص) ولم يكن أحدث ما أحدث ، ثم قال مؤلف كتاب إلزام النواصب : اعلم أن عقاب الكفار الذين لم يسلموا أهون من عقابه ، ويؤكد هذا ما رواه صاحب الجمع بين الصحيحين من مسند عبدالله بن عباس أنه لما طعن عمر بن الخطاب كان يتألم فقال له عبدالله بن عباس : ولا كل ذلك ، فقال عمر بعد كلام له : تالله أما ترى من جزعي فهو من أجلك وأجل أصحابك ، والله لو أن لي أتلاع الأرض ذهباً لافتديت به من عذاب الله ، قبل أن أراه مع أنهم رووا ما من محتضر إلا ويرى مقعده من الجنة أو النار ، وهذا اعتراف منه حين رأى مقعده من النار وأن ذلك سبب فعله في بني هاشم وغصبه حقهم وحق عليه قوله تعالى : ﴿ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة﴾ وروى أبو نعيم الحافظ من أعيان علماء السنة في كتاب حلية الأولياء أنه لما احتضر عمر قال : ليتني كنت كيشاً لقومي سموني ما بدا لهم ثم جاءهم أحب قومهم فذبوني فجعلوا نصفي شواء ونصفي قديداً فأكلوني فأكون عذرة ولا أكون بشراً فقد حق عليه قوله تعالى : ﴿ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً﴾ .

وفي أنوار النعمانية عن صاحب كتاب الاستيعاب في الرجال وهو من أفاضلهم قال : إن عمر لما ضربه أبو لؤلؤة بالسكين في بطنه قال : ادعوا إليّ الطبيب فدعي الطبيب فقال : أي شراب أحب إليك ، فقال : النبيذ فسقى نبيذاً فخرج من بطنه طعنة ، فقال الناس : هذا دم هذا صديد فقال اسقوني لبناً فسقوه لبناً فخرج من الطعنة ، فقال له الطبيب : لا أرى أن تمسي فما كنت فاعلاً فافعل .

وفيه أيضاً ما قاله المحقق جلال الدين السيوطي في حواشي القاموس عند تصحيح لغة الابنة ، وقال : هناك وكانت في جماعة في

الجاهلية أحدهم سيدنا عمر قال السيد قدس سره وأقبح منه ما قاله الفاضل ابن الأثير وهما من أجلاء علمائهم ، قال : زعمت الروافض أن سيدنا عمر كان مخفئاً كذبوا ولكن به داءٌ دوائه ماء الرجال ، وغير ذلك ممّا يستقبح ممّا نقله ، وقد قصرُوا في إذاعة مثل هذا السرّ المكنون المخزون ولم أر في كتب الرافضة مثل هذا .

نعم روى العياشي منهم حديثاً حاصل معناه أن الاسم الذي هو لفظة أمير المؤمنين قد خصّ الله به علي بن أبي طالب عليه السلام ولهذا لم يسمّ الرافضة أئمتهم بهذا الاسم ، ومن سمّي نفسه به غير علي بن أبي طالب عليه السلام فهو ممّا يؤتى به من دبره ، وهذا شامل لجميع المتخلفين من الأموية لعنهم الله والعباسية لعنهم الله ، وقد نقل أهل السنة ههنا من إمامهم ما هو أقبح من هذا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وروى مؤلف كتاب إلزام النواصب والعقائد حكى في نهج الحق عن محمد بن السائب في كتاب الثالب وهو من علماء السنة قال : كانت صحاك أمة حبشية لهاشم بن عبد مناف فوقع عليها بنفيل بن هشام ، ثم وقع عليها عبدالعزى بن رياح ، فجاءت بنفيل جدّ عمر بن الخطاب انظروا إلى نقلهم عن إمامهم المرضي عندهم أن جدّته صحاك أمة لهاشم وهي زانية وجاءت بنفيل ابنها من الزنا ، ثم يقدم على بني هاشم ملوك الجاهلية والإسلام وهو ابن أمتهم الزانية فهل هذا يليق بالعقول أو يرضى به الله سبحانه وتعالى والرسول صلوات الله عليه وآله .

وروى ابن عبيد ربّه في كتاب العقد وهو من علماء السنة في استعمال عمر بن الخطاب لعمر بن العاص في بعض ولايته فقال عمرو بن العاص قبح الله زماناً عمل فيه عمرو بن العاص لعمر بن الخطاب ، والله إنّي لأعرف الخطاب يحمل حزمة من حطب وعلى ابنه مثلها وما مشياً إلا في تمرة لا يبلغ منفعة قلت قبح الله قوماً قدموا من هذا شأنه على مواليه

بني هاشم ملوك الجاهلية والإسلام فإنه ألوم منهم كما قيل زنت صَحَّاحك بكلِّ عِلج مع علمها بالزنا حرام فلا تَلَمَّها ولم زَنيماً يزعم أنَّ ابنها إمام .

وفي مجالس المؤمنين القاضي عن محمد بن شهر آشوب وغيره من علماء الأنساب والسَّير ذكروا أنَّ صَحَّاحك كانت جارية لعبد المطلب وكانت ذات عجز وكانت ترعى الغنم ، وكانت حسناء من الحبشية ، وهن يحبين النِّكاح ، فنظر إليها نفيل وهو جدُّ عمر ، ففوهاها وعشقها في مرعى الغنم ، فسوق عليها فحملت بالخطاب ، فلما أدرك الخطاب وبلغ نظر إلى أمِّه صَهَّاحك فأعجبه عجزها فوقع عليها فحملت منه بنية اسمها حنتمه ، فلما ولدتها خافت من أهلها فجعلتها في صوف والقتها في ازدحام مكَّة ، فوجدها هاشم بن المغيرة بن الوليد فحملها إلى منزله فرباها وكانت من سنة العرب أنَّ من ربَّى يتيماً يجعله ولداً له ، فلما بلغت حنتمه نظر إليها الخطاب وهو لا يدري أنَّها ابنته ، فخطبها من هاشم فزوَّجها بها فأولدها عمر ، فكان الخطاب أبوه وجدُّه وخاله وكانت حنتمه أمِّه واخته وعمته فهذا نسبه الظاهر ومن شكَّ في هذا فيطلبه من كتاب الأنساب ، وإلى هذا المعنى أشار ابن الحجاج يقول شعراً :

من جدِّه وخاله ووالده وأمِّه اخته وعمته
اجدر أن يبغض الوصيَّ وأنَّ يجحد يوم الغدير بيعته

وقال السيد في أنواره : ومن عجب ما روه في الخطاب والد عمر بن الخطاب أنه كان سراقاً وقطع في السرقة ما ذكره أبو عبيدة القاسم بن سلام في كتاب الشهاب في تسميته من قطع من قریش في الجاهلية في السرقة ما هذا لفظه . قال : والخطاب بن نفيل بن عبد العرب بن رياح بن عدي أبو عمر بن الخطاب قطعت يده في السرقة قدر ومحاه ولاية عمر ورضي النَّاس عنه .

قال بعض المسلمين الا تعجب من قوم رَوَوْا أنَّ عمر كان ولد زنا وأن كان في الجاهلية نخاس الحمير وأن كان أبوه سراقاً وأنه ما كان يعرف

إلا بالزناء البتة ، ثم مع هذا جعلوه خليفة قائماً مقام نبيهم ونائباً عن الله تعالى في عباده وقدّموه على من لا طعن عليه في حسب ولا نسب ولا أدب ولا سبب ويا ليتهم حيث ولّوه وفضحوا أنفسهم بذلك كانوا قد سكتوا عن نقل هذه الأحاديث التي قد شمت به الأعداء وجعلوها طريقاً إلى جهلهم بمقام الأنبياء وخلافة الخلفاء فسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون .

المطلب الثالث

في المطاعن التي رواها الجمهور في عثمان

اعلم أن مطاعنه كثيرة فوق حدّ الإحصاء ، ولكن نحن ما نذكرها هو العمدة من بينها اختصاراً لئلا يلزم التطويل الذي يخرج عن وضع الكتاب ، فنقول : ومن جملة المطاعن التي ذكرها العلامة الحلي نور الله رسمه في كتاب منهاج الكرامة في معرفة الإمامة من أن عثمان وليّ أمور المسلمين من لا يصلح للولاية حتى ظهر من بعضهم الفسوق والخيانة ، وقسم الولايات بين أقاربه وعوتب على ذلك مراراً ، فلم يرجع واستعمل الوليد بن عتبة حتى ظهر منه شرب الخمر ، وصلى بالناس وهو سكران ، واستعمل سعيد بن العاص على الكوفة وظهر منه ما أدى إلى أن أخرجه أهل الكوفة منها ، وولى عبدالله بن أبي سرح مصر حتى تظلم منه أهلها وكتبه أن يستمر على ولايته خلاف ما كتب إليه وأمره بقتل محمد بن أبي بكر ، وولى معاوية الشام ، فأحدث من الفتن ما أحدث وولى عبدالله بن عامر العراق ، ففعل من النكير ما فعل وولى مروان أمره وألقى إليه مقاليد أموره ، ورفع إليه خاتمه فحدث من ذلك قتل عثمان ، وحدث من الفتنة بين الأمة ما حدث ، وكان يؤثر أهله بالأموال الكثيرة من بيت مال المسلمين ، حتى أنه دفع إلى أربعة نفر من قريش زوجهم بناته أربع مائة ألف دينار ، ودفع إلى مروان ألف ألف دينار ، وكان ابن مسعود يطعن عليه ويكفره ، ولما علم ضربه حتى مات وضرب عمار حتى صار به فتق وقد قال النبي (ص) : عمار جلدة بين عيني تقتله الفتنة الباغية لا

أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة ، وكان عمار يطعن عليه وطرده رسول الله الحكيم بن أبي العاص عم عثمان عن المدينة ومعه ابنه مروان ، فلم يزل طريداً هو وابنه في زمن النبي (ص) وأبي بكر وعمر ، فلما ولي عثمان آواه وردّه إلى المدينة ، وجعل مروان كاتبه وصاحب تدبيره مع أن الله تعالى قال : ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يسوّدون من حاد الله ورسوله ﴾ الآية ، ونفى أبا ذر إلى الرّبذة وضربه ضرباً وجيعاً مع أن النبي (ص) ، قال في حقّه : ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر . وقال الله تعالى : أوصى إليّ أنه يحب أربعة من أصحابي وأمرني بحبهم ، فقل له : من هم يا رسول الله؟ قال : عليّ سيّدهم وسلمان ومقداد وأبو ذر وضيع حدود الله ، فلم يقدر عبدالله بن عمر حين قتل الهرمز أن مولى أمير المؤمنين بعد إسلامه .

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يطلب عبدالله لإقامة القصاص ، فلحق بمعاوية وأراد أن يعطل حدّ الشرب في الوليد بن عتبة حتى حدّه أمير المؤمنين عليه السلام ، وقال : لا يبطل حدود الله وأنا حاضر ، وزاد الأذان الثاني يوم الجمعة ، وهي بدعة وصار سنة إلى الآن ، وخالفه المسلمون كلّهم حتى قتل وعابوا أفعاله وقالوا له : عتبت عن بدر وهربت يوم أحد ولم تشهد بيعة الرضوان والأخبار في ذلك أكثر من أن تحصى .

وقد ذكر الشهرستاني وهو من أشدّ المتعصّبين على الإماميّة أن منشأ الفساد بعد شبهة إبليس الاختلاف الواقع في مرض النبي صلّى الله عليه وآله فأول تنازع وقع في مرضه فيما رواه البخاري بإسناده إلى ابن عباس قال : لما اشتدّ بالنبي (ص) مرضه الذي توفي فيه قال : ايتوني بدواة وقرطاس أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعدي . فقال عمر : إن صاحبكم ليهجر حسبنا كتاب الله وكثر اللقط ، فقال النبي (ص) : قوموا عني لا ينبغي عندي التنازع والخلاف .

الثاني : في مرضه صلّى الله عليه وآله أنه قال : جهّزوا جيش أسامة

لعن الله من تخلف عنه ، فقال قوم : يجب علينا امتثال أمره ، وقال قوم : اشتد مرضه ولا يسع قلوبنا المفارقة .

الثالث : في موته (ص) قال عمر : من قال إنَّ محمداً قد مات قتلته بسيفي هذا ، وإنما رفع إلى السماء كما رفع عيسى بن مريم عليه السلام ، فقال أبو بكر : من كان يعبد محمداً فإنَّ محمداً قد مات ومن كان يعبد إلهه محمد فإنه حي لا يموت .

الرابع : في الإمامة وأعظم الخلاف بين الأمة خلاف الإمامة إذ ما سل سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الإمامة في كل زمان ، واختلف المهاجرون والأنصار ، فقالت الأنصار : منّا أمير ومنكم أمير ، واتفقوا على رئيسهم سعد بن عباد الأنصاري ، فاستدرك أبو بكر وعمر بأن حضرا سقيفة بني ساعدة ومدَّ عمر يده إلى أبي بكر وبايعه ، فبايعه الناس ، قال عمر : إنها كانت فلتة وقى الله المسلمين شرّها ، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه وأمير المؤمنين عليه السلام مشغول بما أمره النبي (ص) من دفنه وتجهيزه وملازمة قبره وتخلف هو وجماعة عن البيعة .

الخامس : في فذك والتوارث عن النبي ودفعها أبو بكر بروايته عن النبي (ص) نحن معاشر الأنبياء لا نورث وما تركناه صدقة .

السادس : في قتال مانعي الزكاة فقاتلهم أبو بكر واجتهد عمر في أيام خلافته وردَّ السبايا والأموال إليهم وأطلق المحبوسين .

السابع : في تنصيب أبي بكر على عمر بالخلافة فمن الناس من قال : وليت فظاً غليظاً .

الثامن : في أمر الشورى واتفقوا بعد الاختلاف على إمامة عثمان ووقعت اختلافات كثيرة .

منها : ردَّ حكم بن العاص بن أمية إلى المدينة بعد أن طرده رسول الله (ص) وكان يسمّى طريد رسول الله (ص) بعد أن تشفع إلى أبي بكر

وعمر أيام خلافتهما ، فما أجابا إلي ذلك ، ونفاه عمر من مقامه باليمن أربعين فرسخاً .

ومنها : نفىه أبا ذر إلى الرَبِذَةِ وقُزَويجِه مروان بن الحكم ابنته وتسليمه خمس غنائم إفريقية إليه ، وقد بلغ هاتني ألف دينار .

ومنها : اياؤهُ عبدالله بن سعد بن أبي سرح بعد أن أهدر النبي (ص) دمه وتوليتهُ إياه مصراً وتوليتهُ عبدالله بن عامر البصرة حتى أحدث ما أحدث ، وكان امراء جنوده معاوية بن أبي سفيان عامل الشام وسعيد بن العاص عامل الكوفة ، وبعده عبدالله بن عامر ، والوليد بن عتبة عامل البصرة .

التاسع : في زمن أمير المؤمنين عليه السلام بعد الاتفاق عليه وعقد البيعة له ، فلولا خروج طلحة والزبير إلى مكة ، ثم حمل عائشة إلى البصرة ، ثم نصب القتال معه ويعرف ذلك بحرب الجمل ، والخلاف بينه وبين معاوية وحرب صفين ومغادرة عمرو بن العاص أبا موسى الأشعري ، وكذا الخلاف بينه وبين الشراة المارقين بالنهروان ، وبالجملية كان علي عليه السلام مع الحق والحق معه ، فظهر في زمانه الخوارج عليه مثل الأشعث بن قيس ومسعود بن مدكي التميمي وزيد بن حصين الطائي وغيرهم ، وظهر في زمانه الغلاة كعبدالله بن سبأ ومن الفريقين ابتدأت البدعة والضلالة ، وصدق فيه قول النبي (ص) : ظهر فيه اثنان محبّ غال ومبغض قال ، فانظر بعين الانصاف إلى كلام هذا الرجل هل خرج موجب الفتنة عن المشايخ أو تعدّاهم .

وفي نهج الحق وكشف الصدق للعلامة الحلبي قدس سرّه أنّه قال : كان يستهزئ بالشرائع ويتجرأ على المخالفة لها وفي صحيح مسلم أنّ امرأة دخلت على زوجها فولدت لستة أشهر ، فذكر ذلك لعثمان فأمر بها أن ترجم فدخل عليه علي عليه السلام فقال له : إنّ الله عزّ وجلّ يقول : ﴿ حمّله وفصاله ثلاثون شهراً ﴾ وقال أيضاً : ﴿ وفصاله في عامين ﴾ قال :

فوالله ما عند عثمان إلا أن بعث إليها فرجمت ، فكيف استجاز أن يقول هذا القول ويقدم على قتل امرأة مسلمة عمداً من غير ذنب وقد قال الله تعالى : ﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً أليماً ﴾ . وقال الله تعالى : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ﴾ .

وفي الجمع بين الصحيحين أن عثمان وعلياً عليه السلام حجا ونهى عثمان عن المتعة وفعلها أمير المؤمنين عليه السلام ، - وأتى بعمره التمتع ، فقال عثمان : أنهي الناس وأنت تفعله ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : ما كنت لأدع سنة رسول الله صلى الله عليه وآله يقول أحد .
ومنها جرأته على رسول الله صلى الله عليه وآله .

روى الحميدي في تفسير قوله تعالى : ﴿ ولا تنكحوا أزواجه من بعده أبداً ﴾ قال السدي : لما توفي أبو مسلمة وعبدالله بن حذافة وتزوج النبي امرأتها أم سلمة وحفصة ، قال طلحة وعثمان : أينكح محمد نساءنا إذا متنا ولا ننكح نسائه إذا مات ، والله لو قد مات لقد أجلىنا على نسائه بالسَّهَم ، وكان طلحة يريد عائشة وعثمان يريد أم سلمة فأنزل الله تعالى : ﴿ وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيماً ﴾ ، وأنزل الله أيضاً : ﴿ إن تبدوا شيئاً أو تخفوه ﴾ وأنزل أيضاً : ﴿ إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة ﴾ .

أقول : ومن غريب ما بلغوا إليه من الطعن في أصل عثمان ونسبه ما رواه علمائهم وروى مؤلف كتاب إلزام النواصب عن محمد بن السائب الكلبي قال : وممن كان يلعب به ويفتحل^(١) عفان أبو عثمان قال : وكان يضرب بالذِّف فمن هذا أبوه هل يصلح للخلافة .

(١) وفي نسخة أخرى : ويتخنت .

وقال العلامة الحلبي قدس سره في نهج الحق : ومنها : أَنَّ الصَّحَابَةَ تبرؤا منه ، فَإِنَّهُمْ تركوه بعد قتله ثلاثة أيام لم يدفنوه ، ولا أنكروا على من أجلب عليه من أهل الأمصار بل أسلموه ، ولم يدفعوا عنه بل أعانوا عليه ، ولم يمنعوا من حصره ولا من امنع الماء عنه ، ولا من قتله مع تمكنهم .

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أَنَّهُ قال : الله قتله وأنا معه ، أي مع الله أحكم بما حكم الله به .

وروي الواقدي : إِنَّ أهل المدينة منعوا من الصلاة عليه حتى حمل بين المغرب والعتمة ، ولم يشهد جنازته غير مروان وثلاثة من مواليه ، ولما احسوا بذلك رموه بالحجارة وذكروه بأسوأ الذكر ، ولم يقع التمكن من دفنه إلا من بعد أن أنكر أمير المؤمنين عليه السلام المنع من دفنه .

قال بعض الصَّالِحِينَ : والعجب ثم العجب ممن يروي مثل هذه الأخبار ، ثم يتولاهم ويجعلهم واسطة عنهم بينه وبين الله تعالى ما عذرهم يوم يتبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وقطعت بهم الأسباب .

المطلب الرابع

في بعض المثالب التي روتها العامة في عائشة

روى مؤلف كتاب إلزام النواصب والعلامة الحلبي في نهج الحق عن الحميدي في الجمع بين الصحيحين عن عائشة أَنَّ النبي صَلَّى الله عليه وآله كان يمكث عند زينب بنت جحش يأكل عندها عسلاً فَأَلَيْتُ أَنَا وحفصة أَنَا متى دخل علينا رسول الله فلنقل له أَنَا نجد منك ريح معاقير وأكلت معاقير فدخل على إحداهما فقالت له ذلك ، فقال : بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش ولن أعود له ، فنزل : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ﴾ انظروا إلى عائشة وحفصة كيف تعمدا الكذب على رسول الله (ص) لتحكما ما أحل الله عليه له ،

وفي الجمع بين الصحيحين أيضاً قال : خرج النبي (ص) من بيت عائشة فقال : رأس الكفر من ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان وخروجها على أمير المؤمنين عليه السلام عاصية لله ولرسوله معلوم ، وقد أمرها الله تعالى بالاستقرار في بيتها فهتكت حجاب الله وحجاب رسوله متبرجة في جحفل يزيد على ستة عشر ألفاً تطلب بدم عثمان ، وليست هي من أولياء الدّم ولا لها حكم الخلافة ، ولقد كانت تحرض على قتل عثمان وتقول : اقتلوا نعثلاً قتل الله نعثلاً ، فلما قتله المهاجرون والأنصار وبايعوا علياً خرجت طالبة بدمه ، وفرقت جماعات المسلمين وألقت الفتنة بينهم حتى قتل بينهم خلق كثير وجم غفير .

وفي الجمع بين الصحيحين أيضاً أن ابن الزبير دخل على عائشة في مرضها فقالت : إني قاتلت فلاناً وسمت القاتل برجل فائنت عليه ، وقالت : إني رددت إني كنت نسياً منسياً فليُنظر العاقل إلى ما روى أولياء عائشة من الذي ورد عنها من الفعل القبيح في حياة رسول الله وبعد وفاته ، وما رواوا عنه (ص) أنه أخبر عنها أنها رأس الكفر ، وأنها أصل الفتنة وهتكها حجاب الله وحجاب رسوله الذي ضربه عليها وخروجها متبرجة بعد قوله تعالى : ﴿ ولا تبرجن تبرج الجاهلية ﴾ ثم يفضلونها مع بعد ذلك على فاطمة التي أذهب الله عنها الرجس وطهرها تطهيراً ، وعلى خديجة التي هي أول من صدقه وآمن به وانفقت عليه مالها .

وروت عائشة وغيرها أن الله تعالى أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن يشر خديجة ببيت في الجنة من ذهب ، وولدت له فاطمة أم الحسن وأم الحسين ، وذلك من قلة الانصاف والميل والانحراف .

ولقد أنكر الحافظ من علماء السنة في كتاب الانصاف غاية الانكار على من يساوي عائشة بخديجة انتهى كلامهما رحمهما الله .

وفي نهج الحق عن الحميدي في الجمع بين الصحيحين أيضاً أن عمر خليفة أبيها شد عليها بذلك ونقل الغزالي سوء صحبتها لرسول الله

(ص) فقال : إِنَّ أباهَا أبا بكر دخل يوماً على النبي (ص) وقد وقع منها في حق النبي (ص) أمر مكروه فكلفه النبي أن يسمع ما جرى ويدخل بينهما ، فقال رسول الله (ص) تتكلمين أو أتكلمن ؟ فقالت : بل تكلم ولا تقل إلا حقاً فلينظر العاقل إلى هذا الجواب وهل كان عنده إلا الحق .

وفيه عن نافع عن ابن عمر قال : قام النبي (ص) خطيباً فأشار إلى نحو مسكن عائشة وقال : ههنا الفتنة ثلاثاً من حيث يطلع قرن الشيطان .

وفيه أيضاً عن الحميدي في الجمع بين الصحيحين أيضاً أن النبي أراد أن يشتري موضع المسجد من بني النجار فوهبوه له وكان فيه نخل وقبور المشركين فقطع النخل وخرب القبور ، وقد قال الله تعالى : ﴿ لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾ ومن المعلوم أن عائشة لم يكن لها ولا بيها دار بالمدينة ولا إثرها ولا بيت واحد من أقاربها وأدعت حجرة اسكنها فيها رسول الله (ص) فسلمها أبوها إليها ولم يفعل كما فعل بفاطمة عليها السلام ، وخرجت عائشة إلى قتال أمير المؤمنين عليه السلام ومعلوم أنها غاصبة بذلك أما أولاً فلأن الله تعالى قد نهاها عن الخروج وأمرها بالاستقرار في منزلها فهتكت حجاب الله ورسوله وتبرجت وسافرت في محفل عظيم وجم غفير يزيد على ستة عشر ألفاً .

وأما ثانياً فلأنها ليست ولي الدّم حتى تطالب به ولا لها حكم الخلافة فبأي وجه خرجت للطلب .

وأما ثالثاً فإنها طلبته من غير من عليه الحق لأن أمير المؤمنين عليه السلام لم يحضر قتله ولا أمر به ولا واطأ عليه ، وقد ذكر ذلك كثيراً .

وأما رابعاً فلأنها كانت تحرص على قتل عثمان وتقول : اقتلوا نعثلاً قتل الله نعثلاً ، فلما بلغها قتله فرحت بذلك ، فلما قام أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة اسندت القتل إليه وطالبت به بدمه لبغضها له وعداوتها معه عليه السلام ، ثم مع ذلك تبعها خلق عظيم وساعدها عليه جماعة كثيرة أوفاً مضاعفة ، وفاطمة عليها السلام لما جاءت تطالب بحق ارثها الذي

جعله الله لها في كتابه العزيز وهي محقة فيه ، لم يتبعها مخلوق ولم يساعدها بشر ، ثم أنها جعلت بيت رسول الله مقراً لأبيها ولعمر وهما أجنبيان عن النبي (ص) ، فإن كان هذا البيت ميراثاً فكان من الواجب استئذان جميع الورثة وإن كان صدقة للمسلمين ، فكان يجب استئذانهم الورثة وإن كان ملكاً لعائشة كذبه ما تقدم من أنها لم يكن لها بيت ولا مسكن ولا دار بالمدينة .

وفي طرائف ابن طاوس رحمه الله وأنه قال : ولقد أعجبني حديث وقفت عليه في المعنى وهو أن امرأة من الكوفيات دخلت على عائشة فقالت : يا أم المؤمنين ما تقولين في امرأة قتلت ولدها عمداً وهو مؤمن ، فقالت : تكون كافرة لأن الله تعالى يقول : ﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها و غضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً ﴾ ، فقالت لها الكوفية : فما تقولين في أم قتلت ستة عشر ألفاً من أولادها المؤمنين ، ففهمت عائشة أنها قد وافقتها على قتل من قتل بطريقها وحر بها في البصرة من الأخيار والصالحين ، فقالت عائشة : اخرجوا عدوة الله عني . أقول : إن مثالبها عليها ما عليها أكثر من أن تحصى ، وذكر أزيد مما ذكرنا يورث الكلال ويضاعف حجم الكتاب ، فالحري الاقتصار على ما ذكرنا ولكن قد خطر ببالي اختتام المطلب بذكر نسب طلحة والزبير لمناسبة حاصلة في مصاحبتهم معها في الأواخر .

فنقول : أما طلحة بن عبيد الله فقد ذكر العلامة الحلي في نهج الحق أنه ذكر أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي من علماء الجمهور أن من جملة البغايا وذوي الرايات صعبة بنت الحضرمي أم طلحة كانت لها راية بمكة واستصفت بأبي سفيان فوقع عليها أبو سفيان وتزوجها عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم فجاءت بطلحة بن عبيد الله لستة أشهر فاغتصم أبو سفيان وعبيد الله في طلحة فجعلوا أمرهما إلى صعبة فالحقته بعبيد الله فقليل لها : كيف تركت أبا سفيان ؟ فقالت : يد عبيد الله طلقة ويد أبي سفيان نكرة .

قال : وأيضاً ممّا يلعب به ويتخنّث عبید الله أبو طلحة فهل يحلّ لعاقل المخاصمة مع هؤلاء لعلي عليه السلام .

وقال أيضاً : ممن كان يلعب به ويفتحل عفان أبو عثمان فكان يضرب بالذّف .

وأما الزبير بن العوام فقد ورد في كتاب إلزام النواصب أنّ العوام كان عبداً لخويلد ثم اعتقه وتبنّاه ولم يكن من قريش ، وذلك أنّ العرب في الجاهلية إذا كان لأحدهم عبد وأراد أن ينسبه إلى نفسه ويلحقه بنسبه اعتقه وزوّجه كريمة من العرب ، فألحقه بنسبه وكان هذا من سنن العرب ، وقد فعل ذلك رسول الله بزيد بن الحارثة الكلبي وكان زيد قد سرق من أبيه حارثة الكلبي فبيع في سوق عكاظ فاشتراه رسول الله (ص) بمال خديجة رضي الله عنها ، فلما أظهر رسول الله الدّعوة سارعت خديجة رحمها الله إلى الإسلام ، فسارع زيد أيضاً إليه فاستوهبه النبي من خديجة ليعتقه ففعلت خديجة رحمه الله ذلك ، وبلغ أباه الخبر أنّه مع رسول الله (ص) بمكة ، فأقبل أبوه إلى مكة في طلبه ، وكان أبوه حارثة من وجوه بني كلاب ، فصار إلى أبي طالب رضي الله عنه في جماعة من العرب يتوجّه بهم إلى رسول الله (ص) ليردّ عليه ابنه زيدا بعتق أو بيع ، فقال رسول الله (ص) هو حرّ فليذهب زيد حيث شاء ، فقال له أبوه : إلحق يا بني بقومك وحسبك ونسبك ، فقال زيد : ما كنت لأفارق رسول الله صلّى الله عليه وآله ، فجهد به أبوه فقال : ما أفارق رسول الله صلّى الله عليه وآله ، فقال : إني أتبرأ منك ، فقال زيد : ذلك إليك ، فقال حارثة : يا معاشر قريش والعرب اشهدوا إني تبرأت من زيد ، فليس هو ابني ولا أنا أبوه ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : يا معاشر قريش زيد ابني وأنا أبوه فدعي زيد بابن محمد على رسمهم الذي كان في الجاهلية في ادّعائهم . وكان كذلك حتى هاجر رسول الله (ص) ثم تزوّج بامرأة فأنكر ذلك جماعة من الصّحابة فقال الله تعالى في وحيه : ﴿ ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ﴾ ثم قال : ﴿ وما جعل أبنائكم ادعائكم ذلكم قولكم ﴾ الآية ،

والعوام أبو الزبير إنما نسب إلى خويلد على هذه الحالة لا على أنه ابنه لصلبه ويصدق ذلك شعر عدي بن حاتم الطائي رحمه الله في عبدالله بن الزبير بحضرة معاوية ، وذلك أن عدي ذهب عينه يوم الجمل وهو مع علي عليه السلام ، ثم قدم على معاوية وعنده جماعة من قريش ، وفيهم عبدالله بن الزبير ، دعنا نكلم عدياً فقد زعموا أنه ليس عنده جواباً ، فقال : إني احذركم ، فقالوا : لا عليك دعنا وإياه ، فقال ابن الزبير : يا أبا طريف متى فقيت عينك ، فقال : يوم فرأبوك وقتل أشرت قتلة وضربك الأشرت على رأسك فوقعت هارباً من الزحف ، ثم أنشد شعراً :

أما وابي يابن الزبير لو انني لقيتك يوم الزحف ما دمت لي سخطا
وكان أبي من طي ثم أبوابي صحيحين لم تنزع عروقهما القبطا
ولو دمت شتمي عند عدل فإنما لرميت به يابن الزبير بذا سخطا

فقال معاوية : قد كنت حذرتكموه فأبيتهم فقولوه صحيحين لم تنزع عروقهما القبطا تعريض بابن الزبير بأن أباه وأبا أبيه ليسا بصحيحين وأباهما من القبط ولم يستطع ابن الزبير إنكار ذلك في المجلس .

ثم قال مؤلف كتاب إلزام النواصب : وشأن امية بن عبد الشمس شأن العوام إلى خويلد ، فبنو امية جميعهم ليسوا من حميم قريش ، وإنما هم ملحقون به ، وتصديق ذلك جواب أمير المؤمنين عليه السلام لمعاوية حين كتب إليه : وإنما نحن وأنتم من بني عبد مناف ، وكان جواب علي عليه السلام : ليس المهاجر كالطليق ولا الصريح كاللصيق ، هذه شهادة من علي عليه السلام على بني امية إنهم الطلقاء وليسوا بصحيحي النسب إلى عبد مناف ، ولم يستطع معاوية إنكار ذلك انتهى .

أقول : ونظيره ما في تفسير الصافي للفاضل الكاشي رحمه الله في سورة الروم ، قال : قرأ في الشواذ غلبت بالفتح وسيغلبون بالضم وعليه بناء ما في الاستغاث لابن ميثم ، قال : لقد رونا من علماء أهل البيت في أسرارهم وعلومهم التي خرجت منهم إلى علماء شيعتهم أن قوماً ينسبون

إلى قريش وليسوا من قريش بحقيقة النسب، وهذا إنما لا يعرفه إلا معدن النبوة وورثة علم الرسالة، وذلك مثل بني أمية ذكروا أنهم ليسوا من قريش وإن أصلهم من الروم، وفيهم تأويل هذه الآية: ﴿ أَلَمْ غَلِبَتِ الرُّومُ ﴾ ومعناه أنهم غلبوا مثل الملك وسيغلبهم على ذلك بنو العباس انتهى .

المطلب الخامس في مطاعن معاوية

ونبذة من أحوال تابعيه من عمرو بن العاص ومروان بن الحكم وزباد بن أبيه وذكر نسبهم ونسب يزيد بن معاوية وعمر بن سعد :

فنقول : أما مطاعن معاوية فهي أكثر من أن تحصى ، منها ما ذكره العلامة الحلبي قدس سره في نهج الحق عن الحميدي في الجمع بين الصحيحين قال : قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله : ويح عماراً قتله الفئة الباغية ، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار ، فقتله معاوية ، ولما سمع معاوية اعتذر فقال : قتله من جاء به ، فقال ابن عباس : فقد قتل رسول الله حمزة لأنه جاء به إلى الكفار . ومنها أن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله دعا عليه .

وفيه أيضاً : روى مسلم في الصحيح عن ابن عباس قال : كنت مع الصبيان فجاء رسول الله فتواريت خلف باب ، قال : فخطاني خطوة وقال : اذهب فادع لي معاوية ، قال : فجئت وقلت : هو يأكل ، فقال : لا أشبع الله بطنه ، قال : حسن بن المثنى : ما معنى قوله فخطاني ؟ فقال : وقدني وقدة فلولم يكن عنده معاوية من أشد المنافقين لما دعا عليه لأنه كما وصفه الله تعالى بأنك لعلی خلق عظيم ، وقال في حقّه : فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فلعلّك باخع نفسك على أثارهم ومن يقارب قتل نفسه على الكفار كيف يدعو على مسلم عنده . وقال الله تعالى : ﴿ إن تستغفر لهم سبعين مرة ﴾ فقال : والله لأزيدن على السبعين .

وقد ورد في تفسير ﴿ إِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ ﴾ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ كُلَّمَا أَذَاهُ الْكُفَّارَ مِنْ قَوْمِهِ قَالَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ، فَلَوْلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مُنَافِقًا لَكَانَ يَدْعُو لَهُ وَلَا يَدْعُو عَلَيْهِ ، وَكَيْفَ جَازَ لِمَعَاوِيَةَ أَنْ يَعْتَذِرَ بِالْأَكْلِ مَعَ أَنَّهُ (ص) قَالَ : لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ حَتَّىٰ دَعَا عَلَيْهِ النَّبِيُّ (ص) مَعَ أَنَّهُ مَا يَنْطَلِقُ عَنِ الْهَوَىٰ فَيَكُونُ الدَّعَاءُ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى .

ومنها أَنَّهُ خَاصِمٌ عَلِيًّا وَقَتْلُ جَمْعًا كَثِيرًا لَا تَحْصِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَدْخَلَ الشَّيْخُ عَلَى أَكْثَرِ الْبَاقِينَ مَعَ أَنَّ الْأَمْرَ لِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْإِجْمَاعِ عِنْدَهُمْ وَمُبَايَعَةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَالنَّصَّ مِنَ النَّبِيِّ (ص) وَاسْتِحْقَاقِهِ بِوَسْاطَةِ الْعَصْمَةِ .

ومنها أَنَّهُ قَالَ : أَنَا أَحَقُّ بِالْخِلَافَةِ مِنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَرَوَى الْحَمِيدِيُّ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ الصَّحَابَةِ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ : دَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ نَوَسَاتِهَا تَنْظِفُ ، قُلْتُ : قَدْ كَانَ مِنْ أَمْرِ النَّاسِ مَا تَبَيَّنَ ، فَلَمْ يَجْعَلْ لِي مِنَ الْأَمْرِ شَيْءً ، فَقَالَتْ : الْحَقُّ بِهِمْ فَإِنَّهُمْ يَنْتَظِرُونَكَ وَأَخْشَى أَنْ يَكُونَ فِي احْتِبَاسِكَ عَنْهُمْ فِرْقَةٌ ، فَلَمْ تَدْعِهِ حَتَّىٰ ذَهَبَ ، فَلَمَّا تَفَرَّقَ النَّاسُ خُطِبَ مَعَاوِيَةُ فَقَالَ : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي هَذَا الْأَمْرِ فَلْيُطْلِعْ لَنَا قَرْنَهُ فَلَنُحْنِ أَحَقَّ مِنْهُ وَمِنْ أَبِيهِ .

قال الحميدي : وأراد عبدالله بن عمر أن يجيب معاوية عن ذلك فأمسك في الجواب ، فإن كان ما قاله معاوية حقاً فقد ارتكب عمر بن الخطاب في أخذه الخلافة باطلاً ، وإن كان باطلاً فكيف يجوز تقدمه على طوائف المسلمين .

ومنها أَنَّ النَّبِيَّ (ص) يَلْقَاهُ دَائِمًا وَيَقُولُ : الطَّلِيقُ ابْنُ الطَّلِيقِ اللَّعِينُ ابْنُ اللَّعِينِ . وَقَالَ : إِذَا رَأَيْتُمْ مَعَاوِيَةَ عَلَى مَنبَرٍ فَاقْتُلُوهُ ، وَكَانَ مِنْ مُؤَلِّفَةِ الْقُلُوبِ ، وَلَمْ يَزَلْ مُشْرِكًا مَدَّةَ كَوْنِ النَّبِيِّ (ص) مَبْعُوثًا يَكْذِبُ بِالْوَحْيِ وَيَهْزَأُ بِالْشَّرْعِ ، وَكَانَ يَوْمَ الْفَتْحِ بِالْيَمَنِ لِيَطْعَنَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (ص) ، وَيَكْتَبُ

إلى أبيه صخر بن حرب يعبره بالإسلام ويقول : أصبأت إلى دين محمد
وفضحتنا حيث يقول الناس : إن ابن هند تخلى عن العزى وكان الفتح في
شهر رمضان لثمان سنين من قدوم النبي (ص) المدينة ، ومعاوية يومئذ
مقيم على الشرك هارب من رسول الله ، لأنه كان قد هدر دمه فهرب إلى
مكة ، فلما لم يجد له مأوى صار إلى النبي (ص) مضطراً فإظهر
الإسلام ، وكان إسلامه قبل موته بخمسة أشهر ، وطرح نفسه على العباس
ليشفع إلى رسول الله (ص) فعفى عنه ، ثم شفع إليه أن يكون من جملة
خمسة عشر ليكتب له الرسائل .

ومنها : أنه روى عبد الله بن عمر قال : أتيت النبي صلى الله عليه وآله
فسمعتة يقول : يطلع عليكم رجل يموت على غير ستي فطلع معاوية .

ومنها : أن النبي كان ذات يوم يخطب فأخذ معاوية بيد ابنه يزيد
وخرج ، ولم يسمع الخطبة ، فقال رسول الله (ص) : لعن الله القائد
والمقود ، أي يوم يكون لهذه الأمة من معاوية ذي الإساءة .

ومنها : أنه سب أمير المؤمنين عليه السلام مع الآيات التي نزلت في
تعظيمه ، وأمر الله تعالى النبي (ص) بالاستعانة به على الدعاء يوم المباهلة
ومؤاخاة النبي ، واستمر سبه ثمانين سنة إلى أن قطعه عمر بن عبدالعزيز ،
وفيه قال ابن سنان الخفاجي شعراً ، قال رضي الله عنه :

أعلى المنابر تعلنون بسبه ويسيفه نصبت لكم أعوادها

ومنها : أنه سم مولانا الحسن عليه السلام وقتل ابنه يزيد لعنه الله
مولانا الحسين عليه السلام وسبي نسائه ، وهدم الكعبة ونهب المدينة ،
وأخافهم وكسر أبوه ثنية النبي ، وأكلت أمه هند كبدة حمزة ، فما أدري
كيف العقل الذي قاد من أحاطت به هذه الرذائل إلى متابعتها .

ومنها : أنه نزل في حقه وحق أنسابه والشجرة الملعونة في القرآن .

ومنها : أن الحافظ أبا سعيد اسماعيل بن علي السمان الحنفي ذكر في

كتاب مثالب بني أمية والشيخ أبو الفتوح جعفر بن محمد الهمداني في كتابه بهجة المستفيد : أن المسافر بن عمرو بن أمية بن عبد شمس كان ذا جمال وسخاء عشق هنداً وجامعها سفاحاً ، فاشتهر ذلك في قريش ، وحملت هند ، فلما ظهر السفاح هرب مسافر من أبيها عتبة إلى الحيرة ، وكان فيها سلطان العرب عمرو بن هند ، وطلب عتبة أبو هند سفيان ووعد بمال كثير وزوجه ابنته هنداً ، فوضعت بعد ثلاثة أشهر بمعاوية ، ثم ورد أبو سفيان على عمرو بن هند أمير العرب فسأله مسافر عن حال هند ، فقال : إني تزوجتها فمرض مسافر ومات .

ومنها : ما رواه أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي في كتاب المثالب فقال : كان معاوية لأربعة لعامة بن الوليد بن المغيرة المخزومي ، ولمسافر بن عمرو ولأبي سفيان ولرجل آخر سمّاه ، قال : وكانت هند أمة من المغتلمات ، وكان أحب الرجال إليها السودان ، وكانت إذا ولدت أسود قتلته وأما خمامة فهي بعض جذات معاوية ، كان لها راية بذي المجاز ، يعني من ذي الغايات في الزنا ، وأدعى معاوية أخوة زياد وكان له مدع يقال له أبو عبيد عبد بني علاج من ثقيب ، فأقدم معاوية على تكذيب ذلك الرجل مع أن زياداً ولد على فراشه ، وأدعى معاوية أن أبا سفيان زنا بوالدة زياد ، وهي عند زوجها المذكور وأن زياداً من أبي سفيان ، فانظر إلى هذا الرجل بل إلى القوم الذين يعتقدون فيه الخلافة ، وإنه حجة الله في أرضه والواسطة بينهم وبين ربهم وينقلون عنه أن أباه زنى باخته هل يقاس بمن قال الله تعالى في حقّه : ﴿ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ انتهى كلام العلامة قدس سرّه .

ونقل السيد نور الله ثراه في مجالس المؤمنين عن الزمخشري في زبيح الأبرار ما يقرب مما نقله العلامة ، فقال : كان معاوية يعزى إلى أربعة إلى عمرو بن مسافر وإلى أبي عمارة بن الوليد وإلى العباس بن عبد المطلب وإلى الصباح بن أسود ، كان لعمارة . وقالوا : كان أبو سفيان دميماً قصيراً ، وكان الصباح عتيقاً لأبي سفيان شاباً وسيماً ، فدعته هند إلى

نفسها ، وقالوا : إِنَّ عتبة بن أبي سفيان من الصَّباح أيضاً ، وإنَّها كرهت أن تضعه في منزلها ، فخرجت إلى اخبَاء فوضعتة هناك ، وفي ذلك يقول حسان شعراً :

لمن الصَّبي بجانب الوهد ملقى فريداً غير ذي مهد
بخلت به بيضاء أنسه من عبد شمس صلبه الجد
أقول : ومن العجب أنهم يشهدون على أئمتهم أنهم أولاد زنا وأولاد مخانيث ، ثم يقدّمونهم على من ليس فيهم عيب ، ولا في أنسابهم ريب .

وفي نهج الحق روى بإسناده عن النبي صلَّى الله عليه وآله أنه قال : من أعان على قتل امرئ مسلم ولو بشرط كلمة لقي الله يوم القيامة مكتوباً على جبهته آيس من رحمة الله .

وفيه أيضاً عن صاحب كتاب الهاوية فيه أن معاوية قتل أربعين ألفاً من المهاجرين والأنصار وأولادهم ، ثم قال : ومنه عن ابن مسعود لكل شيء آفة وآفة هذا الدين بنو أمية ، والأخبار في ذلك أكثر من أن تحصى ، وقد نقل الجمهور أضعاف ما نقلناه ، وقد كان ظلم معاوية معروفاً عند كل أحد حتى النساء .

وفيه أيضاً وروى الجمهور أن أروى بنت الحرث بن عبد المطلب دخلت على معاوية في خلافته بالشام وهي يومئذ عجوزة كبيرة ، فلما رآها قال : مرحباً بك يا خالة . قالت : كيف أنت يا ابن اختي لقد كفرت النعمة وأسأت لابن عمك الصَّحبة وتسميت بغير اسمك ، وأخذت بغير حقك بلا بلاء كان منك ولا من أبيك بعد أن كفرتم بما جاء به محمد صلَّى الله عليه وآله ، فأتعس الله منكم الحدود ، وصغّر منكم الجدود ، حتى ردَّ الله الحق إلى أهله ، وكانت كلمة الله هي العليا ، ونبينا هو المنصور على كل من ناواه ، ولو كره المشركون ، فكنا أهل البيت أعظم الناس من هذا الذين بلاء وعن أهله عناء ، وقدراً حتى قبض الله نبيّه مغفوراً ذنبه مرفوعة

منزله شريفاً عند الله ، مرضياً ، فوثب علينا بعده تيم وعديّ وبنو أمية ، فانت منهم تهدي بهديهم وتقصد لقصدهم ، فصرنا بحمد الله فيكم أهل البيت بمنزلة قوم موسى في آل فرعون يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم وصار سيدنا منكم بعد نبينا بمنزلة هارون من موسى حيث يقول : يابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني ، فلم يجمع بعد رسول الله شمل ولم يسهل وعت وغابتنا الجنة وغابتكم النار . فقال لها عمرو بن العاص : آيتها العجوز الضالة اقصري من قولك وغضي من طرفك . قالت : من أنت؟ قال : أنا عمرو بن العاص . قالت : يابن النابغة أربع على ضلعك واغنى لسان نفسك ما أنت من قريش في لباب حسبها ، ولا صحيح نسبها ، ولقد ادعاك خمسة من قريش ، كلهم يزعم أنك ابنه ، ولطال ما رأيت أمك أيام منى بمكة تكسب الخطيئة ، وتترن الدراهم من كل عبد عامر هايج ، وتسافخ عبيدنا ، فأنت بهم أليق ، وهم بك أشبه ، منك يقرع بينهم ، والأخبار في ذلك أكثر من أن تحصى ، ووقائع الردية أشهر والله تعالى يعلم بالأمور .

أقول : هذا ما أردنا ذكره من مطاعن معاوية ، وأما ما وعدناك من أحوال متابعيه فنقول : أما عمرو بن العاص فقال ابن أبي الحديد في شرح النهج في ترجمته هو عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن سهم بن حصين بن لعب أبوه العاص بن وائل أحد المستهزئين برسول الله (ص) والمكاشفين له بالعداوة والأذى . وفيه وفي أصحابه نزل قوله تعالى : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ ويلقب عاص بن وائل في الإسلام بالآبتر ، لأنه قال لقريش : سيموت هذا الأبر غداً فينقطع ذكره ، يعني رسول الله (ص) بمكة ويشتمه ويضع في طريقه الحجارة ، لأنه يخرج من منزله ليلاً فيطوف بالكعبة ، فكان عمرو يجعل له الحجارة في مسلكه ليعثر بها وهو أحد القوم الذين خرجوا إلى زينب ابنة رسول الله لما خرجت مهاجرة من مكة إلى المدينة ، فروعوها وقرعوا هودجها بكموب الرماح حتى اجهضت جنيماً ميتاً من أبي العاص بن الربيع

بعلها ، فلما بلغ ذلك رسول الله (ص) قال منه : وشق عليه مشقة شديدة ولعنهم ، روى ذلك الواقدي .

وفيه أيضاً روى الواقدي وغيره من أهل الحديث : إن عمرو بن العاص هجا رسول الله هجاء كثيراً ، كان يعلمه صبيان مكة فينشدونه ويصيحون رسول الله إذا مر بهم رافعين أصواتهم بذلك الهجاء ، فقال رسول الله (ص) وهو يصلي بالحجر : اللهم إن عمرو بن العاص هجاني ولست بشاعر فإلغ عنه بعدد ما هجاني . ولشدة عداوة عمرو بن العاص مع رسول الله (ص) أرسله أهل مكة إلى النجاشي لينزله في الدين وليطرد عن بلاده مهاجرة حبشة ، وليقتل جعفر بن أبي طالب عنده إن أمكنه قتله ، فكان منه في أمر جعفر هناك ما هو مذكور مشهور في السير .

وفيه أيضاً عن الزمخشري في كتاب ربيع الأبرار قال : كانت النابغة أم عمرو بن العاص أمة لرجل من غيرة ، فسبيت فاشتراها عبد الله بن جزعان التيمي بمكة ، فكانت بغياً ، ثم أعتقها فوقع عليها أبو لهب بن عبد المطلب وأمّية بن خلف الجمحي وهشام بن المغيرة المخزومي وأبو سفيان بن الحرب والعاص بن وائل السهمي في طهر واحد ، فولدت عمرواً فادّعاه كلهم فحكمت أمه فيه فقالت : هو من العاص بن وائل ، وذلك لأن العاص بن وائل كان يتفق عليها كثيراً . قالوا : أوكأن أشبه بأبي سفيان وفي ذلك يقول أبو سفيان بن الحرب بن عبد المطلب :

أبوك أبو سفيان لا شك لو بدت لنا فيك منه بينات الشمائل

وفيه أيضاً قال أبو عمرو بن عبد البر صاحب كتاب الاستيعاب : كان اسمها سلمى وتلقب بالنابغة بنت حرملة من بني حلان بن عبدة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، أصابها سباً فصارت إلى العاص بن وائل بعد جماعة من قريش فأولدها عمرواً ، قال أبو عمرو : يقال إنه جعل لرجل ألف درهم على أن يسأل عمرواً وهو على المنبر من أمه ، فسأله فقال : أمي سلمى بنت حرملة تلقب بالنابغة من بني عنزة ، ثم أخذ بني حلان وأصابته راح

العرب فبيعت بعكاظ فاشتراها الفاكه بن المغيرة ، ثم اشتراها منه عبدالله بن جذعان ، ثم صارت إلى العاص بن وائل فانتجبت فإن كان جعل ذلك شيء فخذ .

وفيه أيضاً عن أبي عبيدة معمر بن المثنى في كتاب الأنساب أن عمرواً اختصم فيه يوم ولادته رجلان أبو سفيان بن حرب والعاص بن وائل ، وقيل لتحكم أمه ، قالت أمه : من العاص بن وائل ، فقال أبو سفيان : أما إني لأشك أني وضعته في رحم أمه ، فأبت إلا العاص ، فقبل لها : أبو سفيان أشرف نسباً ، فقالت : إن العاص بن وائل كثير النفقة عليّ وأبو سفيان شحيح ، ففي ذلك يقول حسان بن ثابت لعمر بن العاص حيث هجاه مكافئاً له عن هجاء رسول الله (ص) :

أبوك أبو سفيان لا شك قد بدت لنا فيك عنه بينات الدلائل
ففاخر به أمأ فخرت ولا تكن تفاخر بالعاص الهجين بن وائل
وإن الشين في ذلك يا عمرو حكمت فقالت رجاء عند ذاك لنائل
من العاص عمرو تخبر الناس كلها تجمعت الأقوام عند المحافل

أما مروان بن الحكم فأمره أشهر من أن يذكر ، ولكننا نورد بعض ما ذكر في ذمه كما في شرح النهج عن ابن أبي الحديد قال : هو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وأمّه آمنة بنت علقمة بن صفوان بن أمية الكناني . ذكر ذلك أبو عمرو بن عبد البر في كتاب الاستيعاب ، وقيل : إنه لما نفي مع أبيه إلى الطائف كان طفلاً لا يعقل ، وإنه لم ير رسول الله (ص) وكان الحكم أبوه قد طرده رسول الله (ص) عن المدينة ، وسير إلى الطائف ، فلم يزل بها حتى ولي عثمان ، فرده إلى المدينة ، فقدمها هو وولده في خلافة عثمان ، وتوفي فاستكتبه عثمان وضمه إليه ، فاستولى عليه أن قتل ، والحكم بن أبي العاص هو عم عثمان بن عفان ، كان من مسلمة الفتح ، ومن المؤلفة قلوبهم ، وتوفي الحكم في خلافة عثمان قبل قتله بشهور ، واختلف في السبب

الموجب لنفي رسول الله (ص) . قيل : إنه يتحيل ويستخفي ويسمع ما سره رسول الله إلى أكابر الصحابة في المشركي فريش وسائر الكفار والمنافقين ، ويفشي ذلك عنه حتى ظهر ذلك عنه ، وقيل : كان يتجسس على رسول الله (ص) وهو عند نسائه ويتتبع السمع ويصغي إلى ما يجري هناك مما لا يجوز الاطلاع عليه ، ثم يحدث به المنافقين على طريق الاستهزاء ، وقيل : كان يحكيه في بعض مشيته وبعض حركاته فقد قيل إن النبي (ص) إذا مشا يتكفأ وكان الحكم بن العاص يحكيه وكان شائناً مبغضاً حاسداً ، فالتفت رسول الله (ص) يوماً فرآه يمشي خلفه يحكي في مشيته ، فقال له كذلك فلتكن يا حكم ، فكان الحكم مخلصاً يرتعش يومئذ فذكر ذلك عبدالرحمن بن حسان بن ثابت فقال لعبدالرحمن بن الحكم بهجوه شعراً :

إِنَّ اللَّعِينَ أَبُوكَ رَمَ عَظَامَهُ
يَمْشِي خَمِيصَ الْبَطْنِ مِنْ عَمَلِ التَّقَى
إِنْ تَرَمَ تَرَمَ مَخْلُجاً مَجْنُوناً
وَيُظَلُّ مِنْ عَمَلِ الْخَيْثِ بَطِيناً

قال صاحب الاستيعاب : أما قول عبدالرحمن بن حسان إن اللعين أبوك فإنه روى عن عائشة من طرق ذكرها ابن أبي خثيمة وغيره أنها قالت لمروان أو قالت في أخيه عبدالرحمن : أنه أنزل فيه : ﴿ والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك آمن أن وعد الله حق فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين ﴾ أما أنت يا مروان فاشهد أن رسول الله لعن أباك وأنت في صلبه .

وروى صاحب كتاب الاستيعاب بإسناد ذكره عن عبدالله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : يدخل عليكم رجل لعين قال عبدالله وكنت قد رأيت أبي يلبس ثيابه ليقبل إلى رسول الله (ص) ، فلم أزل مشفقاً أن يكون أول من يدخل ، فدخل الحكم بن أبي العاص .

قال صاحب كتاب الاستيعاب : ونظر علي عليه السلام يوم إلى مروان فقال له : ويل لك وويل لامة محمد (ص) منك ومن بنيك واشاب

ذراعاك وكان مروان يدعي خيط باطل قيل لأنه كان طويلاً مضطرباً ،
وضرب يوم الدار على قفاه فخر لعينه ، فلما بويع له بالخلافة قال فيه أخوه
عبدالرحمن بن الحكم وكان ماجناً شاعراً ، وكان لا يرى رأي مروان :

فوالله ما أدري وإني لسائل حليمة مضروب القفا كيف تصنع
لحا الله قوماً أمروا خيط باطل على الناس يعطي ما يشاء ويمنع
فسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

وفي مجمع البحرين في لغة الوزغ عن الباقر عليه السلام أنه قال :
لما ولد مروان عرضوا به لرسول الله (ص) أن يدعوله ، فأرسلوا به إلى
عائشة ، فلما قربت منه فقال : أخرجوا عني الوزغ بن الوزغ ، وفيه أنه
(ص) أمر بقتل الوزغ وفيه ليس يموت من بني أمية ميت إلا مسخ وزغاً .

وفي الحديث عن الصادق عليه السلام قال : كنت مع أبي قاعد في
الحجر فإذا بوزغ يولول بلسانه ، فقال أبي لرجل : أتدري ما يقول هذا
الوزغ ؟ فقال : لا أعلم . فقال : يقول والله لئن ذكرتم عثمان بشتمة
لاشتمن علياً .

ثم قال : إن عبد الملك بن مروان لما نزل به الموت مسخ وزغاً ،
فذهب من بين يدي من كان عنده ، وكان عنده ولده ، فلما أن فقدوه عظم
ذلك عليهم ، فلم يدروا كيف يصنعون ، ثم اجتمع أمرهم أن يأخذوا
جذعاً فيضعونه كهيئة الرجل ، قال : ففعلوا ذلك وألبسوا الجذع درع
حديد ، ثم ألغوه في الأكفان ، فلم يطلع عليه أحد من الناس إلا أنا وولده .

وفي الاحتجاج للطبرسي أن مروان بن الحكم يوم الجمل كان يرمي
بسهامه في العسكرين معاً ، ويقول : من أصبت منهما فهو فتح لقلّة دينه
وتهمته للجميع ، فسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

وأما زياد بن أبيه فذكر ابن أبي الحديد في شرح النهج عن شرح

كتاب كتبه علي عليه السلام ، وقد بلغني أن معاوية كتب إليه يريد خديعته هرباً باستلحاقه برخا من أحواله ونسبه حيث يقال : وأما زياد فهو زياد بن عبيد ، فمن الناس من يقول عبيد بن فلان وينسبه إلى ثقيف والأكثر يقولون إن عبيداً كان عبداً وأنه بقي إلى أيام زياد ، فابتاعه وأعتقه ، ثم قال : ونسبته لغير أبيه لخمول أبيه والدعوة التي استلحق بها ، فقيل : تارة زياد بن سمية وهي أمه كانت أمية للحارث بن كلدة بن عمرو بن علاج الثقفي طبيب العرب ، وكانت تحت عبيد وقيل تارة زياد ابن أبيه ، وقيل تارة زياد بن أمية ، ولما استلحق قال له أكثر الناس : زياد بن أبي سفيان ، لأن الناس مع الملوك الذين هم مظنة الرهبة والرغبة ، وليس اتباع الذين بالنسبة إلى اتباع الملوك إلا كالقطرة في البحر المحيط ، فأما ما كان يدعي به قبل الاستلحاق فزياد بن عبيد لا يشك في ذلك أحد .

وفيه أيضاً عن أبي عمرو بن عبد البر في كتاب الاستيعاب ، عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، عن أبيه ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس أن عمر بعث زياداً في إصلاح فساد واقع باليمن ، فلما رجع من وجهه خطب عند عمر خطبة لم يسمع مثلها ، وأبو سفيان حاضروا وعلي عليه السلام وعمرو بن العاص ، فقال عمرو بن العاص : لله أبو هذا الغلام لو كان قرشياً لساق العرب بعصاه ، فقال أبو سفيان : إنه لقرشي وأناي لأعرف الذي وضعه في رحم أمه . فقال علي عليه السلام : ومن هو؟ قال : أنا ، فقال : مهلاً يا أبا سفيان ، فقال أبا سفيان : أما والله لولا خوف شخص يراقي يا علي من الأعادي لأظهر أمره صخر بن حرب ، ولم يخف المقالة في زياد ، وقد طالت محاملتي ثقيفاً وتركي فيهم ثمر الفؤاد عني بقوله : لولا خوف شخص عمر بن الخطاب .

وفيه أيضاً عن أحمد بن يحيى البلاذري قال : تكلم زياد وهو غلام حدث بحضرة عمر أعجب الحاضرين ، فقال عمرو بن العاص : لله أبوه لو كان قرشياً لساق العرب بعصاه ، فقال أبو سفيان : أما والله أنه لقرشي ولو عرفته لعرفت أنه خير من أهلك ، فقال : ومن أبوه؟ قال : أنا والله

وضعت في رحم أمه . قال : فهلا تستلحقه . قال : أخاف هذا العير الحراب أن يخرق عليّ اهابي .

وفيه أيضاً عن محمد بن عمر الواقدي قال : قال أبو سفيان وهو جالس عند عمر وعلي عليه السلام هناك وقد تكلم زياد فأحسن أبت الناقب إلا أن تظهر في شمائل زياد ، فقال علي عليه السلام من أي بني عبد مناف هو؟ قال : أبنني . قال : كيف ؟ قال : أتيت أمه في الجاهلية سفاحاً . فقال علي عليه السلام : مه يا أبا سفيان ، فإن عمر إلى المساء سريع . قال : فعرف زياد ما دار بينهما فكأبت في نفسه .

ونقل السيد نور الله ضريحه في إحقاق الحق عن قطب الدين العلامة الشيرازي من كتابه نزهة القلوب أنه قال : أولاد الزنا نجباء لأن الرجل يزني بشهوته ونشاطه فيخرج الولد كاملاً وما يكون من الحلال ، فمن يضع الرجل إلى المرأة ولهذا كان عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان من دهاة الناس ، ثم ساق الكلام في بيان نسبهما على وجه نقل من كتاب ربيع الأبرار ، ثم زاد على ذلك فقال : ومنهم زياد بن أبيه وفيه يقول الشاعر :

ألا ابلغ معاوية بن حرب	لقد ضاقت بما يأتي اليدان
أتغضب أن يقال أبوك عفّ	وترضى أن يقال أبوك زاني
فاشهد أن رحمك من زياد	كرحم الفيل من ولد الاتان
واشهد أنها حملت زياداً	وصخر من سمية غير دان

انتهى كلام القاضي رحمه الله .

فيا عجباً من حياء هؤلاء فلأنه أقبح من حياء العوامر حيث جعلوا أولاد السفاح أنجب من أولاد النكاح ، وفضلوهم على من أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، وجعلوا بعضهم بين الله وخلقه سفيراً واتخذوه على الدين ظهيراً ، وعلى حالهم ومآلهم حاكماً وأميراً .

وأما يزيد بن معاوية فقد ذكر مؤلف كتاب إلزام النواصب والسيد نور الله مرقده في مجالس المؤمنين أن أمه ميسون بنت بجدل الكلبيّة أمكنت عبد أبيها من نفسها فحملت بيزيد وإلى هذا أشار النسابة البكري من علماء السّنة بقوله :

فإن يكن الزّمان أتى علينا بقتل التّرك والموت الوحي فقد قتل الدّعي وعبد كلب بأرض الطّفّ أولاد النّبي أراد بالدّعي عبيد الله بن زياد لعنه الله ، فإنّ أباه زياد بن سميّة كانت أمه سميّة مشهورة بالزّناء ، وولد على فراش أبي عبيد عبد بني علاج من ثقيف ، فادّعى معاوية أنّ أبا سفيان زنا بأُمّ زياد فأولدها زياداً ، وإنّه أخوه ، فصار اسمه الدّعي ، وكانت عائشة تسميه زياد ابن أبيه ، لأنّه ليس له أب معروف ومراده بعبد كلب يزيد بن معاوية لأنّه من عبد بجدل الكلبي .

وفي الأنوار النعمانيّة حكى عن كتب كثيرة أنّ يزيد قد تعشق عند عمّته ، وكانت بكراً ، فاستحى أن يظهر لها الحال ، فأراد أن يمتحنها فأتى معها إلى بستان ، فجلست في موضع فأمر أن ينزى حصان على فرس وعمّته تنظر إليهما ، فلمّا نزى عليها وهي تنظر إليهما أتى إليها يزيد وأمرها بالقيام من مكانها ، فلمّا قامت رأى في مكانها إراقة المني ، فعلم بإرادتها لذلك الغرض ، فأتى إليها ، فلمّا جامعها لم يجدها بكراً ، فقال لها : أين بكارتك ؟ فقالت له : إنّ أباك لم يترك بكراً ، فظهر له أنّ معاوية قد كان مخالطاً لها ، وهنا العجب العجيب والأمر الغريب .

ثم قال : وأما يزيد فحاله أشهر من أن يذكر وسبب ولادته على ما قاله بعض مفسّريهم أنّ معاوية ذات يوم كان يبول فلذعته عقرب في ذكره ، فزوجه عجوزاً ليجامعها ويشفي من دائها فجامعها مرّة وطلقها ، فوَقعت النّطفة مختلطة بسمّ العقرب في رحم العجوز فحصل منها يزيد هذا هو المشهور .

ثم قال : ولكن رأيت في بعض كتب المسلمين أنه كان عبد معاوية جارية هندية تخدمه ، فحملت منه وجاءت بيزيد الكلب الرّجس النجس .

وفيه أيضاً بإسناده عن الكليني أنه كان بين الحسين (ع) وبين يزيد لعنه الله تعالى عداوة أصلية وعداوة فرعية ، أما العداوة الأصلية فلأنه ولد لعبد مناف ولدان هاشم وأمّية ملتزقا ظهر كلّ واحد منهما بظهر الآخر ففرق بينهما بالسيف ، فلم يرتفع السيف من بينهما وبين أولادهما حتى وقع بين حرب بن أمّية وعبد المطلب بن هاشم ، وبين أبي سفيان بن حرب وبين رسول الله (ص) وبين معاوية بن أبي سفيان وعلي بن أبي طالب عليه السلام وبين يزيد بن معاوية لعنه الله والحسين بن علي بن أبي طالب .

وأما العداوة الفرعية فإن يزيد (لع) قال لأبيه : يا أبت قد هيأت لي وراثته الملك ولا قصرت في حقّي غير أنه كانت لعبدالله بن الزبير امرأة يقال لها فاطمة من أجمل النساء ، فأريد أن تزوّجنيها ، فدعى معاوية عبدالله بن الزبير وقال : أريد أن ارعي قرابتك من رسول الله وأزوجك ابنتي واجعل لك ولاية مصر ، فأنخدع به عبدالله ورضي ، فبعد يوم دعاه وأخبره بأنها لا ترضى إلا أن يطلق زوجته خوفاً من الغيرة بجمالها ، فطلقها فبعد يوم دعاه وأخبره بأنها تأبى وتقول : إنه لم يف لصاحبته الجمال وكيف يصنع بي إذا زال الملك والمال . فاغتم عبدالله فتسلّاه معاوية وقال : لا تغتم فإنّي سأرسلُ إليها نساء يرضينها ، فلمّا انقضت عدّة فاطمة أرسل إليها أبا موسى الأشعري ليخطبها ليزيد (لع) فمرّ أبا موسى لقثم بن العباس فقال قثم : إنّي راغب فيها أيضاً ، ثم مرّ بالحسين عليه السلام كذلك ، فلمّا دخل عليها قال لها : ما قالوا ، وقال : وإنّي راغب فيك أيضاً ، فقالت : أمّا أنت فشيخ كبير وأنا شابة ، ولكن أريد منك طلب المصلحة ، فقال : إن تريدي الولاية والتّنعّم الدّنيوي فيزيد وإن تريدي العقل والجمال وقرابة الرّسول فقثم ، وإن تريدي العلم والزّهد ونبوة النبي (ص) فالحسين عليه السلام ، وقد رأيت النبي يقبله ويقول : سيد شباب

أهل الجنة ، فقالت اخترت الحسين عليه السلام ، فسمع معاوية وغضب على أبي موسى الأشعري .

وفي المنتخب أما يزيد (لج) فإنه كان جباراً عنيداً خبيث الولادة ، وقد مر قول الحسن عليه السلام فيه وفي أبيه أنهما شركاء الشيطان ، وأما زياد دعى لأبي سفيان وكان يسمي بين الناس زياد بن أمه لأنه لا يعرف له أب وكانت أمه سوداء نثنت الريح يقال لها سميّة ، وكانت عاهرة ذات علم تعرف به ، وقد وطأها أبو سفيان وهو سكران ، فعلقته منه زياد على فراش بعلمها ، فادعاه أبو سفيان سرّاً . فلما آل الأمر إلى معاوية قربه إليه وأدناه ، ورفع منزلته وأعلاه ، واستخلفه على بلاد الأهواز ، وأمره على ثلثمائة ألف فارس ، وأمره بحرب الحسن عليه السلام ، فلم يزل يحاربه زمناً طويلاً حتى دس إليه معاوية سمّاً فقتله فمات مسموماً .

وأما هند فهي أم معاوية وهي بنت عتبة وعتبة عليه اللعنة قتله حمزة عم رسول الله (ص) وكان عتبة أميراً في الجاهلية وهو الذي حارب النبي في وقعة أحد حرباً عظيماً حتى أنه انكسر عسكر النبي وشاع الخبر في المدينة بقتل النبي (ص) ، وكانت هند جدة يزيد واقفة تضرب بالدف من شدة فرحها بقتل النبي (ص) وكان عتبة هو الذي رمى النبي بحجر فكسر رباعيته وشق شفته وشج رأسه الشريف ، فوثب حمزة وقتل عتبة ، فجاءت هند بنته وجعلت لوحشي هبة على أن يقتل لها رسول الله أو يقتل علياً أو حمزة ، فقال لها وحشي : أما رسول الله فلا سبيل لي عليه ، لأن أصحابه حافون من حوله ، وأما علي بن أبي طالب فإنه إذا حارب فهو أحذر من الذئب وأروع من الثعلب ، ولا طاقة لي به ، وأما حمزة فإنه أقدر عليه لأنه إذا حارب وهاج في الحرب لم يعد يبصر ما بين يديه ولا من خلفه .

قال : فلما هاج حمزة بالحرب كمن له وضربه على أم رأسه فخر صريعاً إلى الأرض ، فجاءت هند وجذعت اذنيه وأنفه وشقّت بطنه وقطعت أصابعه ونظمتها بخيط في عنقها ، ثم أخرجت كبدة الحمزة وأخذت منه

قطعة بأسنانها وأرادت بلعها فلم تقدر ، فقذفتها لأن الله تعالى صان كبـد حمزة أن يحل شيئاً منها في معدة تحرق بالنار ، فهل سمعتم أو رأيتم امرأة أكلت كبـد إنسان غير هند لعنها الله ، ولما آل الأمر إلى يزيد (لح) جعل عبيدالله بن زياد أميراً على الكوفة وأمره بقتل الحسين عليه السلام ، فجهز العساكر والجنود وحالوا بينه وبين ماء الفرات حتى أنهم قتلوه عطشاً مظلوماً وذبحوا أطفاله وسبوا عياله ففعل ابن زياد أضعاف ما فعل يزيد لعنه الله والذي خبث لا يخرج إلا نكداً .

وأما عمر بن سعد فقد ذكر السيد قدس سره في كتابه مجالس المؤمنين : وكذا مؤلف كتاب إلزام النواصب أنه نسبوا أباه سعد إلى غير أبيه وأنه من رجل من بني عذرة ، وكان خدماً لأمه ويشهد بذلك قول معاوية له حين قال سعد لمعاوية : أنا أحق بهذا الأمر منك ، فقال له معاوية : يابى عليك ذلك بنو عذرة وضرط له .

روى ذلك نوفل بن سليمان من علماء السنة ويدل على ذلك قول السيد الحميري :

قوم تداعوا زنيماً ثم سادهم لولا خمول بني سعد لما سادوا وهو الذي ولّاه ابن زياد على حرب الحسين عليه السلام ، وأمره على سبعين ألف فارس ، وأمره بقتله الحسين عليه السلام وأطفاله وأصحابه وأهل بيته ، وسبي نسائه ، ففعل ما أمره فجرى كل واحد من هؤلاء الملاحين على عرقه ، والذي خبث لا يخرج إلا نكداً وقد اعتبروا قتلة الحسين عليه السلام ، فوجدوهم كلهم أولاد زنا لصحة قول النبي (ص) فيهم .

أقول : وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ، لقد غرتهم الدنيا الدنية حتى أردتهم وأهلكتهم فحسبهم جهنم وساءت مصيراً .

الفصل الرابع

في بيان إخبار النبي بشهادة نفسه صلوات الله عليه

روى الصدوق قدس سره في العيون والأمالى بإسناده إلى أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن آبائه ، عن أمير المؤمنين عليهم السلام في خطبة النبي صلى الله عليه وآله في فضل شهر رمضان قال أمير المؤمنين عليه السلام : فقلت يا رسول الله ما أفضل الأعمال في هذا الشهر؟ فقال : يا أبا الحسن أفضل الأعمال في هذا الشهر الورع عن محارم الله عز وجل ، ثم بكى . فقلت : يا رسول الله ما يبكيك؟ فقال : يا علي أبكي لما يستحل منك في هذا الشهر ، كبائي بك وأنت تصلي لربك وقد انبعث أشقى الأولين والآخرين شقيق^(١) عاقر ناقة ثمود فضربك ضربة على قرنك^(٢) ، فغضب منها لحيتك . قال أمير المؤمنين عليه السلام : قلت يا رسول الله وذلك في سلامة من ديني ، فقال : في سلامة من دينك ، ثم قال : يا علي من قتلك فقد قتلني ومن أبغضك فقد أبغضني ، ومن سبك فقد سبني لأنك مني كنفس وروحك من روحي وطيتك من طيتي ، إن الله تبارك وتعالى خلقني وإياك واصطفاني وإياك واختارني للنبوّة واختارك للإمامة ، فمن أنكر إمامتك فقد أنكر نبوتي . يا علي أنت وصيي وأبو ولدي وزوج ابنتي وخليفتي على امتي في حياتي وبعد موتي ، أمرك أمري ونهيك نهيي أقسم بالذي بعثني بالنبوّة وجعلني خير البرية أنك لحجة الله على خلقه وأمينه على سرّه وخليفته على عباده .

وروى السيد عبد الكريم ابن طاووس رحمه الله في فرحة الغري بإسناده إلى ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه

(١) إذا اشتق الشيء بنصفين فكل واحد منهما شقيق الآخر . ومنه فلان شقيق فلان أي أخوه (ص).

(٢) القرن : الجانب الأعلى من الرأس .

السلام : يا علي إن الله عز وجل عرض مودتنا أهل البيت على السماوات والأرض وأول من أجاب منها السماء السابعة فزينها بالعرش والكرسي ثم السماء الرابعة فزينها بالبيت المعمور ، ثم السماء الدنيا فزينها بالنجوم ثم عرض الحجاز فشرفها بالبيت الحرام ، ثم عرض الشام فزينها بالبيت المقدس ، ثم أرض طيبة فشرفها بقبري ، ثم أرض كوفان فشرفها بقبرك يا علي . فقال : يا رسول الله أقبري بكوفان العراق؟ فقال : نعم يا علي تقبر بظاهرها قتلاً بين الغريبين بين الذكوات البيض يقتلك شقي هذه الأمة عبدالرحمن بن ملجم فوالذي بعثني بالحق نبياً ما عاقر ناقة صالح عند الله بأعظم عقاباً منه ، يا علي ينصرك من العراق مائة ألف سيف .

أقول : وقد ورد في جملة من الأخبار المعتبرة أنه عليه السلام لما ضاق صدره من عدم نصرة قومه له وكفرهم ونفاقهم وأتى عسكر معاوية إلى الانبار وأطراف مملكته فغاروا عليها ، ولم يخرج إليهم أحد من أصحابه ، قال عليه السلام في خطبة طويلة : أما والله لو وددت أن ربي أخرجني من بين أظهركم إلى رضوانه وإن المنيّة لترصدني ، فما يمنع أشقاها أن يخضبها ، وترك يده على رأسه ولحيته عهداً عهداً إلي النبي الأمي وقد خاب من افترى ونجى من اتقى ، وصدق بالحسنی .

وفي البحار عن كثر الكراجكي عن أبي طاهر المقلد بن غالب ، عن رجاله بإسناده المتصل إلى علي بن أبي طالب (ع) وهو ساجد يبكي حتى علا نحيبه وارتفع صوته بالبكاء ، فقلنا : يا أمير المؤمنين لقد أمرضنا بكأوك وأمضنا وشجانا وما رأيناك قد فعلت مثل هذا الفعل قط ، فقال : كنت ساجداً أدعو ربي بدعاء الخيرات في مسجدتي فغلبتني عيني فرأيت رؤيا هالتي وفضعتني ، رأيت رسول الله (ص) قائماً وهو يقول : يا أبا الحسن طالت غيبتك فقد اشتقت إلى رؤياك وقد أنجز لي ربي ما وعدني فيك . فقلت : يا رسول الله وما الذي أنجز لك في؟ قال : أنجزني فيك وفي زوجتك وابنيك وذريتك في الدرجات العلى في عليين ، قلت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله فشيعتنا؟ قال : شيعتنا معنا وقصورهم بحذاء قصورنا

ومنازلهم مقابل منازلنا ، قلت : يا رسول الله فما لشيعتنا في الدنيا؟ قال :
الامن والعافية ، قلت : فما لهم عندكم؟ قال : يحكم الرجل في نفسه
ويؤمر ملك الموت بطاعته ، قلت : فما لذلك حدّ يعرف؟ قال : بلى إنّ
أشدّ شيعتنا لنا حباً يكون خروج نفثه كشراب أحدكم في يوم الصيف الماء
البارد الذي ينتفع به القلوب ، والله سائرهم ليموت كما يغبط أحدكم على
فراشه كأقرب ما كانت عينه بموته

وفيه أيضاً عن المناقب روي أنه جرح عمرو بن عبد ودّ رأس
علي عليه السلام يوم الخندق ، فجاء إلى رسول الله فشده ونفث فيه فبرأ ،
وقال : أين أكون إذا خضبت هذه من هذه .

وفيه أيضاً عن كتاب عدد القويّة لعلّي بن يوسف بن المطهر الحلّي ،
عن كتاب تذكرة الخواص ليوسف الجوزي ، قال أحمد في الفضائل قال :
قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : يا علي أتدري من أشقى الأولين
والآخرين ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : من يخضب هذه من هذه
يعني لحيته من هامته

أقول : وروي الصدوق في الخصال بإسناده إلى جابر الجعفي عن
أبي جعفر عليه السلام في خبر اليهودي الذي سأل أمير المؤمنين عليه
السلام بعد وقعة النهروان عن خلافته وإن وصي كلّ نبيّ يتلى بسبع في
حياته وسبع بعد وفاته ، فهل وقعت بالنسبة إليك ، فأجابه علي عليه
السلام : وعدّ ما ابتلى به ، ثم التفت إلى أصحابه فقال : أليس كذلك ،
قالوا : بلى يا أمير المؤمنين ، فقال عليه السلام : قد وفيت سبعاً وسبعاً
يا أخا اليهود ، وبقيت الأخرى وأوشك بها ، فكان قدامي فكأنها
وقعت ، فبكى أصحاب علي عليه السلام وبكى رأس اليهود ، وقالوا : يا
أمير المؤمنين أخبرنا بالأخرى ، فقال : الأخرى أن تخضب هذه وأومى
بيده إلى لحيته من هذه وأومىء ببلره إلى هامته .

قال : فارتفعت أصوات القوم في المسجد الجامع بالضجّة والبكاء

حتى لم يبق بالكوفة دار إلا خرج أهلها فزعاً ، وأسلم رأس اليهود على يدي علي عليه السلام من ساعته ، ولم يزل مقيماً حتى قتل أمير المؤمنين ، وأخذ ابن ملجم (لع) فأقبل رأس اليهود حتى وقف على الحسن عليه السلام والناس حوله وابن ملجم (لع) بين يديه ، فقال له : يا أبا محمد اقتله قتله الله فلأنني رأيت في الكتب التي أنزلت على موسى عليه السلام أن هذا أعظم عند الله عز وجل جرماً من ابن آدم ، قاتل أخيه ومن القدار عاقر ناقة ثمود .

وفي الإرشاد عن علي بن المنذر الطريفي عن أبي الفضيل العبدى ، عن قطر ، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة رحمة الله عليه قال : جمع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الناس للبيعة ، فجاء عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله فردّه مرتين أو ثلاث ، ثم بايعه وقال له عند بيعته : ما يجلس أشقاها فوالذي نفسي بيده لتخضبن هذه من هذه ، ووضع يده على لحيته ورأسه ، فلما أدبر ابن ملجم متصرفاً عنه قال عليه السلام :

أشدد حيازيمك للموت فإن الموت لا يكا
ولا تجرع من الموت إذا حل بواديكا

وفيه أيضاً عن الحسن بن محبوب عن أبي حمزة الثمالي ، عن أبي إسحاق السبيعي ، عن الأصبغ نباتة قال : أتى ابن ملجم (لع) أمير المؤمنين عليه السلام فبايعه فيمن بايع ، ثم أدبر عنه فدعاه أمير المؤمنين عليه السلام فتوثق عنه وتأكد عليه ألا يغدر ولا ينكث ، ففعل ، ثم أدبر عنه فدعاه الثانية فتوثق منه وتأكد عليه ألا يغدر ولا ينكث ففعل ، ثم أدبر عنه فدعاه أمير المؤمنين عليه السلام الثالثة فتوثق وتأكد ألا يغدر ولا ينكث ، فقال ابن ملجم (لع) : والله يا أمير المؤمنين ما رأيتك فعلت هذا بأحد غيري . فقال أمير المؤمنين عليه السلام :

أريد حياته ويريد قتلي وعذيرك من خليلك من مرادي

امض يا بن ملجم فوالله ما أرى أن توفي بما قلت .

وفي كشف الغمة لما فرغ عليه السلام من قتال الخوارج عاد إلى الكوفة في شهر رمضان ، فأتم المسجد فصلّي ركعتين ثم صعد المنبر فخطب خطبة حسناء ، ثم التفت إلى ابنه الحسن عليه السلام فقال : يا أبا محمد كم مضى من شهرنا هذا ، فقال : ثلاثة عشر يا أمير المؤمنين ، ثم سأل الحسين عليه السلام فقال : يا أبا عبدالله كم بقي من شهرنا هذا؟ فقال : سبع عشرة يا أمير المؤمنين ، فضرب يده إلى لحيته وهي يومئذ بيضاء ، وقال : والله ليخضبنها بدمها إذ انبعث أشقاها ، ثم قال :

أريد حياته ويريد قتلي خليلي من عذيري من مراد

وعبدالرحمن بن ملجم يسمع ، فوقع في قلبه من ذلك شيء ، فجاء حتى وقف بين يدي علي عليه السلام وقال : أعيذك بالله يا أمير المؤمنين هذه يميني وشمالي بين يديك فاقطعهما أو فاقتلني ، فقال عليه السلام : وكيف أقتلك ولا ذنب لك إلي ، ولو أعلم أنك قاتلي لم أقتلك ، ولكن هل كانت لك حاضنة يهودية ، فقالت لك يوماً من الأيام : يا شقيق عاقر ناقة ثمود؟ قال : قد كان ذلك يا أمير المؤمنين ، فسكت علي عليه السلام .

وفي الإرشاد روى أبو زيد الأحول عن الأجلح ، عن أشياخ كندة قال : سمعته أكثر من عشرين مرة يقولون : سمعنا علياً عليه السلام على المنبر يقول : ما يمنع أشقاها أن يخضبها من فوقها بدم ويضع يده على لحيته .

وفي الخرائج من معجزاته عليه السلام ما روى حنان بن سدير عن رجل من مزينة قال : كنت جالساً عند علي عليه السلام فأقبل إليه قوم من مراد ومعهم ابن ملجم (لع) ، قالوا : يا أمير المؤمنين طراً علينا ولا والله ما جاءنا زائراً ولا منتجعاً وإنما لنخافه عليك ، فاشدد يدك به ، فقال له علي عليه السلام : اجلس ، فنظر في وجهه طويلاً ثم قال : أرايتك إن

سألتك عن شيء وعندك منه علم هل أنت مخبري عنه ؟ قال : نعم ، وحلفه عليه . فقال : أكنت تراضع الغلمان^(١) وتقوم عليهم ، فكنت إذا جئت فأروك من بعيد قالوا : قد جاءنا ابن راعية الكلاب ؟ قال : اللهم نعم . فقال له : مررت برجل وقد أيقعت فنظر إليك وأخذ النظر ، فقال : أشقى من عاقر ناقة ثمود ؟ قال : نعم . قال : قد أخبرتك أمك أنها حملت بك في بعض حيضها فتتعت^(٢) هنيئة ثم قال : نعم قد حدثتني بذلك ، ولو كنت كاتماً شيئاً لكتمت هذه المنزلة . فقال له علي عليه السلام : قم ، فقام ثم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : إن قاتلك شبه اليهودي بل هو يهودي .

وفيه أيضاً من معجزاته عليه السلام ما تواترت به الروايات من نعيه نفسه قبل موته ، وإنه يخرج من الدنيا شهيداً من قوله والله ليخضبنها من فوقها يؤمي إلى شيبته ما يحبس أشقاها أن يخضبنها بدم . وقوله : أناكم شهر رمضان وفيه تدور روعي^(٣) السلطان ألا وإنكم حاجوا العام صفياً واحداً وآية ذلك أنني لست فيكم ، وكان يفطر في هذا الشهر ليلة عند الحسن عليه السلام وليلة عند الحسين عليه السلام وليلة عند عبدالله بن جعفر زوج زينب بنته لأجلها لا يزيد على ثلاث لقم ، فقبل له في ذلك فقال : يأتيني أمر الله وأنا خميص^(٤) إنما هي ليلة أو ليلتان فأصيب من الليل ، فقد توجه إلى المسجد في الليلة التي ضربه الشقي في آخرها ،

(١) تراضع الغلمان : لعنه من قولهم فلان يرضع الناس أي يسألهم وفي بعض النسخ تواضع بالواو من المواضعة بمعنى الموافقة في الأمر .

(٢) يتعت في الكلام : أي تردد .

(٣) تدور روعي السلطان : لعل المراد انقضاء الدورات كناية عن ذهاب ملكه عليه السلام أو كناية عن تغيير الدولة وانقلاب أحوال الزمان .

(٤) وخميص البطن : خلاؤه ، وفي الديوان المنسوب إليه عليه السلام لابن ملجم لعنه الله ألا يا أيها المغرور في القول .

فصاح الأوز في وجهه وطردهن الناس ، فقال : دعوهن فإنهن نوائح ^(١) .

وفي البحار عن الكافي العدة عن البرقي ، عن السدي بن محمد ، عن محمد بن الصلت ، عن أبي حمزة ، عن علي بن الحسين (ع) ، قال : صلى أمير المؤمنين (ع) القجر ، ثم لم يزل في موضعه حتى صارت الشمس على قدر رمح وأقبل على الناس بوجهه فقال : والله لقد أدركت أقواماً يبيتون لرهبهم سجداً وقياماً يخالفون بين جباههم وركبهم ، كان زفير الناس في آذانهم إذا ذكر الله عندهم مادوا كما يمد الشجر كأنما القوم ما باتوا غافلين ، قال : ثم قام فما رأي ضاحكاً حتى قبض عليه السلام .

الفصل الخامس

في كيفية شهادته ووصيته وغسله والصلاة عليه ودفنه عليه السلام

قبض عليه السلام قتيلاً في مسجد الكوفة وقت التنوير ليلة الجمعة لتسع عشرة ليلة مضي من شهر رمضان ، على يدي عبدالرحمن بن ملجم المرادي ، وقد عاونه لعنه الله وردان بن مجالد من تيم الرباب وشبيب بن بخيرة والأشعث بن قيس وقطام بنت الأخضر ، فضربه سيفاً على رأسه مسموماً ، فبقي يوماً إلى نحو الثلث من الليل وله يومئذ خمس وستون سنة في قول الصادق عليه السلام ، وقالت العامة : ثلاث وستون سنة ، وعاش مع النبي (ص) بمكة ثلاث عشر سنة وبالمدينة عشر سنين ، وقد كان هاجر وهو ابن أربع وعشرين سنة ، وضرب بالسيف بين يدي النبي وهو ابن ستة عشر سنة ، وقتل الأبطال وهو ابن تسع عشرة سنة ، وقلع باب خير وله اثنان وعشرون سنة ، وكانت مدة إمامته ثلاثون سنة ، منها أيام

(١) أقول هذه الرواية وإن كانت موجودة في غير واحد من كتب المجلسي رحمه الله لكن كما ترى بظاهرها مغلوطة ويظهر وجهه من الأخبار التي نقلناها بعد كما لا يخفى على المتدبر .

أبي بكر ستان وأربعة أشهر ، وآيام عمر تسع سنين وأشهر وآيام ، وعن الضرياني عشر سنين وثمانية أشهر ، وآيام عثمان عشرة سنين ، ثم آتاه الله الحق خمس سنين وأشهر ، وكان عليه السلام أمر بأن يخفى قبره لما عرف من بني أمية وعداوتهم فيه إلى أن أظهره الصادق عليه السلام ، ثم إن محمد بن زيد الحسيني أمر بعمارة الحائر بكربلاء والبناء عليهما ، وبعد ذلك زيد فيه وبلغ عضد الدولة الغاية في تعظيمها والأوقاف عليهما ، هكذا في البحار عن المناقب .

وفي الكافي قتل عليه السلام في شهر رمضان لتسع بقين منه ليلة الأحد سنة أربعين من الهجرة ، وهو ابن ثلاث وستين سنة بقي بعد قبض النبي صلى الله عليه وآله بثلاثين سنة .

وروى السيد عبدالكريم بن طاووس قدس سره في فرحة الغري بإسناده إلى الصادق عليه السلام والباقر عليه السلام قالا : مضى أمير المؤمنين صلوات الله عليه وهو ابن خمس وستين سنة أربعين من الهجرة ، ونزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وآله ولأمير المؤمنين عليه السلام اثني عشر سنة وهو ابن خمسين سنة في سنة أربعين من الهجرة ، وكان عمره بمكة مع رسول الله اثنتي عشر سنة ، وأقام مع رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاثة عشر سنة ، ثم هاجر إلى المدينة فأقام بها مع رسول الله عشر سنين ، ثم أقام بعدما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاثين سنة ، وكان عمره عليه السلام خمس وستين سنة ، وقبض في ليلة الجمعة وقبره بالغري ، وهو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة .

أقول : قال كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي في كتابه مطالب السؤل : قد صحَّ النقل أنه عليه السلام ضربه ابن ملجم لعنه الله صبح ليلة الجمعة ، لكن قيل : لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان ، وقيل ليلة الحادي والعشرين منه ، وقيل ليلة الثالث والعشرين منه ، ومات

ليلة الأحد ثالث ليلة ضربه من سنة أربعين للهجرة ، فيكون عمره خمساً وستين سنة ، وقيل بل كان ثلاثاً وستين سنة ، وقيل : بل سبعا وخمسين سنة .

وأصح هذه الأقوال هو القول الأول فإنه يعضده ما نقل عن معروف رضي الله عنه أنه قال : سمعت أبي جعفر محمد بن علي الباقر سلام الله عليهما يقول : قتل علي عليه السلام وله خمس وستون سنة ، فهذه مدة عمره ، ثم قال : فلما مات عليه السلام غسله الحسن والحسين عليهما السلام ومحمد يصب الماء ، ثم كفّن وحنط وحمل ودفن في جوف الليل بالغري ، وقيل بين منزله وبين المسجد الأعظم والله أعلم .

ثم قال : وإذا كانت مدة عمره خمساً وستين سنة على ما ظهر فاعلم منحك الله الطاف تأييده أنه عليه السلام كان بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وآله من أول عمره خمساً وعشرين سنة منها بعد البعثة والنبوة ثلاثة عشر سنة وقبل النبوة والبعثة اثني عشر سنة ، ثم هاجر فأقام في المدينة مع رسول الله (ص) عشر سنين ثم بقي بعد وفاة رسول الله إلى قتله مدة ثلاثين سنة فذلك خمس وستون سنة .

وقال المفيد رحمه الله في الإرشاد كانت إمامة أمير المؤمنين عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله ثلاثين سنة منها أربعة وعشرون سنة وأشهر ممنوعاً من التصرف على أحكامها مستعملاً للتقية والمداواة ، ومنها خمس سنين وستة أشهر متمحناً بجهاد المنافقين من الناكثين والقاسطين والمارقين ومضطهداً^(١) بفتن الضالين كما كان رسول الله (ص) ثلاث عشر سنة من نبوته ممنوعاً من أحكامها خائفاً ومحبوساً وهارباً ومطروداً لا يتمكن من جهاد الكافرين ، لا يستطيع دفعاً عن المؤمنين ، ثم هاجر وأقام بعد

(١) ضهدته : فهو مضهود ومضطهد : أي متهور ومضطّر ، وفلانة ضهدة لكل أحد أي ان يقهره فعل (ص) .

الهجرة عشر سنين مجاهداً للمشركين ممتحناً بالمنافقين إلى أن قبضه الله عز وجل إليه وأسكنه جنات النعيم ، وكانت وفاة أمير المؤمنين عليه السلام قبيل الفجر ليلة الجمعة ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة قتيلاً بالسيف ، قتله ابن ملجم المرادي لعنه الله في مسجد الكوفة ، وقد خرج عليه السلام يوقظ^(١) الناس لصلاة الصبح ليلة تسع عشرة من شهر رمضان . وقد كان ارتصده^(٢) من أول الليل لذلك ، فلما مر به في المسجد وهو مستخف بأمره مماكر بإظهار النوم في جملة النيام به ثار^(٣) إليه فضربه على أم رأسه بالسيف ، وكان مسموماً ، فمكث يوم تسعة عشر ليلة عشرين ويومها وليلة إحدى وعشرين إلى نحو الثلث الأول من الليل ، ثم قضى نحبه عليه السلام شهيداً ، ولقى ربه تعالى مظلوماً . وقد كان صلوات الله عليه يعلم ذلك قبل أوانه ويخبر الناس قبل زمانه ، وتولى غسله وتكفينه ودفنه ابنه الحسن والحسين عليهما السلام بأمره ، وحمله إلى الغري من نجف الكوفة ، فدفناه هناك وعفياً^(٤) موضع قبره بوصية كانت منه إليهما في ذلك لما كان يعلمه من دولة بني أمية من بعده واعتقادهم في عداوته وما ينتهون إليه بسوء النيات فيه من قبيح الفعال والمقال ، بما تمكنوا من ذلك ، فلم يزَلْ قبره عليه السلام مخفياً^(٥) حتى دل عليه الصادق عليه السلام جعفر بن محمد عليهما السلام في الدولة العباسية وزاره عند وروده إلى أبي جعفر وهو بالحيرة ، فعرفته الشيعة واستأنفوا إذ ذاك زيارته صلى الله عليه وآله وعلى ذريته الطاهرين ، وكان سنه عليه السلام يوم وفاته ثلاثاً وستين سنة .

-
- (١) يقظت من نومه أي متنبهة فتيقظ واستيقظ فهو يقظان (ص) .
 (٢) يقال : رصدته إذا قعدت له على طريقه ترقبه وأرصدت له العقوبة إذا أعددتها خفيفة جعلتها على طريقة المترقب (نهاية) .
 (٣) الماثورة الموانبة يقال : انتظر حتى يسكن هذه الثورة (ص) .
 (٤) العفا بالفتح التراب والعفو الأرض التي ليست بها آثار (ق) .
 (٥) خبات لك خباء الخباء كل شيء غاب مستوراً يقال : خبات الشيء إذا خفيته .

ثم قال : ومن الأخبار الواردة بسبب قتله وكيف جرى الأمر في ذلك ما رواه جماعة من أهل السير منهم أبو مخنف وإسماعيل بن راشد وأبو هاشم الرفاعي وأبو عمرو الثقفي وغيرهم أن نفراً من الخوارج اجتمعوا بمكة فتذاكروا الأمراء فعابوهم وعابوا أعمالهم ، وذكروا أهل النهروان وترحموا عليهم . وقال بعضهم لبعض : لو أننا شربنا أنفسنا لله فأتينا الأئمة الضلال فطلبنا عزّتهم فارحنا منهم العباد والبلاد ، وثأرنا بإخواننا الشهداء بالنهروان ، فتعاهدوا عند انقضاء الحج على ذلك ، فقال عبدالرحمن بن ملجم لعنه الله أنا أكفيكم علياً عليه السلام ، وقال البرك بن عبدالله التميمي : أنا أكفيكم معاوية ، وقال عمرو بن بكر التميمي : أنا أكفيكم عمرو بن العاص ، وتعاهدوا على ذلك وتوثقوا على الوفاء واتعدوا لشهر رمضان في ليلة تسع عشرة منه ، ثم تفرقوا ، فأقبل ابن ملجم لعنه الله وكان عداؤه في كنده حتى قدم الكوفة ، فلقى بها أصحابه فكتمهم أمره مخافة أن ينتشر منه شيء وهو في ذلك إذ زار رجلاً من أصحابه ذات يوم من تيمم الرباب ، فصادف عنده قطام بنت الأخضر التميمية من تيمم ، وكان أمير المؤمنين عليه السلام قتل أباهما وأحباها بالنهروان ، وكانت من أجمل نساء أهل زمانها ، فلما رآها ابن ملجم شغف^(١) بها واشتد إعجابه ، فسأل في نكاحها وخطبها ، فقالت له : ما الذي تسمي لي من الصِّداق ؟ فقال لها : احتكمي ما بدا لك ، فقالت له : أنا محكمة عليك ثلاثة آلاف درهم ووصيفاً وخادماً ، وقتل علي بن أبي طالب عليه السلام ، فقال لها : لك جميع ما سألت ، وأما قتل علي بن أبي طالب فأنتي لي بذلك ، فقالت تلتمس عزّته : فإن أنت قتلت شفيت نفسي وهناك العيش معي ، وإن قتلت فما عند الله خير لك من الدنيا فقال : أنا والله ما أقدمني هذا المصر وقد

(١) يقال : شغفه الحبّ : أي بلغ شغافه وضل حبه .

وقرأ ابن عباس قد شغفها حباً ، قال : دخل حبه تحت الشغاف ، وهو غلاف القلب

وهو جلدة دونه كالحجاب (ص)

كنت هارباً منه ، لا آمن مع أهله إلا ما سألتني من قتل علي بن أبي طالب ، فلك ما سألت . قالت : فأنا طالبة لك بعض من يساعدك على ذلك ويقوّيك ، ثم بعثت إليّ ورد بن مجالد من تيم الرباب فخبّرتّه الخبر وسألته المعاونة لابن ملجم ، فاحتمل ذلك لها فخرج ابن ملجم فأتى رجلاً من أشجع يقال له شبيب بن بحرة ، فقال له : يا شبيب هل لك في شرف الدّنيا والآخرة ، قال : وما ذاك ؟ قال : تساعدني على قتل علي عليه السلام ، وكان شبيب على رأي الخوارج ، فقال له : يا ابن ملجم هبّلتك^(١) الهبول ، لقد جئت شيئاً إداً وكيف تقدر على ذلك ، فقال له ابن ملجم : تكمن له في المسجد الأعظم ، فإذا خرج لصلاة الفجر فتكنا^(٢) به فإن نحن قتلناه شفينا أنفسنا وأدرکنا ثارنا ، فلم يزل به حتّى أجابه ، فأقبل معه حتّى دخلا المسجد على قطام ، وهي معتكفة في المسجد الأعظم قد ضربت عليها قبة ، فقالا لها : قد أجمع رأينا على قتل هذا الرجل ، فقالت لهما : فإذا أردتما ذلك فالقياني في هذا الموضع ، فانصرفا من عندها ، فلبثا أياماً ثم أتياها ومعهما الآخر ليلة الأربعاء لتسع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة ، فدعت لهما بحرير فعصبوا به صدورهم وتقلّدوا سيوفهم ومضوا ، فجلسوا مقابل السّدة التي كان يخرج منها أمير المؤمنين عليه السلام إلى الصّلاة ، وقد كانوا قبل ذلك قد ألقوا إلى الأشعث بن قيس ما في نفوسهم من العزيمة على قتل أمير المؤمنين عليه السلام وواطأهم على ذلك وحضر الأشعث بن القيس في تلك اللّيلة لمعونتهم على ما اجتمعوا عليه ، وكان حجر بن عدي رحمة الله عليه في تلك اللّيلة باثناً في المسجد ، فسمع الأشعث بن قيس يقول لابن

(١) الهبل بالتحريك مصدر قوله هبلته أمّه أي ثكلته والاهبال الاثكال والهبول من النساء الشكول (ص).

(٢) الفتك : الجري والجمع الفتاك والفتيك أي أن يأتي الرجل صاحبه وهو عار غافل حتّى يشد عليه فيقتله (ص).

ملجم : النجا النجا لحاجتك فقد فضحك الصبح ، فأحس حجر بما أراد الأشعث ، فقال له : قتلته يا أمير . وخرج مبادراً ليمضي إلى أمير المؤمنين عليه السلام فيخبره الخبر ويحذره من القوم ، فخالفه أمير المؤمنين عليه السلام ، فدخل المسجد فسبقه ابن ملجم لعنه الله فضربه بالسيف وأقبل حجر والناس يقولون : قتل أمير المؤمنين .

قال المفيد رحمه الله : وذكر محمد بن عبدالله بن محمد الأزدي قال : إني لأصلي تلك الليلة في المسجد الأعظم مع رجال من أهل مصر كانوا يصلون في ذلك الشهر من أوله إلى آخره في المسجد إذ نظرت إلى رجال يصلون قريباً من السدة ، وخرج علي بن أبي طالب عليه السلام لصلاة الفجر فأقبل ينادي الصلاة الصلاة فما أدري أنادي أم رأيت بريق سيوف وسمعت قبائل يقول : الله الحكم يا علي لآلك ولأصحابك ، وسمعت علياً عليه السلام يقول : لا يفوتنكم الرجل فإذا علي عليه السلام مضروب وقد ضربه شبيب بن بحرة فأخطأ ووقعت ضربته في الطاق ، وهرب القوم نحو أبواب المسجد وتبادر الناس لأخذهم ، فأما شبيب بن بحرة فأخذه رجل فصرعه وجلس على صدره ، وأخذ السيف من يده ليقتله فرأى الناس يقصدون نحوه ، فخشي أن يعجلوا عليه ولا يسمعوا منه ، فوثب من صدره وخلاه وطرح السيف من يده ومضى شبيب هارباً حتى دخل على ابن عم له ، فرآه يحل الحرير عن صدره ، فقال : ما هذا لعلك قتلت أمير المؤمنين عليه السلام؟ فأراد أن يقول لا ، فقال نعم ، فمضى ابن عمه فاشتعل على سيفه ودخل عليه فضربه به حتى قتله ، وأما ابن ملجم لعنه الله عليه فإن رجلاً من همدان لحقه فطرح عليه قطيفة كانت في يده ، ثم صرعه وأخذ السيف من يده ، وجاء به إلى أمير المؤمنين عليه السلام وأفلت الثالث فانسل بين الناس الخبر .

وروى الشيخ الطوسي في الأمالي عن أبي الفتح هلال بن محمد بن جعفر الحفّار رفعه إلى علي بن علي أخي دعبل بن علي الخزاعي ، عن الرضا ، عن آبائه ، عن علي بن الحسين (ع) قال : لما ضرب ابن ملجم

لعنه الله أمير المؤمنين عليه السلام علي بن أبي طالب كان معه آخر فوقعت ضربه على الحائط ، وأما ابن ملجم فضربه فوقعت الضربة وهو ساجد على رأسه على الضربة التي كانت ، فخرج الحسن والحسين عليهما السلام وأخذ ابن ملجم وأوثقاه واحتمل أمير المؤمنين عليه السلام فادخل داره فقعدت لبابة عند رأسه وجلست أم كلثوم عند رجله ، ففتحت عينيه فنظر إليهما فقال : الرفيق الأعلى خير مستقراً وأحسن مقيلاً ، ضربة بضربة أو العفو إن كان ذلك ، ثم عرق ثم أفاق ، فقال : رأيت رسول الله يأمرني بالروح إليه عشائه ثلاث مرات .

وفي الإرشاد في تمة الخبر المتقدم : فلما دخل ابن ملجم على أمير المؤمنين عليه السلام نظر إليه ثم قال : النفس بالنفس إن أنا مت فاقتلوه كما قتلتني وإن سلمت رأيت فيه رأيي ، فقال ابن ملجم : والله لقد ابتعته بألف وسمّته بألف فإن خائني فابعده الله ، قال : ونادته أم كلثوم يا عدو الله قتلت أمير المؤمنين ، قال : إنما قتلت أباك . قالت : يا عدو الله إنني لأرجو أن لا يكون عليه بأس ، فقال لها : فأراك إنما تبكين علياً إذا والله لقد ضربته ضربة لو قسمت بين أهل الأرض لأهلكتهم ، فأخرج من بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام وأنّ الناس ينهشون لحمه بأسنانهم كأنهم سباع ، وهم يقولون : يا عدو الله ماذا صنعت أهلك أمة محمد (ص) وقتلت خير الناس وإنه لصامت ما ينطق ، فذهب به إلى الحبس وجاء الناس إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقالوا له : يا أمير المؤمنين مرنا بأمرك في عذو الله ، فقد أهلك الأمة وأفسد الملة ، فقال لهم أمير المؤمنين : إن عشت رأيت فيه رأيي وإن هلك فاصنعوا به مثل ما يصنع بقاتل النبي اقتلوه ثم احرقوه بعد ذلك بالنار (الخبر) .

وروى الشيخ الطوسي في الأمالي بإسناده إلى الأصبغ بن نباتة قال : لما ضرب ابن ملجم لعنه الله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام غدونا عليه نفر من أصحابنا أنا والحرث وسويد بن غفلة وجماعة معنا ، فقعدنا على الباب فسمعنا البكاء ، فبينما كذلك إذ خرج إلينا الحسن بن علي عليه

السلام فقال : يقول لكم انصرفوا إلى منازلكم ، فانصرف القوم غيري ، واشتد البكاء في منزله ، فبكيت وخرج الحسين عليه السلام فقال : ألم أقبل لكم انصرفوا ، فقلت : لا والله يا ابن رسول الله ما تتابعني نفسي ولا تحملني رجلي أن أنصرف حتى أرى أمير المؤمنين عليه السلام ، قال : وبكيت فدخل ولم يلبث أن خرج ، فقال لي : ادخل فدخلت على أمير المؤمنين عليه السلام فإذا هو مستند معصوب الرأس بعمامة صفراء قد نرف واصفر وجهه ما أدري وجهه أصفر أم العمامة ، فأكببت عليه فقبلته وبكيت فقال لي : لا تبك يا أصبغ فلما نظرتها والله الجنة ، فقلت له : جعلت فداك إني أعلم والله أنك تصير إلى الجنة وإنما أبكي لفقداني إياك يا أمير المؤمنين جعلت فداك حدثني بحديث سمعته من رسول الله (ص) فلما أراك لم أسمع منك حديثاً بعد يومي هذا أبداً .

فقال : نعم يا أصبغ ، دعاني رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً فقال لي : يا علي انطلق حتى تأتي مسجدي ثم تصعد منبري ، ثم تدعو الناس إليك فتحمد الله عز وجل وتثني عليه وتصلي علي صلاة كثيرة ، ثم تقول : أيها الناس إني رسول رسول الله صلى الله عليه وآله إليكم وهو يقول لكم : إن لعنة الله ولعنة ملائكته المقربين وأنبيائه المرسلين ولعنتي على من انتمى إلى غير أبيه أو ادعى إلى غير مواليه ، أو ظلم أجيراً أجره ، فأتيت مسجد رسول الله وصعدت منبره ، فلما رأني قريش ومن كان في المسجد أقبلوا نحوي فحمدت الله وأثنت عليه وصليت على رسول الله (ص) صلاة كثيرة ، ثم قلت : أيها الناس إني رسول رسول الله إليكم وهو يقول لكم : ألا لعنة الله ولعنة ملائكته المقربين وأنبيائه المرسلين ولعنتي على من انتمى إلى غير أبيه أو ادعى إلى غير مواليه ، أو ظلم أجيراً أجره ، قال : فلم يتكلم أحد من القوم إلا عمر بن الخطاب فإنه قال : قد أبلغت يا أبا الحسن ولكنك جئت بكلام غير مفسر ، فقلت : أبلغ ذلك رسول الله ، فرجعت إلى النبي (ص) فأخبرته الخبر ، فقال : ارجع إلى مسجدي حتى تصعد منبري فاحمد الله واثن عليه وصل علي ثم قل : أيها الناس

ما كنّا لننجيكم بشيء إلاّ وعندنا تأويله وتفسيره ، ألا وإني أنا أبوكم ألا وإني أنا مولاكم ألا وإني أنا أجيركم .

وفي الكافي عن الحسين بن الحسن الحسيني رفعه ، ومحمد بن الحسن ، عن إبراهيم بن إسحاق الأحمر رفعه ، قال : لما ضرب أمير المؤمنين عليه السلام حفّ به العواد وقيل له يا أمير المؤمنين أوص ، فقال : ثنوا لي وسادة ، ثم قال : الحمد لله حقّ قدره متّبعين أمره أحمده كما أحبّ ، ولا إله إلاّ الله الواحد الأحد الصّمد كما انتسب ، أيها النّاس كلّ امرئ لاق في فراره ما منه يفرّ ، والأجل مساق النفس إليه ، والهرب منه موافاته ، كم اطردت الأيام اباحتها عن مكنون هذا الأمر فأبى الله عن ذكره إلاّ إخفائه ، هيئات علم مكنون مخزون ، أمّا وصيّتي فإن لا تشركوا بالله جلّ ثناؤه شيئاً ، ومحمد صلّى الله عليه وآله ، فلا تضيّعوا سنّته ، أقيموا هذين العمودين وأوقدوا هذين المصباحين ، وخلاكم ذم ما لم تستردوا حمل كلّ امرئ مجهوده ، وخفف عن الجهلة ، ربّ رحيم وإمام عليم ، ودين قويّم ، أنا بالأمس صاحبكم ، واليوم عبرة لكم ، وغداً مفارقكم ، إن ثبت الوطأة في هذه المزلّة فذاك المراد ، وإن قد حض القدم فإننا كنّا في اقياء اغصان وذوي رياح ، وتحت ظلّ غمامة اضمحلّ في الجوّ متلفقها ، وعفى في الأرض مخطّها وإنما كنت في الأرض جاراّ جاوركم بذی ایاماً وستعقبون مني جثة خلاء ساكنة بعد حركة ، وكاظمة بعد نطق ، ليعصّبكم هدوئي وخفوت اطراقي وسكون اطرافي ، فإنّه أوعظ لكم من النّاطق البليغ ، ودّعتم وداع مرصد للتلاقي غداً ترون أيامي ويكشف الله عزّ وجلّ سرائري وتعرفوني بعد خلوّ مكاني وقيامي غير مقامي ، إن أبق فأنّا وليّ دمي وإن أفن فالفناء ميعادي ، فإن أعف فالعفو لي قرينة ولكم حسنة فاعفوا واصفحوا ألا تحبّون أن يغفر الله لكم ، فيا لها حسرة على كل ذي غفلة أن يكون عمره حجة أو تؤديه أيامه إلى شقوة جعلنا الله وإياكم ممّن لا يقتصر به عن طاعة الله رغبة ، أو يحلّ بعد الموت نقمة ، فإنما نحن له وبه ، ثم أقبل على الحسن عليه السلام

فقال : يا بني ضربة مكان ضربة ولا تأثم .

وذكر الصدوق في من لا يحضره الفقيه عن سليم بن قيس الهلالي قال : شهدت وصية علي بن أبي طالب عليه السلام حين أوصى إلى ابنه الحسن عليه السلام ، وأشهد على وصيته الحسين عليه السلام ومحمداً وجميع ولده ورؤساء أهل بيته وشيعته عليهم السلام ، ثم دفع إليه الكتاب والسلام .

ثم قال : يا بني أمرني رسول الله أن أوصي إليك وأن أدفع إليك كتيبي وسلاحي كما أوصى إلي رسول الله (ص) ، ودفع إلي كتيبه وسلاحه وأمرني أن أمرك إذا حضر الموت أن تدفع إلى أخيك الحسين عليه السلام ، قال : ثم أقبل على ابنه الحسين عليه السلام فقال : وأمرك رسول الله أن تدفعه إلى ابنك علي بن الحسين عليه السلام ، ثم أقبل على ابنه علي بن الحسين فقال له : وأمرك رسول الله أن تدفع وصيتك إلى ابنك محمد بن علي عليه السلام ، فاقرأه من رسول الله ومني السلام ، ثم أقبل على ابنه الحسن عليه السلام فقال : يا بني أنت ولي الأمر بعدي وولي السدم ، فإن عفوت فلك فإن قتلت فضرربة مكان ضربة ولا تأثم .

ثم قال : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أوصى به علي ابن أبي طالب عليه السلام ، أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الذين كلّه ولو كره المشركون ، ثم إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين ، ثم إنني أوصيك يا حسن وجميع ولدي وأهل بيتي ومن بلغهم كتابي هذا من المؤمنين بتقوى الله ربكم ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فلما سمعت رسول الله يقول صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة

والصيام ، وإن البغضة حالقة الدين وفساد ذات البين ، ولا قوة إلا بالله أنظروا ذوي أرحامكم فصلوهم يهون الله عليكم الحساب .

والله الله في الأيتام ولا تعروا أفواههم ولا تضيّعوا بحضرتكم فلاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : من عال يتيماً حتى يستغني أوجب الله له الجنة كما أوجب لكل مال اليتيم النار .

والله الله في القرآن فلا يسبقكم إلى العمل به غيركم .

والله الله في جيرانكم ، فإن الله ورسوله أوصيا بهم .

والله الله في بيت ربكم فلا يخلون منكم ما بقيتم ، فإنه إن ترك لم تناظروا وإن أدنى ما يرجع به من أمة أن يغفر له ما سلف من ذنبه .

والله الله في الصلاة فإنها خير العمل وإنها عمود دينكم .

والله الله في الزكاة فإنها تطفىء غضب ربكم .

والله الله في صيام شهر رمضان فإن صيامه جنة من النار .

والله الله في الفقراء والمساكين فشاركوهم في معيشتكم .

والله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم إنما يجاهد في

سبيل الله رجلان : إمام هدى ومطيع له مقتدى بهداه .

والله الله في ذرية نبيكم فلا يظلمن أظهركم وأنتم تقدررون على

الدفع عنهم .

والله الله في أصحاب نبيكم الذين لم يحدثوا حدثاً ولم يؤوا محدثاً ،

فإن رسول الله صلى الله عليه وآله أوصى بهم ولعن المحدث منهم ومن غيرهم والمؤدي للمحدث .

والله الله في النساء وما ملكت أيما نكم ولا تخافن في الله لومة لائم

يكفيكم الله في من أرادكم وبغى عليكم ، قولوا للناس حسناً كما أمركم

الله عز وجل ، ولا تتركن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فيولي الله

الأمر شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم ، عليكم يا بني بالتواصل

والتبازل والتبار وإياكم والتقاطع والتدابير والتفرق ، وتعاونوا على البر

والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب ، حفظكم الله من أهل بيت ويحفظ فيكم نبيكم واستودعكم الله وأقرأ عليكم السلام ، ثم لم يزل يقول : لا إله إلا الله حتى قبض صلوات الله عليه وسلامه في أول ليلة من العشر الأواخر ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان ليلة الجمعة لأربعين سنة مضت من الهجرة .

وروي في الأمالي بإسناده عن حبيب بن عمرو قال : دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في مرضه الذي قبض فيه ، فحلّ عن جراحته فقلت : يا أمير المؤمنين ما جرحك هذا بشيء وما بك من بأس؟ فقال : يا حبيب أنا والله مفارقكم الساعة ، قال : فبكيت عند ذلك وبكت أم كلثوم ، وكانت قاعدة عنده ، فقال لها : ما يبكيك يا بنية؟ فقالت : ذكرت يا أبة أنك تفارقنا الساعة فبكيت ، فقال لها : يا بنية لا تبكين فوالله لو ترين ما يرى أبوك ما بكيت ، قال حبيب : فقلت : ما الذي ترى يا أمير المؤمنين؟ فقال : يا حبيب أرى ملائكة السماوات والنبئين بعضهم في إزاء بعض وقوفاً إلى أن يتلقوني ، وهذا أخي محمد رسول الله (ص) جالس عندي يقول : أقدم فإن أمامك خير لك مما أنت فيه ، قال : فما خرجت من عنده حتى توفي عليه السلام .

أقول : قال ابن أبي الحديد : قال أبو الفرج الأصفهاني : روى أبو مخنف عن أبي الطفيل أن صعصعة بن صوحان استأذن علي عليه السلام وقد أتاه عائداً لما ضربه ابن ملجم ، فلم يكن عليه آذن فقال صعصعة : الأذن قل له يرحمك الله يا أمير المؤمنين حياً وميتاً ، فلقد كان الله في صدرك عظيماً ولقد كنت بذات الله عليمًا فأبلغه الأذن إليه ، فقال : قل له وأنت يرحمك الله ، فلقد كنت خفيف المؤونة كثير المعونة ، قال أبو الفرج : ثم جمع له أطباء الكوفة فلم يكن منهم أعلم بجرحه من أثير بن عمرو بن هاني السلولي ، وكان متطيباً صاحب كرسي يعالج الجراحات ، وكان من الأربعين غلاماً الذين كان ابن الوليد أصابهم في عين التمر فسيبهم ، فلما نظر أثير إلى جرح أمير المؤمنين دعا برية شاة

حارة فاستخرج منها عرقاً ، ثم نفخه ، ثم استخرجه وإذا عليه بياض الدماغ فقال : يا أمير المؤمنين أعهد عهدك فإن عدو الله قد وصلت ضربته إلى أم رأسك .

وروى السيد عبدالكريم بن طاووس رحمه الله في فرحة الغري بإسناده إلى عمرو بن اليسع قال : جاءني سعد الاسكاف فقال : يا بني تحمل الحديث ، قلت : نعم . فقال : حدثني أبو عبدالله عليه السلام قال : لما أصيب أمير المؤمنين عليه السلام قال للحسن والحسين عليهما السلام : غسّلاني وكفّناني وحنّطاني واحملاني على سريري واحملا مؤخره تكفيان مقدمه ، فإنكما تنتهيان إلى قبر محفور ولحد ملحود ولبن موضوع فالحداني واشرجا عليّ اللبن وارفعاً لبنة ممّا عند رأسي فانظرا ما تسمعان ، فأخذنا اللبنة من عند الرأس بعدما اشرجا عليه اللبن فإذا ليس في القبر شيء ، وإذا هاتف يهتف أمير المؤمنين كان عبداً صالحاً فالحقه الله عزّ وجلّ بنبيه (ص) ، وكذلك يفعل بالأوصياء بعد الأنبياء حتى لو أن نبياً مات في المشرق ومات وصيه بالمغرب ألحق الله الوصي بالنبي .

وفيه أيضاً بإسناده إلى أبي عبدالله الجدلي قال : استنفر علي بن أبي طالب الناس في قتال معاوية في الصّيف ، وذكر الحديث مطولاً وقال في آخره أبو عبدالله الجدلي : وقد حضره وهو يوصي الحسن فقال : يا بني إني ميّت من ليلتي هذه ، فإذا أنا متّ فاغسلني وكفني وحنّطني بحنوط جدك وضعني على سريري ولا يقرب أحد منكم مقدم السرير ، فإنكم تكفونّه ، فإذا حمل المقدم فاحملوا المؤخر وليتبع المؤخر المقدم حيث ذهب ، فإذا وضع المقدم فضعوا المؤخر ، ثم تقدم أي بني فصلّ عليّ فكبر سبعاً فإنها لن تحلّ لأحد من بعدي إلا الرجل من ولدي يخرج في آخر الزمان يقيم إعوجاج الحق ، فإذا صليت فخط حول سريري ، ثم احفر لي قبراً في موضعه إلى منتهى كذا وكذا ، ثم شق لحداً فإنك تقع على ساجة منقورة أدخرها أبي نوح وضعني في السّاجة ، ثم ضع عليّ سبع لبن كبار ، ثم ارقب هنيئة ثم انظر فإنك لن تراني في لحدي .

وفيه أيضاً بإسناده عن محمد بن الحسن الجعفري قال : وجدت في كتاب أبي وحدثني أُمِّي عن أُمِّها أَنَّ جعفر بن محمد (ع) حَدَّثَهَا أَنَّ أمير المؤمنين عليه السلام أمر ابنه الحسن (ع) أن يحفر له أربع قبور في أربع مواضع في المسجد وفي الرَّحبة وفي الغري وفي دار جعدة بن هبيرة ، وإنما أراد بهذا أن لا يعلم أحد من أعدائه موضع قبره .

وفيه أيضاً بإسناده عن أحمد بن المقري ، عن أُمِّ كلثوم بنت علي (ع) قالت : آخر عهد أبي إلى أخوتي عليهما السلام أن قال : يا بني إذا أنا مت فغسلاني ثم نشفاني بالبردة التي نشفت بها رسول الله وفاطمة ، ثم حنطاني وسجّاني على سرير ، ثم انظروا حتى إذا ارتفع لكم مقدم السرير فاحملا مؤخره ، قالت : فخرجت أشيع جنازة أبي حتى إذا كنا بظهر الكوفة وقدمنا بظهر الغري ركن المقدم ، فوضعا المؤخر ثم برز الحسن عليه السلام بالبردة التي نشفت بها رسول الله وفاطمة وأمير المؤمنين عليهم السلام ، ثم أخذ المعول فضرب ضربة فانشق القبر عن ضريح ، فإذا هو بساجة مكتوب عليها سطران بالسريانية :

بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم هذا قبر قبره نوح النبي عليه السلام لعلي وصي محمد صلَّى الله عليه وآله قبل الطوفان بسبع مائة عام ، قالت أم كلثوم : فانشق القبر فلا أدري انبش سيدي في الأرض أم اسري إلى السماء إذ سمعت ناطقاً لنا بالتعزية أحسن الله لكم العزاء في سيّدكم وحجة الله على خلقه .

وفي إرشاد المفيد رحمه الله قال : ومن الأخبار التي جاءت بموضع قبر أمير المؤمنين عليه السلام وشرح الحال في دفنه ما رواه عباد بن يعقوب الرواحي قال : حَدَّثَنَا حَيَّان بن علي العبدي قال : حَدَّثَنِي مولى لعلي بن أبي طالب عليه السلام قال : لما حضرت أمير المؤمنين عليه السلام الوفاة قال للحسن والحسين عليهما السلام : إذا أنا مت فاحملاني على سرير ثم اخرجاني واحملا مؤخر السرير ، فلنكما تكفيان مقدمه ، ثم اثنيابي

الغريين فإنكما ستريان صخرة بيضاء تلمع نوراً ، فاحتفرا فيها فإنكما تجدان ساجة ، فادفناي فيها ، قال : فلما مات عليه السلام أخرجنا وجعلنا نحمل مؤخر السرير ونكفي مقدمه وجعلنا نسمع دويّاً وحفيفاً حتى رأينا الغريين ، فإذا صخرة بيضاء تلمع نوراً ، فاحتفنا فإذا ساجة مكتوب عليها مَبَا أَدخَرها نوح لعلّي بن أبي طالب عليه السلام فدفناه عليها وانصرفنا مسرورين بإكرام الله تعالى لأمير المؤمنين عليه السلام فلحقنا قوم من الشيعة لم يشهدوا الصلاة عليه وأخبرناهم بما جرى وإكرام الله تعالى أمير المؤمنين ، فقالوا : نحَبُّ أن نعاين من أمره ما عايَنتم ، فقلنا لهم : إنَّ الموضوع قد عفى أثره بوصية منه عليه السلام ، فمضوا وعادوا إلينا فقالوا : إنهم احتفروا ، فلم يجدوا شيئاً .

وفيه أيضاً عن محمد بن عبدالله بن محمد الأزدي في خبر قال : فلما قضى أمير المؤمنين عليه السلام نَحْبَهُ^(١) وفرغ أهله من دفنه عليه السلام جلس الحسن عليه السلام وأمر أن يؤتى بابن ملجم فجيء به ، فلما وقف بين يديه قال له : يا عدو الله قتلت أمير المؤمنين عليه السلام وأعظمت الفساد في الدين ، ثم أمر به فضربت عنقه واستوهبت منه أم الهيثم بنت أسود النخعية جيفته لتتولى إحراقها فوهبها لها فأحرقتها بالنار .

وفي أم قطام وقتل أمير المؤمنين عليه السلام يقول الشاعر :

فلم أر مهراً ساقه ذو سماعة كمهر قطام من فصيح واعجم
ثلاثة آلاف وعبد قسنية وضرب عليّ بالحسام المسمم
فلا مهر أغلى من علي وإن غلا ولا فتك^(٢) إلا دون فتك ابن ملجم

وأما الرجلان اللذان كانا مع ابن ملجم في العقيد على قتل معاوية

(١) النَّحْبُ المدة والوقت يقال قضى فلان نحبه أي مات .

(٢) الفاتك : الجري والجمع الفتاك والفتك ، أي : أن يأتي الرجل صاحبه وهو عار غافل حتى يشد عليه فيقتله (ص) .

وعمر بن العاص ، فإن أحدهما ضربه معاوية وهو راكع ، فوَقعت في إلبته ونجا منها وأخذ وقتل من وقته ، وأما الآخر فإنه وافى عمرواً في تلك الليلة وقد وجد علة فاستخلف رجلاً يصلي بالناس يقال له خارِجة ابن حبببة العامري فضربه بسيفه وهو يظن أنه عمرو فأخذ وأتى به عمرو فقتله ومات خارِجة في اليوم الثاني .

أقول : قال ابن أبي الحديد ، قال أبو الفرج ، قال أبو مخنف ، قال أبو زهير العبسي : فأما صاحب معاوية فإنه قصده ، فلما وقعت عينه عليه ضربه فوَقعت ضربته على إلبته فجاء الطبيب إليه فنظر إلى الضربة فقال : إن السيف مسموم فاختر : إما أن أحمي لك حديدة فأجعلها في الضربة ، وإما أن أسقيك دواء فتبرأه وينقطع نسلك ، فقال : أما النار فلا أطيّقها وأما النسل ففي يزيد وعبدالله ما يقرّ عيني وحسبي بهما ، فسقاه الدواء فعوفي ولم يولد له بعد ذلك .

وقال البرك بن عبدالله : إن لك عندي بشارة ، قال : وما هي ؟ فأخبره خبر صاحبه وقال : إن علياً قتل في هذه الليلة ، فاحتبسي عندك ، فإن قتل فأنت ولي ما تراه في أمري ، وإن لم يقتل فأعطيتك العهود والمواثيق أن أمضي فأقتله ، ثم أعود إليك فاضع يدي في يدك حتى تحكم في بما ترى ، فحبسه عنده ، فلما أتى الخبر أن علياً قتل في تلك الليلة خلى سبيله .

هذه رواية اسماعيل بن راشد ، وقال غيره : بل قتله من وقته .

وأما صاحب عمرو بن العاص فإنه وافاه في تلك الليلة وقد وجد علة واستخلف رجلاً يصلي بالناس يقال له خارِجة بن أبي حبببة ، فخرج للصلاة فشَدَّ عمرو بن بكر فضربه بالسيف فأثبته وأخذ الرجل فأتى به عمرو بن العاص فقتله ودخل من غد إلى خارِجة وهو يجود بنفسه ، فقال : أما والله يا أبا عبدالله ما أراد غيرك ، قال عمرو : ولكن الله أراد خارِجة .

وقال : قال أبو الفرج : حدّثني محمد بن الحسين بإسناد ذكره أن

الأشعث بن قيس لعنه الله دخل على علي عليه السلام فكلمه فأغلظ علي عليه السلام له فعرض له الأشعث أنه سبقتك به ، فقال له علي عليه السلام أبا الموت تخوفني أو تهددني ، فوالله ما أبالي وقعت على الموت أو وقع الموت علي .

وروى الكليني رحمه الله في الكافي بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام قال : إنَّ الأشعث بن قيس شرك في دم أمير المؤمنين عليه السلام وابنته جعدة سمّت الحسن عليه السلام ومحمد ابنه شرك في دم الحسين عليه السلام .

وفيه أيضاً بإسناده عن الحسن بن الجهم قال : قلت للرضا عليه السلام أن أمير المؤمنين عليه السلام قد عرف قاتله والليلة التي يقتل فيها والموضع الذي يقتل فيه ، وقوله لما سمع صياح الأوز في الدار صوائح تتبعها نوائح ، وقول أم كلثوم : لو صليت الليلة داخل الدار وأمرت غيرك يصلي بالناس فأبى عليها وكثر دخوله وخروجه تلك الليلة بلا سلاح ، وقد عرف عليه السلام أن ابن ملجم قاتله بالسيف كأن هذا لم يجز تعرضه ، فقال عليه السلام : ذلك كان ولكنه حين تلك الليلة لتمضي مقادير الله عز وجل .

تذنيب :

في البحار سئل الشيخ المفيد قدس سره في المسائل العكبيرة الإمام عندنا مجمع على أنه يعلم ما يكون ، فما بال أمير المؤمنين عليه السلام خرج إلى المسجد وهو يعلم أنه مقتول وقد عرف قاتله والوقت والزمان؟ وما بال الحسين بن علي عليه السلام سار إلى الكوفة وقد علم أنهم يخذلونه ولا ينصرونه ، وإنه مقتول في سفرته هاتيك ، ولم لما حضر وعرف أن الماء قد منع منه وإن انحفر أذرعاً قريبة نبع الماء ولم يحفر ، وأعان على نفسه حتى تلف عطشاً .

والحسن عليه السلام وادع معاوية وهادنه وهو يعلم أنه ينكث ولا يفي ويقتل شيعة أبيه .

فأجاب الشيخ رحمه الله عنها بقوله : وأما الجواب عن قوله إن الإمام يعلم ما يكون فاجمعنا إلى الأمر على خلاف ما قال ، وما اجمعت الشيعة على هذا القول ، وإنما إجماعهم ثابت على أن الإمام يعلم الحكم في كل ما يكون دون أن يكون عالماً بأعيان ما يحدث ويكون على التفصيل والتمييز ، وهذا يسقط الأصل الذي بنا عليه الأسئلة بأجمعها ولنا نمنع أن يعلم الإمام أعيان ما يحدث ويكون يلا إعلام الله تعالى له ذلك .

فأما القول بأنه يعلم كلما يكون فلسنا نطلقه ولا نصوب قائله لدعواه فيه من غير حجة ولا بيان . والقول بأن أمير المؤمنين عليه السلام كان يعلم قاتله والوقت الذي كان يقتل فيه فقد جاء الخبر متظاهراً أنه كان يعلم في الجملة أنه مقتول ، وجاء أيضاً بأنه يعلم قاتله على التفصيل ، فأما علمه بوقت قتله فلم يأت عليه أثر على التحصيل ، ولو جاء به أثر لم يلزم فيه ما يظنه المعترضون ، إذ كان لا يمتنع أن يتعبده الله تعالى بالصبر على الشهادة والاستسلام للقتل ليلغى بذلك علواً لدرجات ما لا يبلغه إلا به ، ولعله بأنه يطيعه في ذلك طاعة لو كلفها سواه لم يردهما ، ولا يكون بذلك أمير المؤمنين عليه السلام ملقياً بيده إلى التهلكة ولا معيناً على نفسه معونة تستقبح في العقول .

وأما علم الحسين عليه السلام بأن أهل الكوفة خاذلوه ، فلسنا نقطع على ذلك إذ لا حجة عليه من عقل ولا سمع ، ولو كان عالماً بذلك لكان الجواب عنه ما قدمناه في الجواب عن علم أمير المؤمنين عليه السلام بوقت قتله ومعرفة قاتله ، كما ذكرناه ، وأما دعواه علينا أننا نقول إن الحسين عليه السلام كان عالماً بموضع الماء قادراً عليه ، فلسنا نقول ذلك ولا جاء به خبر على أن طلب الماء والاجتهاد فيه يقضي بخلاف ذلك ، ولو ثبت أنه كان عالماً بموضع الماء لم يمتنع في العقول أن يكون متعبداً

بترك السعي في طلب الماء من حيث كان ممنوعاً منه حسب ما ذكرناه في أمير المؤمنين عليه السلام غير أن ظاهر الحال بخلاف ذلك على ما قدّمناه .

والكلام في علم الحسن عليه السلام بعاقبة موادعته معاوية بخلاف ما تقدم وقد جاء الخبر بعلمه بذلك ، وكان شاهد الحال له يقضي به غير أنه دفع به عن تعجيل قتله وتسليم أصحابه له إلى معاوية وكان في ذلك لطف في بقاءه إلى حال مضيه ولطف لبقاء كثير من شيعة وأهله وولده ودفع الفساد في الدين هو أعظم من الفساد الذي حصل عند هدنة ، وكان عليه السلام أعظم بما صنع ممّا ذكرناه وبيننا الوجوه فيه . انتهى كلامه رفع الله مقامه .

قال : وسئل السيد مهنا بن سنان العلامة الحلي نور الله ضريحه عن مثل ذلك في أمير المؤمنين صلوات الله عليه . فأجاب رحمه الله بأنه يحتمل أن يكون أخبر عليه السلام بوقوع القتل في تلك الليلة ولم يعلم في أي وقت من تلك الليلة أو أي مكان يقتل ، وإن تكليفه عليه السلام مغاير لتكليفنا ، فجاز أن يكون بذل مهجته الشريفة صلوات الله عليه في ذات الله تعالى كما يجب على المجاهد الثبات ، وإن كان ثباته يقضي إلى القتل .

تذييل :

في البحار في خبر طويل راوياً عن بعض الكتب القديمة .

روى أبو الحسن علي بن عبدالله بن محمد البكري عن لوط بن يحيى ، عن أشياعه وأسلافه وساق الحديث إلى أن قال :

قالت أم كلثوم بنت أمير المؤمنين عليه السلام : لما كانت ليلة تسع عشرة من شهر رمضان قدمت إليه عند إفطاره طبق فيه قرصان من خبز الشعير وقصعة فيها لبن ، وملح جريش ، فلما فرغ من صلاته أقبل إلى

فطوره ، ولما نظر إليه وتأمله حرك رأسه وبكا بكاء شديداً عالياً وقال : يا بنية ما ظننت أن بنتاً تسوء أباهها كما أسأت أنت إليّ ، قالت : وماذا يا أباه؟ قال : يا بنية أتقدمين إلى أبيك إدامين في طبق واحد تريدان أن يطول وقوفي غداً بين يدي الله عز وجل يوم القيامة ، أنا أريد أن أتبع أخي وابن عمي رسول الله صلى الله عليه وآله ما قدم إليه إدامان في طبق واحد إلى أن قبضه الله تعالى ، يا بنية ما من رجل طابت مطعمه ومشربه وملبسه إلا طال وقوفه بين يدي الله عز وجل يوم القيامة .

يا بنية إن الدنيا في حلالها حساب وفي حرامها عقاب وقد أخبرني حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله أن جبرئيل نزل إليه ومعه مفاتيح كنوز الأرض ، وقال : يا محمد إن الله يقرئك السلام ويقول لك : إن شئت سيرت معك جبال تهامة ذهباً وفضة ، وخذ هذه مفاتيح كنوز الأرض ولا ينقص من حظك يوم القيامة . قال : يا جبرئيل وما يكون بعد ذلك؟ قال : الموت ، فقال : إذا لا حاجة لي في الدنيا دعني أجوع يوماً وأشبع يوماً فالיום الذي أجوع فيه أتضرع إلى ربي وأسأله واليوم الذي أشبع فيه أشكر ربي وأحمده . فقال له جبرئيل : وفقت لكل خير .

ثم قال عليه السلام : يا بنية الدنيا دار غرور ودار هوان ، فمن قدم شيئاً وجده يا بنية والله لا أكل حتى ترفعين أحد الإدامين ، فلما رفعته تقدم إلى الطعام فأكل قرصاً واحداً بالملح الجريش ، ثم حمد الله وأثنى عليه ، ثم قام إلى صلاته فصلّى فلم يزل راكعاً وساجداً ومبتهلاً ومتضرعاً إلى الله سبحانه ويكثر الدخول والخروج وهو ينظر إلى السماء وهو قلق يتململ .

ثم قرأ سورة يس حتى ختمها ، ثم رقد هنيئاً وانتبه مرعوباً وجعل يمسح وجهه بثوبه ونهض قائماً على قدميه وهو يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ثم صلّى حتى ذهب بعض الليل ، ثم جلس للتعقيب ، ثم نامت عيناه وهو جالس ، ثم انتبه من نومه مرعوباً .

قالت أم كلثوم : كأنني به وقد جمع أولاده وأهله وقال لهم في هذا

الشهر تفقدوني ، رأيت في هذه الليلة رؤيا هالتي وأريد أن أقصها عليكم ، قالوا : وما هي ؟ قال : إني رأيت الساعة رسول الله في منامي وهو يقول لي : يا أبا الحسن إنك قادم إلينا عن قريب ، يجيء إليك أشقاها يتخضب شيتك من دم رأسك وأنا والله مشتاق إليك ، وإنك عندنا في العشر الآخر من شهر رمضان ، فهلّم إلينا فما عندنا خير لك وأبقى .

قال : فلما سمعوا كلامه ضجّوا بالبكاء والنحيب وأبدوا العويل فأقسم عليهم بالسكوت ، فسكتوا ثم أقبل عليهم يوصيهم ويأمرهم الخير وينهاهم عن الشر .

قالت أم كلثوم : ولم يزل تلك الليلة قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً ، ثم يخرج ساعة بعد ساعة يقلب طرفه في السماء وينظر في الكواكب وهو يقول : والله ما كذبت ولا كذبت وإنها الليلة التي وعدت بها ، ثم يعود إلى مصلاها ويقول : اللهم بارك لي في الموت ويكثر من قول إنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ويصلي على النبي وآله ويستغفر الله كثيراً .

قالت أم كلثوم : فلما رأيته في تلك الليلة قلقاً متمللاً كثير الذكر والاستغفار أرقّت معه ليلتي وقلت : يا أباه ما لي أراك هذه الليلة لا تذوق طعم الرقاد . قال : يا بنيّة إن أباك قتل الأبطال وخاض الأهوال وما دخل الخوف في جوفي وما دخل في قلبي رعب أكثر مما دخل في هذه الليلة ، ثم قال : إنا لله وإنا إليه راجعون . فقلت : يا أباه ما لك تنعي نفسك منذ الليلة ؟ قال : يا بنيّة قد قرب الأجل وانقطع الأمل .

قالت أم كلثوم : فبكيت . فقال لي : يا بنيّة لا تبكين فإنني لم أقل ذلك إلا بما عهد إليّ النبي صلى الله عليه وآله ، ثم إنه نعس وطوى ساعة ثم استيقظ من نومه وقال : يا بنيّة إذا قرب وقت الأذان فأعلميني ، ثم رجع إلى ما كان عليه أول الليل من الصلاة والدعاء والتضرع إلى الله سبحانه وتعالى .

قالت أم كلثوم : فجعلت أرقب وقت الأذان ، فلما لاح الوقت أتته ومعها إناء فيه ماء ، ثم أيقظته فأسبغ الوضوء وقام ولبس ثيابه وفتح بابه ، ثم نزل إلى الدار وكان في الدار أوز أمدي إلى أخي الحسين عليه السلام ، فلما نزل خرجن ورائه فبرزن وصحن في وجهه وكنّ قبل تلك الليل لم يصحن . فقال عليه السلام : لا إله إلا الله صوارخ تتبعها نوائح ، وفي غداة غد يظهر القضاء ، فقلت له : يا أباه هكذا تطير ، فقال : يا بنية ما منا أهل البيت من يتطير ولا يتطير به ، ولكن قول جرى على لساني ، ثم قال : يا بنية بحقي عليك إلا ما أطلقتيه فقد حبست ما ليس له لسان ولا يقدر على الكلام إذا جاع أو عطش فأطعميه وأسقيه وإلا خلي سبيله يأكل من حشائش الأرض ، فلما وصل إلى الباب فعالجه ليفتحه فتعلق الباب بمثزره فانحلت مثزره حتى سقط ، فأخذه وسده وهو يقول :

أشدد حيازيمك للموت فإن الموت لائقك
ولا تجزع من الموت إذا حلّ يناديك
ولا تغتر بالدهر وإن كان يواتيك
كما اضحك لك الدهر كذاك الدهر يبكيك

ثم قال : اللهم بارك لنا في الموت ، اللهم بارك لي في لقاءك .

قالت أم كلثوم : وكنت أمشي خلفه ، فلما سمعته يقول ذلك قلت : وا غوثاه يا أبتاه أراك تنعي نفسك منذ الليلة . قال : يا بنية ما هو بنعي ولكنها دلالات وعلامات للموت يتبع بعضها بعضاً فامسكت عن الجواب ، ثم فتح الباب وخرج .

قالت أم كلثوم : فجئت إلى أخي الحسن عليه السلام فقلت : يا أخي قد كان من أمر أبيك الليلة كذا وكذا وهو قد خرج في هذا الليل الغلس فألحقه ، فقام الحسن بن علي عليهما السلام وتبعه فلحق به قبل أن يدخل الجامع ، فقال : يا أباه ما أخرجك في هذه الساعة وقد بقي من

الليل ثلثه ، فقال : يا حبيبي ويا قرّة عيني خرجت لرؤيا رأيتهما في هذه الليلة هالتني وإنّه عجلني وأقلقتني ، فقال له : خيراً رأيت وخيراً يكون . فقصّها علي عليه السلام فقال : يا بني رأيت كأن جبرئيل قد نزل من السماء على جبل أبي قبيس فتناول منه حجرتين ومضى بهما إلى الكعبة وتركهما على ظهرها وضرب أحدهما على الآخر فصارت كالرّميم ، ثم ذراهما في الريح ، فما بقي بمكة ولا بالمدينة بيت إلاّ ودخله من ذلك الرّماد ، فقال له : يا أبت ما تأويلهما . فقال : يا بنيّ إن صدقت رؤياي فإنّ أباك مقتول ولا يبقى بمكة حينئذٍ ولا بالمدينة بيت إلاّ ويدخله من ذلك غم ومصيبة من أجلي .

فقال الحسن عليه السلام : وهل تدري متى يكون ذلك يا أبت؟ قال : بنيّ إنّ الله يقول : ﴿ وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأيّ أرض تموت ﴾ ولكن عهد إليّ حبيبي رسول الله صلّى الله عليه وآله أنه يكون في العشر الآخر من شهر رمضان يقتلني ابن ملجم المرادي ، فقلت له : يا أبتاه أما علمت عنه ذلك فاقتله ، قال : يا بنيّ لا يجوز القصاص إلاّ بعد الجناية والجناية لم تحصل منه ، يا بنيّ لو اجتمع الثقلان الإنس والجنّ على أن يرفعوا ذلك لما قدروا ، يا بنيّ ارجع إلى فراشك .

فقال الحسن عليه السلام : يا أبتا أريد أمضي معك إلى موضع صلاتك ، فقال له : أقسمت بحقي عليك إلاّ ما رجعت إلى فراشك لثلاث يتعص عليك نومك ولا تعصني في ذلك . قال : فرجع الحسن عليه السلام فوجد اخته أم كلثوم قائمة خلف الباب تنتظره ، فدخل فأخبرها بذلك وجلسا يتحادثان وهما محزونان حتى غلب عليهما النعاس ، فقاما ودخلا إلى فراشهما وناما .

قال أبو مخنف وغيره : وسار أمير المؤمنين عليه السلام حتى دخل المسجد والقناديل قد خمد ضوءها فصلّى في المسجد ورده وعقب ساعة ،

ثم إنه قام وصلى ركعتين ، ثم علا المأذنة ووضع سبابته في أذنيه وتنحنح ، ثم أذن ، وكان عليه السلام إذا تنحنح تضطرب الحيطان وإذا أذن لم يبق في بلدة الكوفة بيت إلا اخترقه صوته .

قال الراوي : وأما ابن ملجم فيأتي في تلك الليلة يفكر في نفسه ولا يدري ما يصنع ، فتارة يعاتب نفسه ويوبخها ويخاف من عقبي فعله فيهم أن يرجع عن ذلك ، وتارة يذكر قطام لعنها الله وحسنها وجمالها وكثرة مالها فتميل نفسه إليها ، فبقي عامة ليله يتقلب على فراشه وهو يترنم بقوله :

ثلاثة آلاف وعبد وقنية وضرب علي بالحسام المسمم
فلا مهر أغلا من قطام وإن غلا ولا فتك إلا دون فتك ابن ملجم
فأقسمت بالبيت الحرام ومن أتى إليه ولي من محل ومحرم
لقد أفسدت عقلي قطام وإنني لمنها على شك عظيم مذمم
لقتل علي خير من وطىء الثرى أخي العالم الهادي النبي المكرم
لقد خاب من يسعى بقتل إمامه وويل له من حر نار جهنم

فبينما هو على هذه الحالة إذ أتته الملعونة ونامت معه في فراشه وقالت له : يا هذا من يكون هذا العزم يرقد ؟ فقال لها : والله إنني أقتله لك الساعة ، فقالت : اقتله وأرجع إليّ قرير العين مسروراً ، وافعل ما تريد ، فإني منتظرة لك ، فقال لها : بل أقتله وأرجع إليك سخين العين ، منحوساً محسوراً . فقالت : أعوذ بالله من تطيرك الوحش . قال : فوثب الملعون كأنه الفحل من الإبل ، قال : هلمي إليّ بالسيف ، ثم إنه ائتزر بمشرز واتشح بإزار وجعل السيف تحت الإزار مع بطنه وقال : افتحي لي الباب ففي هذه الساعة أقتل لك علياً ، فقامت فرحة مسرورة وقبّلت صدره وبقي يقبلها وترشقها ثم راودها عن نفسها ، فقالت له : هذا علي أقبل إلى الجامع وأذن فقم إليه فاقتله ثم عد إليّ ، فها أنا منتظرة رجوعك ، فخرج من الباب وهي خلفه تحرضه بهذه الآيات :

أقول إذا ماحية أعيت الوقا وكان زعاف الموت منه شرابها

لا مسسنا إليها في الظلام ابن ملجم همام إذا ما الحرب شب لهاها
 فخذها علي فوق رأسك ضربة بكف سعيد سوف يلقي ثوابها
 قال الراوي : فالتفت إليها وقال : أفسدت والله الشعر في هذا البيت
 الآخر . قالت : ولم ذلك ؟ قال لها : هلا قلت :

بكف شقي سوف يلقي عقابها

قال مصنف هذا الكتاب قدس الله روحه : هذا الخبر غير صحيح ، بل إننا كتبناه كما وجدناه والرواية الصحيحة أنه يأت في المسجد
 ومعه رجلان أحدهما شبيب بن بحير والآخر دردان بن مجالد يساعده علي
 قتل علي عليه السلام ، فلما أذن عليه السلام ونزل من المئذنة وجعل
 يسبح الله ويقده ويكبره ويكثر من الصلاة على النبي (ص) .

قال الراوي : وكان من كرم أخلاقه عليه السلام أنه يتفقد النائمين
 في المسجد ويقول : الصلاة يرحمك الله الصلاة قم إلى الصلاة المكتوبة
 عليك ، ثم يتلو عليه السلام ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾
 ففعل كما كان يفعل علي جاري عاداته مع النائمين في المسجد حتى إذا
 بلغ إلى الملعون فرآه نائماً على وجهه ، قل له : يا هذا قم من نومك هذا
 فإنها نومة يمقتها الله وهي نومة الشيطان ونومة أهل النار ، بل نم على
 يمينك فإنها نومة العلماء أو على يسارك فإنها نومة الحكماء أو على ظهرك
 فإنها نومة الأنبياء . قال : فتحرك الملعون كأنه يريد أن يقوم وهو من مكانه
 لا يبرح . فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : لقد هممت بشيء تكاد
 السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً ، ولو شئت لأنباتك
 بما تحت ثيابك ، ثم تركه وعدل عليه السلام عنه إلى محرابه وقام قائماً
 يصلي ، وكان عليه السلام يطيل الركوع والسجود في الصلاة كعادته في
 الفرائض والنوافل حاضراً قلبه . فلما أحس به نهض الملعون مسرعاً وأقبل
 يمشي حتى وقف بإزاء الاسطوانة التي كان الإمام عليه السلام يصلي عليها
 فأمله حتى صلى الركعة الأولى وركع للثانية وسجد السجدة الأولى منها

ورفع رأسه وسجد السجدة الثانية فعند ذلك أخذ السيف وهزه ثم ضربه على رأسه المكرّم الشريف فوقعت الضربة على الضربة التي ضربه عمرو بن عبد ود العامري . ثم أخذت الضربة إلى مفرق رأسه إلى موضع السجود .

فلما أحسّ الإمام عليه السلام بالضربة لم يتأوه وصبر احتسب ووقع على وجهه وليس عنده أحد قائلاً بسم الله وبالله وعلى ملّة رسول الله هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ، ثم صاح وقال : قتلني ابن ملجم قتلني اللعين ابن اليهودية ، فنزت ربّ الكعبة ، أيها الناس لا يفوتنكم ابن ملجم وسار السّم في رأسه ويدنه وسار جميع من في المسجد في طلب الملعون وماجوا بالسّلاح ، فما كنت أرى إلّا صفق الأيدي على الهامات وعلو الصّراخات ، وكان ابن ملجم ضربه ضربة خائفاً مرعوباً ثم ولّى هارباً ، وخرج من المسجد وأحاط الناس بأمير المؤمنين عليه السلام وهو في محرابه يشدّ الضربة ويأخذ التراب ويضعه عليها ، ثم تلا قوله تعالى : ﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴾ . ثم قال عليه السلام : جاء أمر الله وصدق رسول الله ولما ضربه الملعون ارتجت الأرض وماجت البحار والسموات واصطفقت أبواب الجامع . قال : وضربه اللعين شبيب بن بحيرة فأخطاه ووقعت الضربة في الطاق .

قال الراوي : فلما سمع الناس الضجّة ثار إليه كلّ من كان في المسجد وصاروا يدورون ولا يدرون أين يذهبون من شدة الصدمة والدهشة ، ثم أحاطوا بأمير المؤمنين عليه السلام وهو يشدّ رأسه بمئزره والدم يجري على وجهه ولحيته وقد خضبت بدمائه وهو يقول : هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله .

قال الراوي : فاصطفقت أبواب الجامع وضجت الملائكة في السماء بالدعاء وهبت ريح عاصف سوداء مظلمة ، ونادى جبرئيل بين السماء والأرض بصوت يسمعه كلّ مستيقظ تهدمت والله أركان الهدى وانطمست والله نجوم السماء وأعلام التقي ، وانفصمت والله العروة الوثقى ، قتل ابن

عمّ المصطفى قتل الوصيّ المجتبى ، قتل علي المرتضى ، قتل والله سيد الأوصياء ، قتله أشقى الأَشقياء .

قال : فلمّا سمعت أمّ كلثوم نعي جبرئيل عليه السلام فلطمت على وجهها وخدّها وشقّت جيبيها وصاحت وأبتاه وأعليّاه وأحمّده ، وأسّده ، ثمّ أقبلت إلى أخويها الحسن والحسين عليهما السلام فأيقظتهما وقالت لهما : والله لقد قتل أبوكما ، فقاما يبكيان ، فقال لهما الحسن عليه السلام : يا اختاه كفي عن البكاء حتى نعرف صحّة الخبر كي لا تشمت الأعداء ، فخرجوا فإذا النّاس ينوحون وينادون وإماماه ، وأمير المؤمنين ، قتل والله إمام عابد مجاهد لم يسجد لصنم ، كان أشبه النّاس برسول الله .

فلمّا سمع الحسن والحسين عليهما السلام صرخات النّاس ناديا : وأبتاه ، وأعليّاه ، ليت الموت أعدمنا الحياة . فلما وصلا الجامع ودخلا وجدا أبا جعدة بن هبيرة ومعه جماعة من النّاس وهم يجتهدون أن يقيموا الإمام في المحراب ليصلّي بالنّاس ، فلم يطق التّهوض ، وتأخّر عن الضّعف وتقدّم الحسن عليه السلام فصلّي بالنّاس وأمير المؤمنين عليه السلام يصلّي إيماء عن جلوس وهو يمسح الدّم عن وجهه وكريمته الشريفة يميل تارة ويسكن أخرى والحسن عليه السلام ينادي ولا نقطاع ظهراه يعزّوا الله أن تراك هكذا ، ففتح عينه وقال : يا بني لا جزع على أبيك بعد اليوم هذا جدّك محمد المصطفى وجدّتك خديجة الكبرى ، وأمك فاطمة الزهراء ، والحدور العين محدقون منتظرون قدوم أبيك ، فطب نفساً وقرّ عيناً وكف عن البكاء ، فإنّ الملائكة قد ارتفعت أصواتهم إلى السماء .

قال : ثمّ إنّ الخبر شاع في جوانب الكوفة وانحشر النّاس حتى المخدّرات خرجن من خدرهنّ إلى الجامع ينظرون إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، فدخل النّاس الجامع فوجدوا الحسن عليه السلام ورأس أبيه في حجره وقد غسل الدّم عنه وشدّ المضربة وهي بعدما تشخب دمأً ووجه قد زاد بياضاً بصفرة ، وهو يرمق السماء بطرفه ولسانه يسبح الله ويوحّده وهو يقول : أسألك يا ربّ الرّفيع الأعلى فأخذ الحسن عليه السلام رأسه في

حجره مغشياً عليه . فعندها بكى بكاءً شديداً وجعل يقبل وجه أبيه ، وما بين عينيه ، وموضع سجوده ، فسقط من دموعه قطرات على وجه أمير المؤمنين ففتح عينيه فرآه باكياً ، فقال له : يا بني يا حسن ما هذا البكاء ، يا بني لا روع على أبيك بعد اليوم هذا جدك محمد المصطفى وخديجة وفاطمة والحدود العين محدقون منتظرون قدوم أبيك فطرب نفساً وقر عيناً واكفف عن البكاء ، فإن الملائكة قد ارتفعت أصواتهم إلى السماء ، يا بني اتجزع على أبيك وغداً تقتل بعدي مسموماً ومظلوماً ، ويقتل أخوك بالسيف هكذا ، وتلحقان بجدكما وأبيكما وأمكما .

فقال له الحسن عليه السلام : يا أبتاه ما تعرفنا من قتلك ومن فعل بك هذا . قال : قتلني ابن اليهودية عبدالرحمن بن ملجم المرادي . فقال : يا أبتاه من أي طريق مضى ؟ قال : لا يمضي أحد في طلبه فإنه سيطلع عليكم من هذا الباب ، وأشار بيده الشريفة إلى باب كنده .

قال : ولم يزل السم يسري في رأسه ويدنه ، ثم أغمي عليه ساعة والناس ينتظرون قدوم الملعون من باب كنده ، واشتغل الناس بالنظر إلى الباب ويرتقبون قدوم الملعون . وقد غصّ الجامع بالعالم ما بين باك ومحزون ، فما كان إلا ساعة وإذا بالصيحة قد ارتفعت في زمرة من الناس وقد جاؤا بعدوا الله ابن ملجم مكتوفاً ، هذا يلعنه وهذا يضربه وهذا ييصق في وجهه .

قال : فوقع الناس بعضهم على بعض ينظرون إليه ، فأقبلوا باللعين مكتوفاً هذا يلعنه وهذا يضربه وهم ينهشون لحمه بأسنانهم ويقولون له : يا عدو الله ما فعلت أهلكت أمة محمد (ص) وقتلت خير الناس وإنه لصامت وبين يديه رجل يقال له حذيفة النخعي بيده سيف مشهود وهو يرد الناس عن قتله وهو يقول : هذا قاتل الإمام علي عليه السلام حتى دخلوه المسجد .

قال الشعبي : كأنه انظر إليه وعيناه قد طارتا في أم رأسه ، كأنهما

قطعا علق وقد وقعت في وجهه ضربة قد هشت وجهه وأنفه والدم يسيل
على لحيته وعلى صدره وهو ينظر يمينا وشمالا وعيناه قد طارتا في أم رأسه
وهو أسمر اللون حسن الوجه وفي وجهه أثر السجود ، وكان على رأسه
شعر أسود منشورا على وجهه كأنه الشيطان الرجيم .

فلما حاذاني سمعته يترنم بهذه الأبيات :

أقول لنفسي بعدما كنت أنهاها وقد كنت أشناها وكنت أكيدها
أيا نفس كفي عن طلابك واصبري ولا تطلبي هماً عليك يبيدها
فما قبلت نصحي وقد كنت ناصحاً كنصيح ولود غاب عنها وليدها
فما طلبت إلا عيائي وشقوتي فيا طول مكثي في الجحيم بعيدها

فلما جاؤا به أوقفوه بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام ، فلما نظر
إليه الحسن عليه السلام قال له : يا ويلك يا لعين يا عدو الله أنت قاتل
أمير المؤمنين ومثكلنا إمام المسلمين ، هذا جزاؤه منك حيث آواك وقربك
وأدناك وأثرك على غيرك ، وهل كان بش الإمام لك حتى جازيته هذا
الجزاء يا شقي الأشقياء .

قال : فلم يتكلم بل دمعت عيناه فانكب الحسن على أبيه يقبله وقال
له : هذا قاتلك يا أبتاه قد أمكن الله منك فلم يجبه وكان نائماً فكره أن
يوقظه من نومه ، ثم التفت إلى ابن ملجم وقال : يا عدو الله هذا كان
جزاؤه منك حيث آواك وأدناك بؤاك الله وأدناك وقربك وحباك وفضلك على
غيرك هل كان بش الإمام حتى جازيته هذا الجزاء يا شقي الأشقياء .

فقال له الملعون : يا أبا محمد أفأنت تنقذ من في النار ، فعند ذلك
ضجّت الناس بالبكاء والنحيب فأمرهم الحسن عليه السلام بالسكوت ، ثم
التفت الحسن إلى الذي جاء به حذيفة رضي الله عنه فقال له : كيف
ظفرت بعدو الله وأين لقيته ، فقال : يا مولاي إن حديثي لعجيب وذلك
إنني كنت البارحة نائماً في داري وزوجتي إلى جانبي وأنا راقد وهي
مستيقظة إذ سمعت هي الزعقة وناعياً بنعي أمير المؤمنين عليه السلام وهو

يقول : تهدمت والله أركان الهدى وانطمست والله أعلام التقى ، قتل ابن عم محمد المصطفى ، قتل علي المرتضى ، قتله أشقى الأشقياء ، فأيقظتني وقالت لي : أنت نائم وقد قتل إمامك علي بن أبي طالب عليه السلام ، فانتبهت من كلامها فزعاً مرعوباً ، وقلت لها : يا ويلك ما هذا الكلام ، فض الله فاك لعن الشيطان قد ألقى في سمعك هذا أو حلم ألقى عليك ، يا ويلك إن أمير المؤمنين عليه السلام ليس لأحد من خلق الله تعالى قبله تبعة ولا ظلامة وإنه لليتيم كالأب الرحيم ، ولأرملة كالزوج العطوف . وبعد ذلك فمن الذي يقدر على قتل علي أمير المؤمنين وهو الأسد الضرغام ، والبطل الهمام ، والفارس القمقام ، فأكثرت علي وقالت : إنني سمعت ما لم تسمع وعلمت ما لم تعلم ، فقلت لها : وما سمعتي ؟ فأخبرتني بالصوت ، فقالت لي : سمعت ناعياً ينادي بأعلا صوته تهدمت والله أركان الهدى ، وانطمست والله أعلام التقى ، قتل ابن عم محمد المصطفى ، قتل علي المرتضى ، قتله أشقى الأشقياء .

ثم قالت : ما أظن بيتاً في الكوفة إلا وقد دخله هذا الصوت .

قال : فبينما أنا وهي في مراجعة الكلام وإذا بصيحة عظيمة وقائل يقول : قتل أمير المؤمنين ، فجبس قلبي بالشرف فمددت يدي إلى سيفي وسللته من غمده وأخذته ونزلت مسرعاً ، وفتحت باب داري وخرجت ، فلما صرت في وسط الجادة فنظرت يميناً وشمالاً وإذا بعدو الله يجول فيها يطلب مهرباً ، فلم يجد وإذا قد انسدت الطرقات في وجهه ، فلما نظرت إليه وهو كذلك انبى أمره فناديته يا ويلك من أنت ؟ وما تريد ؟ لا أم لك في وسط هذا الدرب تمرر تجييء ، فتسمى بغير اسمه وانتمى إلى غير كنيته ، فقلت له : من أين أقبلت ؟ قال : من منزلي ، قلت : وإلى أين تريد تمضي في هذا الوقت ؟ قال : إلى الحيرة ، فقلت : ولم لا تقعد حتى تصلي مع أمير المؤمنين صلاة الغداة وتمضي في حاجتك ، فقال : أخشى أن أقعد للصلاة فتفوتني حاجتي ، فقلت : يا ويلك إنني سمعت صيحة وقائلاً يقول : قتل أمير المؤمنين عليه السلام فهل عندك من ذلك

خبر . قال : لا علم لي بذلك ، فقلت له : ولم لا تمضي معي حتى تحقق الخبر وتمضي في حاجتك ، فقال : أنا ماض في حاجتي وهي أهم من ذلك .

فلما قال لي مثل ذلك القول قلت : يا لكع الرجال حاجتك أحب إليك من التجسس لأمر المؤمنين وإمام المسلمين إذا والله يا لكع ما لك عند الله من خلاق وحملت عليه بسيفي وهممت أن أعلوبه فراغ عني ، فبينما أنا أخاطبه وهو يخاطبني إذ هبت ريح فكشفت إزاره وإذا بسيفه يلمع تحت الإزار كأنه مرآة مصقولة ، فلما رأيت بريقه قلت : يا ويلك ما هذا السيف المشهور تحت ثيابك ، لعلك أنت قاتل أمير المؤمنين ، فأراد أن يقول لا فأنطق لسانه بالحق فقال نعم ، فرفعت سيفي وضربته فرفع هو سيفه وهم أن يعلوني فإذا جرّدت سيفي فضربته على ساقيه فأوقفته ووقع لحيته ووقعت عليه وصرخت صرخة شديدة وأردت أخذ سيفه فمانعني عنه ، فخرج أهل الحارة فأعانوني عليه حتى أوثقته كافاً وجثتك به ، فيها هو بين يديك جعلني الله فداك فاصنع به ما شئت .

فقال الحسن عليه السلام : الحمد لله الذي نصر وليه وخذل عدوه ، ثم انكب الحسن عليه السلام على أبيه يقبله وقال له : يا أباه هذا عدو الله وعدوك قد أمكن الله منه ، فلم يجبه ، وكان نائماً فكبره أن يوقظه من نومه ، فرقد ساعة ثم فتح عينيه عليه السلام وهو يقول : ارفقوني يا ملائكة ربي فقال الحسن عليه السلام : هذا عدو الله وعدوك ابن ملجم قد أمكن الله منه وقد حضر بين يديك . قال : ففتح عينيه ونظر إليه وهو مكتوف وسيفه معلق في عنقه ، فقال له بضعف وانكسار بصوت رافة ورحمة : يا هذا لقد جئت عظيماً وارثك وأمرأ عظيماً وخطباً جسيماً أبش الإمام كنت لك حتى جازيتني بهذا الجزاء ، ألم أكن شقيقاً عليك وأثرتك على غيرك ، وأحسنيت إليك وزدت في عطائك ، ألم يكن يقال لي فيك كذا وكذا فخلّيت لك السبيل ومنحتك عطائي وقد كنت أعلم أنك قاتلي لا محالة ، ولكن رجوت بذلك الاستظهار من الله تعالى عليك يا لكع وعلى أن ترجع عن غيئك فغلبت عليك الشقاوة فقتلتني يا شقي الأتقياء .

قال : فدمعت عينا ابن ملجم لعنه الله وقال : يا أمير المؤمنين أفأنت تنقذ من في النار . قال له : صدقت ، ثم التفت إلى ولده الحسن عليه السلام وقال له : ارفق يا ولدي بأسيرك وارحمه وأحسن إليه وأشفق عليه ألا ترى إلى عينيهِ قد طارتا في أم رأسه وقلبه يرجف خوفاً ورعباً وفزعاً . فقال له الحسن عليه السلام : يا أباه قد قتلك هذا اللعين الفاجر وأفجعنا فيك ، وأنت تأمرنا بالرفق به ، فقال له : نعم يا بني ، نحن أهل بيت لا نزداد على المذنب إلينا إلا كرمأً وعفواً ، الرحمة والشفقة من شيمتنا ، بحقي عليك فاطعمه يا بني ممّا تأكل واسقه ممّا تشرب ولا تقيد له قدماً ولا تغل له يداً ، فإن أنا مت فاقصص منه بأن تقتله وتضربه ضربة واحدة وتحرقه بالنار ، ولا تمثّل بالرجل فإنّي سمعت جدك رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول : إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور ، وإن أنا عشت فأنا أولى به بالعفو عنه وأنا أعلم بما أفعل به من عفوت فنحن أهل بيت لا نزداد على المذنب إلينا إلا عفواً وكرمأً .

ثم قال : قال محمد بن الحنفية رضي الله عنه ثم إن أبي عليه السلام قال : احملوني إلى موضع مصلاي في منزلي ، قال : فحملناه إليه وهو مدنف والناس حوله وهم في أمر عظيم باكين محزونين قد أشرفوا على الهلاك من شدة البكاء والنحيب ، ثم التفت إليه الحسين عليه السلام وهو يبكي ، فقال له : يا ابتاه من لنا بعدك لا يوم كيومك إلا يوم رسول الله (ص) من أجلك تعلّمت البكاء يعزّ والله عليّ أن أراك هكذا .

فناداه عليه السلام وقال : يا حسين يا أبا عبد الله ادن مني فدنا منه وقد قرحت اجفان عينيهِ من البكاء ، فمسح الدموع من عينيهِ ووضع يده على قلبه وقال له : يا بني ربط الله قلبك بالصبر وأجزل لك ولاخرتك عظيم الأجر ، فسكن روعتك وأهدى من بكائك فإن الله قد أجرك على عظيم مصابك ، ثم ادخل إلى حجرته عليه السلام وجلس في محرابه .

قال الراوي : وأقبلت زينب وأم كلثوم حتى جلستا معه على فراشه وأقبلتا تندبانه وتقولان : يا ابتاه من للصغير حتى يكبر ، ومن للكبير بين

الملا ، يا أبتاه حزنا عليك طويل وعبرتنا لا ترقى . قال : فضجَّ النَّاس من وراء الحجرة بالبكاء والنَّحيب وفاضت دموع أمير المؤمنين عليه السلام عند ذلك ، وجعل يقلِّب طرفه وينظر إلى أهل بيته وأولاده ، ثم دعا الحسن والحسين وجعل يحضنهما ويقبلهما ثم أغمى عليه ساعة طويلة وأفاق . وكذلك كان رسول الله يغمى عليه ساعة طويلة ويفيق أخرى ، لأنَّه صلَّى الله عليه وآله كان مسموماً .

فلما أفاق ناوله الحسن عليه السلام قعباً من لبن فشرب منه قليلاً ، ثم نحاه عن فيه وقال : احمِلوه إلى أسيركم ، ثم قال للحسن : بحقي عليك يا بنيَّ إلّا ما طبتم مطعمه ومشربه وارفقوا به إلى حين موتي وتطعمه ممّا تأكل وتسقيه ممّا تشرب حتى تكون أكرم منه ، فعند ذلك حملوا إليه اللبن وأخبروه بما قال أمير المؤمنين في حقِّه ، فأخذ اللبن وشربه .

قال : ولما حمل أمير المؤمنين إلى منزله جاؤا باللعين مكتوفاً إلى بيت من بيوت القصر فحبسوه فيه ، فقالت له أم كلثوم وهي تبكي : يا ويلك أما أبي فإنه لا بأس عليه ، وأما أنت فإنَّ الله يخزيك في الدنيا والآخرة وإنَّ مصيرك إلى النَّار خالداً فيها . فقال لها ابن ملجم لعنه الله : إبي إن كنت باكية فوالله لقد اشتريت سيفي هذا بألف وسمَّته بألف ولو كانت ضربتي هذه لجميع أهل الكوفة ما نجا منهم أحد ، وفي ذلك يقول الفرزدق :

فلا غرو للأشراف إن ظفرت بها ذئاب الأعادي من فصيح وأعجم
فحربة وحشي سقت حمزة الردى وحف علي من حسام ابن ملجم

قال محمد بن الحنفية رضي الله عنه : وبتنا ليلة عشرين من شهر رمضان مع أبي وقد نزل السَّم إلى قدميه ، وكان يصلي تلك الليلة من جلوس ولم يزل يوصينا بوصاياه ويعزينا عن نفسه ، ويخبرنا بأمره إلى حين طلوع الفجر ، فلما أصبح استأذن النَّاس عليه ، فأذن لهم بالدخول فدخلوا عليه وأقبلوا يسلمون عليه وهو يرد عليهم السلام ، ثم قال : أيها

الناس سلوني قبل أن تفقدوني وخففوا سؤالكم لمصيبة إمامكم . قال :
فبكى الناس عند ذلك بكاء شديداً وأشفقوا أن يسألوه تخفيفاً ، فقام إليه
حجر بن عدي الطائي وقال :

فيا أسفى على المولى النقي أبي الأطهار حيدرة الزكي
قتله كافر خبث زنيم لعين فاسق نغل شقي
فيلعن ربنا من حاد عنكم ويسراً منكم لعناً وبى
لأنكم بيوم الحشر ذخري وأنتم عترة الهادي النبي

فلما بصربه وسمع شعره قال له : كيف لي بك إذا دعيت إلى
البراءة مني فما عساك أن تقول ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين لو قطعت
بالسيف إرباً إرباً واضرم لي النار والقيت فيها لأثرت ذلك على البراءة منك .
فقال : وفقت لكل خير يا حجر جزاك الله خيراً عن أهل بيت نبيك ، ثم
قال : هل من شربة من لبن فأتوه بلبن في قعب ، فأخذه عليه السلام
وشربه كله ، فذكر الملعون ابن ملجم وإنه لم يخلف له شيئاً ، فقال :
وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، اعلموا أنني شربت الجميع ولم أبق لأسيركم
شيئاً من هذا إلا وإنه آخر رزقي من الدنيا ، فبالله عليك يا بني إلا ما
أسقيته مثل ما شربت ، فحمل إليه ذلك فشربه .

قال محمد بن الحنفية رضي الله عنه : لما كانت ليلة إحدى
وعشرين وأظلم الليل وهي الليلة الثانية من الكائنة جمع أبي أولاده وأهل
بيته وودعهم ثم قال لهم : الله خليفتي عليكم وهو حسبي ونعم الوكيل ،
وأوصاهم الجميع منهم بلزوم الإيمان والأديان والأحكام التي أوصاه بها
رسول الله صلى الله عليه وآله ، فمن ذلك ما نقل عنه أنه أوصى به
الحسن والحسين عليهما السلام لما ضربه الملعون ابن ملجم وهي هذه
أوصيكما بتقوى الله وساقها إلى آخر ما مر برواية السيد الرضي رضي الله
عنه .

أقول : قوله رحمه الله إلى آخر ما مر برواية السيد الرضي رضي الله

عنه قد أوردتها سابقاً ونحن لما لم نذكرها أوردناها لتعلم الإشارة وتفهم العبارة.

قال السيد رحمه الله في النهج ومن وصيته عليه السلام للحسن والحسين عليهما السلام لما ضربه ابن ملجم لعنه الله أوصيكما بتقوى الله وأن لا تبغيا الدنيا وإن بغتكما لا تأسفا على شيء منها زوي عنكما وقولا بالحق واعملا للأخرة وكونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً . أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي هذا بتقوى الله ونظم أمركم وصلاح ذات بينكم فإني سمعت جدكم رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : صلاح ذلك البين أفضل من عامة الصلاة والصيام .

الله الله في الأيتام فلا تغبوا أفواههم ولا تضيعوا بحضرتكم . والله الله في جيرانكم فإنه وصية نبيكم ما زال يوصي بهم حتى ظننا أنه سيورثهم .

والله الله في القرآن لا يسبقكم بالعمل به غيركم .

والله الله في الصلاة فإنها عمود دينكم .

والله الله في بيت ربكم لا تخلوه ما بقيت فإنه إن ترك لم تناظروا .

والله الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وألستكم في سبيل الله ، وعليكم بالتواصل والتبازل وإياكم والتدابير والتقاطيع لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولى عليكم أشراركم ، ثم تدعون فلا يستجاب لكم .

ثم قال : يا بني عبد المطلب لا ألقينكم تخوضون دماء المسلمين خوضاً ، تقولون قتل أمير المؤمنين ألا يقتلن بي إلا قتالي ، انظروا إذا أنا مت من ضربته هذه فاضربوه ضربة بضربة ، ولا يمثل بالرجل فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور .

ورجع إلى الخبر المتقدم ، قال : ثم تزايد ولوج السم في جسده الشريف حتى نظرنا إلى قدميه وقد احمرتا جميعاً ، فكبر ذلك علينا وأيسنا

منه ، ثم أصبح ثقيلاً فدخل الناس عليه فأمرهم ونهاهم وأوصاهم ثم عرضنا عليه المأكول والمشروب فأبى أن يشرب ، فنظرنا إلى شفّتيه وهما يختلجان بذكر الله تعالى ، وجعل جبينه يرشح عرقاً وهو يمسحُ بينده ، قلت : يا أبت أراك تمسح جبينك ، فقال : يا بني إني سمعت جدك رسول الله (ص) يقول : إن المؤمن إذا نزل به الموت ودنت وفاته عرق جبينه وصار كاللؤلؤ الرطب ، وسكن أنينه . ثم قال : يا أبا عبد الله ويا عون ثم نادى أولاده كلهم بأسمائهم صغيراً وكبيراً واحداً بعد واحد وجعل يودّعهم ويقول : الله خليفتي عليكم استودعكم الله وهم يبكون .

فقال له الحسن عليه السلام : يا أبة ما دعاك إلى هذا ؟ فقال له : يا بني إني رأيت جدك رسول الله في منامي قبل هذه الكائنة بليلة ، فشكوت إليه ما أنا فيه من التدلل والأذى من هذه الأمة . فقال لي : ادع عليهم ، فقلت : اللهم أبدلهم بي شراً مني وأبدلني بهم خيراً منهم ، فقال لي : قد استجاب الله دعائك سينقلك إلينا بعد ثلاث ، وقد مضت الثلاث يا أبا محمد أوصيك وأبا عبد الله خيراً فأنتما مني وأنا منكم ، ثم التفت إلى أولاده الذين من غير فاطمة وأوصاهم أن لا يخالفوا أولاد فاطمة يعني الحسن والحسين عليهما السلام ، . ثم قال : أحسن الله لكم العزاء ألا وإني منصرف عنكم وراحل في ليلتي هذه ولاحق بحبيبي محمد كما وعدني ، فإذا أنا مت يا أبا محمد فغسلني وكفني وحطّطني ببقية حنوط جدك رسول الله (ص) ، فإنه من كافور الجنة جاء به جبرئيل إليه ، ثم ضعني على سريري ولا يتقدّم أحد منكم مقدم السرير واحملوا مؤخره واتبعوا مقدمه ، فأني موضع وضع المقدم فضعوا المؤخر ، فحيث قام سريري فهو موضع قبري ، ثم تقدم يا أبا محمد وصل عليّ يا بني يا حسن وكبر عليّ سبعا واعلم أنه لا يحلّ ذلك لأحد غيري إلا على رجل يخرج في آخر الزمان اسمه القائم المهدي من ولد أخيك الحسين يقيم إعوجاج الحق ، فإذا أنت صليت عليّ يا حسن فنحّ السرير عن موضعه ، ثم اكشف التراب عنه فترى قبراً محفوراً ولحداً مثقوباً وساجة منقورة

فاضجعني فيها ، فإذا أردت الخروج من قبري فافتقدني فإنك لا تجدني ،
 ولأني لاحق بجذك رسول الله (ص) ، واعلم يا بني ما من نبي يموت وإن
 كان مدفوناً بالشرق ويموت وصيه بالمغرب إلا ويجمع الله عز وجل بين
 روحيهما وجسديهما ثم يفترقان ، فيرجع كل واحد منهما إلى موضع قبره
 وإلى موضعه الذي حط فيه ، ثم اشرح اللحد باللبن وأهل التراب علي ثم
 غيب قبري .

وكان غرضه عليه السلام بذلك لئلا يعلم بموضع قبره أحد من بني
 أمية ، فإنهم لو علموا بموضع قبره لحفروه وأخرجوه وأحرقوه كما فعلوا
 يزيد بن علي بن الحسين عليهم السلام ، ثم يا بني بعد ذلك إذا أصبح
 الصبح اخرجوا تابوتاً إلى ظاهر الكوفة على ناقه وأمر بمن يسيرها بما عليها
 أن يسيرها كأنها تريد المدينة بحيث يخفى على العامة موضع قبري الذي
 تضعني فيه وكأنني بكم وقد خرجت عليكم الفتن من ههنا وههنا فعليكم
 بالصبر فهو محمود العاقبة ، ثم قال : يا أبا محمد ويا أبا عبدالله كأنني
 بكم وقد خرجت عليكم من بعدي الفتن من ههنا فاصبروا حتى يحكم الله
 وهو خير الحاكمين .

ثم قال : يا أبا عبدالله أنت شهيد هذه الأمة فعليك بتقوى الله
 والصبر على بلائه ، ثم أغمي عليه ساعة وأفاق ، وقال : هذا رسول الله
 وعمي حمزة وأخي جعفر وأصحاب رسول الله كلهم يقولون : عجل
 قدومك علينا فإننا إليك مشتاقون ، ثم أدار عينيه في أهل بيته كلهم وقال :
 استودعكم الله جميعاً سددكم الله جميعاً ، حفظكم الله جميعاً ، الله
 خليفتي عليكم وكفى بالله خليفة .

ثم قال : وعليكم السلام يا رسل ربي ، ثم قال لمثل هذا فليعمل
 العاملون إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، وعرق جبينه وهو
 يذكر الله كثيراً ويتشهد الشهادتين ، ثم استقبل القبلة وغمض عينيه ومدَّ
 رجله ويديه وقال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن
 محمداً عبده ورسوله ، ثم قضى نحبه عليه السلام ، وكانت وفاته في ليلة

إحدى وعشرين من شهر رمضان، وكانت ليلة الجمعة سنة أربعين من الهجرة.

قال : فعند ذلك صرخت زينب بنت علي عليه السلام وأم كلثوم وجميع نسائه ، وقد شقوا الجيوب ولطموا الخدود وارتفعت الصيحة في القصر ، فعلم أهل الكوفة أن أمير المؤمنين عليه السلام قد قبض ، فأقبل النساء والرجال يهرعون أفواجاً أفواجاً، وصاحوا صيحة عظيمة ، فارتجت الكوفة بأهلها وكثر البكاء والنحيب ، وكثر الضجيج بالكوفة وقبائلها ودورها وجميع أقطارها ، فكان ذلك كيوم مات فيه رسول الله صلى الله عليه وآله ، فلما أظلم الليل تغير أفق السماء وارتجت الأرض وجميع من عليها بكوه ، وكنا نسمع جلبة وتسييحاً في الهواء ، فعلمنا أنها أصوات الملائكة ، فلم يزل كذلك إلى أن طلع الفجر .

ثم قال : قال محمد بن الحنفية رضي الله عنه : ثم أخذنا في جهازه ليلاً ، وكان الحسن عليه السلام يغسل والحسين (ع) يصب الماء عليه ، وكان عليه السلام لا يحتاج إلى من يقبله ، بل كان يتقلب كما يريد الغاسل يميناً وشمالاً ، وكانت رائحته أطيب من رائحة المسك والعنبر ، ثم نادى الحسن بأخته زينب وأم كلثوم وقال : يا أختاه هلمي بحنوط جدّي رسول الله (ص) فبادرت زينب مسرعة حتى أتته به .

قال الراوي : فلما فتحه فاحت الدار وجميع الكوفة وشوارعها لشدة رائحة ذلك الطيب ، ثم لقوا بخمسة أثواب كما أمر عليه السلام ، ثم وضعوه على السرير وتقدم الحسن والحسين عليهما السلام السرير من مؤخره وإذا مقدمه قد ارتفع ولا يرى حامله ، وكانا حاملاه من مقدمه جبرئيل وميكائيل ، فما مرّ بشيء على وجه الأرض إلا انحني له ساجداً وخرج السرير من مايل باب كنده ، فحملا مؤخره وسارا تتبعان مقدمه .

قال ابن الحنفية رضي الله عنه : والله لقد نظرت إلى السرير وإنه ليمرّ بالحيطان والنخل فتنحني له خشوعاً ، ومضى مستقيماً إلى النجف إلى موضع قبره الآن .

قال : وضجت الكوفة بالبكاء والنحيب وخرجن النساء يتبعنه لاطمات حاسرات فمنعهن الحسن عليه السلام ونهاهن عن البكاء والعيويل ، وردهن إلى أماكنهن والحسين عليه السلام يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم إنا لله وإنا إليه راجعون ، يا أباه وا انقطاع ظهراه من أجلك تعلمنا البكاء إلى الله المشتكى . فلما انتهينا إلى قبره وإذا مقدم السرير قد وضع فوضع الحسن عليه السلام مؤخره ، ثم قام الحسن وصلى عليه والجماعة خلفه فكبر سبعا كما أمره به أبوه عليه السلام ، ثم زحزحنا سريريه وكشفنا التراب وإذا نحن بقبر محفور ولحد مشقوق وساجة منقورة مكتوب عليها هذا ما أدخره له جدّه نوح النبي للعبد الطاهر المطهر ، فلما أرادوا نزوله سمعوا هاتفاً يقول : إنزلوه إلى التربة الطاهرة ، فقد اشتاق الحبيب إلى الحبيب فدهش الناس عند ذلك وتحيروا والحد أمير المؤمنين عليه السلام قبل طلوع الفجر .

قال الراوي : لما الحد أمير المؤمنين عليه السلام وقف صعصعة بن صوحان العبدي رضي الله عنه على القبر ثم قال : بأبي أنت وأمي يا أمير المؤمنين ، ثم قال : هنيئاً لك يا أبا الحسن ، فقد طاب مولدك ، وقوى صبرك ، وعظم جهادك ، وظفرت برأيك ، وربحت تجارتك ، وقدمت على خالقك ، فتلقاك الله ببشارته ، وحفتك ملائكته ، واستقررت في جوار المصطفى ، فأكرمك الله بجواره ، ولحقت بدوحة أخيك المصطفى ، وشربت بكأسه الأوفى ، فأسأل الله أن يمن علينا باقتفائنا أثره ، والعمل بسيرته ، والموالاتة لأوليائه ، والمعاداة لأعدائه ، وأن يحشرنا في زمرة أوليائه ، فقد نلت ما لم ينله أحد ، وأدركت ما لم يدركه أحد ، وجاهدت في سبيل ربك بين يدي أخيك المصطفى حق جهاده ، وقمت بدين الله حق القيام حتى أقمت السنن ، وأبوت الفتن ، واستقام الإسلام ، وانتظم الإيمان ، فعليك مني أفضل الصلاة والسلام ، بك اشتدّ ظهر المؤمنين ، واتضحت أعلام السبيل ، وأقمت السنن ، وما جمع لأحد مناقبك وخصالك سبقت إلى إجابة النبي (ص) مقدماً مؤثراً ، وسارعت إلى

نصرته ووقيته بنفسك ورميت سيفك ذالفقار في مواطن الخوف والحذر ،
 قصم الله بك كل جبار عنيد ، وذل بك كل ذي بأس شديد ، وهدم بك
 حصون أهل الشرك والكفر والعدوان والردى وقتل بك أهل الضلال من
 العداء ، فهنيئاً لك يا أمير المؤمنين ، كنت أقرب الناس من رسول الله
 قري ، وأولهم سلماً ، وأكثرهم علماً وفهماً ، فهنيئاً لك يا أبا الحسن ،
 لقد شرف الله مقامك وكنت أقرب الناس إلى رسول الله نبياً ، وأولهم
 إسلاماً وأوفاهم يقيناً ، وأشدّهم قلباً ، وأبذلهم لنفسه مجاهداً ، وأعظمهم
 في الخير نصيباً ، فلا حرّمنا الله أجرك ، ولا أضلّنا بعدك ، فوالله لقد
 كانت حياتك مفاتيح للخير ، ومغالق للشر ، وإن يومك هذا مفتاح كل
 شر ، ومغلاق كل خير ، ولو أن الناس قبلوا منك لأكلوا من فوقهم ومن
 تحت أرجلهم ، ولكنهم أثروا الدنيا على الآخرة ، ثم بكى بكاءً شديداً ،
 وأبكى كل من كان معه وعدلوا إلى الحسن والحسين ومحمد وجعفر
 والعباس ويحيى وعون وعبدالله عليهم السلام فعزّوهم في أبيهم صلوات
 الله عليه ، وانصرف الناس ورجع أولاد أمير المؤمنين عليهم السلام
 وشيعتهم إلى الكوفة ، ولم يشعر بهم أحد من الناس ، فلما طلع الصّباح
 وبزغت الشمس اخرجوا تابوتاً من دار أمير المؤمنين عليه السلام وأتوا به
 إلى المصلّى بظاهر الكوفة ، ثم تقدم الحسن عليه السلام وصلى عليه
 ورفع على ناقه وسيرها مع بعض العبيد .

ثم قال : قال الراوي : ثم إنه رجع أولاد أمير المؤمنين عليهم
 السلام وأصحابه إلى الكوفة واجتمعوا لقتل اللعين عدو الله ابن ملجم ،
 فقال عبدالله بن جعفر : اقطعوا يديه ورجليه ولسانه واقتلوه بعد ذلك ، وقال
 ابن الحنفية رضي الله عنه : اجعلوه غرضاً للنشاب وأحرقوه بالنار . وقال
 آخر : اصلبوه حياً حتى يموت . فقال الحسن عليه السلام : أنا ممثّل فيه
 ما أمرني به أمير المؤمنين عليه السلام أضربه ضربة بالسيف حتى يموت
 فيها وأحرقه بالنار بعد ذلك .

قال : فأمر الحسن عليه السلام أن يأتوه به فجاءوا به مكتوفاً حتى

أدخلوه إلى الموضع الذي ضرب فيه الإمام علي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام والناس يلعنونه ويوبخونه وهو ساكت لا يتكلم ، فقال الحسن عليه السلام : يا عدو الله قتلت أمير المؤمنين وإمام المسلمين وأعظمت الفساد في الدين ، فقال لهما : يا حسن يا حسين ما تريدان تصنعان بي ؟ قالا له : نريد قتلك كما قتلت سيدنا ومولانا ، فقال لهما : اصنعا ما شئتما إن تصنعا ولا تعنفا من استزله الشيطان فصده عن السبيل ، ولقد زجرت نفسي فلم تنزجر ونهيتهما فلم تنته ، فدعها تذوق وبال أمرها ولها عذاب شديد . ثم بكى ، فقال له : يا ويلك ما هذه الرقة أين كانت حين وضعت قدمك وركبت خطيئتك ، فقال ابن ملجم لعنه الله : استحوذ عليهم الشيطان فأنسأهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون ، ولقد انقضى التوبيخ والمغايرة وإنما قتلت أباك وحصلت بين يديك فاصنع ما شئت وخذ بحقك مني كيف شئت ثم برك على ركبتيه وقال : يا بن رسول الله الحمد لله الذي أجرى قتلي على يديك فرّق له الحسن عليه السلام لأن قلبه كان رحيماً ، فقام الحسن عليه السلام وأخذ السيف بيده وجزّده من غمده ونذبه حتى لاح الموت في حذّه ثم ضربه ضربة أراد بها عنقه فاشتد زحام الناس عليه وعلت أصواتهم فلم يتمكن من فتح باعه فارتفع السيف إلى باعه فأبرأه فانقلب عدو الله على قفاه يخور في دمه ، فقام الحسين عليه السلام إلى أخيه وقال : يا أخي أليس الأب واحداً والأم واحدة ولي نصيب في هذه الضربة ولي في قتله حق فدعني أضربه ضربة أشفي بها بعض ما أجده فناوله الحسن عليه السلام السيف فأخذه وهزه وضربه على الضربة التي ضربه الحسن عليه السلام فبلغ إلى طرف أنفه وقطع جانبه الآخر وابتدره الناس بعد ذلك بأسيافهم فقطعوه إرباً إرباً وعجل الله بروحه إلى النار وبش القرار ، ثم جمعوا جثته وأخرجوه عن المسجد وجمعوا له حطباً وأحرقوه بالنار ، وقيل طرحوه في حفرة وطمّوه بالتراب فهو يعوي كعوي الكلاب في حفرة إلى يوم القيامة ، وأقبلوا إلى قطام الملعونة الفاسقة الفاجرة فقطعوها بالسيف

إرباً إرباً ونهبوا دارها ثم أخذوها وأخرجوها إلى ظاهر الكوفة وأحرقوها بالنار وعجل الله بروحها إلى النار وغضب الجبار .

وأما الرجلان اللذان تحالفا معه فأحدهم قتله معاوية بن أبي سفيان بالشام والآخر قتله عمرو بن العاص بمصر لا رضى الله عنهما .

وأما الرجلان اللذان كانا مع ابن ملجم بالجامع يساعدانه على قتل علي عليه السلام فقتلا من ليلتهما لعهما الله وحشرهما محشر المنافقين الظالمين في نار جهنم خالدين مع السالفين .

وفي البحار أيضاً عن البرسي في مشارق الأنوار عن محدث أهل الكوفة أن أمير المؤمنين عليه السلام لما حمله الحسن والحسين عليهما السلام على سريرته إلى مكان البشر المختلف فيه إلى نجف الكوفة وجدوا فارساً تتضوع منه رائحة المسك ، فسلم عليهما ثم قال للحسن : أنت الحسن بن علي رضي الله عنهما والوحي والتزييل وفطيم العلم والشرف الجليل ، خليفة أمير المؤمنين وسيد الوصيين ؟ قال : نعم . وقال : هذا الحسين بن أمير المؤمنين وسيد الوصيين ، سبط الرحمة ورضيع العصمة ، وريب الحكمة ووالد الأئمة ؟ قال : نعم . قال : سلمناه إليّ وامضيا في دعة الله ، فقال له الحسن : إنه أوصى إلينا أن لا نسلم إلا إلى أحد رجلين جبرئيل أو الخضر فمن أنت منهما ، فكشف النقاب فإذا هو أمير المؤمنين عليه السلام ثم قال للحسن عليه السلام : يا أبا محمد إنه لا يموت نفس إلا ويشهدها إنما يشهد جسده .

قال : وروي عن الحسن بن علي عليهما السلام أن أمير المؤمنين عليه السلام قال للحسن والحسين عليهما السلام : إذا وضعتما في الضريح فصليا ركعتين قبل أن تهيلا عليّ التراب وانظرا ما يكون ، فلما وضعاه في الضريح المقدس فعلا ما أمرا به ونظرا وإذا الضريح مغطى بشوب من سندس فكشف الحسن عليه السلام ممّا يلي وجه أمير المؤمنين عليه السلام فوجد رسول الله وآدم وإبراهيم يتحدثون مع أمير المؤمنين عليه

السلام وكشف الحسين ممّا يلي رجليه فوجد الزهراء وحواء ومريم وآسية عليهنّ السلام ينحن على أمير المؤمنين ويندبنه .

قال الفاضل المجلسي رحمه الله : لم أر هذين الخبرين إلا من طريق البرسي ولا أعتمد على ما يتفرّد بنقله ولا أردهما لورود الأخبار الكثيرة الدالة على ظهورهم بعد موتهم في أجسادهم المثالية .

أقول : ولقد أعجبني أن أورد في تختيم فصل الشهادة قصيدة مرثية بلغت غاية الإجادة للأديب البارع الذي برهان بلاغته ساطع وهو المرحوم الحاج محمد رضا الأزري ابن عمّ المرحوم الملا كاظم فلمعري أنّها حرة بالإيراد في هذا المقام لأنها خير رثاء رثى خير إمام علي أمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة والسلام ، وهي هذه :

مصاب رمى ركن الهدى فتصدّعا ونادى به ناعي السماء فاسمعا
فضجّت له الأملاك في ملكوتها وأوشك عرش الله أن يتضعضعا
ومن يك أعلى الناس شلوا ومفخرا يكن رزقه في الناس أدهى وأفضعا
ألا يا لاقوامي لد هياء لا أرى عظيم الأسى في جنبها لي مقنعا
مصاب على الإسلام ألقى جوانه ويسرقع بالغي الهدى فتبرقععا
فيا ناشد الإسلام فوّض سفره وصاح به داعي النفير فجعجعا
فأصبح كالذود الظماء بقفرة من الدولم تعهد بها الدهر موبعا
ولم تر عقد الدين إلا مبّدا ولم تر شمل الدّين إلا موزعا
فاعظم بها من طحية قد تغلقت فهبّت على الإسلام سوداء زعزعا
أظلت على الأفاق تدوي كأنها عباب طغى أذية متدفععا
وإنّ قتيلاً شيد الدّين سيفه جدير عليه الدّين أن يتصدّعا
فياهل درى الإسلام أن زعيمه لقي حوله جبريل ينعي فلا نعي
فإنّ عماد الدّين بان عميدها وردعها داعي الهدى يوم ردعا
وياهل درى المختار ان حبيبه بسيف عدوّ الله أمسى مقنعا
وأقسم لو أصغى النعي بقبره بكاء أسى في قبره وتنفجعا

ومن عجب أن ينزل الموت داره
 لتبك الطلول الغلب من آل غالب
 ليسك التقى منه منار هداية
 وإن ييكه الإسلام وجدا وحسرة
 وإن ييكه البيت الحرام فطال ما
 وإن ييك جبريل له فلسد ما
 وإن ييكه بدر السماء فلئما
 ولو عقلت شمس الضحى يوم دفنه
 إمام دعى لله حتى انتهى له
 ولم يمض حتى إن شاء كل سابق
 وإن عد في نسك
 لقد طبق الأفاق بأساً ونائلاً
 كأن مقاليد القضاء بكفه
 أما والهجان القود تدمي نحورها
 وبالبيت ذي الأستار والنفر الأولى
 وبالأبطح الأعلى ومروة والصفا
 لقد صرع الإسلام ساعة قتله
 وكيف ودار الوحي أقوت ربوعها
 أجذك من للذين أبقيت كالثأ
 ومن لثغور الذين يخشى لهاتها
 صوافن يمضغن الشكائم شزبا
 إذا اقتدحتها في العراق عزائم
 كتائب كالأعلام يسري بها الفضا
 إذا جاش منها سيل طودك لم يدع
 ولو غذفت قبل الشواظ دخانها
 فخار على الجوراء مد رواه

وقد كان لا يلقاه إلا مروعا
 طويل ذرى حك السماء فتصدعا
 وتنعي الوغى منه كميئاً سميدعا
 فقد كان للإسلام حصناً ومفرعا
 به كان محمى الجواد ممئعا
 لخدمته جبريل كان ممئعا
 بكى البدر بدرأ منه أسنى وأرفعا
 لحظت له في عينها الشمس مضجعا
 ألا هكذا فليدع الله من دعا
 ولم يبق في قوس الفضائل منزعا
 فلم يبق أورعا
 فذلت له الأعناق خوفاً ومطمعا
 فلم يك إلا ما أراد وأرفعا
 ومن بمنى ألقى الجمار تطوعا
 بأرجائه تهوى سجوداً وركعا
 وبالحجر الملموس والركن أجمعا
 فيا مصرع الإسلام عظمت مصرعا
 وأمست برغم الدين زيزاء بلقعا
 ومن لعلوم الغيب أصبحت مودعا
 عناجيج يحملن الوشيج المززععا
 ويخفنن بالأيدي وثوبا إلى الوعا
 أضاء سناها في الحجاز وشعشعا
 فلا تنثني إلا سواطع شرعا
 متوناً بأرض المشركين وأجرعا
 لحزت لهاشم الأقاليم خشعا
 فمد به الدين الرواق المرفعا

ومشهاقة للذين ساورها الجوى
إذا ما انقضت أنفاسها من طلوعها
ويا ربّ دمع كان صعباً قياده
وإن نكس الإسلام بعدك رأسه
وإن أفزعت فيه النواظر دمعها
وإن يغد في الأرضين رزئك مفضعا
ويومك في الإسلام قد ثل ثلثة
فلا بطشت إلا بساعد أجذم
فبثت أساها والحنين المرجعا
تجد بشبا الأنفاس صدراً مبضعا
فأصبح منقاداً ليومك طيعا
فكم طال بوعاً في ذراك وأذرعاً
تجد منه صدراً بالكآبة مترعاً
فقد راح في أهل السماوات أفضعا
وأوسع خرقاً في الهدى لن يرقعا
ولا عطست إلا بمارن أجدعا

الفصل السادس

فيما وقع بعد شهادته سلام الله عليه
ونبذة من أحوال قاتله لعنة الله عليه

قد روى الصدوق قدس سره في الإكمال والأمال عن أبيه ، عن سعد بن عبدالله وعبدالله بن جعفر الحميري قالاً : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَيْسَى ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدِ الْبَرْقِيِّ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ زَيْدِ النَّيْسَابُورِيِّ قَالَ : حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْهَاشِمِيُّ ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَمِيرٍ ، عَنْ أَسَدِ بْنِ صَفْوَانَ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ : لَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ارْتَجَّ الْمَوْضِعُ بِالْبُكَاءِ وَدَهَشَ النَّاسُ كَيَوْمِ قُبُضِ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَجَاءَ رَجُلٌ بِأَكْ وَهُوَ مُتَسَرِّعٌ مُسْتَرْجِعٌ وَهُوَ يَقُولُ : الْيَوْمَ انْقَطَعَتْ خِلَافَةُ النَّبُوَّةِ حَتَّى وَقَفَ عَلَى بَابِ الْبَيْتِ الَّذِي فِيهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ : رَحِمَكَ اللَّهُ يَا أَبَا الْحَسَنِ ، كُنْتَ أَوَّلَ الْقَوْمِ إِسْلَاماً وَأَخْلَصَهُمْ إِيمَاناً وَأَشَدَّهُمْ يَقِيناً ، وَأَخَوْفَهُمْ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَعْظَمَهُمْ عَنَاءً ، وَأَحْوَطَهُمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ، وَأَمْنَهُمْ عَلَى أَصْحَابِهِ ، وَأَفْضَلَهُمْ مَنَاقِبَ ، وَأَكْثَرَهُمْ سَوَابِقَ ، وَأَرْفَعَهُمْ دَرَجَةً ، وَأَقْرَبَهُمْ

من رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وأشبههم به هدياً وخلقاً وسمتاً وفعلاً ،
وأشرفهم منزلة ، وأكرمهم عليه ، فجزاك الله عن الإسلام وعن رسوله وعن
المسلمين خيراً قويت حين ضعف أصحابه ، وبرزت حين استكانوا ،
ونهضت حين وهنوا ، ولزمت منهاج رسول الله صَلَّى الله عليه وآله إذ هم
أصحابه كنت خليفته حقاً ، لم تنازع ولم تضرع برغم المنافقين وغيظ
الكافرين وكره الحاسدين وضغن الفاسقين ، فقامت بالأمر حين فشلوا ،
ونطقت حين تمتعتوا ومضيت بنور الله عز وجل إذ وقفوا فاتبعوك ، فهدوا
وكنت أخفضهم صوتاً ، وأعلاهم فرقاً ، وأقلهم كلاماً ، وأصوبهم منطقاً ،
وأكثرهم رأياً ، وأشجعهم قلباً ، وأشدهم يقيناً ، وأحسنهم عملاً ، وأعرفهم
بالأمور . كنت والله للذين يعسوباً أولاً حين تفرق الناس ، والآخر حين
فشلوا^(١) ، كنت للمؤمنين أباً رحيماً إذ صاروا عليك عيالاً ، فحملت أثقال
ما عنه ضعفوا ، وحفظت ما أضاعوا ، ورعيت ما أهملوا ، وشمرت إذا
اجتمعوا ، وعلوت إذ هلعوا ، وصبرت إذ جزعوا ، وأدركت ما عنه إذ
تخلفوا ، ونالوا بك ما لم يحتسبوا ، كنت للكافرين عذاباً صيباً ، وللمؤمنين
غيثاً خصباً ، وفطرت والله بعنائها^(٢) ، وفزت بعنائها وأحرزت سوابقها ،
وذهبت بفضائلها ، لم تفلل حجتك ولم ينزع قلبك ، ولم تضعف
بصيرتك ، ولم تجبن^(٣) نفسك ، ولم تخن . كنت كالجبل لا تحركه
العواصف ، ولا تزيله القواصف . وكنت كما قال رسول الله صَلَّى الله عليه
وآله ضعيفاً في بدنك ، قوياً في أمر الله ، متواضعاً في نفسك ، عظيماً

(١) الفشل : الكسل .

(٢) قوله : فطرت والله بعنائها : أي في ميدان السابقة طرت أخذاً بعنان فرس الفضيلة
حتى سبقتهم فالضمير في قوله بعنائها ونظائره راجعة إلى الأمة أو إلى الكمالات
وفي النهج وفزت برهانها . وفي الكافي فطرت والله نعمائها وفزت بعنائها فيمكن أن
يكون المراد الطيران إلى الآخرة .

(٣) الجبن والتعنت : التردد في الكلام .

عند الله عز وجل ، كبيراً في الأرض ، جليلاً عند المؤمنين ، لم يكن لأحد فيك مهمز ، ولا لقاتل فيك مغمز ، ولا لأحد فيك مطمع ، ولا لأحد عندك هواة^(١) ، الضعيف الدليل عندك قوي عزيز حتى تأخذ له بحقه ، والقوي العزيز عندك ضعيف ذليل حتى تأخذ منه الحق ، والقريب والبعيد عندك في ذلك سواء ، شأنك الحق والصدق والرفق ، وقولك حكم وحتم ، وأمرك حلم وحزم ، ورأيك علم وعزم ، فأقلعت^(٢) قد نهج^(٣) السبيل ، وسهل العسير ، وأطفيت النيران ، واعتدل بك الدين ، وقوى بك الإيمان ، وثبت بك الإسلام والمؤمنون ، وسبقت سبقاً بعيداً ، وأتعبت من بعدك تعباً شديداً ، فجلبت عن البكاء ، وعظمت رزيتك في السماء ، وهذت مصيبتك الأنام ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، رضينا عن الله قضائه ، وسلمنا لله أمره ، فوالله لن يصاب المسلمون بمثلك أبداً ، كنت للمؤمنين كهفاً وحصناً وحصيناً ، وعلى الكافرين غلظة وغيظاً ، فألحقك الله بنبئه ، ولا حرماً أجرك ، ولا أضلنا بعدك ، وسكت القوم حتى انقضى كلامه وبكى وأبكى أصحاب رسول الله (ص) ثم طلبوه ولم يصادفوه .

وفي البحار عن المناقب أحاديث علي بن الجعد ، عن شعبة ، عن قتادة ومجاهد ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن السماء والأرض لتبكي على المؤمن إذا مات أربعين صباحاً ، وإنها لتبكي على العالم إذا مات أربعين شهراً ، وإن السماء والأرض لتبكيان على الرسول أربعين سنة ، وإن السماء والأرض لتبكيان عليك يا علي إذا قتلت أربعين سنة . قال ابن عباس : لقد قتل أمير المؤمنين عليه السلام على الأرض بالكوفة فأمطرت السماء ثلاثة أيام دماً .

(١) الهواة السكون والرحبة والمحابة .

(٢) قوله : فأقلعت أي ذهبت عنا وتركنا .

(٣) ونهج الطريق : كمنع وضح وأوضح .

وروى أبو حمزة عن الصادق عليه السلام ، وقد روى أيضاً عن سعيد بن المسيّب أنه لما قبض أمير المؤمنين عليه السلام لم يرفع عن وجه الأرض حجر إلا وجد تحته دم عبيط ، في أربعين الخطيب وتاريخ النسوي أنه سئل عبد الملك بن مروان الزهري ما كانت علامة يوم قتل علي عليه السلام؟ قال : ما رفع حصاة من بيت المقدس إلا كان تحتها دم عبيط ، ولما ضرب عليه السلام في المسجد سمع الصوت لله الحكيم لا لك يا علي ولا لأصحابك ، فلما توفي سمع في داره ﴿ أَفْمَن يَلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمَّنْ بَأْتِي آمَنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ الآية . ثم هتف آخر مات رسول الله ومات أبوكم انتهى .

وروى ابن قولويه في كامل الزيارات بإسناده إلى أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : بعث هشام بن عبد الملك إلى أبي فاشخصه إلى الشام ، فلما دخل عليه قال له : يا أبا جعفر اشخصناك لنسألك عن مسألة لم يصلح أن يسألك عنها غيري ولا أعلم في الأرض خلقاً ينبغي أن يعرف أو عرف هذه المسألة إن كان إلا واحداً ، فقال أبي ليسألني أمير المؤمنين عما أحب فإن علمت أجبت عن ذلك ، وإن لم أعلم قلت لا أدري ، وكان الصدوق أولى بي ، فقال هشام : أخبرني عن الليلة التي قتل فيها علي بن أبي طالب عليه السلام بما استدلل به الغائب عن المصر الذي قتل فيه علي فيه ؟ وما العلامة فيه للناس؟ فإن علمت ذلك فأجبت ، فأخبرني هل كان تلك العلامة لغير علي في قتله؟ فقال له أبي : يا أمير المؤمنين إنه لما كان تلك الليلة التي قتل فيها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لم يرفع حجر من وجه الأرض إلا وجد تحته دم عبيط حتى طلع الفجر ، وكذلك كانت الليلة التي قتل فيها هرون أخو موسى عليهما السلام ، وكذلك كانت الليلة التي قتل فيها يوشع بن نون ، وكذلك كانت الليلة التي رفع فيها عيسى بن مريم ، وكذلك كانت الليلة التي قتل فيها شمعون بن حمون الصفا ، وكذلك كانت الليلة التي قتل فيها علي بن أبي طالب ، وكذلك كانت الليلة التي قتل الحسين بن علي عليهما

السلام . . قال : فتربّد وجه هشام حتّى انتقع لونه وهمّ أن يبطش بأبي فقال له أبي : يا أمير المؤمنين الواجب على العباد الطّاعة لإمامهم والصدق له بالنّصيحة ، وإنّ الذي دعاني إلى أن أجبت أمير المؤمنين فيمَا سألني عنه معرفتي له بما يجب له عليّ من الطّاعة ، فليحسن أمير المؤمنين الظّنّ ، فقال له هشام : انصرف إلى أهلك إذا شئت ، قال : فخرج فقال له هشام عند خروجه : أعطني عهد الله وميثاقه أن لا ترفع هذا الحديث إلى أحد حتّى أموت ، فأعطاه أبي من ذلك ما أرضاه وذكر الحديث بطوله .

وفي كتاب كفاية الأثر للشيخ علي بن محمد بن علي الخزّاز القميّ ، عن الحسين بن محمد بن سعيد الخزاعي ، عن الجلودي ، عن الجوهرري ، عن عتبة بن ضحّاك ، عن هشام بن محمد ، عن أبيه قال : لمّا قتل أمير المؤمنين عليه السلام رقى الحسن بن علي عليه السلام على المنبر فأراد الكلام فخنقته العبرة ، فقعد ساعة ثم قام فقال : الحمد لله الذي كان في أوليته وحدانيّاً وفي أزليته متعظماً بالهيبة ، متكبراً بكبريائه وجبروته ، ابتداء ما ابتدئ ، وأنشأ ما خلق عليّ غير مثال ، كان سبق ممّا خلق ربّنا اللّطيف بلطف ربوبيّته ، وبعلم خيره فتقّ ، وبأحكام قدرته خلق جميع ما خلق ، فلا مبدل لخلقه ، ولا مغير لصنعه ، ولا معقب لحكمه ، ولا رادّ لأمره ، ولا مستراح عن دعوته ، خلق جميع ما خلق ولا زوال لملكه ولا انقطاع لمدّته ، فوق كل شيء علا ومن كل شيء دنى ، فتجلّى لخلقه من غير أن يكون يرى ، وهو بالمنظر الأعلى احتجب بنوره ، وسما في علوه ، فاستتر عن خلقه ، وبعث إليهم شهيداً عليهم ، وانبعث فيهم النبيّين مبشرين ومنذرين ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيي من حيّ عن بينة ، وليعقل العباد عن ربّهم ما جهلوه ، فيعرفوه بربوبيّته بعدما أنكروه ، والحمد لله الذي أحسن الخلافة علينا أهل البيت ، وعنده نحتسب عزانا في خير الأباء رسول الله صلّى الله عليه وآله وعند الله نحتسب عزانا في أمير المؤمنين عليه السلام ، ولقد أصيب به الشرق والغرب ، والله ما خلق

درهماً ولا ديناراً إلا أربع مائة درهم أراد أن يتاع لأهله خادماً ، ولقد حدّثني حبيبي جدّي رسول الله صلّى الله عليه وآله أن الأمر يملكه اثني عشر إماماً من أهل بيته وصفوته ما منّا إلا مقتول أو مسموم ، ثم نزل عن منبره فدعا بابن ملجم لعنه الله فأتى به ، قال : يا بن رسول الله استبقني أكن لك وأكفيك أمر عدوك بالشام ، فعلاه الحسن عليه السلام بسيفه ، فاستقبل السيف بيده فقطع خنصره ، ثم ضربه ضربة على يافوخه فقتله لعنة الله عليه .

وروى الحميري في قرب الإسناد عن أبي البختري ، عن جعفر ، عن أبيه عليه السلام ، قال : أخبرني أبي أن الحسن عليه السلام قدمه أي ابن ملجم فضرب عنقي بيده ، فقال : قد عهدت الله عهداً أن أقتل أباك فقد وفيت ، فإن شئت فاقتل وإن شئت فاعف ، فإن عفوت ذهبت إلى معاوية فقتلته وأرحتك منه ثم جئتك ، فقال عليه السلام : لا حتى اعجلك إلى النار ، فقدمه فضرب عنقه لعنه الله .

وروى السيّد عبدالكريم ابن طاووس عليه الرّحمة في فرحة الغري ، عن عبدالصمد بن أحمد ، عن أبي الفرج الجوزي ، قال : قرأت بخط أبي الوفاء بن عقيل قال : لما جيء بابن ملجم لعنه الله إلى الحسن عليه السلام قال له : إني أريد أن أسارك بكلمة ، فأبى الحسن عليه السلام وقال : إنّه يريد أن يعضّ أذني ، فقال ابن ملجم : والله لو أمكنني منها لأخذتها من صماخه .

وفيه أيضاً قال الثّقفي في كتاب مقتل أمير المؤمنين عليه السلام ونقلته من نسخة عتيقة تاريخها سنة خمس وخمسين وثلثمائة ، وذلك على أحد القولين ، أن عبدالله بن جعفر الطيّار قال : دعوني أشفي بعض ما في نفسي عليه يعني ابن ملجم لعنه الله ، فدفع إليه فأمر بمسماز فحمني بالنار ، ثم كحله فجعل ابن ملجم يقول : تبارك الخالق الإنسان من علق ، يا بن أخ إنك لتكحلن بملمول مض ، ثم أمر بقطع يده ورجله ،

فقطع ولم يتكلم ، ثم أمر بقطع لسانه فجزع فقال له بعض الناس : يا عدو الله كحلت عينك بالنار وقطعت يداك ورجلاك فلم تجزع وجزعت من قطع لسانك ، فقال لهم : يا جهال أنا والله ما جزعت لقطع لساني ولكني أكره أن أعيش في الدنيا فواتاً لا أذكر الله فيه ، فلما قطع لسانه أحرق بالنار .

وفي البحار مسنداً عن أبي جعفر عليه السلام قال : إن عاقر ناقة صالح أزرق ابن بغي وإن قاتل علي عليه السلام ابن بغي ، وكانت مراد تقول : ما نعرف له فينا أباً ولا نسباً ، وإن قاتل حسين بن علي صلوات الله عليه ابن بغي وإنه لم يقتل الأنبياء ولا أولاد الأنبياء إلا أولاد البغايا .

وفيه أيضاً عن المناقب عن أبي زرعة الرازي بإسناده عن منصور بن عمار أنه سئل عن أعجب ما رآه قال : ترى هذه الصخرة في وسط البحر يخرج من هذا البحر كل يوم طائر مثل النعامة فيقع عليها ، فإذا استوى واقفاً تقياً رأساً ، ثم تقياً يداً وهكذا عضواً عضواً ، ثم تلتأم الأعضاء بعضها إلى بعض حتى يستوي إنساناً قاعداً ، ثم يهّم للقيام فإذا هم للقيام نقره نقرة فأخذ رأسه ، ثم أخذه عضواً عضواً كما قائه ، فلما طال علي ذلك ناديته يوماً ويلك من أنت ، ثم التفت إلي وقال : هو عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي بن أبي طالب عليه السلام ، وكل الله به هذا الطير ، فهو يعذبه إلى يوم القيامة ، وزعم أنهم يسمعون العواء من قبره .

أقول : وفي الخرائج عن أبي منصور شهردار بن شيرويه بن شهرزاد الديلمي ، عن أبي الحسن ، عن علي بن أحمد الميداني ، عن أبي عمرو محمد بن يحيى ، عن عمرو بن أحمد بن محمد بن عمرو ، قال : سمعت أبا القاسم بن الحسن بن محمد المعروف بابن الوفا بالكوفة يقول : كنت بالمسجد الحرام فرأيت الناس مجتمعين حول مقام إبراهيم ، فقلت : ما هذا؟ قالوا : راهب أسلم فأشرفت عليه فإذا بشيخ كبير عليه جبة صوف وقلنسوة صوف عظيم الخلقة ، وهو قاعد بحذاء مقام إبراهيم عليه السلام ، فسمعتة يقول : كنت قاعداً في صومعة فأشرفت منها وإذا طائر

كالنسر قد سقط على صخرة شاطئ البحر فتقيأ فرمى به بربع إنسان ، ثم طار فتفقدته فعاد فتقيأ فرمى بربع إنسان ، ثم طار فجاء فتقيأ بربع إنسان ، ثم طار فجاء فتقيأ بربع إنسان ، ثم طار فدنّت الأرباع فقام رجلاً فهو قائم فأنّا أتعجب منه ، ثم انحدر الطير فضربه وأخذ ربعه ، فطار ثم رجع فأخذ ربعه فطار ، ثم رجع فأخذ ربعه فطار ، ثم انحدر الطير فأخذ الربع الآخر فطار ، فبقيت أتفكر في ذلك وأتحسر ألا أكون لحقته وسألته من هو؟ وبقيت أتفقد الصخرة حتى رأيت الطير قد أقبل فتقيأ بربع إنسان ، فنزلت فقامت بإزائه فلم أزل حتى تقيأ بالربع الرابع ثم طار ، فالتأم رجلاً فقام قائماً فدنوت منه فسألته فقلت : من أنت؟ فسكت عني ، فقلت : بحق من خلقتك من أنت؟ قال : أنا ابن ملجم ، قلت له : وإيش عملت؟ قال : قتلت علي بن أبي طالب عليه السلام فوكل بي هذا الطير يقتلني كل يوم قتلة ، فهو يخبرني إذ انقض الطائر فضربه فأخذ ربعه فطار وعاد حتى أخذ الربع الأخير ، فسألت عن علي بن أبي طالب عليه السلام فقالوا : هو ابن عم رسول الله ووصيه ، فأسلمت .

وفيه أيضاً عن سعد بن عبد الله قال : حدثني أحمد بن محمد بن عيسى ، عن علي بن محمد ، عن علي بن معمر ، عن أبيه ، عن جابر الجعفي ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : جاء ناس إلى الحسن بن علي عليهما السلام فقالوا : أرنا بعض ما عندك من عجائب أبيك التي كان يريهاها؟ فقال : أتؤمنون بذلك؟ قالوا : نعم . قال : أليس تعرفون أمير المؤمنين (ع)؟ قالوا : بلى . قال : فرفع لهم جانب الستر فقال : أتعرفون هذا؟ قالوا : بأجمعهم هذا والله أمير المؤمنين عليه السلام ونشهد أنك ابنه .

وفيه أيضاً عن فرات بن أحمد عن يحيى بن أم الطويل عن رشيد الهجري قال : دخلنا على أبي محمد الحسن عليه السلام بعد مضي أبيه أمير المؤمنين عليه السلام فتذاكرنا شوقنا إليه ، فقال الحسن عليه السلام : أتحبون أن تروه؟ قلنا : نعم ، وأنى لنا بذلك وقد مضى لسبيله ،

فضرب بيده إلى ستر كان معلقاً على باب صدر المجلس ، فرفعه فقال :
انظروا من في هذا البيت ، فإذا أمير المؤمنين جالس كأحسن ما رأيناه ،
فقلنا : هو هو ، ثم خلى الستر عن يده فقال بعضنا : هذا من الحسن
كالذي نشاهد من أمير المؤمنين ومعجزاته عليه السلام .

ثم قال الشيخ قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي فيه أيضاً ،
وقد روى الرواة من أصحابنا أن الله خلق ملائكة على صورة محمد وعلى
وجميع الأئمة ، وكان النبي حدث أصحابه بأنه رأى ليلة المعراج في كل
سما ملكاً على صورة علي بن أبي طالب عليه السلام ، فقال جبرئيل : يا
محمد إن ملائكة السماء كانوا يشتاقون إلى علي عليه السلام فخلق الله
لهم ملكاً في كل سما على صورته ليستأنسوا به .

أقول : وفي البحار قال : روى الحسن بن سليمان من كتاب المعراج
بإسناده عن الصادق بإسناده عن بكر بن عبدالله ، عن سهل بن
عبد الوهاب ، عن أبي معاوية ، عن الأعمش ، عن جعفر بن محمد ، عن
أبيه ، عن جده عليهم السلام قال : قال النبي صلى الله عليه وآله ليلة
أسري بي إلى السماء فبلغت السماء الخامسة نظرت إلى صورة علي بن
أبي طالب عليه السلام فقلت : حبيبي جبرئيل ما هذه الصورة ؟ فقال
جبرئيل : يا محمد اشتهدت الملائكة أن ينظروا إلى صورة علي عليه السلام
فقالوا : ربنا إن بني آدم في دنياهم يتمتعون غدوة وعشية بالنظر إلى
علي بن أبي طالب عليه السلام حبيب حبيبك محمد صلى الله عليه وآله ،
وخليفته ووصيه وأمينه ، فمتعنا بصورته قدر ما تمتع أهل الدنيا به ، فصور
لهم صورته من نور قدسه عز وجل ، فعلي عليه السلام بين أيديهم ليلاً
ونهاراً يزورونه وينظرون إليه غدوة وعشية .

قال : فأخبرني الأعمش عن جعفر بن محمد ، عن أبيه قال : فلما
ضربه اللعين ابن ملجم على رأسه صارت تلك الضربة في صورته التي في
السماء ، فالملائكة ينظرون إليه غدوة وعشية ويلعنون قاتله ابن ملجم ،

فلما قتل الحسين بن علي عليه السلام هبطت الملائكة وحملته حتى أوقفته مع صورة علي عليه السلام في السماء الخامسة ، فكلما هبطت الملائكة من السماوات من علاه وصعدت ملائكة سماء الدنيا فمن فوقها إلى السماء الخامسة لزيارة صورة علي عليه السلام والنظر إليه ، ونظروا إلى الحسين بن علي عليه السلام متشخّطاً بدمه لعنوا يزيد وابن زياد وقاتلي الحسين بن علي عليه السلام إلى يوم القيامة .

قال الأعمش : قال لي الصادق عليه السلام : هذا من مكنون العلم ومخزونه لا تخرجه إلا إلى أهله .

تذييل :

قد روى المفيد قدس سره في الإرشاد عن أبي مخنف لوط بن يحيى قال : حدثني أشعب بن السواد عن أبي إسحاق السبيعي وغيره قالوا : خطب الحسن بن علي عليه السلام في صبيحة الليلة التي قبض فيها أمير المؤمنين عليه السلام ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله (ص) ، ثم قال : لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون بعمل ولا يدركه الآخرون بعمل ، لقد كان يجاهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله فيقيه بنفسه ، وكان رسول الله (ص) يوجهه برايته ، فيكفه جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن شماله ، فلا يرجع حتى يفتح الله على يديه ، ولقد توفى صلوات الله عليه في الليلة التي عرج فيها بعيسى بن مريم ، والتي قبض فيها يوشع بن نون ، وما خلف صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم ، فضلت من عطائه أراد أن يتاع بها خادماً لأهله ، ثم خنقته العبرة ، فبكى وبكى الناس معه ، ثم قال : أنا ابن البشير ، أنا ابن النذير ، أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه ، أنا ابن السراج المنير ، أنا من أهل بيت أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، أنا من أهل بيت افترض الله حبهم في كتابه ، فقال الله تعالى : ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ومن يقترب حسنة نزد له فيها حسناً ﴾ فالحسنة مودتنا أهل البيت ، ثم

جلس فقام عبدالله بن العباس بين يديه عليه السلام فقال : معاشر الناس هذا ابن بنت نبيكم ووصي إمامكم فبايعوه ، فاستجاب له الناس وقالوا : ما أحبه إلينا وأوجب حقه علينا ، وتبادروا إلى البيعة له بالخلافة ، وذلك في يوم الجمعة الواحد والعشرين من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة ، فرتب العمال وأمر الأمراء وأنفذ عبدالله بن العباس إلى البصرة ، ونظر في الأمور .

الفصل السابع

في ذكر أولاد أمير المؤمنين عليه وعليهم السلام وعدد أسمائهم

قال المفيد رحمه الله في الإرشاد : أولاد أمير المؤمنين عليه السلام سبعة وعشرون ولداً ، ذكراً وأنثى : الحسن والحسين وزينب الكبرى وزينب الصغرى المكناة بأم كلثوم وأُمهم فاطمة البتول سيّدة نساء العالمين بنت سيّد المرسلين محمد خاتم النبيين صلّى الله عليه وعليهم أجمعين .

ومحمد المكنى أبا القاسم أمّه خولة بنت جعفر بن قيس الحنفيّة ، وعمر ورقية كانا توأمين وأُمهما أم حبيب بنت ربيعة .

والعباس وجعفر وعثمان وعبيد الله الشهداء مع أخيهم الحسن عليهم السلام بطف كربلاء أمهم أم البنين بنت حزام بن خالد بن دارم .

ومحمد الأصغر المكنى أبا بكر وعبد الله الشهيدان مع أخيهم الحسين عليه السلام بطف كربلاء ، أمهما ليلى بنت مسعود الدارميّة .

ويحيى أمّه أسماء بنت عميس الخثعميّة رضي الله عنها .

وأُم الحسن ورملة أمهما أم سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفي ونفيسة وزينب الصغرى ورقية الصغرى وأم هاني وأم الكرام وجمانة المكناة أم جعفر وأمامة وأم سلمة وميمونة وخديجة وفاطمة رحمة الله عليهنّ لأمهات شتى .

وفي الشيعة من يذكر أن فاطمة صلوات الله عليها قد أسقطت بعد النبي صلى الله عليه وآله ذكراً كان سماً رسول الله (ص) وهو حمل محسناً ، فعلى قول لهذه الطائفة أولاد أمير المؤمنين عليه السلام ثمانية وعشرون ولداً والله أعلم .

أقول : وقال كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي في مطالب السؤل الفصل الحادي عشر في ذكر أولاده ، إعلم أيديك الله بروح منه أن أقوال الناس اختلفت في عدد أولاده عليه السلام ذكراً وإناثاً ، فمنهم من أكثر فعَدَّ منهم السَّقَط ولم يسقط ذكر نسبه ومنهم من أسقطه ، ولم ير أي يحتسب في العدة به ، فجاء قول كل واحد يقتضي ما اعتمده في ذلك بحسبه والذي نقله كتاب الصفوة وغيره من تأليف الأئمة المعتبرين أن أولاده الذكور أربعة عشر ذكراً وأولاده الإناث تسعة عشر أنثى ، وهذا تفصيل أسماءهم الذكور : الحسن والحسين ، محمد الأكبر ، عبيدالله ، أبو بكر ، العباس ، عثمان ، جعفر ، عبدالله ، محمد الأصغر ، يحيى ، عون ، عمر ، محمد الأوسط . الإناث : زينب الكبرى ، أم كلثوم ، أم الحسن ، رمة الكبرى ، أم هاني ، ميمونة ، زينب الصغرى ، رمة الصغرى ، أم كلثوم الصغرى ، رقية ، فاطمة ، أمامة ، خديجة ، أم الكرام ، أم سلمة ، أم جعفر ، جمانة ، نفيسة ، بنت أخرى لم يذكر اسمها ماتت صغيرة . فهذه أولاده ذكراً وإناثاً .

وذكر آخرون زيادة على ذلك ، وذكروا فيهم محسناً شقيقاً للحسن والحسين عليهما السلام كان سقطاً ، فالحسن والحسين وزينب الكبرى وأم كلثوم الكبرى عليهما السلام من الطاهر البتول فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومحمد هو الأكبر هو ابن الحنفية واسمها خولة بنت جعفر بن قيس الحنفية ، وقيل غير ذلك ، وعبيدالله وأبو بكر أمهما ليلي بنت مسعود ، والعباس وعثمان وجعفر وعبدالله أمهم أم البنين بنت حزام بن خالد ، ويحيى وعون أمهما أسماء بنت عميس الخثعمية ، ومحمد الأوسط أمه أمامة بنت أبي العاص ، وهذه أمامة هي بنت زينب

بنت رسول الله صَلَّى الله عليه وآله ، وأم الحسن ورملة الكبرى أمهما أم سعيد بنت عروة ، فهؤلاء من المعقود عليهن نكاحاً ، وبقيت الأولاد من أمهات شتى أمهات أولاد ، وكان يوم قتله عليه وآله السلام عنده أربع حرائر في نكاحه ، وهن أمامة بنت أبي العاص وهي بنت زينب بنت رسول الله صَلَّى الله عليه وآله زوجها بعد موت خالتها البتول فاطمة صلوات الله عليها ، وليلى بنت مسعود التميمية وأسماء بنت عميس الخثعمية ، وأم البنين الكلابية ، وأمّهات أولاد ثمانية عشر أم ولد .

خاتمة في بعض ما ظهر عند الضريح المقدس مما هو كالبرهان على المنكر من الكرامات والمعجزات

قال السيد عبدالكريم بن طاووس رحمه الله عليه في فرحة الغري : أخبرني عمي السعيد رضي الدين علي بن موسى بن طاووس والفقيه نجم الدين أبو القاسم بن سعيد ، والفقيه المقتدي بقية المشيخة نجيب الدين يحيى بن سعيد أدام الله بركاتهم كلهم عن الفقيه محمد بن عبدالله بن زهرة الحسيني ، عن محمد بن الحسن العلوي الحسيني الساكن بمشهد الكاظم عليه السلام ، عن القطب الراوندي ، عن محمد بن علي بن المحسن الجلي ، عن الطبرسي ، ونقلته من خطه حرفاً حرفاً عن المفيد محمد بن محمد بن نعمان ، عن محمد بن أحمد بن داود ، عن أبي الحسين محمد بن تمام الكوفي قال : حدثنا أبو الحسن علي بن الحسين بن الحجاج من حفظه قال : كنا جلوساً في مجلس ابن عمي أبي عبدالله محمد بن عمران بن الحجاج وفيه جماعة من أهل الكوفة من المشايخ ، وفيمن حضر العباس بن أحمد العباسي ، وكانوا قد حضروا عند ابن عمي يهنونه بالسلامة لأنه حضر وقت سقوط سقيفة سيدي أبي عبدالله الحسين بن علي عليهما السلام في ذي الحجة من سنة ثلاث وسبعين ومائتين ، فبينما هم قعود يتحدثون إذ حضر المجلس اسماعيل بن عيسى العباسي . فلما نظرت الجماعة إليه أحجمت عما كانت فيه وأطال اسماعيل الجلوس ،

فلما نظر إليهم قال لهم : يا أصحابنا أعزكم الله لعلني قطعت حديثكم .
قال أبو الحسن علي بن يحيى السليماني وكان شيخ الجماعة ومقهما
فيهم : لا والله يا أبا عبد الله أعزك الله ما أمسكنا بحال من الأحوال ، فقال
لهم : يا أصحابنا اعلموا أن الله عز وجل مسألني عما أقول لكم وما
أعتقد من المذهب حتى حلف بعق جواريه ومماليكه وحبس دوابه أنه لا
يعتقد إلا ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام والسادة من الأئمة عليهم
السلام ، وعدهم واحداً واحداً ، وساق الحديث فأبسط إليه أصحابنا
وسألهم وسألوه ، ثم قال لهم : رجعنا يوم جمعة من الصلاة من المسجد
الجامع مع عمي داود ، فلما كان قبل منازلنا وقبل منزله وقد خلا الطريق
قال لنا : أينما كنتم قبل أن تغرب الشمس تصيروا إلي ، ولا يكون أحد
منكم على حال فيتخلف لأنه كان جمرة بني هاشم فصرنا إليه آخر النهار
وهو جالس ينتظرنا . فقال : صيحوا بفلان وفلان من الفعلة ، فجاءه
رجلان معهما التهما والتفت إلينا فقال : اجتمعوا كلكم فاركبوا في وقتكم
هذا وخذوا معكم الجمل غلاماً كان له أسود يعرف بالجمل ، وكان لو
جمل هذا الغلام على سكر دجلة لسكرها من شدته وبأسه ، وامضوا إلى
هذا القبر الذي قد افتنن به الناس ويقولون إنه قبر علي حتى تنبشونه
وتجيثوني بأقصى ما فيه .

فمضينا إلى الموضع فقلنا دونكم وما أمر به ، فحفر الحفّارون وهم
يقولون : لا حول ولا قوة إلا بالله في أنفسهم ونحن في ناحية حتى نزلوا
خمس أذرع ، فلما بلغوا إلى الصلابة قال الحفّارون : قد بلغنا إلى موضع
صلب وليس نقوى بنقره ، فانزلوا الحبشي فأخذ المنقار فضرب ضربة
سمعنا لها طيناً شديداً في البر ، ثم ضرب ثانية فسمعنا طيناً أشد من
ذلك ، ثم ضرب الثالثة فسمعنا طيناً أشد مما تقدم ثم صاح الغلام صيحة
فقمنا ، فأشرفنا عليه وقلنا للذين كانوا معه اسألوه ما بالهم فلم يجبهم وهو
يستغيث ، فشذوه وأخرجوه بالحبل فإذا على يده من أطراف أصابعه إلى
مرفقه دم وهو يستغيث لا يكلمنا ولا يحير جواباً ، فحملناه على البغل

ورجعنا طائرين ولم يزل لحم الغلام ينثر من عضده وجنبه وسائر شقته الأيمن حتى انتهينا إلى عمي ، فقال : ايش وراكم ؟ فقلنا ما ترى وحدنا بالصورة ، فالتفت إلى القبلة ومات مما هو عليه ، ورجع عن المذهب وتولى وتبرىء وركب بعد ذلك في الليل إلى علي بن مصعب بن جابر ، فسأله أن يعمل على القبر صندوقاً ولم يخبره بشيء مما جرى ، ووجه من طمّ الموضع وعمر الصندوق عليه ومات الغلام الأسود من وقته .

قال أبو الحسن بن الحجاج : رأينا هذا الصندوق الذي هذا حديثه لطيفاً ، وذلك من قبل أن يبنى عليه الحائط الذي بناه الحسن بن زيد وهذا آخر ما نقلته من خط الطوسي رضي الله عنه .

ثم قال : وأخبرني عبدالرحمن الحربي الحنبلي عن عبدالعزيز بن الأخضر ، عن محمد بن ناصر السلامي ، عن أبي الغنائم محمد بن علي بن ميمون البرسي قال : أخبرني الشريف أبو عبدالله الحسني المقدم ذكره ، قال : حدثنا أبو الحسن محمد بن الحسن بن عبدالله الجواليقي بقراءته علي لفظاً وكتبه لي بخطه قال : أخبرنا أبي قال : أخبرنا جدي أبو أمي محمد بن علي بن رجييم الشناني قال : مضيت أنا ووالدي علي بن رجييم وعمي حسين بن رجييم وأنا صبي صغير في سنة نيف وستين ومائتين بالليل ومعنا جماعة متخفين إلى الغري لزيارة قبر مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ، فلما جئنا إلى القبر وكان يومئذ حول قبره حجارة سود ولا بناء حوله عنده وليس في طريقه غير قائم الغري ، فبينما نحن عنده وبعضنا يقرأ وبعضنا يصلي وبعضنا يزور إذا نحن بأسد مقبل نحونا ، فلما قرب منا مقدار رمح قال بعضنا إلى بعض : ابعدوا عن القبر حتى ننظر ما يريد ، فابعدنا فجاء الأسد إلى القبر فجعل يمرغ ذراعه على القبر فمضى رجل منا فشاهده وعاد فأعلمنا ، فزال الرعب عنا وجئنا بأجمعنا حتى شاهدناه يمرغ ذراعه على القبر وفيه جراح ، فلم يزل يمرغه ساعة ثم انزاح عن القبر ومضى وعدنا ما كنا عليه من القراءة والصلاة والزيارة وقراءة القرآن .

أقول : وروى المفيد رحمه الله في الإرشاد عن محمد بن زكريا

قال: حَدَّثَنَا عبيد الله بن محمد بن عائشة قال: حَدَّثَنِي عبد الله بن حازم قال: خرجنا يوماً مع الرشيد من الكوفة فصرنا إلى ناحية الغريين والنوبة فرأينا ظباً فأرسلنا عليها الصَّعُودَةَ والكلاب ، فجاولتها ساعة ثم لجأت الظبأ إلى أكمة ، فصعدت عليها فسقطت الصَّقُور ناحية ورجعت الكلاب ، فتعجب الرشيد من ذلك ، ثم إنَّ الظبأ هبطت من الأكمة فنهضت الصقور والكلاب ، فرجعت الظبأ إلى الأكمة فتراجعت عنها الكلاب والصقور ، ففعلنا ذلك ثلاثاً ، فقال هارون : اركضوا فمن لقيتموه فأتوني ، فأتيناه بشيخ من بني أسد ، فقال له هارون : أخبرني ما هذه الأكمة ؟ قال : إن جعلت لي الأمان أخبرتك ، قال : لك عهد الله وميثاقه أن لا أهيجك ولا أؤذيك .

قال : حَدَّثَنِي أَبِي عن آبائه أَنَّهُمْ كانوا يقولون في هذه الأكمة قبر علي بن أبي طالب عليه السلام جعله الله حرماً لا يأوي إليه شيء إلا آمن ، فنزل هارون فدعا بماء فتوضأ وصلَّى عند الأكمة وتمرغ عليها ، وجعل يبكي . ثم انصرفنا .

قال محمد بن عائشة : فكان قلبي لم يقبل ذلك ، فلمَّا كان بعد ذلك حججت إلى مكة فرأيت بها ياسراً من رجال الرشيد ، فكان يجلس معنا إذا طفنا فجرى الحديث إلى أن قال : قال لي الرشيد ليلة من الليالي وقد قدمنا من مكة ونزلنا الكوفة ، قال : يا ياسر قل لعيسى بن جعفر فليركب فركباً جميعاً ، فركبت معهما حتى إذا صرنا إلى الغريين فأما عيسى فطرح نفسه فنام ، وأما الرشيد فجاء إلى الأكمة فصلَّى عندها ، وكلَّمَا صَلَّيْ رَكَعَتَيْنِ دَعَا وَيَكُنْ وَتَمَرَّغَ عَلَى الْأَكْمَةِ ، ثم قال : يا بن عم أنا والله أعرف فضلك وسابقتك وبك والله جلست مجلسي الذي أنا فيه وأنت أنت ، ولكن ولدك يؤذونني ويخرجون عليّ ، ثم يقوم فيصلني ، ثم يعيد هذا الكلام ويدعو ويبكي حتى إذا كان وقت السحر قال لي : يا ياسر أقم عيسى فأقمته فقال له : يا عيسى قم صلِّ عند قبر عمك ، قال له : وأيّ عم مني ؟ قال : هذا قبر علي بن أبي طالب عليه السلام ، فتوضأ عيسى

وقام يصلي ، فلم يزالا كذلك حتى طلع الفجر ، فقلت : يا أمير المؤمنين أدركك الصبح فركبنا ورجعنا إلى الكوفة .

قال السيد في فرحة الغري : ومن محاسن القصص ما قرأته بخط والدي قدس الله روحه على ظهر كتاب بالمشهد الكاظمي على مشرفه السلام ما صورته :

قال : سمعت من شهاب الدين بNDAR بن ملكدار القمي يقول : حدثني كمال الدين شرف المعالي بن غياث القمي قال : دخلت إلى حضرة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه فزرتة وتحولت إلى موضع المسألة ودعوت وتوسلت ، فتعلق مسمار من الضريح المقدس صلوات الله على مشرفه في قباي فمزقه فقلت مخاطباً لأmir المؤمنين عليه السلام : ما أعرف عوض هذا إلا منك ، وكان إلى جانبي رجل رأيته غير رأيي فقال لي مستهزئاً : ما يعطيك عوضاً إلا قباء وردياً ، فانفصلنا من الزيارة وجئنا إلى الخلعة ، وكان جمال الدين قشمر الناصري رحمه الله قد هياً لشخص يريد أن ينفذه إلى بغداد يقال له ابن ماتشت قباء وقلنسوة ، فخرج الخادم على لسان قشمر وقال : هاتوا كمال الدين القمي المذكور ، فأخذ بيدي ودخل إلى الخزانة وخلع علي قباء ملكياً وردياً فخرجت ودخلت حتى اسلم على قشمر وأقبل كفّه فنظر إليّ نظراً عرفت الكراهة على وجهه والتفت إلى الخادم كالمغضب وقال : طلبت فلاناً يعني ابن ماتشت ، فقال الخادم : إنما قلت : كمال الدين القمي وشهد الجماعة الذين كانوا جلساء الأمير أنه أمر بحضور كمال الدين القمي المذكور ، فقلت : أيها الأمير ما خلعت عليّ أنت هذه الخلعة بل أمير المؤمنين عليه السلام خلعها عليّ ، فالتمس مني الحكاية فحكيت له فخر ساجداً وقال : الحمد لله كيف كانت الخلعة على يدي ، ثم شكره وقال : تستحق ، وقال : هذا آخر ما وجدته بخطه فنقلته ، وقال : روى ذلك السيد محمد بن شرفشاه الحسيني عن شهاب الدين بNDAR أيضاً .

وقال أيضاً : وجدت صورته عن العم السعيد رضي الدين علي بن

طاوس ، عن الشيخ حسين بن عبدالكريم الغروي ، وإن كان اللفظ يزيد وينقص عما وجدته مسطوراً . قال : كان قد وفد إلى المشهد الشريف الغروي على ساكنه السلام رجل أعمى من أهل تكريت ، وكان قد عمي على كبر ، وكانت عيناه نائيتين على خذه ، وكان كثيراً ما يقعد عند المسألة ويخاطب الجنب الأقدس الأشرف المقدس بخطاب حسن ، وكنت تارة أهم بالانكار عليه وتارة يراجعني الفكر في الصّبح عنه ، فمضيت على ذلك مدة فإذا أنا في بعض الأيام قد فتحت الخزانة إذا سمعت ضجّة عظيمة ، فظننت أنه قد جاء للعلويين برّ من بغداد أو قتل في المشهد قتيل ، فخرجت أتمس الخبر فقيل لي : هيهنا أعمى قد رد بصره ، فرجوت أن يكون ذلك الأعمى ، وإذا هو بعينه وعيناه كأحسن ما يكون ، فشكرت الله تعالى على ذلك .

ثم قال : ومن هذا الجنس كذا سمعت والذي قدس الله روحه يحكي وسمعت والذي غير مرة يحكي عن الشيخ الحسين بن عبدالكريم الغروي رحمه الله هذه الحكاية الآتي ذكرها ، وإن لم أحقق لفظه ولكن المعنى في ما أرويه عنه واللفظ وجدته مروياً عن العمّ السعيد عنه أنه كان يبلغازي أميراً بالحلة ، وكان قد اتفق أنه أنفذ سرية إلى العرب ، فلما رجعت السرية نزلوا حول سور المشهد الأشرف المقدس على الحال به أفضل الصلاة والسلام .

قال الشيخ حسين : فخرجت بعد رحيلهم إلى ذلك الموضع الذي كانوا فيه نزولاً لأمر عرض فوجدت كلاي سربوش ملقاة في الرمل ، فمددت يدي وأخذتهما ، فلما صارا في يدي ندمت ندامة عظيمة ، وقلت : أخذتهما وتعلّقت ذمتي بما ليس فيه راحة ، فلما كان بعد مدة زمانية اتفق أنه مات عندنا بالمشهد المقدس امرأة علوية فصلينا عليها ، فخرجت معهم إلى المقبرة وإذا برجل تركي قائم يفتش موضعاً ، لقيت الكلايين فقلت لأصحابي : اعلموا أن ذلك التركي يفتش على كلاي سربوش وهما معي في جيب ، وكنت لما أردت الخروج إلى الصلاة على الميتة لاحت

لي الكلابان في داري فأخذتهما ، ثم جثت أنا وأصحابي فسلمت على التركي وقلت له : على ما تفتش؟ قال : أفتش على كلابي سربوش ضاعت مني منذ سنة ، فقلت : سبحان الله تضيع منك منذ سنة وتطلبه اليوم . قال : نعم اعلم أنني لما دخلت السرية وكنت معهم ، فلما وصلت إلى الخندق الكوفة ذكرنا الكلابين فقلت يا علي هما في ضمانك لأنهما في حرمك وأنا أعلم أنهما لا يصيبهما شيء ، فقلت له : الآن ما حفظ الله عليك شيئاً غيرهما ، ثم ناولته إياهما واعتقد أن المدة كانت سنة .

وقال أيضاً : وقفت في كتاب قد نقل عن الشيخ حسن بن الحسين بن الطحال المقدادي قال : أخبرني أبي عن أبيه عن جده أنه أتاه رجل مليح الوجه تقي الأثواب دفع إليه دينارين وقال له : اغلق علي القبة وذرنني ، فأخذها منه وأغلق الباب فنام فرأى أمير المؤمنين عليه السلام في منامه وهو يقول له : اقعد أخرجه فإنه نصراني فنهض علي بن طحال وأخذ حبلاً فوضعه في عنق الرجل وقال له اخرج تخدعني بدينارين وأنت نصراني ، فقال له : لست بنصراني . قال : بلى إن أمير المؤمنين عليه السلام أتاني في المنام وأخبرني أنك نصراني . وقال : أخرجه عني فقال : امدد يدك فانا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأن علياً أمير المؤمنين عليه السلام والله ما علم أحد بخروجي من الشام ولا عرفني أحد من أهل العراق ، ثم حسن إسلامه .

قال : وحكى أيضاً أن عمران بن شاهين من أهل العراق عصى على عضد الدولة فطلبه طلباً حثيثاً فهرب منه إلى المشهد متخفياً ، فرأى أمير المؤمنين عليه السلام في منامه وهو يقول له : إن في غد يأتي فنا خسرو إلى ههنا فيخرجون من هذا المقام فتقف أنت ههنا ، وأشار إلى زاوية من زوايا القبة ، فإنتهم لا يرونك فسيدخل ويزور ويصلي ويبتهل في الدعاء والقسم بمحمد وآله أن يظفرك بك فادن منه وقل له : أيها الملك من هذا الذي قد ألححت بالقسم بمحمد وآله أن يظفرك به ، فيقول رجل شق عصاي ونازعني في ملكي وسلطاني ، فقل : ما لمن يظفرك به؟ فيقول :

إن حتم عليّ العفو عنه عفوت عنه فاعلمه بنفسك فإنك تجد منه ما تريد ، فكان كما قال له ، فقال له : أنا عمران بن شاهين . قال : من أوقفك ههنا ؟ قال له : هذا مولانا . قال : في منامي غداً يحضر فناخسرو إلى ههنا وأعاد عليه القول ، فقال له : بحقه قال لك فناخسرو ، قلت : أي وحقه ، قال : فقال عضد الدولة ما عرف أحد أن اسمي فناخسرو إلا أُمِّي والقابلة وأنا ، ثم خلع عليه خلعة الوزارة وطلع من بين يديه إلى الكوفة ، وكان عمران بن شاهين قد نذر عليه أنه متى عفي عنه عضد الدولة أتى إلى زيارة أمير المؤمنين عليه السلام حافياً حاسراً .

فلما جنَّ الليل خرج من الكوفة وحده ، فرأى جدي علي بن طحال مولانا أمير المؤمنين في منامه وهو يقول : أقعد افتح لوليّ عمران بن شاهين الباب فقعد وفتح الباب وإذا بالشيخ قد أقبل ، فلما وصل قال : بسم الله يا مولانا ، فقال : ومن أنا ؟ فقال : عمران بن شاهين . قال : لست بعمران بن شاهين ، فقال : بلى إن أمير المؤمنين عليه السلام أتاني في منامي وقال لي : افتح لوليّ عمران بن شاهين ، قال له بحقه هو قال لك ؟ قال : أي وحقه هو قال لي ، فوقع على العتبة يقبلها وأحاله على ضامن السمك بستين ديناراً ، وكانت له زواريق تعمل في الماء في صيد السمك ، قال : وبني الرّواق المعروف برواق عمران بن شاهين في المشهدين الشريفين الغروي والحائري على مشرفهما السلام .

قصة أبي البقاء قيم مشهد مولانا أمير المؤمنين عليه السلام :

قال السيد : وفي سنة إحدى وخمسمائة بيع الخبز بمشهد الشريف الغروي كلّ رطل بغيراط بقي أربعين يوماً ، فمضى القوام من الضرّ على وجوههم إلى القرى وكان من القوام رجل يقال له أبو البقاء بن سويقة ، وكان له من العمر مائة وعشرين سنة ، فلم يبق من القوام سواه ، فأضرّ به الحال ، فقالت له زوجته وبشاته : هلكنّا امض كما مضى القوام فلعلّ الله يفتح بشيء نعيش ، فعزم على المضي فدخل إلى القبة الشريفة صلوات

الله على صاحبها وزار وصلّى وجلس عند رأسه الشريف وقال : يا أمير المؤمنين لي في خدمتك مائة سنة ما فارقتك ما رأيت الحلة ولا السكون ، وقد أضربني وبأطفالي من الجوع وما أنا مفارقك ويعز عليّ فراقك استودعك هذا فراق بيني وبينك ، ثم خرج ومضى مع المكارية حتى يعبر إلى الوقف وسوراء وفي صحبته وهبان السلمي وأبو كدران وجماعة من المكارية طلّعوا من المشهد ليل وأقبلوا إلى أبي هبيش . فقال بعضهم لبعض : هذا وقت كثير فتزلوا ونزل أبو البقاء معهم ، فنام فرأى في منامه أمير المؤمنين عليه السلام وهو يقول : يا أبا البقاء فارقني بعد طول هذه المدة عد إلى حيث كنت فانتبه باكياً ، فقيل له : ما يبكيك؟ فقصّ عليهم المنام ورجع ، فحيث رأيته بناته صرخن في وجهه فقصّ عليهنّ القصة وطبع وأخذ مفتاح القبة من الخازن أبي عبدالله بن شهریار القمي وقعد على عادته وبقي ثلاثة أيام .

ففي اليوم الثالث أقبل رجل وبين كتفيه مخلاة كهيشة المشاة إلى طريق مكة فخلّها وأخرج منها ثياباً بالنهار ودخل إلى القبة الشريفة وزار وصلّى ودفع إليه خفيّاً وقال : إيت بطعام يتغذى فمضى القيم أبو البقاء وأتى بخبز ولبن وتمر فقال له : ما يؤكل لي هذا ولكن امض به إلى أولادك يأكلونه وخذ هذا الدينار الآخر واشتر لنا به دجاجاً وخبزاً وأخذت له بذلك ، فلما كانت وقت صلاة الظهر صلّى الظهرين وأتى إلى داره والرجل معه فأحضر الطعام وأكلا وغسل الرجل يديه وقال لي : اثني بصينية الذهب فطلع القيم أبو البقاء إلى زيد بن واقصة وهو صائغ على باب دار التقى ابن أسامة العلوي النسابة فأخذ منه الصينية وفيها أوزان الذهب وأوزان الفضة فجمع الرجل جميع الأوزان فوضعها في الكفة حتى الشعير والأرز وحبّة الشبّة وأخرج كيساً مملوءاً ذهباً وترك منه بإزاء الأوزان وصبه في حجر القيم ونهض وشدّ ما تخلف عنه ومدّ مداسه فقال له القيم : يا سيدي ما أصنع بهذا؟ فقال له : هو لك يقول لك الذي قال لك ارجع إلى حيث كنت ، قال لي : أعطه حذاء الأوزان ولو جئت بأكثر من هذه الأوزان لأعطيتك

فوقع القيم مغشياً عليه ومضى الرجل فزوّج القيم بناته وعمّر داره وحسنت حاله .

قصة البدوي في شحنة الكوفة :

قال السيد وفي سنة خمس وسبعين وخمسمائة كان الأمير مجاهد الدين سنقر أمر بقطع الكوفة وقد وقع بينه وبين بني خفاجة ، فما كان أحد منهم يأتي إلى المشهد ولا غيره إلا وله طليعة ، فأتى فارسان فدخل أحدهما وبقي الآخر طليعة ، فخرج سنقر من مطلع الرّهمي وأتى مع السّور ، فلما بصربه الفارس نادى بصاحبه جاءت العجم وتحتة سابق من الخيل ، فأقلت ومنعوا الأخران يخرج من الباب ، واقتحموا ورائه فدخل راكباً ثم نزل عن فرسه قدام باب السلام الكبير البراني ، فمضت الفرس فدخلت في باب ابن عبد الحميد النقيب اسامة ودخل البدوي ووقف على الضريح الشريف فقال : سنقر اثوني به ، فجاءت المماليك يجذبونه من على الضريح الشريف وقد لزم البدوي برمانة الضريح ، وقال : يا أبا الحسن أنا عربي وأنت عربي وعادة العرب الدّخول ، وقد دخلت عليك لا يا أبا الحسن دخيلك دخيلك وهم يفكون أصابعه من على الرّمانة ، وهو ينادي ويقول : لا تحقر ذمامك يا أبا الحسن فأخذوه ومضوا فأراد أن يقتله فقطع على نفسه مائتي دينار وحصان من الخيل الذكور ، فكفله ابن بطن الحق على ذلك ومضى ابن بطن الحق يأتي بالفرس والمال .

فلما كان اللّيل وأنا نائم مع والدي محمد بن طحال بالحضرة الشريفة وإذا بالباب تطرق فنهض والدي ففتح الباب وإذا أبو البقاء بن الشيرجي السوراوي معه البدوي وعليه جبة حمراء وعمامة زرقاء ومملوك على رأسه منشفة مكورة يحملها ، فدخلوا القبة الشريفة حين فتحت ووقفوا قدام الشّباك ، وقال : يا أمير المؤمنين عبدك سنقر يسلم عليك ويقول لك إلى الله وإليك المعذرة والتوبة ، وهذا دخيلك وهذا كفارة ما صنعت ، فقال له والدي : ما سبب هذا؟ قال : إنه رأى أمير المؤمنين عليه السلام

في منامه وبيده حربة وهو يقول : والله لئن لم تخل سبيل دخيلي لا فترزعن نفسك على هذه الحربة ، وقد خلع عليه وأرسله ومعه خمسة عشر رطلاً فضة بعيني رأيتها وهي روج وكيزان ورؤوس أعلام وفصائح فضة ، فعملت ثلاث طاسات على الضريح الشريف صلوات الله على مشرفه وما زالت إلى أن سكت في هذه الحلية التي عليه الآن وأما البدوي ابن بطن الحق فرأى أمير المؤمنين في منامه في البرية وهو يقول له : إرجع إلى سنقر فقد خلى سبيل البدوي والذي كان قد أخذه فرجع إلى المشهد واجتمع بالأسير المطلق ، قال هذا رأيت سنة خمس وسبعين وخمسمائة .

قصة سيف سرق من الحضرة الشريفة وظهر فيما بعد :

قال : وفي سنة أربع وثمانين وخمسمائة في شهر رمضان المبارك كانوا يأتون مشايخ زيدية من الكوفة كل ليلة يزورون الإمام عليه السلام ، وكان فيهم رجل يقال له عباس الأمعص ، قال ابن طحال : وكانت نوبة الخدمة تلك الليلة علي ، فجاءوا على العادة وطرقوا الباب ففتحتهم لهم ، وفتحت باب القبة الشريفة وبيد عباس سيف ، فقال : أين أطرح هذا السيف ؟ فقلت : أطرحه في هذه الزاوية وكان شريك في الخدمة شيخ كبير يقال له بقاء ابن عنقود ، فوضعتهم ودخلت فأشعلت لهم شمعة وحركت القناديل ، وزاروا وصلوا وطلعوا وطلب العباس السيف فلم يجده ، فسألني عنه ، فقلت له : مكانه ، فقال : ما هو ههنا ، فطلبه فما وجدته وعادتنا أن لا نخلي أحداً ينام بالحضرة سوى أصحاب النوبة ، فلما يش منه دخل وقعد عند الرأس وقال : يا أمير المؤمنين أنا وليك عباس واليوم لي خمسون سنة أزورك في كل ليلة في رجب وشعبان ورمضان والسيف الذي معي عارية وحقتك إن لم ترده علي إن رجعت زرتك أبداً ، وهذا فراق بيني وبينك ، ومضى فأصبحت وأخبرت السيد النقيب السعيد شمس الدين علي بن المختار ، فضجر علي وقال : ألم أنهكم أن ينام أحد بالمشهد سواكم فأحضرت الختمة الشريفة وأقسمت بها أنني فتشت المواضع

وقلبت الحصر وما تركت أحداً عندنا فوجد من ذلك أمراً عظيماً وصعب عليه، فلما كان بعد ثلاثة أيام وإذا أصواتهم رفع بالتكبير والتهليل فقامت ففتحت لهم على جاري عادتي وإذا العباس الأمصع والسيف معه، فقال: يا حسن هذا السيف فالزمه، فقلت: أخبرني خبره، قال: رأيت مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في منامي وقد أتى إليّ وقال: يا عباس لا تغضب امض إلى دار فلان بن فلان واصعد الغرفة التي فيها التين وبحياتي عليك لا تفضحه ولا تعلم به أحداً فمضيت إلى النقيب شمس الذين فأعلمته بذلك فطلع في السحر إلى الحضرة وأخذ السيف منه وحكى ذلك، فقال: لا أعطيك السيف حتى تعلمني من كان أخذه، فقال له عباس: يا سيدي يقول لي جدك: بحياتي عليك لا تفضحه ولا تعلم به أحداً وأخبرك ولم يعلمه ومات ولم يعلم أحداً من الأخذ للسيف.

قال: وهذه الحكاية أخبرنا بمعناها المذكور القاضي العالم الفاضل المدرس عفيف الدين ربيع بن محمد الكوفي عن القاضي الزاهد علي بن بد الهمداني، عن عباس المذكور يوم الثلاثاء خامس عشر ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وست مائة.

قصة لطيفة:

قال: وفي سنة سبع وثمانين وخمسمائة كانت نوبتي أنا وشيخ يقال له صياح بن حوما، فمضى إلى داره وبقيت وحدي وعندي رجل يقال له أبو الغنائم بن كدونا، وقد ألفت الحضرة الشريفة صلوات الله على صاحبها، فإذا وقع في مسامعي صوت أحد أبواب القبة فارتعت لذلك وقمت ففتحت الباب الأول ودخلت إلى باب الوداع فلمست الأقفال فوجدتها على ما هي عليه والأغلاق ومشيت إلى الأبواب أجمع فوجدتها بحالها، وكنت أقول: والله لو وجدت أحداً للزمته، فلما رجعت طالعاً وصلت إلى الشباك الشريف وإذا برجل على ظهر الضريح أحققه في ضوء القناديل فحين رأيته أخذتني القعقة والرعدة العظيمة وربما لساني في فمي

إلى أن صعد إلى سقف حلقي ، فلزمت بكلتا يدي عمود الشباك وألصقت منكمبي الأيمن في ركنه ، وغاب وجدي عني ساعة وإذا همهمة الرجل ومشيته على فرش الصحن بالقبة وتحريك الختمة الشريفة بالزاوية من القبة وبعد ساعة ردّ روعي وسكن ما عندي فنظرت فلم أراه فرجعت حتى اطلع وجدت الباب المقابل باب الحضرة للنساء قد فتح منه مقدار شبر فرجعت إلى باب الوداع وفتحت الأقفال والأغلاق ودخلت أغلقته من داخل فهذا ما رأيته وشاهدته .

قصة أخرى :

وقال أيضاً : إنّ رجلاً يقال له أبو جعفر الكنتاتيني سأله رجل أن يدفع إليه بضاعة ، فلما ألحّ عليه أخرج ستين ديناراً وقال له : اشهد لي أمير المؤمنين بذلك فاشهده عليه بالقبض والتسليم ، ففعل ذلك ، فلما قبض المبلغ بقي ثلاث سنين ما أعطاه شيئاً ، وكان بالمشهد رجل ذو صلاح يقال له : مفرج فرأى في المنام كأن الرجل الذي قبض المال قد مات وقد جاؤا به على العادة ليدخلوه الحضرة الشريفة صلوات الله على صاحبها ، فلما وصلوا إلى الباب طلع أمير المؤمنين عليه السلام إلى العتبة وقال : لا يدخل هذا إلينا ولا يصلي أحد عليه ، فتقدم ولد له يقال له يحيى ، فقال : يا أمير المؤمنين وليك ، قال : صدقت ولكن اشهدني عليه لأبي جعفر الكنتاتيني بمال أوصله إليه ، فأصبح مفرج ، فأخبرنا بذلك فدعونا أبا جعفر وقلنا له : أي شيء لك عند فلان؟ قال : ما لي عنده شيء ، فقلنا : وملك شاهدك الإمام ، قال : ومن شاهدي؟ فقلنا له : أمير المؤمنين عليه السلام ، فوقع على وجهه يبكي فأرسلنا إلى الرجل الذي قبض المال فقلنا له : أنت هالك؟ فأخبرناه بالمنام فبكى ومضى فأحضر أربعين ديناراً فسلمها إلى أبي جعفر وأعطاه الباقي .

قصة أخرى :

قال : وحكى علي بن مظفر النجار قال : كان لي حصّة في ضيعة

فقبضت غصباً فدخلت إلى أمير المؤمنين عليه السلام شاكياً وقلت : يا أمير المؤمنين إن ردت هذه الحصّة عليّ عملت هذا المجلس من مالي فردت الحصّة عليه فغفل مدّة فرأى أمير المؤمنين عليه السلام في منامه وهو قائم في زاوية القبّة وقد قبض على يده وطلع حتّى وقف على باب الوداع البرّاني وأشار إلى المجلس وقال : يا عليّ يوفون بالنذر فقال له : حباً وكرامة يا أمير المؤمنين ، وأصبح واشتغل في عمله .

قصة أخرى :

قال : سمعت بعض من أثق به يحكي عن بعض الفقهاء عن القاضي بن بدّ الهمداني ، وكان زیدياً صالحاً متعبداً توفي في رجب سنة ثلاث وستين وستمئة ودفن بالسّهلة ، قال : كنت بالجامع بالكوفة وكانت ليلة مطيرة فدخلت باب مسلم جماعة فذكر بعضهم أنّ معهم جنازة فادخلوها وجعلوها على الصّفة التي تجاه باب مسلم بن عقيل رضي الله عنه ، ثم إن أحدهم نعى فرأى في منامه كأن قائلاً يقول لآخر : ما ينصره حتى ينصر هل لنا معه حساب أم لا فكشفوا عن وجهه فقال : بل لنا معه حساب وينبغي أن نأخذه منه معجلاً قبل أن يتعدى الرّصافة ، فما يبقى لنا معه طريق ، فانتبهت وحكيت لهم المنام وقلت لهم خذوه معجلاً فأخذوه ومضوا في الحال .

وفيه أيضاً قال : وقد ذكر إبراهيم بن علي بن محمد بن بكروس الدّينوري في كتاب نهاية الطالب وغاية السّؤل في مناقب آل الرسول ، وقد اختلفت الروايات في قبر أمير المؤمنين عليه السلام والصحيح أنّه مدفون في الموضع الشريف الذي على النجف الآن ويقصد ويزار وما ظهر لذلك من الآيات والآثار والكرامات ، فأكثر من أن يحصى وقد أجمع الناس عليه على اختلاف مذاهبهم وتباين أقوالهم ، ولقد كنت في النجف ليلة الأربعاء ثالث عشر ذي الحجة سنة سبع وتسعين وخمس مائة ونحن متوجّهون نحو الكوفة بعد أن فارقنا الحاج بأرض النجف وكانت ليلة

مضحية كالتنهار ، وكان من الوقت ثلث الليل فظهر نور دخل القمر في ضمنه ولم يبق له أثر وكان يسير إلى جانبي بعض الأجياد وشاهد ذلك أيضاً فتأملت سبب ذلك وإذا على قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عمود من نور يكون عرضه في رأي العين نحو الذراع وطوله عشرون ذراعاً ، وقد نزل من السماء وبقي على ذلك حدود ساعتين ما زال يتلاشى على القبة حتى اختفى عني وعاد نور القمر على ما كان عليه وكلمت الجندي الذي كان إلى جانبي فوجدته قد ثقل لسانه وارتعش فلم أزل به حتى عاد لما كان عليه وأخبرني أنه شاهد مثل ذلك .

قال : قال جامع الكتاب رحمه الله وهذا باب متسع لو ذهبنا إلى جميع ما قيل فيه لضاق عنه الوقت ولظهر العجز عن الحصر ، فليس ذلك بموقوف على أحد دون الآخر ، فإن هذه الأشياء الخارقة لم تنزل تظهر هنالك مع طول الزمان ومن تدبر ذلك وجده مشاهدة واختباراً من أحق بذلك منه عليه السلام وأولى وهو الذي اشترى الآخرة بطلاق الأولى وفيما أظهرنا الله عليه من خصائصه كفاية لمن كان له نظر ودراية والله الموفق لمن كان له قلب وأراد الهداية آخر كلامه حرفاً حرفاً .

وفي المنتخب حكى زيد النّساج قال : كان لي جار وهو شيخ كبير عليه آثار النّسك والصّلاح وكان يدخل إلى بيته ويعتزل عن الناس ولا يخرج إلا يوم الجمعة ، قال زيد النّساج : فمضيت يوم الجمعة إلى زيارة زين العابدين عليه السلام فدخلت إلى مشهده وإذا أنا بالشيخ الذي هو جاري قد أخذ من البثر ماء وهو يريد أن يغتسل غسل الجمعة والزيارة ، فلما نزع ثيابه فإذا في ظهره ضربة عظيمة فتحتها أكثر من شبر وهي تسيل قيحاً ومدة فاشمأز قلبي منها فحانت منه التفاتة فرآني فحجل فقال لي : أنت زيد النّساج؟ فقلت : نعم ، فقال لي : يا بني عاوني على غسلي ، فقلت : لا والله لا أعاونك حتى تخبرني بقصة هذه الضربة التي بين كتفيك ومن كفّ من خرجت وأي شيء كان سببها؟ فقال لي : يا زيد

أخبرك بها بشرط أن لا تحدّث بها أحداً من الناس إلّا بعد موتي ، فقلت : لك ذلك ، فقال : عاوني على غسلي ، فإذا البست اطماري حدثك بقصّتي ، قال زيد : فساعدته فاغتسل ولبس ثيابه وجلس في الشمس وجلست إلى جانبه وقلت له : حدثني يرحمك الله .

فقال لي : اعلم أنا كنّا عشرة أنفس قد تواخينا على الباطل وتوافقنا على قطع الطريق وارتكاب الآثام ، وكانت بيننا نوبة نديرها في كلّ ليلة على واحد منا ليضع لنا طعاماً نفيساً وخمراً عتيقاً ، وغير ذلك . فلمّا كانت الليلة التاسعة وكنّا قد تعشينا عند واحد من أصحابنا وشربنا الخمر ، ثم تفرّقنا وجئت إلى منزلي وهدوت ونمت ايقظتني زوجتي وقالت لي : إنّ الليلة الآتية نوبتها عليك ولا عندنا في البيت حبة من الحنطة ، قال : فانتبهت وقد طار السكر من رأسي وقلت : كيف أعمل وما الحيلة وإلى أين أتوجّه ، فقالت لي زوجتي : الليلة ليلة الجمعة ولا يخلو مشهد مولانا علي بن أبي طالب عليه السلام من زوار يأتون إليه يزورونه ، فقم وامض واكن على الطريق ، فلا بدّ أن ترى أحداً فتأخذ ثيابه فتبيعها وتشتري شيئاً من الطعام لتتم مروّتك عند أصحابك وتكافئهم على صنيعهم ، قال : فقممت وأخذت سيني وجحفتي ومضيت مبادراً وكنمت في الخندق الذي في ظهر الكوفة ، وكانت ليلة مظلمة ذات رعد وبرق ، فأبرقت برقاً فإذا أنا بشخصين مقبلين من ناحية الكوفة ، فلمّا قربا مني برقت برقاً أخرى فإذا هما امرأتان ، فقلت في نفسي : في مثل هذه الساعة أتأتي امرأتان ، ففرحت ووثبت إليهما وقلت لهما : اطرحا ثيابكما سريعاً ، ففرعا مني ونزعا ثيابهما فحسست عليهما حلياً فقلت لهما : وانزعا الحلّي الذي عليكما سريعاً ، فطرحاه فأبرقت السماء برقاً أخرى ، فإذا أحدهما عجوز والأخرى شابة من أحسن النساء وجهاً كأنّها ظبية قنّاص أو درّة غوّاص ،

(١) القنّاص : الضباب ، وقال الفيروز آبادي : الثقب كسر الهامة عن الدماغ أو ضربها أشدّ ضرب برمح أو عصا انتهى .

فوسوس لي الشيطان على أن أفعل بها القبيح ، وقلت في نفسي : مثل هذه الشابة التي لا يوجد مثلها حصلت عندي في هذا الموضع وأخليها فراودتها عن نفسها فقالت العجوز : يا هذا أنت في حلٍّ ممّا أخذته منا من الثياب والحلى فحلّنا نمضي إلى أهلنا فوالله إنها بنت يتيمة من أمها وأبيها وأنا خالتها وفي هذه الليلة القابلة تزف إلى بعليها وأنها قالت لي يا خالة إن الليلة القابلة أزف إلى ابن عمي وأنا والله راغبة في زيارة سيدي علي بن أبي طالب عليه السلام ، وإني إذا مضيت عند بعلي ربما لا يأذن لي بزيارته ، فلمّا كانت هذه الليلة الجمعة خرجت بها لأزورها مولاهم وسيدهم أمير المؤمنين عليه السلام فبالله عليك لا تهتك سترها ولا تفض ختمها ولا تفضحها بين قومها ، فقلت لها : إليك عني وضربتها وجعلت أدور حول الصبية وهي تلوذ بالعجوز وهي عريانة ما عليها غير السروال وهي في تلك الحال تعقد تكّتها وتوثقها عقداً فدفعت العجوز عن الجارية وصرعتها إلى الأرض وجلست على صدرها ومسكت يديها بيد واحدة وجعلت احلّ عقد التكة باليد الأخرى وهي تضطرب تحتي كالسمكة في يد الصياد وهي تقول : المستغاث بك يا الله المستغاث بك يا علي بن أبي طالب خلّصني من يد هذا الظالم .

قال : فوالله ما استتم كلامها إلّا وحسّ حافر فرس خلفي فقلت في نفسي : هذا فارس واحد وأنا أقوى منه وكانت لي قوّة زائدة وكنت لا أهاب الرجال قليلاً أو كثيراً ، فلمّا دنى مني فإذا عليه ثياب بيض وتحت فرس أشهب تفوح منه رائحة المسك ، فقال لي : يا ويلك خل المرأة ، فقلت له : إذهب لشأنك فأنت نجوت بنفسك وتريد تنجي غيرك ، قال : فغضب من قلبي ونقضني بذبال^(١) سيفه بشيء قليل فوقعت مغشياً عليّ لا

(١) قال المجلسي رحمه الله : استعماله على التوسع والمجاز ولعل المراد بذبال السيف الموضع الذابل أي الدقيق منه وهو رأسه وفي بعض النسخ بالمشاة هو أيضاً كناية من رأسه (بحار).

أدري أنا في الأرض أو في غيرها ، وانعقد لساني وذهبت قوتي ، لكن أسمع وأعي الكلام ، فقال لهما : قوما البسا ثيابكما وخذا حليكما وانصرفا لشأنكما ، فقالت العجوز : فمن أنت يرحمك الله وقد منّ الله علينا بك وإني أريد منك أن توصلنا إلى زيارة سيّدنا ومولانا علي بن أبي طالب عليه السلام ، قال : فتبسّم في وجوههما وقال لهما : أنا علي بن أبي طالب أرجعا إلى أهلكما فقد قبلت زيارتكما ، قال : فقامت العجوز والصبيّة وقبلا يديه ورجليه وانصرفا في سرور وعافية .

قال الرّجل : فأفقت من غشوتي وانطلق لساني فقلت له : يا سيّدي أنا تائب إلى الله على يدك وإني لا عدت أدخل في معصيته أبداً ، فقال : إن تبت تاب الله عليك ، فقلت له : تبت والله على ما أقول شهيد ثم قلت له : يا سيدي إن تركتني وفي هذه الضربة هلكت بلا شك ، قال : فرجع إليّ وأخذ بيده قبضة من تراب ثم وضعها على الضربة ومسح بيده الشريفة عليها فالتحمت بقدرة الله تعالى ، قال زيد النّساج : فقلت له : كيف التحم وهذه حالها ، فقال لي : والله إنها كانت ضربة مهولة أعظم ممّا تراها الآن ، ولكنها بقيت موعظة لمن يسمع ويرى ولا أشك أن عليّاً والأئمة عليهم السلام أحياء عند ربّهم يرزقون .

أقول : ومن كرامة من كرمه الله بالشرافات وشرفه بالكرامات مظهر العجائب ومظهر الغرائب ما ظهر في أيام تأليفي لهذا المجلد من كراماته عليه السلام وهي أنّ رجلاً من النّواصب رام أن يدخل روضة المطهّرة بنعله ويطأ تلك الأرض المنوّرة بخفيّه استخفافاً بشريف أعتابه واستحقاراً لمنيع بابه فاعتراه الجنون وصار كقديم العرجون وأخذ يهذي هذيان المحموم ويتكلم بما ليس له مفهوم وتفصيل هذا الاجمال على ما أخبره عدول الرّجال المشاهدين لذلك الحال أنّه لما عزم على الدخول في ذلك الوادي المقدّس والعروج إلى هذا الفلك الأطلس نوّدي من كلّ جانب ومكان ان اخلع نعليك وامش على رأسك دون رجلك فإنّ هذا مقام من انقطعت وسائله وذهبت مسائله وانخ بفنائه واقرع باب رجائه خالص الطويّة

صادق النية لا تعجبك افعالك ولا تحجبك عن فضله اعمالك ، وكن به عائذاً وببابه لائذاً ، فخرج من مخلع النعال مغضباً ومشى بنفسه معجباً إلى أن صعد من الصفة وحوله الناس مصطفىة ، فانطلق مسرعاً كان الأجل سائقه أو من يتولاه شائقه ، فلما أن وصل إلى الباب الأول تحت الزنجيل والناس ملتفون به جيلاً بعد جيل سمعوا الطمة وما رأوا من أحد ولم يقع نظرهم على يد ولقوه مستلقياً في إغماء يتألم ويتكلم ، فحملوه إلى مكانه وسألوه عن ذلك وما جرى عليه هنالك ، فذكر أنه رأى سيّداً جليل الشأن رفيع المكان خرج من الروضة المطهرة وضربه بإصبعيه على صفحة خذه الأيمن بحيث يرى أثرهما كلّ من نظر وأمعن ، ثم رجع به الناس إلى روضة ذلك السيد السند وفي جيده جبل من مسد ، أي مشدود بعقال يجرونه وهو في أسوأ حال ، أي عقال عنقه بضريح أبي الحسين لكنه لم يفق ورجع بخفي حنين^(١) ، ولم يزل من قلب القلب ينوح وينيح كالكلب إلى أن هلك ، والتحق بعد يومين أو ثلاث بأهل الدرك ، فهذا ما وقع في هذه الأيام في عام اشتغالي بتأليف فضائله عليه السلام ، وذلك في الثامن عشر من شهر ذي الحجة الحرام ، وكم له من آيات بينات لا تحصيها الأقلام ولا تستقصيها الأرقام ، وقد نظم وأرخ من نصبه لصيد طائر العليا أحكم فخ فاصطادها وهي تقول له بخ بخ إمام الحرمين أبو المحاسن محمد بن داود الهمداني بلغه الله آماله من الأماني . حيث قال :

روضة نور الهدى منها سطع	ناصر بي رام ان يدخل في
كل ما قد ردعوه ما ارتدع	فمشى منتعلاً مستهزئاً
ومشى والناس حوله جمع	ومن الصفة لما صعدا

(١) اعلم أن هذا الكلام إنما يصح إذا قلنا : إن مورد الكلام المثل ما نقله الجوهري عن ابن السكيت عن أبي اليقظان قال : كان حنين رجلاً شديداً ادعى إلى أسد بن هاشم بن عبد مناف فأتى عبد المطلب وعليه خفتان احمران ، فقال : يا عم أنا ابن أسد بن هاشم ، فقال عبد المطلب : لا وشباب هاشم ما أعرف شمائل هاشم فيك فرجع . =

وأَتَى الباب فما رَأَوْا سِوَى
فَارْتَدَى ثَوْبَ الرَّدَى والتَحَقَا
فَأَضِيفُوهُمْ إِلَى مَا أَرَّخُوا
فَبَخَفِيَّتِهِ حَنِينٌ قَدْ رَجَعَ

وقد نظم تلك الكرامة الأديب البارِعُ الأَمجدُ ، واريبُ النَّاصعِ
الأوحدُ ، العالمُ الفاضلُ في فنونِ التفاضلِ ، الأَرشدُ الشَّيخُ عبدُ الحَسينِ
نجلُ العلامةِ العالمِ العاملِ الكاملِ الشَّيخِ أحمدَ شُكْرٍ حيثُ قالَ :

ورجس زَنِيمَ رامٍ واطأَ بِنَعْلِهِ
وَهُمْ بِأَن يعلُو على عَرشٍ قَادِرٍ
أَرَادَ استِراقَ السَّمعِ من مَلَأَ غَدَتِ
فَخَرَّ شَهَابٌ من سَمَاءٍ لَرَجَمِهِ
أَلَمْ يَدْرُ أَنَّ فِيهِ الملائِكُ خَضَعاً
وَأَنَّ بِهِ أَوْحَى لمُوسَى إلهِهِ
فَلَلَّهُ من أَرْضٍ سَمَتِ قَبَّةَ السَّما
أَضَاءَ لَنَا في عِصامِ النُّورِ نورُها
لَقَدْ ضَمَمْتَ فَصَلَ الخُطابِ الَّذِي عَلا
حَوَتْ مَلَكاً اسْتَغْفَرَ اللهَ بِلَ عَلا
أَتَحْوِيهِ أَرْضٌ وَهوَ في كُلِّ عَالمٍ
أَيَنْصِبُ فِينَا شَاهِدَ غَيْرِ حَاضِرٍ
تَعَالَى إِلَهُ العَرشِ أَنَّ يَأْمُرُ الِوَرى

مقدسة الأرضين بل حضرة القدس
بقدرته قد قوم العرش والكرسي
به الرسل حراساً ولم يخش من بأس
فأحرق شيطانياً على صورة الانس
ومن خيفة قامت صفوفاً بلا همس
بأن قيل خلع النعل يخلع للنفس
وعاقت علا العيوق حتى عن المس
فنور بلا بدر وضوء بلا شمس
عن الجنس فامتازت بفصل بلا جنس
وجل عن الأحوا وعز عن الحدس
شهيد ومشهود على الغيب والحس
ويحكم بنيان جليل بلا اس
بحكم ويجري فيهم الأمر بالعكس

= فقالوا : رجل حنين بخفيّه فصار مثلاً لا على أن موره ما قال غير ابن السكيت من
أن حنين اسم اسكاف من أهل الحيرة ساومه عن أبي بخفين ، فلم يشتره ففاضه
ذلك ، وعلق احدي الخفين في طريقه وتقدم فطرح الأخرى وكمن له وجاء فرأى
احدي الخفين ، فقال : ما أشبه هذا بخف حنين لو كان معه آخر لاشرتيه ، فتقدم
فرأى الخف الثاني مطروحاً في الطريق فنزل وعقل بعيره ورجع إلى الأول فذهب
الاسكاف براحاته وجاء إلى الحي (منه رحمه الله تعالى) .

وإنَّ اعتقادي في علي بآنه لربّ العلى عين على كلّ ذي نفس
 عليه صلوات الله ما دام أمره على العين تلقيه الملائك والرأس
 ولقد جال في ذلك الميدان طرف بديع الزمان أبي سهل أحمد بن
 الحسن المعروف بأبي قفطان ولعمري ولقد حاز قصب السباق في سبقه
 إلى ذلك المصداق فكأن لشفاء الداء خير درياق .

قال حفظه الله ارتجالاً عند وقوع القضية :

وكرامات الوصي حيدرة ظاهرات عند أهل التبصرة
 كم وكم مرت على أسلافنا وبدت أخرى لنا مبتكرة
 ناصبي رام أن يدخل في نعله في الروضة المنورة
 صاحب الروضة أرخ أسد قبل أن يدخله قد سطره

ثم أبدل ألفاظ التاريخ أبدال المشتري بكوكب المريخ إذ هما فرسا
 رهان في الحسن والاستحسان ، قال : فعلي ، قلت في تاريخه قبل أن
 يخطو إليها سطره مؤدياً عن أن لفظ فعلي من التاريخ .

أقول : لفظ سطره وإن كانت غير فصيحة إلا أنها في هذا المطلوب
 حسنة الأسلوب .

ومما يعجبني ذكره في المقام قصيدة نظمها بعض الأعلام من
 مخالفينا وهو المصقع الباهر والمفلح الساهر الطاغي صيته في الأفاق
 والبارع على أبناء جنسه على الاطلاق الأمير الكبير عبد الباقي العمري
 الموصلي .

وقد خمّسها الكاتب الكامل ابن اخت الناظم الفاضل محمد أمين
 العمري كاتب الديوان العربي في دار السلام ، وقد جرى الأصل
 والتخميس في هذا الميدان كفرنسي رهان فأوردت كليهما لعدم القدرة على
 قبض العنان من حسن البيان ، وهي هذه :

شمخت رفعة وعزّت منالا واستطالت فخامة وجلالا
واستخفت من الجبال الثقالا قبة المرتضى علي تعالى
شأنها عن موازن وعديل

بزرغت في السدجى كبدر منير وتبدت تزهو بحسن نضير
وهي اكسير كل قلب كسير من نظار صيغت بغير نظير
في مثال منزّه عن مثيل

قد صفا كالمرآة فيها صقال فبدا للنجوم فيها مثال
فلك لا يحيطه فيه خيال فوقها كالإكليل لاح هلال
ومقتنه السهى بطرف كليل

ملأت قبة العوالم بالضوء واستقلت بنفسها في ذوي الجوّ
بعلي علت فما ضرّها لو كبرت فاستقلت الفلك الدوار
عنها بأن يرى ببديل

حلّ فيها نور الهدى فتحلّت ودنت فوق قبره فتدلّت
ملأت هيبة فمزّت وجلّت جلّت من تبا جليلاً تجلّت
فوقه هيبة الملك الجليل

سمكها سامت السّمّاك مقاما حين صمّت ذاك الإمام الهماما
أبدا شاء شأنها لن تساما فعلى قبة السّمماء إذا ما
فصلوها أقول بالتفصيل

هي عين وللتجليّ سينجلي كلّ ذات بعكسها تتمثّل
وبمرآت فكر من يتخيّل هي باء مقلوبة فوق تلك ال
نقطة المستحيلة التّأويل

دار مجد من بابها السّعد يدخل دار في صحنها الهدى في تسلسل
في علاها مهما تشا أبداً قل هي فلك بل ما عليه استوى الفلك
ومن فوقه لوحة من قبيل

كعبة نحوها قطعنا الفجاجا بحماها قد أوت الحجاجا
لا ترى عند بابها محتاجا هي كهف النجاة طور المناجاة
ثمّال العفات مأوى الدّخيل

هي كنز لدرّة الفخر مؤوّل قد حوت كلّ جوهر متفضّل
 ليس فيها لعارض الدّهر معقل هي حقّ للجوهر الخاص مالل
 عرض العام عندها من مقليل
 هي شمس الهدى لمن ضلّ دوماً ما رأى من بها اهتدى قط لوما
 كم هدت من غوى الجهالة قوماً هي ظل ما ظل من قال يوما
 بحماها من تحت ظلّ ظليل
 صدف قد غلت بدرّ ثمين وإمام للمؤمنين مبین
 كنزها قد حوى لخير دفين هي غمد لذي الفقار بطین
 من سيوف الله العلي صقيل
 أجمة فوقها الجلال تجلّی بقعة في عرينها اللّيث حلّا
 كيف تدنو الأسود منها محلاً هي غاب سوى بها أسد الله
 علي بصدر أشرف غيل
 هو سيف القضاء بأيدي قدير نصلة ينتضي بيوم عسير
 حيدر يضرم الوغى بسعير ذاك ليس أردى العدى بزئير
 وحسام أبادهم بصليل
 هي روض ونعم مرعى ومنهل لأمير النّحل الإمام المفضّل
 دار فيها كأس الرّحيق المسلسل كورة لليعسوب مازج صرف ال
 شهد منها أطائب الزنجبيل
 فلك دائر منير بشهب نورها ظاهر بشرق وغرب
 هوّنت في تدبيرها كلّ صعب كرة مستديرة فوق قطب
 دبّر الكائنات بالتّعديل
 صاغها الله من محاسن تعجب وطلاها من نورها المتلهّب
 فهي أسنى سبيكة لمذهب أفرغتها يد المفاخر من تب
 والمعالي في قالب التبجيل
 صبغة الله زينّت بالتّحلي وعليها الأملاك للوحي تملي
 مذ دنا الرّوح نحوها بالتدلي صبغتها بالنّور أيدي التّجلي
 بقدامي من خافقي جبرئيل

لا يحيط الخيال وقتاً فوقتاً بحلاها ولا يحيل نعتاً
جمعت ذاتها فضائل شتى فغشيها النور الإلهي حتى
بخيال جلت عن التخيل

أحرزت من ازاهر الشرف الغض وأحاطت بالمجد في الطول والعرض
كل فضل من فضلها يتبع بعض قد حوى فصل بابها جمل الفض
التي قد غنين عن تفضيل

جلبت تزدهر بجسم صقيل فهي زهراء ما لها من مثيل
منذ زفت لخير مولى جليل كمروس بدت بوجه جميل
تسى شمس الضحى بخذ أسيل

هي بدر الدجى بغير سرار هي شمس ضاقت بغير استار
زندها في كلا الجديدين وار هي في الليل مثلها في نهار
ويوقت الضحى كوقت الأصيل

نالت النيرات من ذاك نيلاً يستميل المحب للمحب ميلاً
فتهاوت منها تقبل ذيلاً قابلتها البدور باللثم ليلاً
وشمسوس النهار بالتحبيل

كسراج لنا تجلّت مساء فاستعارت منه الدّاراي سناء
زيتها التبر يستنير ضياء صحنها كالقنديل يزهو صفاء
وهي تحكي ذبالة القنديل

هل محب يحنو على ما أقاسي من غرام دك الجبال الرّواسي
ما لجرحي سواكم اليوم آسي يا خليلي والخليل المواسي
منكما من محب نفع الخليل

بالغريين حاجة اقتضاها وبكوفان بلغة ارتجاها
فبحق الزهراء وحقّ بنيتها علاني بذكر من جلّ فيها
إن قلبي يطيب بالتعليل

ذو سجايا اصفى من الدر والدر ومزايها لم يخصها بالتفكر
أخبرت عن نعوته كتب الفرّ نعته بالزبور جاء وبالفّر
قان بل بالتوراة والإنجيل

هل أتى في سواه بالذكر يملأ أي وحي بها تساماً محلاً
 وصفه بالقرآن قد جاء يتلى الإمام المبين أحصى به الله
 جميع الأشياء في التنزيل
 صدره نسخة لمن كان في الكون قديماً من خطها الناس أملوا
 هو علم الكتاب في علمه أو فهو اللوح بل وما خط في اللو
 ح لديه مقيد التسجيل
 كم ثملنا منه بكأس روى فامطنا برشفها كل غي
 إن ترم أن تفوز منه بري سلسبيلاً لسلسبيل علي
 فعلى ابن السَّيل قصد السَّيل
 زره مهما أصابك الخطب مهما تلق غيثاً همي ويحراً خضماً
 فأجل في حوضه عن القلب هما هو ساقى الحوض الذي ليس يظما
 من حبه يده بالتنويل
 كم غليل روى بفيض منيل ما رويناه عن فرات ونيل
 كم أفاضت كفاه من سلسبيل هو ذات الشفا لكل عليل
 وشفاء لذات كل عليل
 صاغه الله من ندى وبراه وعلى قطرة السخا سواه
 بحر جود ما للنفات سواه عيسلم كل قطرة من نداءه
 هي غيث لكل عام محيل
 جئت أشكو إليه بشي وحزني حاش لله أن يخيب ظني
 نلت من فضله قصار التمني عرض حالي لا غرو أن طال أني
 لذت في جاهه العريض الطويل
 غيث فضل يهمني بفيض غزير وغياث من كل أمر عسير
 كيف أرضى منه بمن يسير طامع من نواله بكثير
 ما أنا منه قانع بقليل
 كم عديم أحيا بجود عميم وهدي حائر النهج قويم
 ولا عتابه بقلب سليم جئت مستهدياً هدي من كريم
 ليس مستجدياً جدي من بخل

لجناحي اراش بعد تلافي بقدامى افضاله والخوافي
 قبره كعبة غدى للطواف من ثراه لي ثروة وخذاني
 ودعاني بهن أغنى معيل
 كل من زار قبره أمن اللهو وإن كان ذنبه يملأ الجو
 ما تراني وقد أحاط بي السو زرقه والدموع تنهل والأو
 زار تنهال عن كتيب مهيل
 حبه بارز بدا من ضميري وعلينا فرض ولاء الأميري
 لولاه كم اغتنى من فقير ليس لي بعد حبه من نقيير
 يغن عني شيئاً ولا من فتيل
 زاد وفرى منه بظل وريف حيث وقى بالكيل كل طفيف
 من بسيط الثنا ومدح شريف وافرأ ان مدحته بخفيف
 فيه أرجو حظ وزر ثقل
 رحت عنه والقلب في لفتات لحماه والنفس في حسرات
 وشئون العيون في العبرات حاسداً عند قبره اثلاث
 فزن من قبره بمجدائيل
 كيف أحصى بالمدح أوصاف مولى خصه ربه بآية قل لا
 إن مدح العلي بعلياه أولى فعليه السلام ينزى من الله
 ويهدى إليه في منديل
 من حلاه نور الهداية مبرق وعليه سنا الولاية مشرق
 ولديه نشر الوصاية معبق سجنة ايدي الملائك من رقه
 غزل التكبير والتهليل
 وعليه اثنى ثناء أجل وصلاة من راحم متجل
 تتغشاها في سني محل ما تلى هل لقي عليه مصل
 بلسان التجويد والترنيل

وإنني جعلت بعض عينية عبدالحميد بن أبي الحديد مصلياً هذا الفرد
 النضيد لحسن النظام ولأن الكلام يجر الكلام قال :

قد قلت للبرق الذي شق الدجى
يا برق إن جئت الغري فقل له
فيك ابن عمران الكلیم وبعده
بل فيك جبريل وميکال و
بل فيك نور الله جلّ جلاله
فيك الإمام المرتضى فيك الوصي
الضارب الهام المقنع في الوغى
والسمهرية تستقيم وتنحني
والمترع الحوض المددع حيث لا
ومبدد الأبطال حيث تالبوا
والحبر يصدع بالمواعظ خاشعاً
حتى إذا استعر الوغى متلظياً
متجلياً ثوباً من السدم قائماً
زهدي المسيح وفتكة الدهر الذي
هذا ضمير العالم الموجود عن
هذي الأمانة لا يقوم بحملها
تأبى الجبال الثم عن تقليدها
هذا هو النور الذي عذباته
وشهاب موسى حيث أظلم ليله
يا من له ردت ذكاء ولم يفز
يا هازم الأحزاب لا يشيه عن
يا قالع الباب الذي عن هزها
لولا حدوثك قلت أنك جاعل
ما العالم العلوي إلا تربة
ما الدهر إلا عبدك القن الذي
أنا في مديحك الكن لا أهتدي

فكأن زنجياً هناك يجدع
أتراك تعلم من بأرضك مودع
عيسى يقضيه وأحمد يتبع
اسرافيل والملا المقدس أجمع
لذوي البصائر يستشف ويلمع
المجتبى فيك البطين الأنزع
بالخوف للبهيم الكماء يقنع
فكأنها بين الأضالع أضلع
واد يفيض ولا قلب يترع
ومفرق الأحزاب حيث تجمعوا
حتى تكاد لها القلوب تصدع
شرب الدماء بغلة لا تنفع
يعلوه من نقع الملاحم برقع
أردى به كسرى وفوز تبع
عدم وسر وجوده المستودع
خلقها باطة واطلس أرفع
وتضج تيهاً وتشفق برقع
كانت بجبهة آدم تنطلع
رفعت له لآئته تتشعشع
بنظير من قبل الآ يوشع
خوض الحمام مدجج ومدرع
عجزت اكف أربعون وأربع
الأرواح في الأشباح والمستنزع
فيها لجنتك الشريفة مضجع
بنفوذ أمرك في البرية مولع
وأنا الخطيب الهبزري المصقع

أقول فيك سميدع كلاً ولا
بل أنت في يوم القيامة حاكم
ولقد جهلت وكنت أحذق عالم
وفقدت معرفتي فلست بعارف
لي فيك معتقد سأكشف سره
هي نفثة المصدور يظفي بردها
والله لولا حيدر ما كانت
من أجله خلق الزمان وضوئت
علم الغيوب إليه غير مدافع
وإليه في يوم المعاد حسابنا
هذا اعتقادي قد كشفت غطاءه
يا من له في أرض قلبي منزل
أهواك حتى في حشاشة مهجتي
وتكاد نفسي أن تذوب صبابه
ورأيت دين الاعتزال وإنما
ولقد علمت بأنه لا بد من
يحميه من جند الإله كتائب
حاشا لمثلك أن يقال سميدع
في العالمين وشافع ومشفع
اغرار عزمك أم حسامك أقطع
هل فضل علمك أم جنابك أوسع
فليضع أرباب النهي وليسمعوا
حر الصباية فاعدلوني أودع
الدنيا ولا جمع البرية مجمع
شهب كنسن وجن ليل أدرع
والصبح أبيض مسفر لا يدفع
وهو الملاذ لنا غداً والمفزع
سيضر معتقداً له أو ينفع
نعم المراد الرحب والمستربح
نار تشب على هواك وتلذع
خلقاً وطبعاً لا كمن يتطبع
أهوى لأجلك كل من يتشيع
مهديكم وليومه أتوقع
كاليم أقبل زائراً يتدفع







الفصل الأول

في تاريخ ولادته وتسميته وكنيته ولقبه

قال كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي في كتابه مطالب السئول :
أصح ما قيل في ولادته أنه ولد في المدينة في النصف من شهر رمضان
سنة ثلاث من الهجرة ، وكان والده علي بن أبي طالب عليه السلام قد بنى
بفاطمة عليها السلام في ذي الحجة من السنة الثانية من الهجرة ، فكان
الحسن عليه السلام أول أولادها وقيل ولد لسنة أشهر والصحيح خلافه ولما
ولد عليه السلام وأعلم النبي به أخذه وأذن في أذنه .

وقال علي بن عيسى رحمه الله في كشف الغمة : قال الكنجي
الشافعي في كتابه كفاية الطالب : الحسن بن علي عليهما السلام كنيته
أبو محمد ، ولد بالمدينة ليلة النصف من رمضان سنة ثلاث من الهجرة ،
وكان أشبه الناس بالنبي صلى الله عليه وآله .

وقال الشيخ المفيد قدس سره في إرشاده باب ذكر الإمام بعد أمير
المؤمنين ، وتاريخ مولده ودلائل إمامته ، ومدة خلافته ، ووقت ولادته ،
ووفاته وموضع قبره ، وعدد أولاده ، وطرف من أخباره والإمام بعد أمير
المؤمنين عليه السلام ابنه الحسن ابن سيدة نساء العالمين فاطمة بنت
محمد سيد المرسلين صلى الله عليه وآله الطاهرين ، كنيته أبو محمد ،
ولد بالمدينة ليلة النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة ، وجاءت
به فاطمة عليها السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله يوم السابع من مولده

في خرقة من حرير الجنة ، كان جبرئيل عليه السلام نزل بها إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وآله فسماه حسناً وعق عنه كبشاً .

قال : روى ذلك جماعة منهم معمر عن الزهري ، عن أنس بن مالك قال : لم يكن أحد أشبه الناس برسول الله صَلَّى الله عليه وآله من الحسن بن علي عليهما السلام .

وفي البحار عن المناقب ، عن برة بن أمية الخزاعي قالت : لما حملت فاطمة بالحسن عليه السلام خرج النبي صَلَّى الله عليه وآله في بعض وجوهه فقال لها : إنك ستلدن غلاماً قد هنأني به جبرئيل ، فلا ترضعيه حتى أصير إليك ، قالت : فدخلت على فاطمة حين ولدت الحسن وله ثلاث من أرضعته ، فقلت لها : أعطني حتى أرضعه ، فقالت : كلا ، ثم أدركتها رقة الأمهات فأرضعته ، فلما جاء النبي صَلَّى الله عليه وآله قال لها : ماذا صنعت؟ قال : أدركني عليه رقة الأمهات فأرضعته ، فقال : أباي الله عز وجل إلا ما أراد .

أقول : سيأتي تمامه في أحوال أخيه الحسين عليهما السلام إن شاء الله تعالى .

وفيه أيضاً عن عيون المعجزات للمرتضى روى أن فاطمة عليها السلام ولدت الحسن والحسين عليهما السلام من فخذها الأيسر ، وروي أن مريم ولدت المسيح من فخذها الأيمن ، قال : وحديث هذه الحكاية في كتاب الأنوار في كتب كثيرة .

وفي العيون بثلاثة أسانيد معتبرة عن الرضا عن آبائه ، عن علي بن الحسين عليهم السلام قال : حدثني أسماء بنت عميس قالت : حدثني^(١) سيدي فاطمة عليها السلام أنها قالت : لما حملت بالحسن بن

(١) أقول : لا يخفى على من تصفح في كتب الحديث وطرق نقل الروايات أن ما صححه به في الحاشية مخالف بطرق نقلها مع أن تصحيح ما صححه يحتاج إلى =

علي وولדתه جاء النبي (ص) فقال : يا أسماء هلمي ابني فدفعته إليه في خرقه صفراء ، فرمى بها النبي (ص) وقال : يا أسماء ألم أعهد إليكم أن لا تلقوا المولود في خرقه صفراء ، فلففته في خرقه بيضاء ودفعته إليه ، فأذن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى ، ثم قال لعلي : بأي شيء سميت ابني ؟ قال : ما كنت أسبقك باسمه يا رسول الله ، قد كنت أحب أن أسميه حرباً ، فقال النبي (ص) : ولا أسبق أنا باسمه ربّي ثم هبط جبرئيل عليه السلام فقال : يا محمد العلي الأعلى يقرئك السلام ويقول : علي منك بمنزلة هارون من موسى ولا نبي بعدك سمّ ابنك هذا باسم ابن هارون ، فقال النبي (ص) : وما اسم ابن هارون ؟ فقال : شبر ، قال النبي (ص) : لساني عربي ، قال جبرئيل : سمّه الحسن . قالت أسماء : فسماه الحسن .

فلما كان يوم سابعه علق النبي عنه بكشين املحين وأعطى القابلة فخذاً وديناراً ، وحلق رأسه وتصدّق بوزن الشعر ورقاً^(١) وطلّى رأسه بالخلوق^(٢) ، فقال : يا أسماء الدم فعله الجاهلية ، قالت أسماء : فلما كان بعد حول ولد الحسين عليه السلام وجاءني النبي (ص) فقال : يا أسماء هلمي ابني فدفعته إليه في خرقه بيضاء فأذن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى ، ووضع في حجره ، فبكى . فقالت أسماء : قلت : فذاك

= تكليف تقدير في العبارة كما لا يخفى على من تأمل منها مضافاً إلى أن مثل هذا العبارة التي صحّحها ياباه الطبع السليم لمحرر المتن والحواشي رحمه الله ، العبارة هكذا في عامة النسخ رأيناها وهي كما ترى والظاهر أن العبارة كانت هكذا ، وقالت : سيّدتى فاطمة عليها السلام : لما حملت بالحسن عليه السلام فزاد التسامح لفظ حدثني بين قالت ، وبين سيّدتى وهكذا اقمحو لفظ قالت : وانها قبل قوله لما حملت وعلى ما قلنا قوله سيّدتى مقول اسماء وليس فاعلاً لقالت فتدبر .

(١) الورق : مثلثة وككتف وجبل الدرهم المضروبة (ق) .

(٢) الخلوق مثل رسول ما يتخلّق فيه من الطيب ، قال بعض الفقهاء : وهو مائع فيه صفرة (مص) .

أُمِّي وَأَبِي مِمَّ بِكَأُوك؟ قَالَ : عَلَى ابْنِي هَذَا ، قُلْتُ : إِنَّهُ وَلَدُ السَّاعَةِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ : تَقْتُلُهُ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ مِنْ بَعْدِي لَا أَنَالَهُمُ اللَّهُ شِفَاعَتِي ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَسْمَاءُ لَا تَخْبِرِي فَاطِمَةَ بِهَذَا فَإِنَّهَا قَرِيبَةٌ عَهْدُ بَوْلَادَتِهِ ، ثُمَّ قَالَ لِعَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَيُّ شَيْءٍ سَمَّيْتَ ابْنِي؟ قَالَ : مَا كُنْتُ لِأَسْبِقُكَ بِاسْمِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَقَدْ كُنْتُ أَحَبُّ أَنْ أَسْمِيَهُ حَرْبِي ، فَقَالَ النَّبِيُّ (ص) : وَلَا أَسْبِقُ بِاسْمِهِ رَبِّي ، ثُمَّ هَبَطَ جِبْرِئِيلُ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ الْعَلِيُّ الْأَعْلَى يَقْرُئُكَ السَّلَامُ وَيَقُولُ لَكَ : عَلِيٌّ مِنْكَ كَهَارُونَ مِنْ مُوسَى سَمَّ ابْنَكَ هَذَا بِاسْمِ ابْنِ هَارُونَ ، قَالَ النَّبِيُّ (ص) : وَمَا اسْمُ ابْنِ هَارُونَ؟ قَالَ : شَبِيرٌ ، قَالَ النَّبِيُّ (ص) : لِسَانِي عَرَبِيٌّ ، قَالَ جِبْرِئِيلُ : سَمُّهُ الْحُسَيْنُ ، فَسَمَّاهُ الْحُسَيْنُ .

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ سَابِعِهِ عَقَّ عَنْهُ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ وَأَعْطَى الْقَابِلَةَ فَخْذًا وَدِينَارًا ثُمَّ حَلَقَ رَأْسَهُ وَتَصَدَّقَ بِوِزْنِ الشَّعْرِ وَرَقًا وَطَلَى رَأْسَهُ بِالْخُلُقُوقِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَسْمَاءُ الدَّمُ فَعَلَ الْجَاهِلِيَّةُ .

وَفِيهِ أَيْضًا بِهَذَا الْإِسْنَادِ عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أَنَّهُ سَمَّى حُسَيْنًا يَوْمَ السَّابِعِ وَاسْتَقَّ مِنْ اسْمِ الْحُسَيْنِ حُسَيْنًا وَذَكَرَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا إِلَّا الْحَمْلُ .

وَفِي الْبَحَارِ عَنْ كِتَابِ الْعَدَدِ رَوَى عَنْ أُمِّ الْفَضْلِ زَوْجَةِ الْعَبَّاسِ أَنَّهَا قَالَتْ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ عَضْوًا مِنْ أَعْضَائِكَ فِي حَجْرِي ، فَقَالَ : تَلَدَ فَاطِمَةُ غَلَامًا فَتَكْفُلِيهِ فَوَضَعْتَ فَاطِمَةَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، فَدَفَعَهُ إِلَيْهَا النَّبِيُّ (ص) فَرَضَعْتَهُ بِلَبَنِ قَتْمِ بْنِ الْعَبَّاسِ .

وَفِي كَشْفِ الْغَمَّةِ مَرْفُوعًا إِلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : لَمَّا حَضَرَتْ وَلَادَةُ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَأَسْمَاءَ بِنْتِ عَمِيْسٍ وَأُمِّ سَلَمَةَ : احْضِرَاهَا فَإِذَا وَقَعَ وَلَدُهَا وَاسْتَهْلَ فَأَذْنًا فِي أُذُنِهِ الْيَمْنَى وَأَقِيمَا فِي الْيَسْرَى ، فَإِنَّهُ لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ بِمِثْلِهِ إِلَّا عَصَمَ مِنَ الشَّيْطَانِ ، وَلَا تَحْدِثَا شَيْئًا حَتَّى آتِيَكُمَا ، فَلَمَّا وَلَدَتْ فَعَلْتَا ذَلِكَ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَسَرَّهُ وَلَبَّاهُ بِرَيْقِهِ ، وَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعِيزُهُ بِكَ وَوَلَدَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ .

وفيه أيضاً من كتاب الفردوس عن النبي صَلَّى الله عليه وآله أمّرت أن اسمي ابني هذين حسناً وحسيناً .

وفي العلل بإسناده عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، عن أبيه ، عن جده ، قال : قال النبي صَلَّى الله عليه وآله : يا فاطمة اسم الحسن والحسين في ابني هارون شبر وشبير لكرامتهما على الله عز وجل .

وفي معاني الأخبار والعلل بإسناده عن عكرمة قال : لما ولدت فاطمة الحسن عليهما السلام جاءت به إلى النبي (ص) فسمّاه حسناً ، فلمّا ولدت الحسين عليه السلام جاءت به إليه فقالت : يا رسول الله هذا حسن من هذا ؟ فسمّاه حسيناً .

وفي المعاني الأخبار بإسناده عن جعفر بن محمد ، عن أبيه عليهم السلام قال : أهدى جبرئيل إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وآله اسم الحسن بن علي عليه السلام في خرقه من حرير من ثياب الجنة ، واشتق اسم الحسين من اسم الحسن عليهما السلام .

وروى القطب الراوندي في الخرائج عن الصادق عليه السلام قال : كان رسول الله صَلَّى الله عليه وآله يأتي مراضع فاطمة عليها السلام فيتفل في أفواههم ويقول لفاطمة : لا ترضيعهم .

وفي البحار عن المناقب ، عن عمران بن سليمان وعمرو بن ثابت قالوا : الحسن والحسين اسمان من أسامي أهل الجنة ولم يكونا في الدنيا .

وفيه عنه أيضاً عن جابر قال النبي صَلَّى الله عليه وآله : سمّي الحسن حسناً لأنّ بإحسان الله قامت السماوات والأرضون واشتق الحسين من الاحسان وعلي والحسن اسمان من أسماء الله تعالى والحسين تصغير الحسن .

قال : وحكى أبو الحسين النسابة كان الله عز وجل حجب هذين

الاسمين عن الخلق يعني حسناً وحسيناً حتى يسمّا بهما ابنا فاطمة عليها السلام فإنه لا يعرف أنه أحداً من العرب تسمى بهما في قديم الأيام إلى عصرهما ، لا من ولد نزار ولا اليمن مع سعة أفخاذهما وكثرة ما فيهما من الأسامي وإنما يعرف فيهما حسن بسكون السين وحسين بفتح الحاء وكسر السين على مثال حبيب ، فأما حسن بفتح الحاء والسين فلا نعرفه إلا اسم جبل معروف ، قال الشاعر :

لام الأرض وبل ما أجنت بحيث اضرّ بالحسن السبيل
سئل أبو عمّه غلام تغلب عن معنى قول أمير المؤمنين عليه السلام
حتى لقد وطى الحسنان وشقّ عطفائي فقال : الحسنان الابهامان وإحديهما حسن .

قال الشنفرى :

معضومة الكشحين درماء الحسن جماء ملساء بكفيتها شثن

شق عطفائي : أي ذيلي .

وفيه عنه أيضاً ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي هريرة قال : قدم راهب على قعود^(١) له ، فقال : دلّوني على منزل فاطمة ، قال : فدّلّوه عليها ، فقال لها : يا بنت رسول الله اخرجي إليّ ابنيك فأخرجت إليه الحسن والحسين ، فجعل يقبلهما ويبكي ويقول : اسمهما في التوراة شبير وشبر ، وفي الإنجيل طاب وطيب ، ثم سأل عن صفة النبي صلّى الله عليه وآله ، فلما ذكره قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله .

وفي الكافي بإسناده عن أبي عبد الله عليهما السلام قال : عق رسول الله عن الحسن عليه السلام بيده وقال : بسم الله عقيقة عن الحسن عليه

(١) قال الجوهرى : القعود من الإبل هو البكر حين يترك أي يمكن ظهره من الركوب وأدنى ذلك أن تأتي عليه سستان إلى أن يشي فإذا سنى سمي جملاً (بحار) .

السلام ، وقال : اللهم عظمها بعظمه ولحمها بلحمه ودمها بدمه ، وشعرها بشعره ، اللهم اجعلها وقاء لمحمد وآله .

أقول : قال كمال الدين بن طلحة الشافعي في كتابه مطالب السؤول : اعلم أن هذا الاسم الحسن سمّاه به جدّه رسول الله صلّى الله عليه وآله ، فإنه لما ولد عليه السلام قال رسول الله (ص) : ما سمّيتموه؟ قالوا : حرباً ، قال : بل سمّوه حسناً ، ثم إنّه (ص) عَقَّ عنه وذبح كبشاً وبذلك احتج الشافعي في كون العقيقة سنة عن المولود ، وتولّى ذلك النبي صلّى الله عليه وآله ومنع أن تفعله فاطمة عليها السلام وقال لها : احلّقي رأسه وتصدّقي بوزن الشعر فضّة ، ففعلت ذلك وكان وزن شعره يوم حلّقه درهماً وشيئاً ، فتصدّقت به فصارت العقيقة والتّصدق بزنة الشعر سنة مستمرة بما شرعه النبي في حقّ الحسن عليه السلام ، وكذلك اعتمد في حقّ الحسين عليه السلام عند ولادته وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى .

وكنيته أبو محمد لا غير ، وأمّا ألقابه فكثيرة : التّقيّ والطّيب والزّكي والسّيد والسّبط والوليّ كلّ ذلك كان يقال له ويطلق عليه أكثر هذه الألقاب شهرة التّقي ، لكن أعلاها رتبة وأولاها به ما كان لقبه به رسول الله صلّى الله عليه وآله حيث وصف به وخصّه بأن جعله نعتاً له ، فإنّه صحّ النّقل عن النبي صلّى الله عليه وآله فيما أورده الأئمة الثّبات والرّواة الثّقات أنّه قال : إن ابني هذا سيّد فيكون أولى ألقابه السيّد .

أقول : سيأتي تمام هذا الحديث في الفصل الآتي ردّف هذا إن شاء الله تعالى .

وقال ابن عيسى في كشف الغمّة : قال ابن الخشاب : كنيته أبو محمد ، وألقابه : الوزير والتّقي والقائم والطّيب والحجّة والسّيد والسّبط والوليّ .

وفي البحار عن المناقب كنيته أبو محمد وأبو القاسم ، وألقابه السيّد

والسَّبَطُ والأَمِينُ والحِجَّةُ والبرُّ والتَّقِيّ والزَّكِيُّ والأَثِيرُ والمَجْتَبَى والسَّبَطُ الأوَّلُ
والزَّاهِدُ .

وفي كشف الغمة عن أحمد بن أيوب المغيرة قال : كان الحسن عليه السلام أبيض مشرباً حمرة أدعج^(١) العينين سهل الخدين ، رقيق كُثْب اللَّحْيَةِ ، ذا وفرة كأنَّ عنقه إبريق فضة ، عظيم الكراديس^(٢) بعيد ما بين المنكبين ربعة^(٣) ليس بالطويل ولا القصير ، مليحاً من أحسن الناس وجهاً ، وكان حسن البدن جعد الشعر يختضب بالسَّوَادِ .

وروى ابن بابويه في العيون بإسناده عن الحسين بن خالد الصيرفي في خبر طويل ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : كان نقش خاتم الحسن عليه السلام : العزّة لله ، وكان نقش خاتم الحسين عليه السلام : إنَّ الله بالغ أمره ، وكان علي بن الحسين يتختم بخاتم أبيه الحسين عليهما السلام ، وكان محمد بن علي يتختم بخاتم الحسن عليهما السلام الخبر .

وفي الإرشاد كان الحسن بن علي عليهما السلام يشبه بالنبي صلَّى الله عليه وآله من صدره إلى رأسه ، والحسين عليه السلام يشبه به من صدره إلى رجله ، وكانا حبيبي رسول الله (ص) من بين جميع أهله وولده .

أقول : وسيأتي كثير من الأخبار المتعلقة بالمقام في الباب الآتي عند ذكر ولادة السَّبَطِ الثَّانِي عليه السلام .

(١) الذَّعْجُ شِدَّةُ سَوَادِ الْعَيْنِ مع سعتها وسهولة الخدين ملاستها وعدم حرونتها والمسربة بضمّ الرَّاء شعر مستدق أخذ من الصدر إلى السرة .

(٢) كَلَّ عَظْمَيْنِ التَّقِيَّاءِ فِي مَفْصَلٍ فَهُوَ كَرْدُوسٍ مِثْلُ الْمَنْكِبَيْنِ وَالرَّكْبَتَيْنِ وَالْوَرَكَيْنِ ، كَشَفَ الْغَمَّةَ .

(٣) الرَّبْعَةُ : الرَّجُلُ الْمُتَوَسِّطُ بَيْنَ الطَّوِيلِ وَالْقَصِيرِ قَالَ الْجَوْهَرِيُّ .

الفصل الثاني

في بيان بعض مناقبه وفضائله وذكر بعض النصوص عليه بالإمامة

قال كمال الدين بن طلحة : هذا فصل أصله مقصود ، وفضله معقود ، ونقله مشهود ، وظلّه ممدود ، وورده مورود ، وسدّره مخضود ، وطلحه منضود^(١) . وهو من أسنى السجايا^(٢) والمدائح معدود ، فلأنّه جمع من أشات الإشارات النبويّة ، والأفعال والأقوال الطاهرة الزكية ، ما أشرفت به أنوار المراتب ، وسمّت بالحسن عليه السلام إلى أشرف شرف المناقب ، وأحدثت مزايا المآثر به من جميع الجوانب ، فإنّ من امتطى مطا رسول الله صلّى الله عليه وآله وفي قدم شرفه على مناكب الكواكب ، فبَخَّ بَخٍّ لمن خصّه الله تعالى من رسوله المصطفى بهذه المواهب .

فمنها ما اتفقت الصحاح على إيراده وتطابقت على صحّة إسناده ما رواه الحسن بن أبي الحسن البصري قال : سمعت أبا بكره وهو نضيع بن الحرث الثقفي يقول : رأيت رسول الله والحسن بن علي إلى جنبه وهو يقبل على الناس مرّة وعليه مرة ، ويقول : إنّ ابني هذا سيد ولعلّ الله أن يصلح به بين فتيين من المسلمين عظيمتين .

(١) الخضد القطع وخضد الشجر قطع شوكه والطلع هنا الموز والمنضود الذي جسل بعضه فوق بعض ونضد متاعه وضع بعضه على بعض وانضاد الجبال الجنادل بعضها فوق بعض وكذا انضاد السحاب .

(٢) السجايا : الطبايع .

قال الجزري فيه فأقاموا بين ظهرائهم أي أقاموا بينهم على سبيل الاستظهار والاستناد اليهم وزيدت ألف ونون مفتوحة تأكيداً ومعناه أن ظهرائهم قدامه وظهراً ورائه فهو مكتوب من جانبيه (بحار الأنوار) .

ومنها ما رواه الإمام الترمذي بسنده في صحيحه عن ابن عباس أنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله حامل الحسن بن علي على عاتقه ، فقال رجل : نَعَمْ المركب ركبت يا غلام ، فقال النبي صلى الله عليه وآله : وَنَعَمْ الرَّكَّابُ هُوَ .

ومنها ما أورده الحافظ أبو نعيم بسنده في حليته عن أبي بكر قال : كان النبي صلى الله عليه وآله يصلي بنا فيجيء الحسن وهو ساجد وهو صغير حتى يصير على ظهره أو رقبتة ، فيرفعه رفعا رقيقا ، فلما صلى قالوا : يا رسول الله إنك تصنع بهذا الصبي شيئا لا تصنعه بأحد ، فقال : إن هذا ريحانتي وإن ابني هذا سيد وعسى أن يصلح الله به بين فئتين من المسلمين .

ومنها ما رواه الإمام النسائي بسنده عن عبدالله بن شذاد ، عن أبيه ، قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله في إحدى صلاتي العشاء وهو حامل حسنا ، فتقدم النبي صلى الله عليه وآله فوضعه ، ثم كبر للصلاة ، فصلّى فسجد بين ظهراني صلاته سجدة فأطالها ، قال أبي : فرفعت رأسي فإذا الصبي على ظهر رسول الله وهو ساجد ، فرجعت إلى سجودي ، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وآله قال الناس : يا رسول الله إنك سجدت بين ظهراني صلاتك سجدة أطلتها حتى ظننا أنك قد حدث أمرا وأنه يوحى إليك ، قال : كل ذلك لم يكن ، ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته .

ومنها ما نقله الأئمة أبو داود والترمذي والنسائي في صحاحهم كل منهم بسنده يرفعه إلى بريدة ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله يخطب فجاء الحسن والحسين عليهما السلام وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران ، فنزل رسول الله من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه ، ثم قال : صدق الله ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران ، فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما .

ومنها ما رواه البخاري بسنده في صحيحه يرفعه إلى عقبة بن الحرث قال : صَلَّى أبو بكر العصر ، ثم خرج يمشي ومعه علي عليه السلام ، فرأى الحسن يلعب مع الصبيان ، فحملة أبو بكر على عاتقه وقال : بأبي شبيه بالنبي صَلَّى الله عليه وآله ليس شبيهاً بعلي وعلي عليه السلام يضحك .

وعن علي عليه السلام قال : الحسن أشبه برسول الله صَلَّى الله عليه وآله ما بين الصدر إلى الرأس والحسين به فيما كان أسفل من ذلك ، هذا آخر كلام ابن طلحة .

وروى الصدوق قدس سره في الأمالي عن محمد بن موسى بن المتوكل رضي الله عنه عن علي بن الحسين السعد آبادي عن أحمد بن عبد الله البرقي ، عن أبيه ، عن فضالة بن أيوب ، عن زيد الشحام ، عن أبي عبد الله الصادق جعفر بن محمد ، عن أبيه محمد بن علي الباقر ، عن أبيه عليهم السلام قال : مرض النبي (ص) المريضة التي عوفي منها ، فعادته فاطمة سيدة النساء ومعها الحسن والحسين عليهما السلام قد أخذت الحسن بيدها اليمنى وأخذت الحسين بيدها اليسرى ، وهما يمشيان وفاطمة بينهما حتى دخلوا منزل عائشة ، فقعده الحسن على جانب رسول الله الأيمن والحسين على جانب رسول الله الأيسر ، فأقبلا يغمزان ما يليهما من بدن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله ، فما أفاق النبي (ص) من نومه ، فقالت فاطمة للحسن والحسين عليهم السلام : حبيبي إن جدكما قد أغفى^(١) فأنصرفا ساعتكما هذه ودعاه حتى يفيق ، وترجعان إليه . فقالا : لسنا ببارحين في وقتنا هذا ، فاضطجع الحسن على عضد النبي الأيمن والحسين على عضده الأيسر ، فأغفيا وانتبها قبل أن يتبته النبي وقد كانت فاطمة عليها السلام لما ناما انصرفت إلى منزلها ، فقالا لعائشة : ما فعلت أمتنا؟ قالت : لما نمتما رجعت إلى منزلها فخرجنا في ليلة ظلماء

(١) غفى غفواً : نام أو نعلس كأغفى .

مدلهمة^(١) ذات ردع وبرق ، وقد أرخت السماء غرايها^(٢) فسطع لهما نور فلم يزالا يمشيان في ذلك النور والحسن قابض بيده اليمنى على يد الحسين اليسرى ، وهما يتماشيان ويتحدثان حتى أتيا حديقة بني النجار .

فلما بلغا الحديقة حارا فبقيا لا يعلمان أين يأخذان فقال الحسن للحسين : إنا قد حرنا وبقينا على حالتنا هذه وما ندري أين نسلك ، فلا عليك أن تنما في وقتنا هذا حتى نصبح ، فقال له الحسين : دونك يا أخي فافعل ما ترى فاضطجعا جميعاً واعتق كل واحد منهما صاحبه وناما ، وانتبه النبي (ص) من نومتها التي نامها فأخبر بهما فطلبهما في منزل فاطمة فلم يكونا فيه ، وافتقدتهما فقام النبي (ص) قائماً على رجليه وهو يقول : إلهي وسيدي ومولاي هذان شبلاي خرجا من المخمصة والمجاعة ، اللهم أنت وكيل علي عليهما ، فسطع للنبي صلى الله عليه وآله نور فرآهما نائمين فلم يزل يمضي في ذلك النور حتى أتى حديقة بني النجار فإذا هما نائمان قد اعتنق كل واحد منهما صاحبه . وقد تقشعت^(٣) السماء فوقهما كطبق ، فهي تمطر كأشد مطر ما رآه الناس قط ، وقد منع الله عز وجل المطر منهما في البقعة التي هما فيها نائمان لا يمطر عليهما قطرة ، وقد اكتنفتها حية لها شعرات كأجام القصب وجناحان جناح قد غطت بالحسن وجناح قد غطت به الحسين .

فلما أن بصر بهما النبي تنحج فانسابت^(٤) الحية وهي تقول : اللهم إني أشهدك وأشهد ملائكتك أن هذين شبلا نبيك قد حفظتهما عليه ودفعتهما إليه سالمين صحيحين . فقال لها النبي (ص) : آيتها الحية ممن

(١) وإدلهم ظلام : كشف .

(٢) قال الجزري : الغراي جمع الغرلا وهو فم المزادة الأسفل فشبه اتساع المطر وانه فاقه بالذي يخرج من فم المزادة (انتهى) .

(٣) يقال : قشع الريح السحاب ، أي كشفته فانقشع وتقشع .

(٤) وانسابت الحية جرت .

أنت؟ قالت : أنا رسول الجن إليك ، قال : وأي الجن ؟ قالت : جن نصيبين نفر من بني مليح نسينا آية من كتاب الله عز وجل فبعثوني إليك لتعلمنا ما نسيناه من كتاب الله ، فلما بلغت هذا الموضع سمعت منادياً ينادي آيتها الحية هذان شبلا رسول الله فاحفظيهما من العاهات والآفات من طوارق الليل والنهار ، فقد حفظتهما وسلمتهما إليك سالمين صحيحين ، وأخذت الحية الآية وانصرفت وأخذ النبي (ص) الحسن عليه السلام فوضعه على عاتقه الأيمن ووضع الحسين (ع) على عاتقه الأيسر .

وخرج علي عليه السلام فلاحق برسول الله (ص) فقال له بعض أصحابه : بأبي أنت وأمي ادفع إليّ شبليك اخفف عنك ، فقال : امض فقد سمع الله كلامك وعرف مقامك وتلقاه آخر ، فقال : بأبي أنت وأمي ادفع إليّ أحد شبليك اخفف عنك ، فقال : امض فقد سمع الله كلامك وعرف مقامك ، فتلقاه علي عليه السلام فقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ادفع إليّ أحد شبليك حتى اخفف عنك ، فالتفت النبي إلى الحسن عليه السلام فقال : يا حسن هل تمض إلى كتف أبيك ، فقال له : يا جداه إن كتفك لأحب إليّ من كتف أبي ، ثم التفت إلى الحسين فقال له يا حسين هل تمض إلى كتف أبيك ، فقال له : والله يا جداه إنّي لأقول لك كما قال أخي الحسن إن كتفك لأحب إليّ من كتف أبي ، فأقبل بهما إلى منزل فاطمة عليها السلام وقد ادخرت لهما تمرات فوضعتها بين أيديهما فأكلا وشبعا وفرحا .

فقال لهما النبي صلّى الله عليه وآله : قوما الآن فاصطرعا ، فقاما ليصطرعا وقد خرجت فاطمة في بعض حاجتها ، فدخلت فسمعت النبي صلّى الله عليه وآله وهو يقول : إيه يا حسن شدّ على الحسين فاصصره ، فقالت : يا أبة وا عجباً أتشجع هذا على هذا ، أتشجع الكبير على الصّغير ، فقال لها : يا بنية أما ترضين أن أقول أنا يا حسن شدّ على الحسين فاصصره وهذا حبيبي جبرئيل يقول : يا حسين شدّ على الحسن فاصصره .

وفيه أيضاً بإسناده عن ابن عمر قال : قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله : إذا كان يوم القيامة زين عرش رب العالمين بكل زينة ثم يؤتى بمبشرين من نور طولهما مائة ميل ، فيوضع إحداهما عن يمين العرش والآخر عن يسار العرش ، ثم يؤتى بالحسن والحسين ، فيقوم الحسن عليه السلام على أحدهما والحسين على الآخر ، يزين الرب تبارك وتعالى بهما عرشه كما يزين المرأة قرطاًها .

وفي كشف الغمة من كتاب معالم العترة الطاهرة للجناب ذي عن أم عثمان أم ولد علي بن أبي طالب عليه السلام قالت : كانت لآل رسول الله قطيفة يجلس عليها جبرئيل ولا يجلس عليها غيره ، وإذا عرج طويت وكان إذا عرج انتفض فسقط من زغب ريشه ، فيقوم فيتبعه فيجعله في تمائم الحسن والحسين عليهما السلام .

وفيه أيضاً عن أبي هريرة قال : ما رأيت الحسن بن علي عليه السلام إلا فاضت عيناى دموعاً ، وذلك أن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله خرج يوماً فوجدني في المسجد فأخذ بيدي فاتكئ علي ثم انطلقت حتى جئنا سوق بني قينقاع ، فما كلمني فطاف ونظر ثم رجع ورجعت معه ، فجلس في المسجد فاحتبى^(١) ثم قال : ادع لي لكع ، فأتى حسن يشتد حتى وقع في حجره ، فجعل يدخل يده في لحية رسول الله وجعل رسول الله يفتح فمه ويدخل فمه في فمه ويقول : اللهم إني أحبه وأحب من يحبه ثلاثاً .

وفيه أيضاً من طرق المخالفين روى مرفوعاً إلى إسحاق بن سليمان الهاشمي ، عن أبيه قال : كنا عند هارون الرشيد أمير المؤمنين فتذاكروا علي بن أبي طالب عليه السلام فقال أمير المؤمنين هارون : تزعم العوام أنني ابغض علياً وولده حسناً وحسيناً لا والله ما ذاك كما يظنون ، ولكن

(١) احتبى الرجل جمع ظهره وساقه بثوب أو غيره (مصباح) .

ولده هؤلاء طالبنا بدم الحسين معهم في السهل والجبل حتى قتلنا قتله ،
ثم أقضى إلينا هذا الأمر فخالطناهم فحسدونا وخرجوا علينا فخلّوا
قطيعتهم ، والله لقد حدّثني أمير المؤمنين المهدي عن أمير المؤمنين أبي
جعفر المنصور ، عن محمد بن علي بن عبد الله ، عن عبد الله بن عباس
قال : بينما نحن عند رسول الله صلّى الله عليه وآله إذ أقبلت فاطمة
تبكي ، فقال لها النبي (ص) : ما يبكيك؟ قالت : يا رسول الله إنّ الحسن
والحسين خرجا فوالله ما أدري أين سلكا ، فقال النبي (ص) : لا تبكين
فذاك أبوك فإنّ الله عزّ وجلّ خلقهما وهو أرحم بهما ، اللهم إن كانا أخذنا
في برّ فاحفظهما ، وإن كانا أخذنا في بحر فسلمهما ، فهبط جبرئيل عليه
السلام فقال : يا أحمد لا تغتم ولا تحزن هما فاضلان في الدّنيا وفاضلان
في الآخرة وأبوهما خير منهما ، وهما في حظيرة بني النجار نائمين ، وقد
وكّل الله بهما ملكاً يحفظهما .

قال ابن عباس : فقام رسول الله صلّى الله عليه وآله وقمنا معه حتى
أتينا حظيرة بني النجار ، فإذا الحسن معانق الحسين وإذا الملك قد
غطاهما بأحد جناحيه ، فحمل النبي الحسن وأخذ الحسين الملك والناس
يرون أنّه حاملهما ، فقال له أبو بكر وأبو أيوب الأنصاري : يا رسول الله
ألا نخفف عنك بأحد الصّبيين ، فقال : دعاهما وأنهما فاضلان في الدّنيا
فاضلان في الآخرة وأبوهما خير منهما ، ثم قال : والله لأشرفنهما اليوم بما
شرفنهما ، فخطب فقال : يا أيّها النّاس ألا أخبركم بخير النّاس جدّاً
وجدّة ، قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : الحسن والحسين جدّهما رسول
الله وجدّتهما خديجة بنت خويلد .

ألا أخبركم أيّها النّاس بخير النّاس أباً وأماً؟ قالوا : بلى يا رسول
الله ، قال الحسن والحسين أبوهما علي بن أبي طالب وأمّهما فاطمة بنت محمد .
ألا أخبركم أيّها النّاس بخير النّاس عمّاً وعمّة؟ قالوا : بلى يا رسول
الله ، قال : الحسن والحسين عمّهما جعفر بن أبي طالب وعمّتهما أمّ
هاني بنت أبي طالب .

آيها الناس ألا أخبركم بخير الناس خالاً وخالة؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : الحسن والحسين خالهما القاسم بن رسول الله وخالتهما زينب بنت رسول الله ، ألا إن أباهما في الجنة وأُمهما في الجنة وجدّتهما في الجنة وخالهما في الجنة وخالتهما في الجنة وعمّهما في الجنة وعمّتهما في الجنة وهما في الجنة ومن أحبّهما في الجنة ومن أحبّ من أحبّهما في الجنة .

وفيه أيضاً من كتاب الال مرفوعاً إلى عقبة بن عامر قال : قال رسول الله (ص) : قالت الجنة : يا ربّ أليس قد وعدتني أن تسكني ركناً من أركانك؟ قال : فأوحى الله إليها أما ترضين أني زينتك بالحسن والحسين ، فأقبلت تميم^(١) كما تميم العروس .

وروى المفيد رحمه الله في الإرشاد عن ذرّ بن حبيش عن ابن مسعود قال : كان النبي صلّى الله عليه وآله يصلي فجاء الحسن والحسين عليهما السلام فارتد فاه ، فلمّا رفع رأسه أخذهما أخذاً رقيقاً ، فلمّا انصرف أجلس هذا على فخذه وهذا على فخذه ، وقال : من أحبّني فليحبّ هذين ، وكانا عليهما السلام حجّة الله لنبيّه في المباهلة ، وحجّة من بعد أبيهما أمير المؤمنين عليه وعليهما السلام على الأمة في الدين والملة والإسلام .

وفيه أيضاً عن ابن لهيعة عن أبي عوانه يرفعه إلى النبي (ص) قال : قال رسول الله (ص) : إنّ الحسن والحسين عليهما السلام شنف^(٢) العرش ، وإنّ الجنة قالت : يا ربّ أسكتني الضّعفاء والمساكين ، فقال لها الله تعالى : ألا ترضين أني زينتك بالحسن والحسين ، قال : فمأست كما تميم العروس فرحاً .

وروى الصدوق في العيون بثلاثة أسانيد معتبرة عن الرضا ، عن

(١) التميم : التبخر ، وقد ماس يميم ميساً (ص) .

(٢) الشنف القوط الأعلى الجمع شنف (ص) .

آبائه ، عن علي بن أبي طالب عليهم السلام أَنَّ الحسن والحسين عليهما السلام كانا يلعبان عند النبي صَلَّى الله عليه وآله حتى مضى عامة الليل ، ثم قال لهما : انصرفا إلى أمكما ، فبرقت^(١) برقة فما زالت تضيء لهما حتى دخلا على فاطمة عليها السلام والنبي (ص) ينظر إلى البرقة ، فقال : الحمد لله الذي أكرمنا أهل البيت .

وروى في الخصال بإسناده عن إبراهيم بن علي الرافعي ، عن أبيه ، عن جدته زينب بنت أبي رافع ، قالت : أتت فاطمة بنت رسول الله صَلَّى الله عليه وآله بابنيها الحسن والحسين عليهما السلام إلى رسول الله (ص) في شكواه الذي توفي فيه ، فقالت : يا رسول الله هذان ابناك فورثهما شيئاً ، فقال : أما الحسن فإن له هيتي وسؤدي وأما الحسين فإن له جراتي وجودي .

وفيه أيضاً بإسناده عن شيخ من الأنصار يرفعه إلى زينب بنت أبي رافع ، عن أمها قالت : قالت فاطمة عليها السلام : يا رسول الله هذان ابناك فأنحلهم ، فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله : أما الحسن فنحلته هيتي وسؤدي وأما الحسين فنحلته سخاي وشجاعتي .

وفيه أيضاً بإسناده عن ابن عمر قال : كان علي الحسن والحسين عليهما السلام تعويذان حشوهما من زغب^(٢) جناح جبرئيل .

وفيه أيضاً بإسناده عن صفوان بن سليمان أَنَّ النبي (ص) قال : أما الحسن فأنحلته الهيبة والحلم ، فأما الحسين (ع) فأنحلته الجود والرحمة .

وروي في العيون بثلاثة أسانيد معتبرة عن الرضا ، عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله : الولد ريحانة وريحانتاي الحسن والحسين عليهما السلام .

(١) برقت السماء برقاً من باب قتل وبرقاتاً أيضاً أظهر منها البرق (مصر).

(٢) الزغب معركة : صغار الشعر والریش وليته أول ما يبدو منه (ق).

وروى المفيد رحمه الله في الإرشاد عن زازان ، عن سلمان رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صَلَّى الله عليه وآله يقول في الحسن والحسين عليهما السلام : اللهم إني أحبهما وأحب من أحبهما ، وقال (ص) : من أحب الحسن والحسين أحببته ، ومن أحببته أحبّه الله ، ومن أحبّه الله أدخله الجنة . ومن أبغضهما أبغضته ، ومن أبغضته أبغضه الله ، ومن أبغضه الله خلّده في النار . وقال النبي صَلَّى الله عليه وآله : إنّ ابني هذين ريحانتي من الدنيا .

وفي البحار عن المناقب ، عن جامع الترمذي وفضائل أحمد وشرف المصطفى وفضائل السمعاني وأمالى ابن شريح وإبانة بن بطة أنّ النبي صَلَّى الله عليه وآله أخذ بيد الحسن والحسين عليهما السلام فقال : من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة .

وقد نظمه أبو الحسين في نظم الأخبار فقال :

أخذ النبي يد الحسين وصنوه يوماً وقال وصحبه في مجمع من ودني يا قوم أو هذين أو أبويهما فالخلد مسكنه معي

وفيه عنه أيضاً عن ابن ماجه في السنن وأبو نعيم في الحلية ، والسمعاني في الفضائل ، بالإسناد عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : أنّ النبي كان يعوذ حسناً وحسيناً فيقول : أعيذكما بكلمات الله التامة من كلّ شيطان وهامة ، ومن كلّ عين لامة ، وكان إبراهيم يعوذ بها إسماعيل وإسحاق ، قال : وجاء في أكثر التفاسير أنّ النبي صَلَّى الله عليه وآله كان يعوذهما بالمعوذتين ولهذا سمي المعوذتين .

وفيه عنه أيضاً عن الثعلبي بالإسناد عن جعفر بن محمد ، عن أبيه قال : مرض النبي صَلَّى الله عليه وآله فأتاه جبرئيل بطبق فيه رمان وعنب ، فأكل النبي صَلَّى الله عليه وآله منه فسبح ثم دخل عليه الحسن والحسين عليهما السلام فتناولا منه فسبح الرمان والعنب ، ثم دخل علي عليه السلام

فتناول منه فسبح أيضاً ، ثم دخل رجل من أصحابه فأكل فلم يسبح ، فقال جبرئيل : إنما يأكل هذا نبي أو وصي أو ولد نبي .

وفيه عنه أيضاً عن أمالي أبو الفتح الحفار بن عباس وأبو رافع قال : كنا جلوساً مع النبي إذ هبط عليه جبرئيل ومعه جام من البلور الأحمر مملوءاً مسكاً وعنبراً ، فقال له : السّلام عليك ، أن الله يقرأ عليك السلام ويحييك بهذه التحيّة ويأمرك أن تحيي بها علياً وولديه ، فلما صارت في كفّ النبي هلّلت ثلاثاً وكبرت ، ثم قالت بلسان ذرب^(١) : بسم الله الرّحمن الرّحيم : ﴿ طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴾ فاشتّمها النبي ثم حيّا بها علياً ، فلما صارت في كفّ علي عليه السلام قالت : بسم الله الرّحمن الرّحيم : ﴿ إنما وليكم الله ورسوله ﴾ الآية فاشتّمها علي عليه السلام وحيّا بها الحسن (ع) ، فلما صارت في كفّ الحسن (ع) قالت : بسم الله الرّحمن الرّحيم : ﴿ عمّ يتساءلون عن النّبأ العظيم ﴾ الآية ، فاشتّمها الحسن وحيّا بها الحسين (ع) ، فلما صارت في كفّ الحسين (ع) قالت : بسم الله الرّحمن الرّحيم : ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ﴾ . ثم ردت إلى النبي صلّى الله عليه وآله فقالت : بسم الله الرّحمن الرّحيم : ﴿ الله نور السّموات والأرض ﴾ ، فلم يرَ أفي السماء صعدت أم في الأرض نزلت بقدرة الله تعالى .

أقول : قد مضى كثير من الأخبار في ذلك في أحوال أبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عند ذكر مناقبه ومعجزاته .

وفيه عنه أيضاً عن أبي عبدالله المفيد النيسابوري في أماليه قال الرضا عليه السلام : عرى الحسن والحسين وادركهما العيد ، فقالا لأُمهما : قد زينوا صبيان المدينة إلّا نحن ، فما لك لا تزينينا ، فقالت : إن ثيابكما عند الخياط ، فإذا أتى زينتكما ، فلما كانت ليلة العيد أعادا

(١) ذرابة اللسان : حدّته (بحار).

المقول على أمهما فبكت ورحمتها ، فقالت لهما : ما قالت في الأولى ، فردا عليها ، فلما أخذ الظلام قرع الباب قارع ، فقالت فاطمة : من هذا؟ قال : يا بنت رسول الله أنا الخياط جئت بالثياب ، ففتحت الباب فإذا رجل ومعه من لباس العيد ، قالت فاطمة عليها السلام : والله لم أر رجلاً أهيب سيمة منه ، فناولها منديلاً مشدوداً ثم انصرف ، فدخلت فاطمة ففتحت المنديل فإذا فيه قميصان ودرّعتان وسراويلان وردائان وعمامتان وخفان أسودان معقبان بحمرة ، فأيقظتهما فألبستهما ، فدخل رسول الله وهما مزينان فحملهما وقبلهما ، ثم قال : رأيت الخياط ، قالت : نعم يا رسول الله والذي أنفذه من الثياب ، قال : يا بنية ما هو خياط إنما هو رضوان خازن الجنة ، قالت فاطمة : من أخبرك يا رسول الله؟ قال : ما عرج حتى جاءني وأخبرني بذلك .

وفيه عنه أيضاً عن الحسن البصري وأم سلمة أنّ الحسن والحسين عليهما السلام دخلا على رسول الله وبين يديه جبرئيل فجعل يدوران حوله يشبهانه بدحية الكلبي ، فجعل جبرئيل يوميء بيده كالمتناول شيئاً ، فإذا في يده تفاحة وسفرجلة ورقانة ، فناولهما وتهللت وجوههما وسعيا إلى جدهما ، فأخذها منها فشتمها ثم قال : صيرا إلى أمكما بما معكما وبدوكما بأبيكما أعجب ، فصارا كما أمرهما ، فلم يأكلوا حتى صار النبي صلى الله عليه وآله إليهم ، فأكلوا جميعاً ، فلم يزل كلما أكل منه عاد إلى ما كان حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وآله .

قال الحسين عليه السلام : فلم يلحقه التغير والنقصان أيام فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله حتى توفيت ، فلما توفيت فقدنا الرمان وبقي التفاح والسفرجل أيام ، فلما استشهد أمير المؤمنين عليه السلام فقد السفرجل وبقي التفاح على هيئته للحسن حتى مات في سببه وبقيت التفاحة إلى الوقت الذي حوصرت عن الماء فكنت اشتهها إذا عطشت فيسكن لهب عطشي ، فلما اشتد علي العطش عضضتها وأيقنت بالفنا .

قال علي بن الحسين عليهما السلام : سمعته يقول ذلك قبل قتله بساعة ، فلما قضى نحبه وجد ريحها في مصرعه ، فالتفت فلم ير لها أثر فبقي ريحه بعد الحسين عليه السلام ولقد زرت قبره فوجدت ريحها يفوح من قبره ، فمن أراد ذلك من شيعتنا الزائرين للقبر فليلتبس ذلك في أوقات السحر ، فإنه يجده إذا كان مخلصاً .

أقول : ونذكر هنا بعض قصيدة للأديب الكامل والأريب الفاضل الشيخ الأمجد والشاعر الأوحى ابن عرندس حيث قال رحمه الله ، وقيل : ما قرئت إلا وحضر المهدي عجل الله فرجه :

هم النور نور الله جلّ جلاله	هم التين والزيتون والشفع والوتر
مهابط وحي الله خزان علمه	ميامين في أبياتهم نزل الذكر
وأسمائهم مكتوبة فوق عرشه	ومسكونة من قبل أن يخلق الذرّ
ولولا هم لم يخلق الله آدمًا	ولا كان زيد في الأنعام ولا عمرو
ولا سطحت أرض ولا رفعت سماء	ولا طلعت شمس ولا أشرق البدر
ونوح بهم في الفلك لما دعى نجا	وغضب بهم طوفانه وقضى الأمر
ولولا هم نار الخليل لما غدت	سلاماً وبرداً وانطفى ذلك الجمر
ولولا هم يعقوب ما زال حزنه	ولا كان عن أيوب ينكشف الضرّ
ولان لداود الحديد بسرهم	فقدّر في سرد يجرب به الفكر
ولما سليمان البساط بهم سرى	أسيلت لهم عين يفيض له القطر
وسخرت الريح الرّحاً بأمره	فغدوتها شهر وروحتها شهر
وهم سر موسى والعصى عندما عصى	أوامره فرعون والتقف السحر
ولولا هم ما كان عيسى بن مريم	لا زر من طي اللحود له نشر
سرى سرهم في الكائنات وفضلهم	وكل نبى فيه من سرهم سرّ
علا بهم قدرى وفخري بهم غلا	ولولا هم ما كان في الناس لي ذكر

وفي البحار عن المناقب ، عن تفسير يعقوب بن سفيان ، عن عبيد الله بن موسى ، عن صفين ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن علقمة ،

عن ابن مسعود قال : حمل رسول الله صلى الله عليه وآله الحسن والحسين عليهما السلام على ظهره ، الحسن على أضلاعه اليمنى والحسين على أضلاعه اليسرى ، ثم مشى وقال : نِعَمَ المطيِّ مطيِّكما ونِعَمَ الراكبان أنتما وأبوكما خير منكما .

وفيه عنه أيضاً روى أن النبي صلى الله عليه وآله ترك لهما ذوابتين في وسط الرأس مزرد ، قال : سمعته يقول : سمع اذناي هاتان وبصر عيناي هاتان رسول الله (ص) وهو أخذ بيديه جميعاً بكتفي الحسن والحسين عليهما السلام وقدماهما على قدم رسول الله (ص) ويقول : ترق عَيْن بَقَّة ، قال : فرقا الغلام حتى وضع قدميه على صدر رسول الله (ص) ثم قال له : افتح فاك ثم قبله ، ثم قال من أحبه فإني أحبه .

وفيه عنه أيضاً عن كتاب ابن البيع وابن مهدي والزمخشري قال : حُرْقَةُ حُرْقَةُ ترق عين بَقَّة^(١) ، اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه . قال : الحزقة^(٢) القصير الصغير الخطأ وعين بقة أصغر الأعين . وقال البقة عين فاطمة ، فقال للحسين : يا قرة بقة ترق^(٣) .

(١) قال الجزري فيه : أنه عليه السلام كان يرقص الحسن والحسين عليهما السلام ويقول : حزقة حزقة ترق عين بقة ، فترق الغلام حتى وضع قدميه على صدره .

(٢) الحزقة : الضعيف المتأدب الخطر من ضعفه وقيل القصير العظيم البطن ، فذكرها له على سبيل المداعبة والتأنيس له .

(٣) وترق بمعنى صعد وعين بقة كناية عن صغر العين وحزقة مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره أنت حزقة وحزقة الثاني كذلك أو أنه خبر مكرر ولم ينون حزقة فحذف حرف النداء وهي في الشذوذ لقولهم اطرق كرا لأن حرف النداء إنما يحذف من العلم المضموم والمضاف (انتهى) .

والحزقة بضم الحاء المهملة والراء المعجمة وفتح القاف المشددة والظاهر أن عين بقة كناية عن صغر الجثة وصغر العين ويمكن أن يكون مراده ذلك بأن يكون مراده بالعين النفس وأن وجه التشبيه بعين البقة صغر عينها ولكن الزمخشري صرح في الفائق بذلك حيث قال : وعين بقة منادى ذهب إلى صغر عينه تشبيهاً لها بعين البعوضة (انتهى عن البحار) .

وأما النصوص على إمامته صلوات الله عليه :

فمنها ما رواه ثقة الإسلام في الكافي بإسناده إلى سليم بن قيس قال : شهدت وصية أمير المؤمنين عليه السلام حين أوصى إلى ابنه الحسن وأشهد على وصيته الحسين ومحمداً عليهم السلام وجميع ولده ورؤساء شيعته وأهل بيته ، ثم دفع إليه الكتاب والسلاح وقال لابنه الحسن عليه السلام : يا بني أمرني رسول الله (ص) أن أوصي إليك وأن أدفع إليك كتيبي وسلاحي كما أوصى إليّ رسول الله ودفع إليّ كتبه وسلاحه ، وأمرني أن أمرك إذا حضرك الموت أن تدفعهما إلى أخيك الحسين ثم أقبل إلى ابنه الحسين عليه السلام فقال : وأمرك رسول الله أن تدفعهما إلى ابنك هذا ثم أخذ بيد علي بن الحسين ، ثم قال لعلي بن الحسين عليهما السلام ، وأمرك رسول الله أن تدفعها إلى ابنك محمد بن علي واقراه من رسول الله ومنّي السلام .

وفيه أيضاً بإسناده عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال : إنّ أمير المؤمنين عليه السلام لما حضره الذي حضره قال لابنه الحسن : ادن منّي حتى أسرّ إليك ما أسرّ رسول الله إليّ وأثمنك على ما أثنمني عليه ففعل .

وفيه أيضاً بإسناده يرفعه إلى شهر بن حوشب أنّ علياً عليه السلام حين صار إلى الكوفة استودع أم سلمة كتبه والوصية ، فلما رجع الحسن عليه السلام دفعها إليه .

أقول : وقد روى العامة والخاصة بأسانيد متواترة وطرق متظافرة أنّه لما حضرت أمير المؤمنين عليه السلام الوفاة أحضر الحسن عليه السلام مع سائر إخوته وشيعته وجعل الحسن عليه السلام وصيّته وخليفته عليهم ودفع إليه كتبه وسلاحه وأدناه منه وأسّر إليه ما أسره رسول الله صلّى الله عليه وآله .

وقد تقدمت طائفة من النصوص الواردة في ذلك في أحوال أبيه أمير

المؤمنين عليه السلام عند ذكر وصيته له عليه السلام ولا خلاف بين العامة أيضاً في استحقاقه للخلافة بنص أمير المؤمنين عليه السلام عليه وبيعة المسلمين له والنصوص الواردة في ذلك عن النبي (ص) وعلي بن أبي طالب عليه السلام أكثر من أن تحصى وأوسع من أن تستقصى ، بل يحتاج جمعها إلى أفراد كتاب على حده مذكورة في مظانها من طرق العامة والخاصة .

وقال الشيخ المفيد رحمه الله في الإرشاد لما قبض أمير المؤمنين عليه السلام خطب الناس الحسن عليه السلام وذكر حقه ، فبايعه أصحاب أبيه عليه السلام على حرب من حارب وسلم من سالم انتهى ، فهذه أدلة قاطعة بحقية إمامته ، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله : ابناي إمامان قاما أو قعدا ، وقوله صلى الله عليه وآله : الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة وعصمتهم عليهما السلام معلومة ثابتة من قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ .

وروى الشيخ المفيد قدس سره في إرشاده عن أبي مخنف لوط بن يحيى قال : حدّثني أشعث بن سوار ، عن أبي إسحاق السّبيعي وغيره قالوا : خطب الحسن بن علي عليهما السلام صبيحة الليلة التي قبض فيها أمير المؤمنين عليه السلام ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال : لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون بعمل ولا يدركه الآخرون بعمل لا يدركه أنا من أهل بيت أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، أنا من أهل بيت افترض الله حبهم في كتابه فقال الله تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حَسَناً ﴾ فالحسنة مودتنا أهل البيت .

ثم جلس فقام عبدالله بن عباس رحمه الله بين يديه عليه السلام فقال : معاشر الناس هذا ابن بنت نبيكم ووصي إمامكم فبايعوه ، فاستجاب له الناس وقالوا : ما أحبه إلينا وأوجب حقه علينا وتبادروا إلى

البيعة له بالخلافة وذلك في يوم الجمعة الواحد والعشرين من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة فرتب العمال وأمر الأمراء وأنفذ عبدالله بن عباس إلى البصرة ونظر في الأمور (انتهى).

وقد مرت هذه الخطبة بتمامها في الفصل السادس من فصول أحوال أبيه أمير المؤمنين عليه السلام فيما وقع بعد شهادته صلوات الله عليه وآله .

الفصل الثالث

في بيان معجزاته صلوات الله عليه وآله فهي كثيرة

منها ما ظهر من آياته من إخراج الشجر اليابس الثمرة بإذن الله تعالى ، روى محمد بن الحسن الصفار في بصائر الدرجات ، عن الهيثم النهدي ، عن إسماعيل بن مهران ، عن عبدالله الكناسي ، عن أبي عبدالله (ع) قال : خرج الحسن بن علي بن أبي طالب (ع) في بعض عمره ومعه رجل من ولد الزبير كان يقول بإمامته ، قال : فنزلوا في منزل من تلك المنازل تحت نخل يابس قد يبس من العطش ، قال : ففرش للحسن عليه السلام تحت نخلة وللزبيري بحذاء تحت نخلة أخرى ، قال : فقال الزبيري ورفع رأسه لو كان في هذا النخل رطب لأكلنا منه ، فقال الحسن عليه السلام : وإنك لتشتهي الرطب؟ قال : نعم ، فرفع الحسن عليه السلام يده إلى السماء ودعا بكلام لم يفهمه الزبيري فاخضرت النخلة ، ثم صارت إلى حالها ، فأورقت وحملت رطباً ، قال : فقال الجمال الذي اكتروا منه : سحر والله ، فقال الحسن عليه السلام : ويلك ليس بسحر ولكن دعوة ابن نبيّ يجاب ، قال : فصعدوا إلى النخلة حتى صرموا ما كان فيها فأكفاهم .

ومنها ما ظهر من آياته عليه السلام من الأخبار بالمغيبات .

روى الراوندي في الخرائج عن الصادق عليه السلام ، عن آبائه

عليهم السلام ، أن الحسن عليه السلام قال يوماً لأخيه الحسين ولعبدالله بن جعفر : إن معاوية بعث إليكم بجوائزكم وهي تصل إليكم يوم كذا المستهل الهلال ولقد أضاقا فوصلت في الساعة التي ذكرها لما أن كان رأس الهلال ، فلما وافاهم المال كان على الحسن عليه السلام دين كثير فقضاه مما بعثه إليه ، ففضلت فضلة ففرقها في أهل بيته ومواليه ، وقضى الحسين عليه السلام دينه ، وقسم ثلث ما بقى في أهل بيته ومواليه وحمل الباقي إلى عياله ، وأمّا عبدالله فقضى دينه وما فضل دفعه إلى الرسول ليتعرف معاوية من الرسول ما فعلوا ، فبعثوا إلى عبدالله أموالاً حسنة .

وفيه أيضاً روى عن مندل بن اسامة ، عن الصادق ، عن آبائه عليهم السلام أن الحسن عليه السلام خرج من مكة ماشياً إلى المدينة ، فتورمت قدماه ، فقل له : لو ركبت ليسكن عنك هذا الورم ، فقال : كلاً ولكننا إذا أتينا المنزل فإنه يستقبلنا أسود معه دهن يصلح لهذا الوزم فاشتروا منه ولا تماكسوه ، فقال له بعض مواليه : ليس أمامنا منزل فيه أحد يبيع هذا الدواء ، فقال : بلى إنه أمامنا .

وساروا أميالاً إذا الأسود قد استقبلهم ، فقال الحسن عليه السلام لمولاه : دونك الأسود فخذ الدهن منه بثمره ، فقال الأسود : لن تأخذ هذا الدهن ، قال للحسن بن علي بن أبي طالب (ع) قال : انطلق بي إليه ، فصار الأسود إليه فقال الأسود : يا بن رسول الله إني مولاك لا آخذ له ثمناً ، ولكن ادع الله أن يرزقني ولداً سوياً ذكراً يحبكم أهل البيت فلاني خلقت امرأتي تمخض ، فقال : انطلق إلى منزلك فإن الله قد وهب لك ولداً ذكراً سوياً فرجع الأسود من فوره فإذا امرأته قد ولدت غلاماً سوياً ، ثم رجع الأسود إلى الحسن عليه السلام ودعا له بالخير بولادة الغلام له ، وإن الحسن عليه السلام قد مسح رجله بذلك الدهن ، فما قام من موضعه حتى زال ذلك الورم .

وفيه أيضاً روي عن عبدالغفار الجازي عن أبي عبدالله (ع) قال : إن الحسن بن علي (ع) كان عنده رجلان ، فقال لأحدهما : إنك حدثت البارحة فلاناً بحديث كذا وكذا ، فقال الرجل لآخر : إنه ليعلم ما كان وعجب من ذلك ، فقال عليه السلام إنا لنعلم ما يجري في الليل والنهار ، ثم قال : إن الله تبارك وتعالى علم رسوله الحلال والحرام والتنزيل والتأويل ، فعلم رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام علمه كله .

وفيه أيضاً روي عن الصادق عن آبائه عليهم السلام أن الحسن عليه السلام قال لأهل بيته : إني أموت بالسّم كما مات رسول الله (ص) ، قالوا : ومن يفعل ذلك ، قال : امرأتي جعدة بنت الأشعث بن قيس ، فإن معاوية يدسّ إليها ويأمرها بذلك ، قالوا : أخرجها من منزلك وباعدها من نفسك ، قال : كيف أخرجها ولم تفعل بعد شيئاً ، ولو أخرجتها ما قتلني غيرها ، وكان لها عذر عند الناس ، فما ذهبت الأيام حتى بعث إليها مالا جسيماً وجعل يمينها بأن يعطيها مائة ألف درهم ويزوجها من يزيد وحمل إليها شربة سمّ لتسقيها الحسن عليه السلام ، فانصرف إلى منزله وهو صائم فأخرجت وقت الافطار ، وكان يوماً حاراً شربة لبن وقد أَلقت فيها سمّ فشربها وقال : يا عدوة الله قتلتيني قتلك الله ، والله لا تصيبني مني خلفاً ولقد غرّك وسخر منك ، والله يخزيك ويخزيه ، فمكث عليه السلام يومين ثم مضى فغدر بها معاوية ولم يف لها بما عاهد عليه .

وروي صاحب كتاب ثاقب المناقب عن داود البرقي ، عن أبي عبدالله ، عن آبائه عليهم السلام قال : إن الحسن بن علي عليهما السلام قال لولده عبدالله : إذا كان في عامنا هذا دفع هذا الطاغية إلى جارية تسمى أنيس تسمني بسمّ قد جعله الطاغية تحت فصّ خاتمها ، قال له عبدالله : فلم لا تقتلها قبل ذلك ؟ قال : يا بني جفّ القلم وإبرم الأمر بعقد ولا حلّ لعقد الله ، فلما كان في العام القابل اهتدى إليه جارية اسمها أنيس ، فلما دخلت عليه ضرب بيده على منكبها ثم قال : يا أنيس دخلت النار بما تحت فصّ خاتمك .

وفي البحار عن كتاب العدد القوية تأليف الشيخ الفقيه رضي الدين علي بن يوسف بن المطهر الحلي ، عن أبي يعقوب يوسف بن الجراح ، عن رجاله ، عن حذيفة بن اليمان قال : بينا رسول الله (ص) في جبل أظنه حرى أو غيره ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي عليه السلام وجماعة من المهاجرين والأنصار ، وأنس حاضر لهذا الحديث وحذيفة يحدث به ، إذ أقبل الحسن بن علي عليه السلام يمشي على هدوء ووقار ، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وقال : إن جبرئيل يهديه وميكائيل يسدده وهو ولدي والطاهر من نفسي وضلع من أضلاعي ، هذا سبطي وقرّة عيني ، بأبي هو ، فقام رسول الله (ص) وقمنا معه وهو يقول له : أنت تفأحتي وأنت حبيبي ومهجة قلبي ، وأخذ بيده فمشى معه ونحن نمشي حتى جلس وجلسنا حوله فنظر إلى رسول الله (ص) وهو لا يرفع بصره عنه .

ثم قال : أما إنه سيكون بعدي هادياً مهدياً هذا هدية من رب العالمين لي ينبيء عني ويعرف الناس آثارى ويحيي سنتي ويتولى أموري في فعله ، ينظر الله إليه فيرحمه ، رحم الله من عرف له ذلك وبرني فيه وأكرمني فيه ، فما قطع رسول الله كلامه حتى أقبل إلينا أعرابي يجترّ هراوة له ، فلما نظر رسول الله (ص) قال : قد جاءكم رجل يكلمكم بكلام غليظ تقشعر منه جلودكم ، فإنه يسألکم من أمور إن لكلامه جفوة فجاء الأعرابي فلم يسلم ، فقال : أيكم محمد ، قلنا : وما تريد؟ قال رسول الله (ص) : مهلاً ، فقال : يا محمد لقد كنت أبغضك ولم أرك والآن فقد ازددت لك بغضاً ، قال : فتبسّم رسول الله وغضبنا لذلك وأزدنا بالأعرابي إرادة فأومى إلينا رسول الله (ص) أن اسكتوا ، فقال الأعرابي : يا محمد إنك تزعم أنك نبيّ وأنتك قد كذبت على الأنبياء وما معك من برهانك شيء ، قال له : يا أعرابي وما يدريك؟ قال : فخبّرني ببرهانك ، قال : إن أحببت أخبرك عضو من أعضائي فيكون ذلك أوكد من برهاني ، قال : أويتكلم العضو؟ قال : نعم يا حسن قم فازدري الأعرابي نفسه ، وقال : هو ما يأتي ويقيم صبيّاً ليكلّمني ، قال : إنك ستجده عالماً بما تريد .

فابتداه الحسن عليه السلام وقال : مهلاً يا أعرابي :

ما غيباً سألت وابن غبي بل فقيهاً إذا وأنت الجهول
 فإن تك قد جهلت فإنّ عندي شفاء الجهل ما سأل السؤل
 وبحراً لا تقسمه الدوالي تراثاً كان أورثه الرسول
 لقد بسطت لسانك ، وعدوت طودك ، وخادعتك نفسك ، غير أنك
 لا تبرح حتى تؤمن إن شاء الله تعالى .

فتبسّم الأعرابي وقال : هيه ، فقال له الحسن عليه السلام : نعم
 اجتمعتم في نادي قومك وتداركتم ما جرى بينكم على جهل ، وخرق
 منكم فزعمت أنّ محمداً صبوراً والعرب قاطبة تبغضه ، ولا طالب له بثاره ،
 وزعمت أنّك قاتله ، وكان في قومك مؤمنة فحملت نفسك على ذلك ،
 وقد أخذت قناتك بيدك تؤمه تريد قتله ، فعسر عليك مسلكك وعمى عليك
 بصرك ، وأبيت إلا ذلك ، فأتيتنا خوفاً من أن يشتهر وأنت إنما جئت بخير
 يراد بك انبثك عن سفرك خرجت في ليلة ضحايا إذ عصفت ريح شديدة
 اشتدّ منها ظلماؤها ، وأظلمت سماؤها وأعصرت سحابها ، فبقيت محرّجاً
 كالاشفر ، ان تقدّم تحير وان تأخر عقّر لا تسمع لواطٍ حساً ولا لنا فح نار
 جرساً تراكمت عليك غيومها وتوارت عنك نجومها فلا يهتدي بنجم طالع
 ولا بلمع لامع تقطع محجته وتهبط لجته في ديمومة قفر بعيدة القمر محجفة
 بالسفر إذا غلوت مصعداً ازددت بعد الرّيح يخطفك والشوك تخبطك في
 ريح عاصف ، وبرق خاطف ، قد أوحشتك أكامها ، وقطعتك سلالها ،
 فأبصرت فإذا أنت عندنا فقرّت عينك ، وظهر دينك ، وذهب أئينك .

قال : من أين قلت يا غلام هذا ؟ كأنك كشفت عن سويد قلبي ،
 ولقد كنت كأنك شاهدتني وما خفي عليك شيء من أمري ، وكأنه علم
 الغيب .

قال له : ما الإسلام ؟ فقال الحسن عليه السلام : الله أكبر أشهد أن
 لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنّ محمداً عبده ورسوله ، فأسلم وحسن

إسلامه ، وعلمه رسول الله صَلَّى الله عليه وآله شيئاً من القرآن ، فقال : يا رسول الله ارجع إلى قومي فأعرفهم ذلك ، فأذن له فانصرف ورجع ومعه جماعة من قومه ، فدخلوا في الإسلام . فكان الناس إذا نظروا إلى الحسن قالوا : لقد أعطى ما لم يؤت أحداً من الناس .

وفيه أيضاً عن كتاب فرج الهموم للسيد النقيب علي بن موسى بن جعفر بن محمد الطّائوس الحسني من كتاب الدلائل لأبي جعفر بن رستم الطبري بإسناده إلى عبد الله بن عباس قال : مرّت بالحسن بن علي بقرة فقال : هذه حبلى بعجلة أنثى لها غرة في جبينها ورأس ذنبها أبيض ، فانطلقنا مع القصاب حتّى ذبحها ، فوجدنا العجلة كما وصف على صورتها ، فقلنا : أوليس الله عزّ وجل يقول : ﴿ ويعلم ما في الأرحام ﴾ فكيف علمت؟ فقال : ما يعلم المخزون المكنون المجزوم المكتوم الذي لم يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل غير محمد وذريته^(١) .

وفيه أيضاً عنه وجدت في خبر بخط محمد بن علي بن الحسين بن مهزيار ، ونسخه في سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ، وعلى الظهر الذي نقل منه هذا الحديث ما هذا المراد من لفظه من حديث أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الوهاب : قدم علينا في سنة أربعين وثلاثمائة ، وأما لفظة الحديث فهو حدّثنا أبو محمد عبد الله بن محمد الحميري المعروف بابن داهر الرازي قال : حدّثني أبو جعفر محمد بن علي الصّيرفي القرشي أبو سمينة قال : حدّثني داود بن كثير الرقي ، عن أبي عبد الله (ع) لمّا صالح الحسن بن علي عليهما السلام معاوية جلسا بالنخيلة ، فقال معاوية : يا أبا محمد بلغني أنّ رسول الله صَلَّى الله عليه وآله كان يخرص النخل فهل

(١) ردّ عليه السلام استباره ما بلغ وجه لم يبين وجه الجمع بينه وبين ما هو ظاهر الآية من اختصاص العلم بذلك بالله تعالى وقد مرّ أنّ المعنى أنّه لا يعلم ذلك أحد إلا بتعليمه تعالى ووحيه وإلهامه وأنهم عليهم السلام إنّما يعلمون بالوحي والإلهام (بحار).

عندك من ذلك علم ، فإن شيعتكم يزعمون أنه لا يعزب عنكم علم شيء في الأرض ولا في السماء ؟ فقال الحسن عليه السلام : إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يخرص كيلاً وأنا أخرص عدداً ، وقال معاوية : كم في هذه النخلة؟ فقال الحسن : أربعة آلاف بسرة وأربع بسرات .

قال المجلسي رحمه الله : ووجدت قد انقطع من المختصر المذكور كلمات فوجدتها في رواية ابن عياش الجوهري ، فأمره معاوية بها فصرمت وعدت فجاءت أربعة آلاف وثلاث بسرات ، ثم صحَّ الحديث بلفظها ، فقال : والله ما كذبت وما كذبت فنظر فإذا في يد عبدالله بن عامر كوير بسرة ، ثم قال : يا معاوية أما والله لولا أنك تكفر لأخبرتك بما عمله وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان في زمان لا يكذب وأنت تكذب وتقول : متى سمع من جدّه على صغر سنّه ، والله لتدعن زياداً ولتقتلن حجراً ولتحملن إليك الرؤوس من بلد إلى بلد فادعى زياداً وقتل حجراً وحمل إليه رأس عمرو بن الحمق الخزاعي .

وفي الخرائج روي أن علياً عليه السلام كان في الرحبة ، فقام إليه رجل فقال : أنا من رعيتك وأهل بلادك ، قال عليه السلام : لست من رعيتي ولا من أهل بلادي ، وإن ابني الأصغر بعث بمسائل إلى معاوية فأقلقته وأرسلك إلي لأجلها ، قال : صدقت يا أمير المؤمنين إن معاوية أرسلني إليك في خفية ، وأنت قد اطلعت على ذلك ، ولا يعلمها غير الله ، فقال عليه السلام : سل أحد ابني هذين ، قال : أسأل ذا الوفرة يعني الحسن عليه السلام ، فأتاه فقال له الحسن عليه السلام : جئت تسأل كم بين الحق والباطل ، وكم بين السماء والأرض؟ وكم بين المشرق والمغرب؟ وما قوس قزح؟ وما المؤنث وما عشرة أشياء بعضها أشد من بعض؟ ، قال : نعم .

قال الحسن عليه السلام : بين الحق والباطل أربع أصابع ما رأيته بعينك فهو حق وما تسمع بأذنك باطلاً ، وبين السماء والأرض دعوة

المظلوم ، ومدّ البصر . وبين المشرق والمغرب مسيرة يوم للشمس . وقزح اسم للشيطان وهو قوس الله وعلامة الخصب وأمان لأهل الأرض من الغرق . وأما المؤنث فهو الذي لا يدري أذكر هو أم أنثى ، فإنه ينتظر به فإن كان ذكراً احتلم ، وإن كان أنثى حاضت وبد ثديها ، وإلا قيل له بل فإن أصاب بوله الحائط فهو ذكر وإن انتكص بوله على رجله كما ينتكص بول البعير فهو أنثى . وأما عشرة أشياء بعضها أشد من بعض فأشد شيء خلق الله الحجر ، وأشد منه الحديد يقطع به الحجر ، وأشد من الحديد النار تذيب الحديد ، وأشد من النار الماء ، وأشد من الماء السحاب ، وأشد من السحاب الريح ، تحمل السحاب ، وأشد من الريح الملك الذي يردّها ، وأشد من الملك ملك الموت الذي يميت الملك ، وأشد من الملك الموت الذي يميت ملك الموت ، وأشد من الموت أمر الله الذي يدفع الموت .

ومنها ما ظهر من آياته من انقلاب الرجل امرأة والمرأة رجلاً :

قال صاحب كتاب ثاقب المناقب : وجدت في بعض كتب أصحابنا الثقات رضي الله عنهم أنّ رجلاً من أهل الشام أتى الحسن صلوات الله عليه ومعه زوجته ، فقال : يا بن أبي تراب وذكر بعد ذلك كلام فترهب عن ذكرها إن كنتم في دعواكم صادقين ، فحوّلني امرأة وحوّل امرأتي رجلاً كالمستهزئ في كلامه ، فغضب عليه الصلاة والسلام ونظر إليه شزراً وحرك شفّتيه بما لم يفهم ، ثم نظر إليهما وأخذ النظر ، فرجع الشامي إلى نفسه وأطرق خجلاً ووضع يده على وجهه ، ثم ولى مسرعاً ، وأقبلت امرأته وقالت : إني صرت والله رجلاً وذهبا حيناً من الزمان ، ثم عادا إليه وقد ولد لهما مولود وتضرّعا إلى الحسن صلوات الله عليه تائبين معتردين ممّا فرطا فيه ، وطلبا منه انقلابهما إلى حالهما الأول ، فأجابهما إلى ذلك ورفع يديه وقال : اللهم إن كانا صادقين في توبتهما فتب عليهما وحوّلهما فيما كانا عليه فرجعوا إلى ذلك .

وفي البحار عن المناقب عن محمد القتال النيسابوري في مؤنس
 الخبرين بالإسناد عن عيسى بن الحسن ، عن الصادق عليه السلام قال
 بعضهم للحسن بن علي عليه السلام في احتماله الشدائد عن معاوية ،
 فقال كلاماً معناه : لو دعوت الله تعالى لجعل العراق شاماً والشام عراقاً ،
 وجعل المرأة رجلاً والرجل امرأة ، فقال الشامي : ومن يقدر على ذلك؟
 فقال عليه السلام : انهضي ألا تستحيين أن تقعدي بين الرجال فوجد
 الرجل نفسه امرأة ، ثم قال : وصارت عيالك رجلاً وتقاربك وتحمل منها
 وتلد ولداً خنثى ، فكان كما قال . ثم اتهمتا تاباً وجاءا إليه فدعا الله تعالى
 فعادا إلى الحالة الأولى .

وفي الخرائج روى أن عمرو بن العاص قال لمعاوية : إن الحسن بن
 علي عليه السلام رجل حيي وإنه إذا صعد المنبر ورمقوه بأبصارهم خجل
 وانقطع لو أذنت له فقال معاوية : يا أبا محمد لو صعدت المنبر ووعظتنا ،
 فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني
 فأنا الحسن بن علي وابن سيّدة النساء فاطمة بنت رسول الله (ص) ، أنا
 ابن رسول الله ، أنا ابن نبي الله ، أنا ابن السراج المنير ، أنا ابن البشير
 النذير ، أنا ابن من بعث رحمة للعالمين ، أنا ابن من بعث إلى الجن
 والإنس ، أنا ابن خير خلق الله بعد رسول الله (ص) ، أنا ابن صاحب
 الفضائل ، أنا ابن صاحب المعجزات والدلائل ، أنا ابن أمير المؤمنين ،
 وأنا المدفوع عن حقي ؛ أنا أحد سيّدي شباب أهل الجنة ، أنا ابن الركن
 والمقام ، أنا ابن مكة ومنى ، أنا ابن المشعر وعرفات . فاغتاض وقال :
 خذ في نعت الرطب ودع ذا ، فقال : الرّيح تنفخه والحرّ ينضجه ، وبرد
 الليل يطّيه .

ثم عاد فقال : أنا ابن الشفيع المطاع ، أنا ابن من قاتلت معه
 الملائكة ، أنا ابن من خضعت له قريش ، أنا ابن إمام الخلق وابن محمد
 رسول الله (ص) ، فخشي معاوية أن يفتن به الناس ، فقال : يا أبا محمد
 انزل قد كفى ما جرى ، فنزل فقال له معاوية : ظننت أن ستكون خليفة

وما أنت وذاك ؟ فقال الحسن : إنما الخليفة من سار بكتاب الله وسنة رسول الله (ص) ، ليس الخليفة من سار بالجور وعطل السنة واتخذ الدنيا أباً وأماً ، ملك ملكاً متع به قليلاً ، ثم تنقطع لذته وتبقى تبعته ، وحضر المحفل رجل من بني أمية وكان شاباً فأغلق للحسن عليه السلام كلامه ، وتجاوز الحد في السب والشتم له ولأبيه ، فقال الحسن عليه السلام : اللهم غير ما به من النعمة واجعله أنثى ليعتبر به ، فنظر الأموي في نفسه وقد صار امرأة قد بدل الله له فرجه بفرج النساء ، وسقطت لحيته ، فقال الحسن عليه السلام : اغربي ما لك ومحفل الرجال فإنك امرأة ، ثم إن الحسن عليه السلام سكت ساعة ثم نفخ ثوبه ونهض ليخرج ، فقال ابن العاص : اجلس فإني أسألك مسائل ، قال عليه السلام : سل عما بدا لك ، قال عمرو : أخبرني عن الكرم والنجدة والمروة .

فقال : أما الكرم فالتبرع بالمعروف والاعطاء قبل السؤال ، وأما النجدة فالذب عن المحارم والصبر في المواطن عند المكاره . وأما المروة فحفظ الرجل دينه وإحرازه نفسه من الدنس وقيامه بأداء الحقوق وإفشاء السلام ، وخرج وعذل معاوية عمرواً ، فقال : أفسدت أهل الشام ، فقال عمرو : إليك عني إن أهل الشام لم يحبوك محبة إيمان ودين ، إنما أحبوك للدنيا ينالونها منك ، والسيف والمال بيدك ، فما يغني عن الحسن كلامه ، ثم شاع أمر الشاب الأموي وأتت زوجته إلى الحسن عليه السلام فجعلت تبكي وتتضرع فرق له ودعا فجعله الله كما كان .

ومنها ما ظهر من آياته صلوات الله عليه في إحياء الموتى :

في البحار عن كتاب فرج المهموم للسيد علي بن طاوس من كتاب مولد النبي صلى الله عليه وآله ومولد الأصفياء تأليف الشيخ المفيد بإسناده إلى جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : جاء الناس إلى الحسن بن علي عليهما السلام فقالوا : أرنا من عجائب أبيك التي كان يرينا ، فقال عليه السلام وتؤمنون بذلك ؟ قالوا : نعم نؤمن والله بذلك . قال عليه

السلام : أليس تعرفون أبي ؟ قالوا جميعاً : بل نعرفه فرفع لهم جانب الستر فإذا أمير المؤمنين عليه السلام قاعد ، فقال عليه السلام : تعرفونه؟ قالوا بأجمعهم : هذا أمير المؤمنين عليه السلام ونشهد أنك أنت ولي الله حقاً والإمام من بعده ، ولقد أريتنا أمير المؤمنين عليه السلام بعد موته كما أرى أبوك أبا بكر رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد قبا بعد موته ، فقال الحسن عليه السلام ويحكم أما سمعتم قول الله عز وجل : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾ فإذا كان هذا نزل فيمن قتل في سبيل الله ما تقولون فينا؟ قالوا : آمنا وصدقنا يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله .

وفي كتاب إكسير العبادات في أسرار الشهادات أنه ذكر الشيخ الحرّ العاملي نقلاً عن مجمع البحرين في مناقب السّبطين للسّيد الأجلّ السّيد ولي بن نعمة الله الحسيني الرضوي فحاصل ما ذكره أن ملكاً من ملوك الصّين كان له وزير ولوزير ابن في غاية الحُسن والجمال ، وكان الملك يحبّه محبة عظيمة ، وللملك ابنة في حُسْنها وجمالها فائقة في الأفاق ، وكان الملك يحبّها محبة عظيمة ، ثم إنّه عاشق ابن الوزير وابن الوزير عاشقها ، فعلم الملك بذلك فأمر بقتلهما فقتلا ، ثم ندم ندامة عظيمة لشدة حبه عليهما فأحضرهما الوزير والعلماء وأخبرهم بذلك وسألهم عن التدبير في إحيائهما ، قالوا : هذا لا يقدر عليه إلا رجل في المدينة يقال له الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام يقال إنّه يقدر أن يدعوا الله فيحييهما فقال : كم بيننا وبين المدينة؟ قالوا : مسيرة ستة أشهر فأحضر رجلاً وقال : إذهب إلى المدينة في شهر وإيتني بالحسن بن علي عليه السلام وإلا قتلتك ، فخرج الرجل مغموماً فتباعد عن البلد وتوضأ وصلى ودعا الله أن يفرج عنه وإذا بالحسن عليه السلام قد حضر عنده فضرب الرجل برجله وهو ساجد فقال له : قم فقام وقال : من أنت؟ قال : أنا الحسن بن علي بن أبي طالب ، فرجع إلى الملك فأخبره ففرح فرحاً شديداً ، ثم أمر باحضار ابنته وابن الوزير فأحضرا والتمس الملك من

الحسن عليه السلام أن يسأل الله سبحانه فيحييهما فدعا الله عز وجل فاحياهما الله بدعائه ، ثم إنه زوج ابنة الملك بابن الوزير الحديث .

ومن ظهور آياته صلوات الله عليه فيما يشاكل ذلك :

ما رواه صاحب كتاب ثاقب المناقب ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، وإنهم قد كانت فيهم الأعاجيب ، ثم أنشأ (ص) يحدث فقال : خرجت طائفة من بني إسرائيل حتى أتوا مبصرة لهم ثم قالوا : لو دعونا أو صلينا فدعونا الله تعالى فأخرج لنا رجلاً ممن نسأله عن الموت ، ففعلوا فبينما هم كذلك إذ طلع رجل رأسه من قبر بين عينيه أثر السجود فقال : يا هؤلاء ما أردتم مني لقدمت منذ عام ما سكنت علي حرارة الموت حتى كان الآن فادعوا الله أن يعيدني كما كنت ، قال جابر : ولقد رأيت وحق الله وحق رسوله من الحسن بن علي صلوات الله عليهما أفضل وأعجب منها ومن الحسين بن علي صلوات الله عليه أفضل وأعجب أما الذي رأيته من الحسن فهو أنه لما وقع من أصحابه ما وقع والجاه ذلك إلى مصالحة معاوية فصالحه واشتد ذلك على خواص أصحابه فكنت أحدهم وجئت فعذته فقال : يا جابر لا تعذلني وصدق رسول الله صلى الله عليه وآله في قوله : إن ابني هذا سيد وإن الله تعالى يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين وكأنه لم يشف ذلك صدري ، فقلت : لعل هذا شيئاً يكون بعد وليس هذا هو الصلح مع معاوية ، قال : هذا لهلاك المؤمنين وإذلالهم ، فوضع يده على صدري وقال : شككت وقلت كذا ، قال : أتحب أن أستشهد لرسول الله (ص) حتى تسمع منه ، فعجبت من قوله عليه السلام إذ سمعت هذه وإذا الأرض من تحت أرجلنا انشقت وإذا رسول الله وعلي وجعفر وحزمة عليهم السلام قد خرجوا منها ، فوثبت فزعاً مذعوراً ، فقال للحسن عليه السلام : يا رسول الله هذا جابر وقد عذلني بما قد علمت ، فقال صلى الله عليه وآله : يا جابر إنك لا تكون مؤمناً حتى تكون لأئمتك

مسلماً ولا تكن عليهم برأيك معترضاً سلم لابني الحسن ما فعل فإن الحق فيه لأنه رفع عن خيار المسلمين الاضطلام بما فعل وما كان ما فعله إلا عن أمر الله وأمرني ، فقلت : قد سلمت يا رسول الله ثم ارتفع في الهواء هو وحمزة وجعفر وعلي فما زلت أنظر إليهم حتى انفتح لهم باب ودخلوها ، ثم باب السماء الثانية إلى سبع سماوات هديهم محمد صلى الله عليه وآله .

ومن ذلك ما رواه صاحب كتاب ثاقب المناقب عن علي بن وثاب قال : لقد سمعت أبا عبد الله صلوات الله عليه يحدث أنه أتى آت الحسن بن علي عليهما السلام فقال : ما عجز عنه موسى من مسائل الخضر عليهما السلام ؟ فقال : من الكبر الأعظم ، ثم ضرب بيده على منكب الرجل فقال : إيه ثم ركض ما بين يديه فانفلق عن إنسانين على صخرة يرتفع منها بخاراً أشد نساء من الجبال ، وفي عتق كل واحد منهما سلسلة وشيطان يقرن به ، وهما يقولان : يا محمد يا محمد والشيطانان يردان عليهما كذبتما ، ثم قال : انطلق عليهما إلى الوقت المعلوم الذي لا يقدم ولا يؤخر وهو خروج القائم المنتظر صلوات الله عليه ، فقال الرجل : سحر ، ثم ولي على أن يخبر الضد بذلك فخرس وفي ذلك آيتان .

ومنها إتيانه صلوات الله جبرئيل بفاكهة الجنة وغير ذلك مما ظهر له في أشياء شتى :

في كتاب ثاقب المناقب عن أبي الحسن بن عامر بن عبد الله ، عن أبيه ، عن الصادق صلوات الله عليه ، عن آبائه ، عن الحسين صلوات الله عليهم قال : دخلت مع الحسن عليه السلام على جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله وعنده جبرئيل في صورة دحية الكلبي ، وكان دحية كان يحمل لهما إذا قدم من الشام على رسول الله (ص) حمل لي ولأخي خرنوباً ونبقاً فشبهاه بدحية بن خليفة الكلبي ، وإن دحية كان يحمل لهما إذا قدم من الشام نبقاً وخرنوباً ، قال : فجعلنا نفتش كمّه فقال جبرئيل : يا

رسول الله ما يريدان ، قال : إنما شبهاك بدحية الكلبي ، قال : فمَدَّ جبرئيل يده إلى الفردوس الأعلى فأخذ منه نبقاً وخرنوباً وسفرجلاً ورمناً ، فملأنا به حجراً ، قال : فخرجنا مستبشرين فلقينا أبونا أمير المؤمنين عليه السلام ، فنظر إلى ثمر لم ير مثله في الدنيا ، فأخذ من هذا ومن هذا ودخل على رسول الله وهو يأكل ، فقال : يا أبا الحسن كُلْ وادفع إليَّ أوفر النصيب ، فإن جبرئيل أتى به آنفاً .

ومنها ما في البحار عن المناقب ، عن محمد بن إسحاق بالإسناد جاء أبو سفيان إلى علي عليه السلام فقال : يا أبا الحسن جئتُك في حاجة ، قال : وفيم جئتني ؟ قال : تمشي معي إلى ابن عمك محمد صلَّى الله عليه وآله فتسأله أن يعقد لنا عقد أو يكتب لنا كتاباً ، فقال : يا أبا سفيان لقد عقد لك رسول الله صلَّى الله عليه وآله عقداً لا يرجع عنه أبداً ، وكانت فاطمة عليها السلام من وراء الستر والحسن يدرج بين يديها وهو طفل من أبناء أربعة عشر شهراً ، فقال لها : يا بنت محمد قلِّي لهذا الطفل يكلم لي جدّه فيسود بكلامه العرب والعجم ، فأقبل الحسن عليه السلام إلى أبي سفيان وضرب أحد يديه على أنفه والأخرى على لحيته ، ثم أنطقه الله عزَّ وجلَّ بأن قال : يا أبا سفيان قل لا إله إلا الله محمد رسول الله حتى أكون شفيعاً ، فقال عليه السلام : الحمد لله الذي جعل في آل محمد ومن ذرية محمد المصطفى نظير يحيى بن زكريا ﴿ وآتيناه الحكم صبياً ﴾ .

ومنها ما فيه عنه أيضاً ، عن أبي حمزة الثمالي ، عن زين العابدين عليه السلام قال : كان الحسن بن علي عليهما السلام جالساً فأتاه آتٍ فقال : يا بن رسول الله قد احترقت دارك ، قال : لا ما احترقت إذ أتاه آتٍ فقال : يا بن رسول الله قد وقعت النار في دار إلى جنب دارك حتى ما شككنا أنها ستحرق دارك ، ثم إن الله تعالى صرفها عنها واستغاث الناس من زياد إلى الحسن بن علي عليه السلام ، فرفع يده وقال : اللهم خذلنا ولشيعتنا من زياد بن أبيه وأرنا فيه نكالا عاجلاً إنك على كل شيء قدير ،

قال : فخرج خراج في إبهام يمينه يقال لها السَّلعة وورم إلى عنقه فمات .
 ادعى رجل على الحسن بن علي عليه السلام ألف دينار كذباً ولم يكن له
 عليه ، فذهبا إلى شريح فقال للحسن عليه السلام : أتحلف؟ قال : إن
 حلف خصمي أعطيه ، فقال الشريح للرجل : قل بالله الذي لا إله إلا هو
 عالم الغيب والشهادة ، فقال الحسن عليه السلام : لا أريد مثل هذا ،
 لكن قل : بالله أن لك عليّ هذا وخذ الألف ، فقال الرجل ذلك وأخذ
 الدنانير ، فلما قام خرّ إلى الأرض ومات ، فسأل الحسن عليه السلام عن
 ذلك ؟ فقال : خشيت أنه لو تكلم بالتوحيد يغفر له يمينه ببركة التوحيد
 ويحجب عنه عقوبة يمينه .

ومنها ما في كتاب إكسير العبادات في أسرار الشهادات ذكر الشيخ
 العاملي نقلاً عن صاحب كتاب مناقب فاطمة عليها السلام وولدها عليهما
 السلام بإسناده عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن منصور قال : رأيت
 الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام وقد خرج مع قوم يستسقون ،
 فقال للناس : أيما أحب إليكم المطر أم البرد أم اللؤلؤ؟ فقالوا : يا بن
 رسول الله (ص) ما أحببت ، فقال : على أن لا يأخذ أحد منكم لدنياء
 شيئاً ، فاتاهم بالثلاث ورأيانه يأخذ الكواكب من السماء ثم يثبها فتطير
 كالعصافير إلى مواضعها .

وفيه عنه أيضاً ، عن ابن موسى ، عن قبيصة قال : كنت مع
 الحسن بن علي عليهما السلام وهو صائم ونحن نسير معه إلى الشام ،
 وليس معه زاد ولا ماء ولا شيء إلا ما هو عليه راكباً ، فلما أن غاب الشفق
 وصلّى العشاء فتحت أبواب السماء وعلقت فيه القناديل ونزلت الملائكة
 معهم الموائد والفواكه وطموس وأباريق ونحن سبعون رجلاً ، فنقل فناكل
 عن كل حارّ وبارد حتى امتلأنا وامتلا صلوات الله عليه ، ثم رفعت على
 هيئتها لم تنقص الحديث .

ثم قال فيه أيضاً : وقد ذكر صاحب الكتاب المذكور عن سويد

الأزرق، عن سعد بن منقذ قال: رأيت الحسن بن علي عليهما السلام بمكة وهو يتكلم بكلام وقد رفع البيت أو قال حوله، فتعجبنا منه! فكنا نحدث ولا نصدق حتى رأيناه في المسجد الأعظم بالكوفة، فحدثناه يا بن رسول الله ألت فعلت كذا وكذا، فقال: لو شئت لحولت مسجداً في خريقة وهو ملقى النهرين الفرات ونهر الأعلى، فقلنا: إفعل ففعل ذلك، ثم رده، فكنا نصدق بعد ذلك بالكوفة بمعجزاته.

قال: وبإسناده عن إبراهيم بن كثير قال: رأيت الحسن بن علي عليهما السلام وقد استسقى ماء فابطىء عليه فاستخرج من سادية المسجد ماء فشرب منه وسقى أصحابه.

ثم قال: لو شئت لسقيتكم لبناً وعسلاً، فقلنا: فاسقنا فسقانا لبناً وعسلاً من سادية المسجد، مقابل الروضة التي فيها فاطمة عليها السلام الحديث.

الفصل الرابع

في بيان مكارم أخلاقه وعلمه وشرفه وفضله وجلالته عليه السلام

في البحار عن المناقب استفتى أعرابي عبد الله بن الزبير وعمر بن عثمان فتواكلا فقال: اتقيا الله فإنني أتيتكما مسترشداً مواكلاً في الدين، فأشارا عليه بالحسن والحسين عليهما السلام، فأفتياه فأنشأ أبياتاً منها:

جعل الله حرّ وجهيكما نعلين سبتاً^(١) يظاوهما الحسنان

(١) قال الجزري فيه: يا صاحب السبتين اخلع نعليك السبت بالكسر جلود البقر المدبوغة يتخذ منها النعال سميت بذلك لأن شعرها قدبت عنها أي حلق وأزيل، وقيل: إنها انسبت بالدباغ أي لانت يريد يا صاحب النعلين وفي تسميتهم للنعل المتخذ بالسبت سبت إنشباع مثل قولهم فلان يلبس الصوف والقطن والابريسم أي الثياب المتخذة منها كذا في البحار منه رحمه الله.

وفيه عنه أيضاً ، عن عيون المحاسن ، عن الروياني أن الحسن والحسين عليهما السلام مرّا على شيخ يتوضأ ولا يحسن ، فأخذا في التنازع يقول كل واحد منهما للآخر : أنت لا تحسن الوضوء ، فقالا : أيها الشيخ أنت كن حكماً بيننا يتوضأ كل واحد منا فتوضأ ، ثم قال : أيها يحسن ، قال : كلاكما تحسان الوضوء ، ولكن هذا الشيخ الجاهل هو الذي لا يحسن الوضوء ، وقد تعلّم الآن منكما وتاب على يديكما ببركتكما وشفقتكما على أمة جدكما .

وفيه عنه أيضاً عن الباقر عليه السلام قال : ما تكلم الحسين بين يدي الحسن عليه السلام اعظماً له ولا تكلم محمد بن الحنفية بين يدي الحسين عليه السلام اعظماً له .

وروى ابن بابويه في الأمالي عن علي بن أحمد قال : حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي قال : حدثنا موسى بن عمران النخعي ، عن عمّه الحسين بن يزيد النوفلي ، عن محمد بن سنان ، عن المفضل بن عمر قال : قال الصادق عليه السلام : حدثني أبي ، عن أبيه عليهم السلام أن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام كان أعبد الناس في زمانه وأزهدهم وأفضلهم ، وكان إذا حجّ حجّ ماشياً ، وربما مشى حافياً ، وكان إذا ذكر الموت بكى ، وإذا ذكر القبر بكى ، وإذا ذكر البعث والنشور بكى ، وإذا ذكر العمر على الصراط بكى ، وإذا ذكر العرض على الله تعالى ذكره شهق شهقة يغشى عليه منها ، وإذا قام في صلاته ترتعد فرائضه^(١) بين يدي ربه عز وجل ، وكان إذا ذكر الجنة والنار اضطرب اضطراب السليم^(٢) ، وسأل الله الجنة وتعوذ به من النار .

وكان عليه السلام لا يقرأ من كتاب الله عز وجل ﴿ يا أيها الذين

(١) قال الجزري : الفريضة اللّحمة التي بين جنب الذّابة وكتفها لا تزال ترتعد .

(٢) السّليم من لدعته العقرب كأنهم تغالوا له بالسّلامة .

آمنوا ﴿ إِلَّا قَالَ : لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ، ولم ير في شيء من أحواله إِلَّا ذاكراً لله سبحانه ، وكان أصدق الناس لهجة وأفصحهم منطقاً ، ولقد قيل لمعاوية ذات يوم : لو أمرت الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام فصعد المنبر فخطب لتبين للناس نقصه ، فدعاه فقال له : اصعد المنبر وتكلم بكلمات تعظنا بها ، فقام عليه السلام فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي بن أبي طالب ، وابن سيِّدة النساء فاطمة بنت رسول الله ، أنا ابن خير خلق الله ، أنا ابن رسول الله ، أنا ابن صاحب الفضائل ، أنا ابن صاحب المعجزات والدلائل ، أنا ابن أمير المؤمنين ، أنا المدفوع عن حقِّي ، أنا وأخي الحسين سيِّدا شباب أهل الجنة ، أنا ابن الركن والمقام ، أنا ابن مَكَّة ومِنَى ، أنا ابن المشعر وعرفات ، فقال له معاوية : يا أبا محمد خذ في نعت الرطب ودع هذا ، فقال عليه السلام : الرِّيح تنفخه^(١) والحر ينضجه ، والبرد يطيبه ، ثم عاد عليه السلام في كلامه فقال : أنا ابن إمام خلق الله ، وابن محمد رسول الله صلَّى الله عليه وآله ، فخشي معاوية أن يتكلَّم بعد ذلك بما تطمئنُّ به النَّاس فقال : يا أبا محمد إننا قد كفانا ما جرى فنزل عليه السلام .

وفيه أيضاً عن محمد بن إبراهيم بن إسحاق قال : أخبرنا أحمد بن محمد بن سعيد الكوفي قال : حَدَّثَنَا علي بن الحسن بن علي بن فضال ، عن أبيه ، عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا ، عن آبائه عليهم السلام قال : لما حضرت الحسن بن علي بن أبي طالب الوفاة بكى فقبل له : يا بن رسول الله أتبكي ومكانك من رسول الله (ص) الذي أنت به ، وقد قال فيك رسول الله (ص) ما قال وقد حججت عشرين حجة ماشياً ، وقد

(١) قوله عليه السلام : تنفخه لعل المعنى تعظمه والمنفوخ البطين والسَّمين (بحار الأنوار).

قاسمت ربك مالك ثلاث مرّات حتى النعل ، فقال عليه السلام : إنما أبكي لفصلتين لهول المطلق^(١) وفراق الأحبة .

وفي البحار عن المناقب ومن حلمه عليه السلام ما روى المبرّد وابن عائشة أن شامياً رآه راكباً ، فجعل يلعنه والحسن عليه السلام لا يردّ عليه ، فلما فرغ أقبل الحسن عليه السلام فسلم وضحك فقال : أيها الشيخ أظنك مريباً ولعلك شبهت ، فلو استعبتنا اعتبنك ولو سألنا أعطيتك ، ولو استرشدتنا أرشدناك ، ولو استحملتنا أحملناك ، وإن كنت جائعاً أشبعناك ، وإن كنت عرياناً كسوناك ، وإن كنت محتاجاً أغنيك ، وإن كنت طريداً أؤينك ، وإن كان لك حاجة قضيناها لك ، ولو حرّكت رجلك إلينا وكنت ضيفنا إلى وقت ارتحالك كان أعود عليك لأنّ لنا موضعاً رحباً ، وجاهاً عريضاً ، ومالاً كثيراً . فلما سمع الرجل كلامه بكى ثم قال : أشهد أنك خليفة الله في أرضه ، الله أعلم حيث يجعل رسالاته ، وكنت أنت وأبوك أبغض خلق الله إليّ ، والآن أنت أحب خلق الله إليّ وحول رحله وكان ضيفه إلى أن ارتحل وصار معتقداً لمحبتهم .

وفي مطالب السؤل نقل أنه عليه السلام يوماً اغتسل وخرج من داره في حلة فاخرة ويزّة^(٢) طاهرة بمحاسن سافرة ، وقسمات^(٣) ناضرة ، ونفخات ناشرة ، ووجهه يشرق حسناً ، وشكله قد كمل صورة ومعنى ، فالإقبال يلوح من أعطافه^(٤) ، ونظرة النعيم^(٥) تعرف في أطرافه ، وقاضي

(١) قال الجزري : هول المطلق يريد به الموقف يوم القيامة وما يشرف عليه من أمر الآخرة عقب الموت بالطلع الذي يشرف عليه من موضع عال (بحار).

(٢) قيل : اليزّة بالكسر الهيئة والسلاح أيضاً .

(٣) القسمات : المحاسن ، والقسم : الحسن .

(٤) الأعطاف : الجوانب وعطفا الشيء جانبا .

(٥) نظرة النعيم : أي بريق النعيم ونداء ، ومنه ﴿ وجوه يومئذٍ ناظرة ﴾ أي مشرقة من بريق النعيم ونداء .

القدر قد حكم أن السعادة من أوصافه ، ثم ركب بغلة فارهة غير قطوف^(١) وصار مكتنفاً من حاشيته وغاشيته بصفوف ، فلو شاهده عبد مناف لا رغم بمفاخرته معاطس أنوف ، وعدّه وحده لإحراز حصل الفخار يوم المفاخرة بألوف ، فعرض له في طريقه من محاويج اليهود ، هم^(٢) في هدم^(٣) قد أنهكته^(٤) العلة ، واركتبه الذلة ، وأهلكته القلة ، وجلده يستر عظامه ، وضعفه يقيد أقدامه ، وضره قد ملك زمامه وسوء حاله ، قد حَبَّ إليه حمامه ، وشمس الظهيرة تشوي شواه^(٥) ، واخمصه^(٦) يصفح ثرى ممشاه^(٧) وعذاب عن^(٨) عريه ، قد عراه^(٩) ، وطول طواه قد أضعف بطنه وطواه^(١٠) ، وهو حامل جرة^(١١) مملوءة ماء على مطاه^(١٢) ، وحالة تعطف عليه القلوب القاسية ، عند مراره ، فاستوقف الحسن عليه السلام وقال : يا بن رسول الله انصفني ، فقال له : في أي شيء؟ فقال : جدك يقول : الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ، وأنت مؤمن وأنا كافر ، فما أرى الدنيا إلا جنة

(١) قوله غير قطوف : أي غير بطيئة والقطوف من الدواب هو البطيء .

(٢) والهم الشيخ الفاني والمرأة همه .

(٣) والهدم بالكسر الثوب الخلق البالي .

(٤) وقوله أنهكته العلة أي بالغت في عذابه وأنهك فلان عرض فلان أي بالغ في شتمه .

ونهلكه السلطان أي بالغ في عقوبته

(٥) والشوي الرأس والشوى اليدان والرجلان .

(٦) والأخمص ما دخل من باطن القدم فلم يصب الأرض .

(٧) وقوله يصفح ثرا ممشاه يريد أنه بغير نعل .

(٨) والعن بالفتح الجرب وبالضم القروح مثل الضر .

(٩) وعراه واعتراه أيضاً أي أصابه وغشيه فهو معرور .

(١٠) والطوى : الجوع ، والجرة : إناء من أوعية الماء .

(١١) والجرار جمع جرة بالفتح .

(١٢) المطا الظهر كشف الغمة من خط الكفعمي رحمه الله .

لك تتنعم فيها ، وتستلذ بها ، وما أراها إلا سجناً لي قد أهلكني ضرّها ،
 وأتلفني فقرها ، فلما سمع الحسن عليه السلام كلامه أشرق عليه نور
 التأييد فاستخرج الجواب بفهمه من خزانة علمه ، وأوضح لليهودي خطأ
 ظنه ، وخطأ زعمه ، فقال : يا شيخ : لو نظرت إلى ما أعدّ الله تعالى لي
 وللمؤمنين الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع في نعيم الجنان ،
 والخيرات الحسان ، في الدار الآخرة ، بما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت
 لعلمت أنني قبل انتقالي إليه في هذه الدنيا في سجن ضنك ، ولو نظرت
 إلى ما أعدّ الله لك ولكل كافر في الدار الآخرة من سعيّر نار الجحيم ،
 ونكال العذاب الأليم المقيم ، لرأيت أنك قبل مصيرك إليه الآن في جنة
 واسعة ، ونعمة جامعة .

قال ابن طلحة : فانظر إلى هذا الجواب الصادع بالصواب كيف
 تفجّرت مستعذبة عيون علمه ، وأبّعت مستغربة فنون فهمه ، فإله جواباً
 ما أمته ، وصواباً ما أبينه ، وخطاباً ما أحسنه ، صدر عن علم مقتبس ،
 من مشكاة نور النبوة ، وتأيد موروث من معالم آثار الرسالة .

وفي الخرائج روى أن الحسن عليه السلام وعبدالله بن العباس كانا
 على مائدة فجاءت جرادة ووقعت على المائدة ، فقال عبدالله للحسن عليه
 السلام : أي شيء مكتوب على جناح الجرادة ، فقال : مكتوب عليه أنا
 الله لا إله إلا أنا ربما أبعث الجرادة لقوم جياع ليأكلوا ، وربما أبعثها نعمة
 على قوم فتأكل أطعمتهم ، فقام عبدالله وقبل رأس الحسن عليه السلام
 وقال : هذا من مكنون العلم .

وفي بصائر الدرجات عن يعقوب بن يزيد ، عن ابن أبي عمير ، عن
 رجاله ، عن أبي عبدالله عليه السلام يرفع الحديث إلى الحسن بن علي
 صلوات الله عليه وعلى آبائه أنه قال : « إن الله مدينتين أحديهما بالشرق
 والأخرى بالمغرب ، عليهما سوران من حديد ، وعلى كل مدينة ألف ألف
 مصراع من ذهب وفيها سبعون ألف ألف لغة يتكلم كل لغة بخلاف لغة

صاحبه ، وأنا أعرف جميع اللّغات وما فيهما وما بينهما وما عليهما ، حجة غيري ، والحسين أخي .

وفي البحار عن المناقب ، عن أبي إسحاق العسّدي في خبر أن مروان بن الحكم خطب يوماً فذكر علي بن أبي طالب عليه السلام فنال منه والحسن بن علي عليه السلام جالس ، فبلغ ذلك الحسين عليه السلام فجاء إلى مروان فقال : يا بن الزرقاء أنت الواقع في علي عليه السلام في كلام له ، ثم دخل على الحسن عليه السلام فقال : تسمع هذا يسبّ أباك ولا تقول له شيئاً ، فقال : وما عسيت أن أقول لرجل مسلّط يقول ما شاء ويفعل ما يشاء .

وفيه عنه أيضاً عن أبي السّعدات في الفضائل أنه أملاً الشيخ أبو الفتوح في مدرسة النّاجية أن الحسن بن علي عليه السلام كان يحضر مجلس رسول الله وهو ابن سبع سنين ، فيسمع الوحي فيحفظه فيأتي أمّه فيلقي إليها ما حفظه كلّما دخل علي عليه السلام وجد عندها علماً بالتّزليل ، فيسألها عن ذلك؟ فقالت : من ولدك الحسن عليه السلام ، فجاء يوماً في الدار وقد دخل الحسن وقد سمع الوحي فأراد أن يلقيها إليها فارتج فعجبت أمّه من ذلك ، فقال : لا تعجبين يا أمّاه إن رجلاً كبيراً يسمعي واستماعه فقد أوقفني ، فخرج علي عليه السلام فقبله وفي رواية يا أمّاه قلّ بياني وكلّ لساني لعلّ سيّداً يرعاني .

وفي عبادته عليه السلام قال الشيخ كمال الدين محمد بن طلحة في مطالب السّؤل : اعلم وصلك الله بحبل تأييد ، وأوصلك بلطفه إلى مقام توفيقه وتسديده ، إنّ العبادة تنقسم إلى ثلاثة أنواع : بدنية ومالية ومركبة منهما .

فالبدنية كالصلاة والصيام وتلاوة القرآن الكريم وأنواع الأذكار .

والمالية : كالصدقات والصّلات والمبرّات .

والمركب منهما كالحج والجهاد والاعتماد .

وقد كان الحسن عليه السلام ضارباً في كل واحد من هذه الأنواع بالقدح الفائز ، والقدح الجائز ، أما الصلاة والأذكار وما في معناها فقيامه بها مشهور واسمه في أربابها مذكور .

وأما الصدقات فإنه صحَّ النقل فيما رواه الحافظ أبو نعيم بسنده في حليته أنه خرج عليه السلام من ماله مرتين ، وقاسم الله تعالى ثلاث مرات ماله ، وتصدق به حتى كان يعطي نعلًا ويمسك نعلًا .

وأما العبادة المركبة فقد نقل الحافظ أبو نعيم المذكور في حليته بسنده أنه عليه السلام قال : إني لأستحي من ربي أن ألقاه ولم يمش إلى بيته ، فمشى عشرين مرة من المدينة إلى مكة على رجله .

وروى صاحب كتاب صفوة الصفوة بسنده عن علي بن زيد بن جذعان أنه قال : حجَّ الحسن عليه السلام خمسة عشر حجة ماشياً ، وإنَّ الجنائب لتقاد معه وأي عبادة أعظم من هذا ، هذا آخر كلامه .

وفي البحار عن المناقب عن عبدالله بن عمر عن ابن عباس قال : لما أصيب الحسن عليه السلام قال معاوية : ما أسى علي شيء إلا علي أن أحجَّ ماشياً ، ولقد حجَّ الحسن بن علي عليهما السلام خمساً وعشرين حجة ماشياً ، وإنَّ الجنائب لتقاد معه وقد قاسم الله ماله مرتين حتى أن كان ليعطي النعل ويمسك النعل ، ويعطي الخف ويمسك الخف .

وفيه عنه أيضاً أما زهده عليه السلام فقد جاء في روضة الواعظين أنَّ الحسن بن علي عليهما السلام كان إذا توضأ ارتعدت مفاصله واصفرَّ لونه ، فقليل له في ذلك ، فقال عليه السلام : حقَّ علي كل من وقف بين يدي ربِّ العرش أن يصفرَّ لونه ، وترتعد مفاصله ، وكان إذا بلغ باب المسجد رفع رأسه ويقول : إلهي ضيفك بيابك يا محسن قد أتاك المسيء فتجاوز عن قبيح ما عندي بجميل ما عندك يا كريم .

وفيه عنه أيضاً عن الزمخشري في الفائق أنّ الحسن عليه السلام كان إذا فرغ من الفجر لم يتكلم حتى طلع الشمس ، وإن زحزح أي وإن أريد تنحيته عن ذلك باستنطاق ما يهم .

وفيه عنه أيضاً روى أنه دخل عليه امرأة جميلة وهو في صلاته فأوجز في صلاته ، ثم قال لها : ألك حاجة؟ قالت : نعم ، قال : وما هي ؟ قالت : قم فأصب مني فلأني وفدت ولا بعل لي ، قال عليه السلام : إليك عني لا تحرقيني بالنار ونفesk ، فجعلت تراوده عن نفسه وهويكي ويقول : ويحك إليك عني واشتد بكاءه ، فلما رأت ذلك بكت لبكائه ، فدخل الحسين عليه السلام ورآهما يبكيان ، فجلس يبكي وجعل أصحابه يأتون ويجلسون ويبكون حتى كثر البكاء وعلت الأصوات ، فخرجت الأعرابية ، وقام القوم وترحلوا ولبث الحسين عليه السلام بعد ذلك دهرأ لا يسأل أخاه عن ذلك إجلالاً له .

فبينما الحسن عليه السلام ذات ليلة نائماً إذ استيقظ وهو يبكي ، فقال له الحسين عليه السلام : ما شأنك ، قال : رؤيا رأيتها الليلة ، قال : وما هي ؟ قال : لا تخبر أحداً ما دمت حياً ، قال : نعم . قال : رأيت يوسف فجئت أنظر إليه فيمن نظر ، فلما رأيت حسنه بكيت ، فنظر إلي في الناس فقال : ما يبكيك يا أخي بأبي أنت وأمي ؟ فقلت : ذكرت يوسف وامرأة العزيز وما ابتليت به من أمرها وما لقيت من السجن وحرقة الشيخ يعقوب ، فبكيت من ذلك ، وكنت أتعجب منه ، فقال يوسف : فهلاً تعجب مما فيه المرأة البدوية بالإيواء .

وفيه أيضاً عن الكافي مسنداً ، عن أبي سعيد عقيصاً التيمي قال : مررت بالحسن والحسين عليهما السلام وهما في الفرات مستفقان في إزارين ، فقلت لهما : يا ابني رسول الله أفستما الإزارين ، فقالا لي : يا أبا سعيد فساد الإزارين أحب إلينا من فساد الدين ، إن للماء أهلاً وسكناً كسكان الأرض الخبر .

وفيه أيضاً عن المناقب للحسن بن علي عليه عليهما السلام :

ذرى كدر الأيام أن صفائها تولّى بأيام السرور الذواهب
وكيف يغرّ الدهر من كان بينه وبين الليالي محكمات التجارب
وله عليه السلام أيضاً :

قل للمقيم بغير دار إقامة حان الرّحيل فودّع الأحبابا
إنّ الذين لقيتهم وصحبتهم صاروا جميعاً في القبور ترايا
وله عليه السلام أيضاً :

يا أهل لذات دنيا لا بقاء لها إنّ المقام بظل رائق حلق
وله عليه السلام أيضاً :

لكثرة من خسيس الخبز تشبعتني وشربة من قراح^(١) الماء تكفيني
وطمرة من دقيق الثوب تسترني حباً وإن متّ تكفيني لتكفيني
وفيه عنه أيضاً عن كتاب الفنون ، عن أحمد المؤدّب ونزهة
الأبصار ، عن ابن مهدي أنّه مرّ الحسن بن علي عليهما السلام على فقراء
وقد وضعوا كسيرات على الأرض وهم قعود يلتقطونها ويأكلونها ، فقالوا
له : هلم يا بن بنت رسول الله إلى الغداء ، قال : فنزل وقال : إنّ الله لا
يحبّ المستكبرين ، وجعل يأكل معهم حتى اكتفوا والزاد على حاله ببركته
عليه السلام ، ثم دعاهم إلى ضيافته وأطعمهم وكساهم .

وفيه أيضاً عن بعض كتب المناقب المعتبرة بإسناده عن نجيب قال :
رأيت الحسن بن علي عليه السلام يأكل وبين يديه كلب ، كلّما أكل لقمة
طرح للكلب مثلها ، فقلت له : يا بن رسول الله ألا أرجم هذا الكلب عن

(١) والقراح بالضم قروح مثل القوياء وتخرج بالإبل متفرقة في مشافرها وقوائمها يسيل
منها مثل الماء الأصفر وبالفصح المجرب ويحتمل أن يكون عرته أي رأسه .

طعامك ، قال : دعه لاني لأستحي من الله عز وجل أن يكون ذو روح ينظر في وجهي ، وأنا أكل ثم لا أطعمه .

قال : وذكر الثقة أن مروان بن الحكم شتم الحسن بن علي عليهما السلام ، فلما فرغ قال الحسن عليه السلام : لاني والله لا أمحو عنك شيئاً ولكن مهذك الله فلتن كنت صادقاً فجزاك الله بصدقك وإن كنت كاذباً فجزاك الله بكذبك ، والله أشد نقمة مني .

قال : وروى أن غلاماً له جنى جنابة توجب العقاب ، فأمر به أن يضرب ، فقال : يا مولاي والعافين عن الناس ، قال : عفوت عنك ، قال : يا مولاي والله يحب المحسنين ، قال : أنت حر لوجه الله ولك ضعف ما كنت أعطيك (انتهى).

وفي كرمه وجوده وصلابته :

قال كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي في كتابه مطالب السؤل : الجود والكرم غريزة مغروزة فيه ، وصرفه لصنوف زخارف الدنيا عنه نهج ما زال يقتفيه وإيصال صلابة إلى المعتفين ، يعتده من مناقب معانيه ، وإيفاء الأموال عنده ، يعتقه من مثالب من يعانيه ، ويرى إخراج الدنيا عنه خير ما يعتقه من عمله ويجتنيه ، وحبته في ذلك واضحة ، فإنه حرام على الولد مجامعة مطلق أبيه ، وقد عنه من تتابع ارفاده بموجوده ، ووقائع استنفاذه فيه جل مجهوده ، ما يشهد له بكرمه وجوده ، وينضده في سلك سجايه مع ركوعه وسجوده .

فمنها ما نقل عنه عليه السلام فيما رواه سعيد بن عبدالعزيز قال الحسن عليه السلام سمع رجلاً يسأل الله تعالى أن يرزقه عشرة آلاف درهم فانصرف الحسن عليه السلام إلى منزله فبعث بها إليه .

ومنها أن رجلاً جاء إليه عليه السلام وسأله حاجة ، فقال : يا هذا حق سؤالك إياي يعظم لدي ، ومعرفتي بما يجب لك يكبر علي ، ويدي

تعجز عن نيلك بما أنت أهله ، والكثير في ذات الله تعالى قليل ، وما في ملكي وفاء بشكواك ، فإن قبلت الميسور ورفعت عني مؤونة الاحتفال والاهتمام لما أتكفله من واجبك فعلت . فقال : يا ابن رسول الله أقبل القليل وأشكر العطية ، وأعذر على المنع ، فدعا الحسن عليه السلام بوكيله وجعل يحاسبه على نفقاته حتى استقصاها ، فقال : هات الفاضل من الثلاثمائة ألف درهم ، فأحضر خمسين ألفاً ، قال : فما فعل الخمسمائة دينار ، قال : هي عندي ، قال : أحضرها فأحضرها فدفعت الدراهم والدنانير إلى الرجل ، فقال : هات من يحملها لك فاتاه بحمالين ، فدفعت الحسن عليه السلام إليهما ردائه لكرى الحمالين ، فقال له مواليه : والله ما عندنا درهم ، فقال : لكني أرجو أن يكون لي عند الله تعالى أجر عظيم .

ومنها ما رواه الحسن المدائني قال : خرج الحسن والحسين عليهما السلام وعبد الله بن جعفر حجاجاً ففانهم أثقالهم فجاءوا وعطشوا ، فمروا بعجوز في خباء لها فقالوا : هل من شراب ؟ قالت : نعم ، فأناخوا بها وليس لها إلا شوية في كسر الخيمة ، فقالت : إحلبوها وامتدقوا لبنها ، ففعلوا ذلك ، وقالوا لها : هل من طعام ؟ قالت : لا إلا هذه الشاة ، فليذبحها أحدكم حتى أهنيء لكم ما تأكلون ، فقام إليها أحدهم فذبحها وكشطها ، ثم هيئت لهم طعاماً فأكلوا وأقاموا حتى أبردوا ، فلما ارتحلوا قالوا لها : نحن نفر من قريش ، نريد هذا الوجه ، فإذا رجعنا سالمين فآلمي بنا ، فإننا صانعون إليك خيراً ثم ارتحلوا ، وأقبل زوجها فأخبرته عن القوم والشاة ، فغضب الرجل وقال : ويحك تذبحين شاتي لأقوام لا تعرفينهم ، ثم تقولين نفر من قريش ، ثم بعد مدة الجأتهما الحاجة إلى دخول المدينة فدخلها وجعلتا ينقلان البعر إليها ويبيعانه ويعيشان منه ، فمرت العجوز في بعض سكك المدينة فإذا الحسن بن علي عليه السلام على باب داره جالس ، فعرف العجوز وهي له منكرة ، فبعث غلامه فردّها فقال لها : يا أمة الله أتعرفيني ؟ قالت : لا ، قال : أنا ضيفك يوم كذا وكذا ، فقالت العجوز : بأبي أنت وأمي ، فأمر الحسن عليه السلام

فاشترى لها من شاة الصدقة ألف شاة ، وأمر لها بألف دينار ، وبعث بها مع غلامه إلى أخيه الحسين عليه السلام ، فقال : بكم وصلك أخي ، فقالت : بألف دينار وألف شاة فأمر لها الحسين عليه السلام بمثل ذلك ، ثم بعث بها مع غلامه إلى عبدالله بن جعفر ، فقال : بكم وصلك الحسن والحسين عليهما السلام ، فقالت : بألفي شاة وبألفي دينار ، فأمر لها عبدالله بألفي شاة وألفي دينار ، وقال : لو بدأت بي لأتعبتهما ، فرجعت العجوز إلى زوجها بأربعة آلاف شاة وأربعة آلاف دينار (١) .

قال : وروي عن ابن سيرين قال : تزوج الحسن عليه السلام امرأة فأرسل إليها بمائة جارية مع كل جارية ألف درهم .

ونقل عنه عليه السلام تمتع امرأتين بعشرين ألف درهم وذقاق من عسل .

قال : إشارة غريزة وعبرة وجيزة كل من علم أن الدنيا غرور والتمتع بها غرور ، وامساكها محذور ، ومن أغبرتها يحور ، فإنه يجود ببذلها ، ولا ترغب نفسه في وصلها ، وقد كان الحسن عليه السلام عارفاً بختلها ، عازفاً عن الركون إلى أهلها وكان كثيراً يتمثل ويقول :

يا أهل لذات دنيا لا بقاء لها إن اغترار بظّل زائل حمق
انتهى كلام ابن طلحة .

(١) أقول : قال علي بن عيسى رحمه الله في كشف الغمة : هذه القصة مشهورة وفي دواوين جودهم مسطورة وعنهم عليهم السلام مأثورة ، وكنت نقلتها على غير هذه الرواية ، وأنه كان منهم رجل من أهل المدينة وأنها أتت عبدالله بن جعفر ، فقال : ابدئي بسيدي الحسن والحسين عليهما السلام ، فأنت الحسن عليه السلام فأمر لها بمائة بعير وأعطاها الحسين عليه السلام ألف شاة ، فعادت إلى عبدالله فسألها فأخبرته فقال : كفاني سيدي أمر الإبل والشاة وأمر لها بمائة ألف درهم وقصدت المدني الذي كان معهم فقال لها : أنا لا اجازي أولئك الأجواد في يدي ولا أبلغ عشر عشرهم في النداء ولكن أعطيك شيئاً من دقيق وزبيب فأخذت وانصرفت (انتهى كلامه رفع مقامه) .

وفي البحار عن المناقب من سخائه عليه السلام ما روي أنه سئل الحسن بن علي عليهما السلام رجل فأعطاه خمسين ألف درهم وخمسمائة دينار ، وقال : انت بحمال يحمل لك فأتى بحمال فأعطى طيلسانه فقال : هذا كرى الحمال وجاءه بعض الأعراب فقال : أعطوه ما في الخزانة فوجد فيها عشرون ألف دينار ، فدفعها إلى الأعرابي فقال الأعرابي : يا مولاي ألا تركتني أبوح بحاجتي وأنشر مدحتي ، فأنشأ الحسن عليه السلام :

نحن أناس نوالنا خضل^(١) يرتع فيه الرجاء والأمل
تجود قبل السؤال أنفسنا خوفاً على ماء وجه من يسئل
لو علم البحر فضل نائلنا لغاض من بعد فيضه خجل

وفيه عنه أيضاً قال أنس : جئت جارية للحسن بن علي عليهما السلام بطاقة ريحان ، فقال لها : أنت حرة لوجه الله ، فقلت له في ذلك ، فقال : أدبنا الله تعالى فقال : وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها الآية ، وكان أحسن منها إعتاقها .

وللحسن بن علي عليهما السلام :

إن السخاء على العباد فريضة الله يقرأ في كتاب محكم
وعد العباد الأسخياء جنانه وأعد للبخلاء نار جهنم
من كان لا تدمى يده بنائل للراغبين فليس ذلك بمسلم

ومن همته عليه السلام أنه قديم الشام أي عند معاوية فأحضر بارنامجاً بحمل عظيم ، ووضع قبله ، ثم إن الحسن عليه السلام لما أراد الخروج خصف خادم نعله وأعطاه البارنامج ، وقدم معاوية المدينة وجلس في أول يوم بخير من يدخل عليه من خمسة آلاف إلى مائة ألف ، فدخل عليه الحسن بن علي عليهما السلام في آخر الناس ، فقال : أبطأت يا أبا

(١) والخضل في النضال الخطر والخطر المسبق .

محمد ، فلعلك أردت تبخلني عند قريش ، فانتظرت يفني ما عندنا يا غلام أعط الحسن عليه السلام مثل جميع ما أعطينا في يومنا هذا ، يا أبا محمد وأنا ابن هند ، فقال الحسن عليه السلام : لا حاجة لي فيها يا أبا عبد الرحمن ورددتها وأنا ابن فاطمة بنت محمد رسول الله (ص) .

وفيه عنه أيضاً عن المبرّد في الكامل قال مروان بن الحكم : إني مشغوف ببغلة الحسن بن علي عليه السلام ، فقال له ابن أبي عتيق : إن دفعتها إليك تقضي لي ثلاثين حاجة ، قال : نعم ، قال : إذا اجتمع القوم فلإني آخذ في مآثر قريش وأمسك عن مآثر الحسن عليه السلام ، فلمني على ذلك فلما حضر القوم أخذ في أولية قريش ، فقال مروان : أولاً تذكر أولية أبي محمد وله في هذا ما ليس لأحد ، قال : إنما كنا في ذكر الأشراف ولو كنا في ذكر الأنبياء لقد منا ذكره ، فلما خرج الحسن عليه السلام ليركب أتبعه ابن أبي عتيق فقال له الحسن عليه السلام : وتبسم : ألك الحاجة ؟ قال : نعم . ركوب البغلة ، فنزل الحسن عليه السلام ودفعها إليه ، إن الكريم إذا خادعته انخدعاً .

وفيه أيضاً عن كتاب العدد القوية للشيخ علي بن يوسف بن المطهر الحلبي قيل : وقف رجل على الحسن بن علي عليهما السلام فقال : يا بن أمير المؤمنين بالذي أنعم عليك بهذه النعمة التي ما تليها منه بشفيح منك إليه ، بل إنعاماً منه عليك إلا ما أنصفتني من خصمي فإنه غشوم ظلوم لا يوقر الشيخ الكبير ، ولا يرحم الصغير ، وكان متكئاً فاستوى جالساً ، فقال : من خصمك حتى أنتصف لك منه ، فقال له : الفقر فأطرق عليه السلام ساعة ثم رفع رأسه إلى خادمه وقال له : أحضر ما عندك من موجود ، فأحضر خمسة آلاف درهم ، فقال : إ دفعها إليه ، ثم قال له : بحق هذه الأقسام التي أقسمت بها علي متى أتاك خصمك جائراً إلا ما أتيتني منه متظلاً .

وروى الصدوق رحمه الله في الخصال عن أبيه رضي الله عنه قال :

حدَّثنا سعد بن عبدالله ، عن إبراهيم بن هاشم وسهل بن زياد الرّازي ، عن اسماعيل بن مرّار ، وعبد الحّيّار بن مبارك ، عن يونس بن عبدالرحمّن ، عمّن حدّثه من أصحابنا ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إنّ رجلاً مرّ بعثمان بن عفّان وهو قاعدٌ على باب المسجد فسأله فأمر له بخمسة دراهم ، فقال له الرّجل : أرشدني ، فقال له عثمان : دونك الفتية الذين نرى وأومئ بيده إلى ناحية من المسجد فيها الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر عليهم السلام ، فمضى الرّجل نحوهم حتّى سلّم عليهم وسألهم فقال له الحسن عليه السلام : يا هذا إنّ المسألة لا تحلّ إلّا في إحدى ثلاث : دم مفعج أو دين مقرح أو فقر مدقع ، ففي أيّها تسأل؟ فقال : في وجه واحدة من هذه الثلاث ، فأمر له الحسن عليه السلام بخمسين ديناراً ، وأمر له الحسين عليه السلام بتسعة وأربعين ديناراً ، وأمر له عبدالله بن جعفر بثمانية وأربعين ديناراً ، فانصرف الرّجل فمرّ بعثمان فقال له : ما صنعت ؟ فقال : مررت بك فسألتك فأمرت لي بما أمرت ولم تسألني فيما أسأل ، وأنا صاحب الوفرة لما سألته ، قال لي : يا هذا فيما تسأل ، فإنّ المسألة لا تحلّ إلّا في إحدى ثلاث ، فأخبرته بالوجه الذي أسأله من الثلاثة فأعطاني خمسين ديناراً وأعطاني الثاني تسعة وأربعين ديناراً ، وأعطاني الثالث ثمانية وأربعين ديناراً . فقال له عثمان : ومن لك بمثل هؤلاء الفتية أولئك فطموا العلم فطمأ وحاذوا الخير والحكمة .

قال الصدوق : ومعنى قوله فطموا العلم فطمأ أي قطعوه عن غيرهم قطعاً وجمعوه لأنفسهم جمعاً .

أقول : مناقب الحسن عليه السلام ومزاياه وصفات شرفه وسجاياه وما اجتمع فيه من الفضائل ، وخصّ به من المآثر ، التي فاق بها الأواخر والأوائل ، لا يقوم بإثباتها البنّان ، ولا ينهض بذكرها اللّسان ، لأنّه أرفع مكاناً ومحلاً ، وأوفى شرفاً ونيلاً ، وأزكى فرعاً وأعلى أصلاً من أن يقوم مثلي مع قصور يراعه وجمود طباعه ، بما يجب من عدّ مفاخره وتحديد مآثره ، ولكنّه عليه السلام من أهل بيت الكرم والجود ، وناشري رمة

السَّماح في الوجود ، فلذلك يقبل اليسير القليل ، ويجازي بالكثير الجزيل ، فلنختم هذا الفصل بنبذة من مناقبه ومن مناقب أخيه القليل ولنغقبها ببعض قصيدة من ذلك القبيل ، وإن كان اللازم ذكر قصيدة مقصورة على أوصافه العليا ، إلا أنا ما عثرنا الآن عليها فيما تتبعنا من كلمات البلغاء ، وقد عاقنا عن التتبع في هذه الأيام الاستعجال التام لتتيم المرام ، فإن عثرنا عليها بعد ذلك ألحقنا بالمقام .

في البحار عن بعض كتب المناقب القديمة ، عن ابن شاذان بإسناده ، عن زازان عن سلمسان قال : أتيت النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم عليه ثم دخلت على فاطمة ، فقالت : يا عبدالله هذان الحسن والحسين عليهما السلام جائعان يكيان فخذ بأيديهما فاخرج بهما إلي جدّهما ، فأخذت بأيديهما وحملتهما حتى أتيت بهما إلى النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم ، قال : ما لكما يا حسناي ؟ قالا : نشتهي طعاماً يا رسول الله ، فقال النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم : اللهم أطعهما ثلاثاً ، قال : فنظرت فإذا سفرجلة في يد رسول الله شبيهة بقلة من قلال هجر أشدّ بياضاً من الثلج ، وأحلى من العسل ، وألين من الزبد ، ففركتها بإبهامه فصيرها نصفين ، ثم دفع إلى الحسن نصفها وإلى الحسين نصفها ، فجعلت أنظر إلى النصفين في أيديهما وأنا أشتهيها ، قال : يا سلمان لعلك تشتهيها ؟ قلت : نعم . قال : يا سلمان هذا طعام من الجنة لا يأكله أحد حتى ينجو من الحساب .

وفيه أيضاً روى في المراسيل أنّ الحسن والحسين عليهما السلام كانا يكتبان ، فقال الحسن للحسين عليهما السلام : خطي أحسن من خطك ، وقال الحسين عليه السلام : لا بل خطي أحسن من خطك ، فقالا لفاطمة عليها السلام : احكمي بيننا فكرهت فاطمة أن تؤذي أحدهما ، فقالت لهما : سلا أباكما ، فسألاه فكره أن يؤذي أحدهما ، فقال : سلا جدّكما رسول الله ، فقال : لا أحكم بينكما حتى أسأل جبرئيل ، فلمّا جاء جبرئيل قال : لا أحكم بينكما ولكن إسرافيل يحكم

بينهما ، فقال إسرافيل : لا أحكم بينهما ولكن أسأل الله أن يحكم بينهما ، فسأل الله تعالى ذلك فقال تعالى : لا أحكم بينهما ولكن أمهما فاطمة تحكم بينهما ، فقالت فاطمة عليها السلام : احكم بينهما يا رب ، وكانت لها قلادة ، فقالت لهما : أنا أنثر بينكما جواهر هذه القلادة ، فمن أخذ منها أكثر فخطه أحسن ، فنثر بها وكان جبرئيل وقتئذٍ عند قائمة العرش فأمره الله تعالى أن يهبط إلى الأرض وينصف الجواهر بينهما كيلا يتأذى أحدهما ، ففعل ذلك جبرئيل إكراماً لهما وتعظيماً ، والله درّ ابن حماد حيث قال :

الله ما شهرت فينا يد البين	كم فرقت بين أحبائي ومن بيني
مالي وللبين لا أهلاً بطلعته	كم فرق البين قدماً بين الفين
كانا كغصنين في أصل غذائهما	ماء النعيم وفي التشبيه شكلين
كان روحيهما من حسن الفهما	روح وقد قسمت ما بين جسمين
لا عدل بينهما في حفظ عهدهما	ولا يزيلهما عذل العذولين
لا يطمع الذهر في تغيير ودهما	ولا يميلان من عهد إلى مين
حتى إذا بصرت عين النوى بهما	خلين في العيش من هم خليين
وما هما حسداً منه بداهية	فأصبحا بعد جمع الشمل ضدين
في الشرق هذا وذا في الغرب مغترب	مشردين على بعد شجيين
والذهر أحسد شيء للفريقين	يرمي وصالهما بالبعد والبين
لا تأمن الذهر إن الذهر ذو غير	وذو لسانين في الدنيا ووجهين
أخنى على عترة الهادي وشتهم	فما ترى جامعاً منهم بشخصين
كأنما الذهر آلى أن يبددهم كسائر	ذي عناد أو كذي دين
بعض بطيية مدفون وبعضهم	بكربلاء وبعض بالغريين
وأرض طوس وسامرا وقد ضمنت	بغداد بدرين حلاً وسط قبرين
يا سادتي ألن أنعي أساً ولمن	أبكي بجفنين من عيني قريحين
أبكي على الحسن المسموم مضطهداً	أم للحسين لقي بين الخميسين
أبكي عليه خضيب الشيب من دمه	معقر الخد مجزوز الوريدين

لا زلت أبكي دماً ينهل منسجماً
السَّيِّدِينَ الشَّرِيفِينَ الَّذِينَ هُمَا
الضَّارِعِينَ إِلَى اللَّهِ الْمُنِيبِينَ
الْعَالَمِينَ بِذِي الْعَرْشِ الْحَكِيمِينَ
الصَّابِرِينَ عَلَى الْبَلَاءِ الشُّكُورِينَ
السَّيِّدِينَ عَلَى الْخَلْقِ الْإِمَامِينَ
الْعَابِدِينَ التَّقِيَّينَ الزَّكِيَّينَ
الْحَجَّتَيْنِ عَلَى الْخَلْقِ الْأَمِيرِينَ
نُورِينَ كَانَا قَدِيمًا فِي الظَّلَامِ كَمَا
تَفَاحَتِي أَحْمَدُ الْهَادِي وَقَدْ جَعَلَا
صَلَّى إِلَهِهِ عَلَى رُوحَيْهِمَا وَسَقَى

لِلسَّيِّدِينَ الْقَتِيلِينَ الشَّهِيدِينَ
خَيْرَ الْوَرَى أَبَوَا مَجْدٍ وَجَدَّيْنِ
الْمُسْرِعِينَ إِلَى الْحَقِّ الشَّفِيعِينَ
الْعَادِلِينَ الْحَلِيمِينَ الرَّشِيدِينَ
الْمُعْرِضِينَ عَنِ الدُّنْيَا الْمُنِيبِينَ
الصَّادِقِينَ عَنِ اللَّهِ الْوَفِيِّينَ
الْمُؤْمِنِينَ الشَّجَاعِينَ الْجَرِيئِينَ
الطَّيِّبِينَ الطُّهُورِينَ الزَّكِيَّينَ
قَالَ النَّبِيُّ لِعَرْشِ اللَّهِ قَرطِينِ
لِفَاطِمَ وَعَلِيٍّ الطُّهْرَ نَسْلِينَ
قَبْرَيْهِمَا أَبَدًا نُورَ السَّمَاكِينِ

الفصل الخامس

في بيان سبب صلحه مع معاوية وكيفيته وما جرى بينهما قبل ذلك

إعلم أنه بعد ما ثبت بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة من عصمة الأئمة عليهم السلام ، وجلالتهم وأنهم القوامون بأمر الله العاملون بحكمه ، ولم يفعلوا شيئاً ولا يفعلون إلا بعهد من الله عز وجل وأمر منه ، ولا يتجاوزون وهم بأمره يعملون ، يجب التسليم والانقياد والإذعان بما صدر عنهم عليهم السلام ، وعدم السؤال عنه بلم وكيف على أنك قد عرفت سابقاً وستعرف أيضاً أن جملة من الأخبار المتضافرة والأحاديث المتواترة تدل على أن الله تعالى أنزل على النبي صلى الله عليه وآله صحيفة من السماء فيها أسماء الأئمة ، وتكاليفهم ، وأن كلاً منهم مكلف بتكليف فقد أطاعوا بأمر الله في ذلك ، فلا اعتراض ولا سؤال .

فمنها ما رواه ثقة الإسلام في الكافي بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله عز وجل أنزل على نبيه صلى الله عليه وآله كتاباً قبل

وفاته ، فقال : يا محمد هذه وصيتك إلى النجبة من أهلك ، قال : وما النجبة يا جبرئيل؟ فقال : علي بن أبي طالب عليه السلام وولده عليهم السلام ، وكان على الكتاب خواتيم من ذهب ، فدفعه النبي إلى أمير المؤمنين عليه السلام وأمره أن يفك خاتماً منه ، ويعمل بما فيه ، فكف أمير المؤمنين عليه السلام خاتماً ، وعمل بما فيه ، ثم دفعه إلى الحسن عليه السلام فكف خاتماً وعمل بما فيه ، ثم دفعه إلى الحسين عليه السلام فكف خاتماً فوجد فيه أن اخرج بقوم إلى الشهادة فلا شهادة لهم إلا معك ، واشتر^(١) نفسك لله عز وجل ففعل ، ثم دفعه إلى علي بن الحسين فكف خاتماً فوجد فيه أن اطرق واصمت والزم منزلك واعبد ربك حتى يأتبك اليقين ففعل ، ثم دفعه إلى ابنه محمد بن علي فكف خاتماً فوجد فيه حدث الناس وافتهم ولا تخافن إلا الله عز وجل فإنه لا سبيل لأحد عليك ففعل ، ثم دفعه إلى ابنه جعفر عليه السلام فكف خاتماً فوجد فيه فحدث الناس لله وافتهم وانشر علوم أهل نبيك وصدق آبائك الصالحين ولا تخافن إلا الله عز وجل وأنت في حرز وأمان ففعل ، ثم دفعه إلى ابنه موسى وكذلك موسى عليه السلام يدفعه إلى الذي بعده ثم كذلك إلى قيام المهدي صلى الله عليهم أجمعين .

ومنها ما رواه الصدوق في الأمالي بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام على نحو ما مر إلا أن فيها نوعاً من التغيير في اللفظ والتعبير .

وقد ذكر المفيد رحمه الله في الإرشاد أنه قال : لما بلغ معاوية بن أبي سفيان وفاة أمير المؤمنين وبيعة الناس إلى ابنه الحسن عليه السلام دس^(٢) رجلاً من حمير إلى الكوفة ورجل من بني القين إلى البصرة ليكتبا له الأخبار ويفسدا على الحسن الأمور ، فعرف ذلك الحسن عليه السلام

(١) شريت الشيء الشرية شرياً إذا بعته وإذا اشتريته أيضاً وهو من الاضداد (ص) .

(٢) الدسّ الاخفاء ودفن الشيء تحت الشيء .

فأمر باستخراج الحميري من عند لحام بالكوفة ، فأخرج وأمر بضرب عنقه ، وكتب إلى البصرة باستخراج القيني من بني سليم فأخرج وضرب عنقه ، وكتب الحسن عليه السلام إلى معاوية : أما بعد فإنك دسست الرجال للاحتيال والاغتيال^(١) وأرصدت^(٢) العيون كأنك تحب اللقاء ، وما أوشك ذلك فتوقعه إن شاء الله وبلغني أنك شمت^(٣) بما لا يشمت به ذوو الحجب وإنما مثلك في ذلك كما قال الأول :

فقل للذي يبغى خلاف الذي مضى تزود لأخرى مثلها فكان قضى
فانا ومن قد مات منالك الذي يروح فيمسي في المبيت ليغتذي

فأجابه معاوية عن كتابه بما لا حاجة لنا إلى ذكره ، وكان بين الحسن عليه السلام وبينه بعد ذلك مكاتبات ومراسلات واحتجاجات الخبر .

أقول : ومن جملة المكاتبات ما ذكره ابن أبي الحديد في شرح النهج قال : وكتب معاوية إلى الحسن عليه السلام أما بعد ، فإن الله يفعل في عباده ما يشاء لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب ، فاحذر أن تكون منيتك على أيدي رعاع من الناس وأيسر من أن تجد فينا غيرة وإن أنت أعرضت عما أنت فيه وبايعتني وفيت لك بما وعدت وأجريت لك ما شرطت ، وأكون في ذلك كما قال الشاعر :

في قيس بن ثعلبة :

وإن أحد أسدى إليك أمانة فأوف بها تدعى إذا مت وافيًا
ولا تحسد المولى إذا كان ذا غنى ولا تجفه إن كان في المال فانيًا

(١) الغيلة الاغتيال وقتله غيلة خدعته فذهب به إلى موضع فقتله (ص).

(٢) رصد رصيداً رقبه كترصد والمرصاد الطريق والمكان يرصد فيه العدو (ص).

(٣) الشماتة الفرح ببلية العدو (ص).

ثم الخلافة لك من بعدي ، فأنت أولى الناس بها والسلام .

فأجابه الحسن عليه السلام : أما بعد فقد وصل إليّ كتابك تذكر فيه ما ذكرت ، وتركت جوابك خشية البغي عليك ، وبالله أعوذ من ذلك ، فاتبع الحقّ تعلم أنّي من أهله وعليّ اثم أن أقول فاكذب والسلام .

فلما وصل كتاب الحسن عليه السلام إلى معاوية قرأه ثم كتب إلى عمّاله على النواحي بنسخة واحدة من عبدالله معاوية أمير المؤمنين إلى فلان بن فلان ، ومن قبله من المسلمين سلام عليكم فإنّي أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو .

أما بعد فالحمد لله الذي كفاكم مؤونة عدوكم وقتله خليفتم إن الله بلطفه وحسن صنعه أتاح لعلي بن أبي طالب عليه السلام رجلاً من عباده فاغتاله فقتله فترك أصحابه متفرقين مختلفين ، وقد جاءتنا كتب أشرفهم وقادتهم يلتمسون الأمان لأنفسهم وعشائيرهم فاقبلوا إليّ حين يأتيتكم كتابي هذا بجهدكم وجندكم وحسن عدتكم ، فقد أصبتم بحمد الله الثار وبلغتم الأمل وأهلك الله أهل البغي والعدوان والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، قال : فاجتمعت العساكر إلى معاوية فسار بها قاصداً إلى العراق - الخبر .

وفي العلل للصدوق رحمه الله : دسّ معاوية إلى عمرو بن حريث والأشعث بن القيس وإلى حجر بن الجرد^(١) وشبث بن ربعي دسيساً أفرد كلّ واحد منهم بعين من عيونهم ، إنك إن قتلت الحسن بن علي فلك مائتا ألف درهم وجند من أجناد الشام ، وبنت من بناتي ، فبلغ الحسن عليه السلام ذلك فاستلام^(٢) ولبس درعاً وكفرها ، وكان يحرز ولا يتقدم للصلاة بهم إلا كذلك ، فرماه أحدهم في الصلاة بسهم فلم يثبت فيه لما عليه من

(١) وفي نسخة أخرى : الحجر .

(٢) استلام الرجل إذا لبس اللامة وهي الدرع وكفرت الشيء أكفره بالكسر كفراً أي سترته .

الَّلَامَة ، قال ابن أبي الحديد : وبلغ الحسن عليه السلام خبره ومسيره نحوه وأنه قد بلغ جسر مسيج^(١) فتحرّك عند ذلك وبعث حجر بن عدي فأمر العمّال والنّاس بالتهيّء للمسير ، ونادى المنادي الصلاة جامعة ، فأقبل النّاس يَبْؤُونَ^(٢) ويجمعون . وقال الحسن عليه السلام : إذا رضيت جماعة النّاس فأعلمني وجاءه سعيد بن قيس الهمداني فقال له : اخرج فخرج الحسن عليه السلام وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه .

ثم قال : أمّا بعد فإنّ الله كتب الجهاد على خلقه وسّماه كرهاً ، ثم قال لأهل الجهاد من المؤمنين : اصبروا إنّ الله مع الصّابرين ، فلستم أيّها النّاس نائلون ما تحبون إلّا بالصّبر على ما تكرهون ، بلغني أنّ معاوية بلغه أنّنا كنا أزمعنا على المسير إليه فتحرّك لذلك اخرجوا رحمكم الله إلى معسكر بالنخيلة حتى ننظر وتنظرون نرى وترون ، قال : وإنّ في كلامه ليتخوّف خذلان النّاس له ، قال : فسكتوا فما تكلم منهم أحد ولا أجابه بحرف .

فلما رأى ذلك عدي بن حاتم قام فقال : أنا ابن حاتم ، سبحان الله ما أقبح هذا المقام لا تجيئون إمامكم وابن بنت نبيكم ، أين خطباء مصر الذين ألسنتهم كالمخاريف في الدّعة ، فإذا جدّ الجدّ راوغوا كالثعالب ، أمّا تخافون مقت الله ولاعتها وعارها ، ثم استقبل الحسن عليه السلام بوجهه فقال : أصاب الله بك المرأشد وجنبك المكاره ووفّقك لما يحمد ورده وصدره ، وقد سمعنا مقالتك وانتهينا إلى أمرك وسمعنا لك وأطعناك فيما قلت ، وما رأيت وهذا وجهي إلى معسكري ، فمن أحبّ أن يوافيني فليواف ، ثم مضى لوجهه ، فخرج من المسجد ودأبته بالباب فركبها ومضى إلى النخيلة ، وأمر غلامه أن يلحقه بما يصلحه ، وكان عدي بن حاتم أوّل النّاس عسكرياً .

(١) وفي نسخة أخرى : مقيح .

(٢) يَبْؤُونَ : قال له : بأبي أنت (منه) .

وقام قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري ومقل بن قيس الرياحي وزباد بن صعصعة^(١) التيمي فأنبؤوا الناس ولاموهم وحرّضوهم وكلموا الحسن عليه السلام بمثل كلام عدي بن حاتم في الإجابة والقبول .

فقال لهم الحسن عليه السلام : صدقتم رحمكم الله ما زلت أعرفكم بصدق النية والوفاء والقبول والمودة الصحيحة ، فجزاكم الله خيراً ، ثم نزل وخرج الناس فعمسكروا ونشطوا للخروج ، وخرج الحسن عليه السلام إلى المعسكر واستخلف على الكوفة المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب وأمره باستحثاث الناس واشخاص الناس إليه ، فجعل يستحثهم ويخرجهم حتى يلائم العسكر ، وسار الحسن عليه السلام في عسكر عظيم وعدة حسنة حتى نزل دير عبدالرحمن ، فأقام به ثلاثاً حتى اجتمع الناس - الخبر .

وفي رواية الراوندي في الخرائج عن حرث الهمداني قال : فركب عليه السلام وركب معه من أراد الخروج وتخلف عنه كثير ، فما وفوا بما قالوه وبما وعدوه وغرّوه كما غرّوا أمير المؤمنين عليه السلام من قبله ، فقام عليه السلام خطيباً وقال : غرّتموني كما غرّرتم من كان قبلي مع أي إمام تقاتلون بعدي مع الكافر الظالم الذي لا يؤمن بالله ولا برسوله قط ولا أظهر الإسلام هو وبني أمية إلا فرقاً من السيف ، ولو لم يبق لبني أمية إلا عجزاً درء لبغت دين الله عوجاً ، وهكذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثم وجه إليه قائداً في أربعة آلاف ، وكان من كنده ، وأمره أن يعسكر بالانبار ، ولا يحدث شيئاً حتى يأتيه أمره . فلما توجه إلى الانبار ونزل بها وعلم معاوية بذلك بعث إليه رسلاً وكتب إليه معهم إنك إن أقبلت إليّ أولئك بعض كور الشام والجزيرة غير منفسّ عليك ، وأرسل إليه بخمسمائة ألف درهم ، فقبض الكندي عدوّ الله المال وقلب على الحسن

(١) وفي نسخة أخرى : حصه .

عليه السلام وصار إلى معاوية في مائتي رجل من خاصته وأهل بيته ، فبلغ ذلك الحسن عليه السلام ، فقام خطيباً وقال : هذا الكندي توجه إلى معاوية وغدر بي وبكم وقد أخبرتكم مرة بعد مرة أنه لا وفاء لكم أنتم عبيد الدنيا وأنا موجه رجلاً آخر مكانه وإني أعلم أنه سيفعل بي وبكم ما فعل صاحبه ولا يراقب الله في ولا فيكم ، فبعث إليه رجلاً من مراد في أربعة آلاف وتقدم إليه بمشهد من الناس وتوكل عليه وأخبره أنه سيغدر كما غدر الكندي ، فحلف له بالآيمان التي لا تقوم لها الجبال أنه لا يفعل ، فقال الحسن عليه السلام : إنه سيغدر ، فلما توجه إلى الأنبار أرسل معاوية إليه رسلاً وكتب إليه بمثل ما كتب إلى صاحبه وبعث إليه بخمسمائة ألف درهم ومنه أي ولاية أحب من كور الشام والجزيرة ، فقلب على الحسن عليه السلام وأخذ طريقه إلى معاوية ولم يحفظ ما أخذ عليه من العهود ، وبلغ الحسن عليه السلام ما فعل المرادي ، فقام خطيباً فقال : قد أخبرتكم مرة بعد أخرى أنكم لا تفون الله بعهود وهذا صاحبكم المرادي غدر بي وبكم وصار إلى معاوية - الخبر .

قال ابن أبي الحديد : ثم دعى عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب فقال له : يا بن عمي إني باعك معك اثني عشر ألفاً من فرسان العرب وقوام المصر الرجل منهم يزيل الكتيبة ، فسر بهم وألن لهم جانبك وأبسط لهم وجهك ، وافرش لهم جناحك وادنهم من مجلسك ، فإنهم بقية ثقة أمير المؤمنين عليه السلام ، وسر بهم على شط الفرات حتى تقطع بهم الفرات ، حتى تصير بمسكن ، ثم امض حتى تستقبل بهم معاوية ، فإن أنت لقيته فاحبسه حتى آتيك ، فلإني على أثرك وشيكاً ، وليكن خبرك عندي كل يوم ، وشاور هذين يعني قيس وسعيد بن قيس ، وإذا لقيت معاوية فلا تقاتله حتى يقاتلك ، فإن فعل فقاتله ، وإن أصبت فقيس بن سعد على الناس ، وإن أصيب قيس بن سعد فسعيد بن قيس على الناس .

فسار عبدالله حتى انتهى إلى شينور وخرج إلى ساهي ، ثم لزم الفرات والفلوجة حتى أتى مسكن وأخذ الحسن عليه السلام على حمام

عمر حتى أتى دير كعب ، ثم بكر فنزل سابات دون القنطرة ، فلما أصبح نادى في الناس الصلاة جامعة فاجتمعوا فصعد المنبر فخطبهم فقال : الحمد لله كلما حمده حامد ، وأشهد أن لا إله إلا الله كلما شهد له شاهد ، وأشهد أن محمداً رسول الله أرسله بالحق واثمنه على الوحي صلى الله عليه وآله .

أما بعد فوالله إنني لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومنه ، وأنا أنصح خلقه لخلق ، وما أصبحت محتملاً على مسلم ضغينة ، ولا مريداً له بسوء ولا غائلة ، إلا وإن ما تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفرقة ، ألا وإني ناظر لكم خيراً من نظركم لأنفسكم ، فلا تخالفوا أمري ولا تردوا على رأيي غفر الله لي ولكم وأرشدني وإياكم لما فيه محبته ورضاه إن شاء الله .

ثم نزل قال : فنظر الناس بعضهم إلى بعض وقالوا : ما ترونه يريد بما قال : قالوا : نظنه والله يريد أن يصالح معاوية ويكل الأمر إليه ، كفر والله الرجل ، ثم شدوا على فسطاطه فانتهبوه حتى أخذوا مصلاه من تحته ، ثم شد عليه عبدالرحمن بن عبدالله بن جهمال الأزدي فنزع مطرفه عن عاتقه فبقي جالساً متقلداً سيفاً بغير رداء فدعا بفرسه فركبه وأحرق به طوائف من خاصته وشيعته ، ومنعوه منه من أرادوه وضعفوه لما تكلم ، فقال : ادعوا لي ربيعة وهمدان فدعوا له فأطافوا به ودفعوا الناس عنه عليه السلام ومعهم شوب من غيرهم ، فلما مر في مظلم سابات قام إليه رجل من بني أسد ثم من بني نصر بن قعين يقال له جراح بن سنان ويبيده معول ، فأخذ بلجام فرسه وقال : الله أكبر يا حسن أشرك أبوك ثم أشركت أنت وطعنه بالمعول فوقعت في فخذه ، فشقه حتى بلغت أربيته وسقط الحسن عليه السلام على الأرض بعد أن ضرب الذي طعنه بسيف كان بيده واعتنقه فخراً جميعاً إلى الأرض ، فوثب عبدالله بن الأخطل ونزل المعول من يد جراح بن سنان فحضره به وأكب ظبيان بن عمارة عليه فقطع أنفه وأخذ له الأجر فشدخا رأسه ووجهه حتى قتلوه ، وحمل الحسن

عليه السلام على سرير إلى المدائن وبها سعيد بن مسعود الثقفي والياً عليها من قبله ، وقد كان علي عليه السلام ولأه المدائن فأقره الحسن عليه السلام عليها فأقام عنده يعالج نفسه (١) .

وفي رواية الصدوق في العلل فقال المختار لعمه تعال حتى نأخذ الحسن عليه السلام ونسلمه إلى معاوية ، فيجعل لنا العراق ، فنذر بذلك الشيعة من قول المختار لعمه ، فهتموا بقتل المختار ، فتلطف عمه لمسألة الشيعة بالعفو عن المختار ، ففعلوا .

وفي رواية المفيد رحمه الله وكتب جماعة من رؤساء القبائل إلى معاوية بالسّمع والطاعة له في السر واستحثوه على المسير نحوهم وضمنوا له تسليم الحسن عليه السلام إليه عند دنوهم من عسكره أو الفتك به وبلغ الحسن عليه السلام ذلك .

قال ابن أبي الحديد : فأما معاوية فإنه وافى حتى نزل قرية يقال لها الجوبينية (٢) بمسكن ، وأقبل عبيد الله بن العباس حتى نزل بإزائه ، فلما كان من غد وجّه معاوية إلى عبيد الله أن الحسن قد أرسلني في الصلح وهو مسلم الأمر إليّ ، فإن دخلت في طاعتي الآن كنت متبوعاً وإلا دخلت وأنت تابع ، ولك إن أجبتني الآن أن أعطيك ألف ألف درهم أعجل لك

(١) قال السيد المرتضى في كتاب تنزيه الأنبياء : أوليس أحدهم حبس له في مظلم ساباط وطعنه بمعول كان معه أصاب فخذة وشقه حتى وصل العظم وانتزع من يده وحمل عليه السلام إلى المدائن وعليها سعد بن مسعود عم المختار وكان أمير المؤمنين عليه السلام ولأه إياه ، فادخل منزله فأشار المختار على عمه أن يوثقه ويسير به إلى معاوية على أن يطعمه خراج جوخي سنة فأبى عليه وقال للمختار : قبح الله رأيك وقد شرفني وهبني نسيت بلاء أبيه رسول الله (ص) ولا أحفظه سعد بن مسعود أنه بطبيب وقام عليه حتى برأ منه الخ .

(٢) وفي نسخة أخرى : الحيوضة .

في هذا الوقت نصفها ، وإذا دخلت الكوفة النصف الآخر ، فأقبل عبيدالله إليه ليلاً فدخل عسكر معاوية فوفى له بما وعده ، وأصبح الناس ينتظرون عبيدالله أن يخرج فيصلي بهم ، فلم يخرج حتى أصبحوا فطلبوه ، فلم يجدوه ، فصلّى بهم قيس بن سعد بن عبادة ، ثم خطبهم فثبّتهم وذكر عبيدالله فنال منه ، ثم أمرهم بالصبر والنهوض إلى العدو ، فأجابوه بالطاعة وقالوا له : انهض بنا إلى عدونا على اسم الله ، فنزل فنهض بهم وخارج إليه بشر بن أرطاة فصاحوا إلى أهل العراق ويحكم هذا أميركم عندنا قد بايع وإمامكم الحسن عليه السلام قد صالح ، فعلى مَن تقتلون أنفسكم ؟ فقال لهم قيس بن سعد : اختاروا إحدى اثنتين إمّا القتال مع غير إمام وإمّا أن تباعوا بيعة ضلال ، فقالوا : بل نقاتل بلا إمام فخرجوا فضربوا أهل الشام حتى ردّوهم إلى مصافهم ، فكتب معاوية إلى قيس بن سعد يدعوه ويمنيه فكتب إليه قيس لا والله لا تلقاني أبداً إلا بيني وبينك الرمح ، فكتب إليه معاوية حينئذٍ لما يشئ منه : أمّا بعد فإنك يهودي بن يهودي تشقى نفسك وتقتلها فيما ليس لك فإن ظهر أحبّ الفريقين إليك نبذك وعذلك وإن ظهر أبغضهم إليك نكل بك وقتلك ، وقد كان أبوك أوتر غير قوسه ورمى غير غرضه ، فأكثر الحين وأخطأ المنصل ، فقتله قومه وأدركه يومه فمات بحوران طريداً غريباً .

فكتب إليه قيس : أمّا بعد فإنما أنت وثن بن وثن دخلت في الإسلام كرهاً ، وأقمت فيه فرقاً ، وخرجت منه طوعاً ، ولم يجعل الله لك فيه نصيباً لم يقدم إسلامك ولم يحدث بفاقك ولم تزل حرباً لله ولرسوله وحزباً من أحزاب المشركين وعدواً لله ولنبيه وللمؤمنين من عباده ، وذكرت أبي فلعمري فما أوتر إلا قوسه ولا رمى إلا غرضه فشغب عليه من لا تشق غباره ، ولا يبلغ كعبه ، وزعمت أنني يهودي بن يهودي ، وقد علمت وعلم الناس أنني وأبي أعداء الذين الذي خرجت وأنصار الدين الذي دخلت فيه ، وصرت إليه والسلام .

فلما قرأ معاوية كتابه غاظه وأراد إجابته فقال له عمرو : مهلاً فإنك

إن كاتبته أجابك بأشد من هذا وإن تركته دخل فيما دخل فيه الناس فامسك عنه - الخبر .

وفي الخرائج بعد ذكر ما أوردنا منه آنفاً ، ثم كتب معاوية إلى الحسن عليه السلام : يا بن عم لا تقطع الرحم الذي بينك وبينى ، فإن الناس قد غدروا بك وبأبيك من قبلك ، فقالوا : إن خانك الرجال وغدروا بك فإننا مناصحون لك ، فقال لهم الحسن عليه السلام : لأعودن هذه المرأة فيما بينى وبينكم ، وإني لأعلم أنكم غادرون ما بينى وبينكم ، إن معسكري بالنخيلة فوافوني هناك ، والله لا تفون لي بعهدي ولتنقض الميثاق بينى وبينكم ، ثم إن الحسن عليه السلام أخذ طريق النخيلة فعسكر عشرة أيام ، فلم يحضره إلا أربعة آلاف ، فانصرف إلى الكوفة فصعد المنبر وقال : يا عجباً من قوم لا حياء لهم ولا دين ، ولو سلمت له الأمر فأيم الله لا ترون فرحاً أبداً مع بني أمية ، والله ليسومونكم سوء العذاب حتى تتمنوا أن عليكم جيشاً حبشياً ولو وجدت أعواناً ما سلمت له الأمر لأنه محرم على بني أمية فاف وترحاً يا عبيد الدنيا وكتب أكثر أهل الكوفة إلى معاوية ، فإننا معك ولو شئت أخذنا الحسن عليه السلام وبعثناه إليك - الخبر .

قال المفيد رحمه الله : فكتب إليه معاوية في الهدنة والصلح ، وأنفذ إليه بكتب أصحابه الذين ضمنوا له فيها الفتك به أو تسليمه إليه واشترط له على نفسه في إجابته إلى صلحه شروطاً كثيرة وعقد له عقوداً كان في الوفاء بها مصالح شاملة ، فلم يثق به الحسن عليه السلام وعلم احتياله بذلك واغتياله غير أنه لم يجد بداً من إجابته إلى ما التمس منه من ترك الحرب وانفاد الهدنة .

أقول : فلما يش الحسن عليه السلام من أصحابه ورأى مكاتبتهم وقرأها وأطلع على خذلان ابن عمه عبيد الله بن العباس وجمع آخرين إلى عسكر معاوية وغير ذلك مما وصفناه ، كتب من فوره إلى معاوية على ما

في العلل للصدوق رحمه الله : أما بعد فإن خطبي انتهى إلى الناس من حق أحييته وباطل أميته ، وخطبك خطب من إلى مراده وإنني أعتزل هذا الأمر وأخليه لك وإن كان تخليتي إياه شراً لك في معادك ولي شروط اشترطها لا يتهضنك إن وفيت لي بها بعهد ولا تخف إن غدرت ، وكتب الشرط في كتاب آخر فيه بيمينه بالوفاء وترك الغدر وستندم يا معاوية كما ندم غيرك ممن نهض في الباطل أو قعد عن الحق حين لم ينفع الندم والسلام .

وفي كشف الغمة وغيره والملفق أنه ثم أنفذ الحسن عليه السلام إلى معاوية عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ليأخذ عنه العهود والمواثيق ، ويكتب وثيقة المصالحة .

وهذا ما كتبه عليه السلام في كتاب الصلح الذي استقر بينه وبين معاوية حيث رأى حقن الدماء وإطفاء الفتنة : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما صالح عليه الحسن بن علي بن أبي طالب معاوية بن أبي سفيان صالحه على أن يسلم إليه ولاية أمر المسلمين على أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة رسوله (ص) ومسيرة الخلفاء الصالحين ، وليس لمعاوية بن أبي سفيان أن يعهد إلى أحد من بعده عهداً بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين ، وعلى أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله في شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم وعلى أن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم وعلى معاوية بن أبي سفيان بذلك عهد الله وميثاقه ، وما أخذ الله على أحد من خلقه بالوفاء وبما أعطى الله من نفسه ، وعلى أن لا ينبغي للحسن بن علي ولا لأخيه الحسين عليهما السلام ، ولا لأحد من أهل بيت رسول الله غائلة سرّاً ولا جهراً ، ولا يخيف أحداً منهم في أفق من الآفاق ، وأن يوصل إلى كل ذي حق حقه وأن يعطي للحسن عليه السلام في كل سنة من الخرائج خمسين ألف درهم واشترط عليه ترك سب أمير المؤمنين عليه السلام والعدول عن القنوت عليه في الصلاة وعلى شيعته ، والله ورسوله شاهدان على ذلك ،

فأجابه معاوية إلى ذلك كله وعاهد عليه وحلف له بالوفاء به وشهد بذلك عبدالله بن الحارث وعمرو بن أبي سلمة وعبدالله بن عامر بن كريز وعبدالرحمن أبي سرة وغيرهم .

قال : فلما سمع ذلك قيس بن سعد قال : أتأتي بأرض العال من أرض مسكن بأن إمام الحق أضحي مسالماً ، فما زلت مذبذبةً متلداً^(١) أراعي نجوماً خاشع القلب واجماً^(٢) .

قال المفيد : فلما استتمت الهدنة على ذلك سار معاوية حتى نزل بالنخيلة ، وكان ذلك اليوم يوم الجمعة ، فصلّى بالناس ضحى النهار فخطبهم فقال في خطبته : إني والله ما قاتلتكم لتصلّوا ولا لتصوموا ولا لتحجّوا ولا لتشركوا أنكم لتفعلون ذلك ، ولكني قاتلتكم لأنأمركم عليكم وقد أعطاني الله تعالى ذلك وأنتم لها كارهون ، ألا وإني كنت منيت الحسن عليه السلام وأعطيته أشياء وجميعها تحت قدمي لا أفي بشيء منها له ثم سار حتى دخل الكوفة فأقام بها أياماً .

وفي كشف الغمة ولما تمّ الصلح وانسحب الأمر التمس معاوية من الحسن عليه السلام أن يتكلم بمجمع من الناس ويعلمهم أنه قد بايع لمعاوية وسلّم الأمر إليه ، فأجابه إلى ذلك فخطب وقد حشد الناس خطبة حمد الله تعالى وصلى على نبيه صلى الله عليه وآله فيها .

وقال : إن أكيس الكيس التقي وأحمق الحمق الفجور ، وإنكم لو طلبتم ما بين جابلق وجابلس رجلاً جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله ما وجدتموه غيري ، وغير أخي الحسين عليه السلام ، وقد علمتم أن الله هداكم بجدي محمد صلى الله عليه وآله فأنقذكم به من الضلالة ،

(١) فلان يتلدد : أي يلتفت يميناً وشمالاً والرجل الذيبين اللدد وهو شديد الخصومة .

(٢) الواجم الذي اشتدّ حزنه وأمسك عن الكلام (بحار) .

ورفعكم به من الجهالة ، وأعزكم به بعد الذلة ، وكثركم به بعد القلة ، وإن معاوية نازعني حقاً هو لي دونه ، فنظرت لصلاح الأمة وقطع الفتنة ، وقد كنتم بايعتموني على أن تسالموا من سالمته وتحاربوا من حاربت ، فرأيت أن أسالم معاوية وأضع الحرب بيني وبينه ، وقد بايعته ورأيت أن حقن الدماء خير من سفكها ، ولم أرد بذلك إلا إصلاحكم وبقائكم ، وإن أدري لعلّه فتنة لكم ومتاع إلى حين .

قال المفيد رحمه الله : فلما استتمت البيعة له من أهلها صعد المنبر فخطب الناس وذكر أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال منه ونال من الحسن بن علي عليهما السلام ، وكان الحسن والحسين عليهما السلام حاضرين ، فقام الحسين عليه السلام ليردّ عليه فأخذ بيده الحسن عليه السلام فأجلسه ، ثم قام فقال : أيها الذّاكر عليّ أنا الحسن وأبي علي ، وأنت معاوية وأبوك صخر ، وأمي فاطمة وأمك هند ، وجدّي رسول الله وجدّك حرب ، وجدّتي خديجة وجدّتك نفيلة ، فلعن الله أحمِلنا ذكراً والأمنّا حسباً ، وشرّنا قدماً ، وأقدمنا كفرأ ونفاقاً . فقالت طائفة من أهل المسجد آمين آمين .

قلت : ويقول محمد باقر بن عبدالكريم الدهدشتي مؤلف هذا الكتاب آمين .

وفي البحار عن المناقب روى أنّه قال صلوات الله عليه : يا أهل العراق إنّما سخي^(١) عليكم بنفسي ثلاث قتلكم أبي وطعنكم إياي وانتهابكم متاعي . قال : ودخل الحسين عليه السلام على أخيه عليه السلام باكياً ، ثم خرج ضاحكاً ، فقال له مواليه : ما هذا؟ قال : العجب

(١) قوله عليه السلام : إنّما سخي عليكم أي جعلني سخيّاً في ترككم . قال الجوهري : سخيت نفسه عن الشيء إذا تركته .

من دخولي على إمام أريد أن أعلمه فقلت ماذا دعاك إلى تسليم الخلافة ، فقال : الذي دعا أباك فيما تقدم ، قال : فطلب لمعاوية البيعة من الحسين ، فقال الحسن : يا معاوية لا تكرهه فإنه لا يبايع أبداً أو يقتل ، ولن يقتل حتى يقتل أهل بيته ، ولن يقتل أهل بيته حتى يقتل أهل الشام .

قال : وقال المسيّب بن نجية الفزاري وسليمان بن صرد الخزاعي للحسن بن علي عليهما السلام : ما ينقضي تعجّبنا منك بايعة معاوية ومعك أربعون ألف مقاتل من الكوفة سوى أهل البصرة والحجاز ، فقال الحسن عليه السلام : قد كان ذلك فما ترى الآن ، فقال والله أرى أن ترجع لأنه نقض ، فقال : يا مسيّب إن الغدر لا خير فيه ، ولو أردت لما فعلت ، فقال حجر بن عدي : أما والله لوددت أنك متّ في ذلك اليوم ومتنا معك ولم نر هذا اليوم فلإننا رجعنا راغمين بما كرهنا ، ورجعوا مسرورين بما أحبّوا ، فلمّا خلا به الحسن عليه السلام قال : يا حجر قد سمعت كلامك في مجلس معاوية وليس كلّ إنسان يحبّ ما تحبّ ولا رأيته كرايك ، وإنّي لم أفعل ما فعلت إلّا إبقاء عليكم والله تعالى كلّ يوم هو في شأن وأنشأ لمّا اضطر إلى البيعة قال :

أجامل أقواماً حياء ولا قلوبهم تغلي على مرضاهم

وله عليه السلام :

لئن ساءني دهرأ عزمت تصبرأ وكلّ بلاء لا يدوم يسير
وإن سرّني لم أبتهج بسروره وكلّ سرور لا يدوم حقير

قال ابن أبي الحديد : قال أبو الفرج : فلمّا تمّ الصلح بين الحسن ومعاوية أرسل إلى قيس بن سعد يدعوه إلى البيعة ، فجاء وكان رجلاً طوالاً يركب الفرس المشرف ورجلاه تخطّان في الأرض ، وما في وجهه طاقة شعر وكان يسمّى خصي الأنصار ، فلمّا أرادوا إدخاله إليه قال : حلفت أن لا ألقاه إلّا وبينني وبينه الرمح أو السيف ، فأمر معاوية برمّح وسيف فوضعا بينه وبينه ليبرّ يمينه .

قال أبو الفرج : وقد روي أن الحسن عليه السلام لما صالح معاوية اعتزل قيس بن سعد في أربعة آلاف فارس ، وأبى أن يبايع ، فلما بايع الحسن عليه السلام ادخل قيس ليبايع ، فأقبل على الحسن عليه السلام فقال : أفي حل أنا من بيعتك؟ فقال : نعم . فألقى له كرسي وجلس معاوية على سرير والحسن عليه السلام معه ، فقال له معاوية : أتبايع يا قيس ؟ قال : نعم ، ووضع يده على فخذه ولم يمدّها إلى معاوية فجثا معاوية على سريره وأكبّ على قيس حتى مسح يده على يده وما دفع إليه قيس يده .

وقال أيضاً : قال أبو الفرج : ودخل معاوية الكوفة بعد فراغه من خطبته بالنخيلة بين يديه خالد بن عرفطة ومعه حبيب بن جَمَاز يحمل رايته ، فلما صار بالكوفة دخل المسجد من باب الفيل واجتمع الناس إليه .

فقال أبو الفرج : فحدثني أبو عبد الله الصيرفي وأحمد بن عبد الله بن عمار ، عن محمد بن علي بن خلف ، عن محمد بن عمرو الرازي ، عن مالك بن سعيد ، عن محمد بن عبد الله الليثي ، عن عطاء بن السائب ، عن أبيه ، قال : بينما علي بن أبي طالب عليه السلام على منبر الكوفة إذ دخل رجل فقال : يا أمير المؤمنين مات خالد بن عرفطة ، فقال : لا والله ما مات ولا يموت حتى يدخل من باب المسجد ، وأشار إلى باب الفيل ومعه راية ضلالة يحملها حبيب بن جَمَاز ، قال : فوثب إليه رجل ، فقال : يا أمير المؤمنين أنا حبيب بن جَمَاز وأنا لك شيعة ، قال : فإنه كما يقول ، قال : فوالله لقد قدم خالد بن عرفطة على مقدمة معاوية يحمل رايته حبيب بن جَمَاز .

قال أبو الفرج : وقال مالك بن سعيد وحدثني الأعمش بهذا الحديث ، قال : حدثني صاحب هذه الدار وأشار إلى دار السائب أبي عطا أنه سمع علياً عليه السلام يقول هذا (انتهى).

أقول : قد مضى كثير من الأخبار في ذلك في المقام السابع من أحوال أمير المؤمنين عليه السلام عند ذكر أخباره بالمغيبات .

وروى ابن أبي الحديد عن أبي الفرج الأصفهاني بسندين رفعهما إلى سفيان بن الليل قال : أتيت الحسن بن علي عليه السلام حين بايع معاوية فوجدته بفناء داره ، وعنده رهط ، فقلت : السلام عليك يا مذل المؤمنين ، قال : وعليك السلام يا سفيان ، فتزلت وعقلت راحلتي ثم أتيت وجلست إليه ، فقال : كيف قلت يا سفيان ، قال : قلت السلام عليك يا مذل المؤمنين ، فقال : لم جرى هذا منك إلينا قلت أنت والله بأبي وأمي أذلت رقابنا حيث أعطيت هذا الطاغية البيعة ، وسلمت الأمر إلى اللعين ابن آكلة الأكباد ، ومعك مائة ألف كلهم يموتون دونك ، فقد جمع الله عليك أمر الناس ، فقال : يا سفيان إنا أهل بيت إذا علمنا الحق تمسكنا به وإنني سمعت علياً عليه السلام يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : لا تذهب الليالي والآيام حتى يجتمع أمر هذه الأمة على رجل واسع السرة ، ضخم البلعوم ، يأكل ولا يشبع ، لا ينظر الله إليه ولا يموت حتى لا يكون له في السماء عاذر ، ولا في الأرض ناصر ، وإنه لمعاوية^(١) وإنني عرفت أنه بالغ أمره ، ثم أذن المؤذن وقمنا على حالب يحلب ناقته فتناول الإناء فشرب قائماً ثم سقاني وخرجنا نمشي إلى المسجد .

فقال : ما جاء بك يا سفيان؟ قلت : حبكم والذي بعث محمداً بالهدى ودين الحق قال : فأبشر يا سفيان فإنني سمعت علياً عليه السلام

(١) قال ابن أبي الحديد : فإن قلت قوله وإنه لمعاوية من الحديث المرفوع أو من كلام علي عليه السلام أم من كلام الحسن عليه السلام قلت الظاهر أنه من كلام الحسن عليه السلام فإنه قد غلب على ظنه أن معاوية صاحب هذه الصفات وإن كان القسم الأولان غير ممتنعين وإن قلت فمن هو إمام الحق من آل محمد قلت أما الإمامية فتزعم أنه صاحبهم الذي يعتقدون أنه الآن حي في الأرض وأما أصحابنا فيزعمون أنه فاطمي يخلقه الله في آخر الزمان شرح النهج منه رحمه الله .

يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : يرد على الحوض أهل بيتي ومن أحبهم من أمتي كهاتين يعني السبابة والوسطى إحداهما تفضل على الأخرى أبشر يا سفيان فإن الدنيا تسع البر والفاجر حتى يبعث الله إمام الحق من آل محمد عليهم السلام .

قال ابن أبي الحديد : قال المدائني : فلما كان عام الصلح أقام الحسن عليه السلام بالكوفة أياماً ، ثم تجهز للشخص إلى المدينة ، فدخل عليه المسيب بن نجية الفزاري وظيفان بن عمارة التيمي ليودعاه ، فقال الحسن عليه السلام الحمد لله الغالب على أمره ، لو أجمع الخلق جميعاً على أن لا يكون ما هو كائن ما استطاعوا ، فقال أخوه الحسين عليه السلام : لقد كنت كارهاً لما كان طيب النفس على سبيل أبي ما أبي حتى عزم عليّ أخي فاطعته وكأنما يجذّ أنفي بالمواسي ، فقال المسيب : إنه والله ما يكبر علينا هذا الأمر إلا أن تضاموا وتتقصوا فأما نحن فلإنهم سيطلبون مودتنا بكل ما قدروا عليه ، فقال الحسين عليه السلام : يا مسيب نحن نعلم أنك محبنا ، فقال الحسن عليه السلام : سمعت أبي يقول : سمعت رسول الله (ص) يقول : من أحبّ قوماً كان معهم ، فعرض له المسيب وظيفان بالرجوع ، فقال : ليس إلى ذلك سبيل ، فلما كان من غد خرج فلما صار بدير هند نظر إلى الكوفة وقال :

ولا عن قلى فارقت دار معاشري هم المانعون لحوزتي وذماري
ثم سار إلى المدينة .

وروى السيد المرتضى في كتاب تنزيه الأنبياء عن عباس بن هشام ، عن أبيه ، عن أبي مخنف ، عن أبي الكنود عبد الرحمن بن عبيدة قال : لما بايع الحسن عليه السلام معاوية أقبلت الشيعة تتلاقى بإظهار الأسف والحسرة على ترك القتال ، فخرجوا إليه بعد سنتين من يوم بايع معاوية ، فقال له سليمان بن صرد الخزاعي : ما ينقضي تعجبنا من بيعتك معاوية ومعك أربعون ألف مقاتل من أهل الكوفة ، كلهم يأخذ العطاء وهم على

أبواب منازلهم ومعهم مثلهم من أبنائهم وأتباعهم سوى شيعتك من أهل البصرة والحجاز . ثم لم تأخذ لنفسك ثقة في العقد ولا حظاً من العطية ، فلو كنت إذ فعلت ما فعلت أشهدت على معاوية وجسوه أهل المشرق والمغرب وكتبت عليه كتاباً بأن الأمر لك بعده ، كان الأمر علينا أيسر ، ولكنه أعطاك شيئاً بينك وبينه ، ثم لم يف به ، ثم لم يلبث أن قال على رؤوس الأشهاد إنني كنت شرطت شروطاً وعدت عداة ارادة لاطفاء نار الحرب ومدارة لقطع الفتنة . فلما أن جمع الله لنا الكلمة والألفة فإن ذلك تحت قدمي والله ما عني بذلك غيرك وما أراد إلا ما كان بينك وبينه ، وقد نقض فإذا شئت فأعد الحرب خدعة وائذن في تقديمي إلى الكوفة فأخرج عنها عامله وأظهر خلعه وتنبد إليه على سواء أن الله لا يحب الخائنين ، وتكلم الباقر بمثل كلام سليمان . فقال الحسن عليه السلام : أنتم شيعتنا وأهل مودتنا فلو كنت بالحزم في أمر الدنيا أعمل ولسلطانها أركض وأنصب ما كان معاوية بأبأس مني بأسأ ولا أشد شكيمة ولا أمضى عزيمة ، ولكني أرى غير ما رأيتم وما أردت بما فعلت إلا حقن الدماء فارضوا بقضاء الله وسلموا لأمره والزموا ببيوتكم وامسكوا ، وقال : كفوا أيديكم حتى يستريح برأ ويستراح من فاجر .

وروى الصدوق في العلل عن أبيه قال : حدثنا سعد بن عبدالله عن أحمد بن أبي عبدالله ، عن ابن فضال ، عن ثعلبة ، عن عمرو بن أبي نصر ، عن سدير ، قال : قال أبو جعفر عليه السلام ومعي ابني يا سدير اذكر لنا أمرك الذي أنت عليه فإن كان فيه إغراق كفناك عنه وإن كان مقصراً أرشدناك ، قال : فذهبت أن أتكلم فقال أبو جعفر عليه السلام : امسك حتى اكفيك أن العلم الذي وضع رسول الله صلى الله عليه وآله عند علي عليه السلام من عرفه كاف مؤمناً ومن جحدته كان كافراً ، ثم كان من بعده الحسن عليه السلام قلت : كيف يكون بتلك المنزلة وقد كان منه ما كان دفعها إلى معاوية ، فقال : اسكت فإنه أعلم بما صنع لولا ما صنع لكان أمر عظيم .

وفيه أيضاً بإسناده عن أبي سعيد عقيصاً قال : قلت للحسن بن علي عليه السلام يا بن رسول الله لم داهنت معاوية وضالحتة وقد علمت أن الحق لك دونه وأن معاوية ضال باغ ، فقال : يا أبا سعيد أأست حجة الله تعالى ذكره على خلقه وإماماً عليهم بعد أبي ، قلت : بلى . قال : أأست الذي قال رسول الله لي ولأخي الحسن والحسين إمامان قامة^(١) أو قعدا ؟ قلت : بلى . قال : فأننا إذا إمام لو قمنا وأنا إمام لو قعدت يا أبا سعيد علة مصالحتي لمعاوية علة مصالحة رسول الله لبيني ضمرة وبني أشجع ولأهل مكة حين أنصرف من الحديبية أولئك كفار بالتزليل ، ومعاوية وأصحابه كفار بالتأويل^(٢) ، يا أبا سعيد إذا كنت إماماً من قبل الله تعالى ذكره لم يجب أن يسفه^(٣) رأيي فيما أتيت من مهادنة أو محاربة ، وإن كان وجه الحكمة فيما أتيت ملتبساً ألا ترى الخضر عليه السلام لما خرق السفينة وقتل الغلام وأقام الجدار سخط موسى عليه السلام فعله لاشتباه وجه الحكمة عليه حتى أخبره فرضي هكذا أن أسخطكم علي بجهلكم لوجه الحكمة فيه ، ولولا ما أتيت لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أحد إلا قتل .

قال محمد بن عمر بن عبدالعزيز الكشي^(٣) في رجاله ذكر الفضل بن شاذان في بعض كتبه قال : إن الحسن عليه السلام لما قتل أبوه خرج في شوال من الكوفة إلى قتال معاوية ، فالتقوا بكسرك وحاربه ستة أشهر وكان الحسن عليه السلام جعل ابن عمه عبيد الله بن العباس على مقدمته فبعث إليه معاوية بمائة ألف درهم فمرّ بالراية ولحق بمعاوية وبقي العسكر بلا رئيس ولا قائد فقام قيس بن سعد بن عباد فخطب الناس وقال : أيها الناس لا يهولنكم ذهاب هذا لكذا وكذا ، فإن هذا وأباه لم

(١) أي قام الإمام وقعدا عنه للمصلحة ، منه رحمه الله .

(٢) السفه نقض في العقل وسفهه تسفيهاً نسبته إلى السفه (مص).

(٣) الكش قرية بجرجان بالفتح ويالضم ما يلحق به النخل والمشهور : الكشي بضم الكاف وقد يكسر الكاف نادراً والأصل الفتح لخفته منه .

يأتيا قط بخير وقام يأمر الناس ووثب أهل عسكر الحسن بالحسن عليه السلام في شهر ربيع الأول فانتهبوا فسطاطه وأخذوا متاعه وطعنه ابن بشر الأسدي في خاصرته فردّوه جريحاً إلى المدائن حتى تحصّن فيها عند عم المختار بن أبي عبيدة .

وروى الطبرسي في الاحتجاج عن زيد بن وهب الجمحي قال : لما طعن الحسن عليه السلام بالمدائن أتيته وهو متوجّع ، فقلت : ما ترى يا بن رسول الله فإن الناس متحيّرون ، فقال : أرى والله معاوية خير لي من هؤلاء يزعمون أنهم لي شيعة ابتغوا قتلي وانتهبوا ثقلي^(١) وأخذوا مالي والله لئن أخذ من معاوية عهداً أحقن به دمي وأمن به في أهلي خير من أن يقتلونني فيضيّع أهل بيتي وأهلي والله لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقي حتى يدفعوني إليه مسلماً فوالله لئن أسأله^(٢) وأنا عزيز خير من أن يقتلني وأنا أسيره ، أو يمنّ عليّ فيكون سبّة عليّ بنّي هاشم إلى آخر الدهر ومعاوية لا يزال يمنّ بها وعقبه على الحيّ منّا والميت . قال : قلت : تترك يا بن رسول الله شيعتك كالغنم ليس لها راع ، قال : وما أصنع يا أخا جهينة ، إني والله أعلم بأمر قد أدى به إليّ عن ثقاته أن أمير المؤمنين عليه السلام قال لي ذات يوم وقد رأيته فرحاً : يا حسن كيف بك إذا رأيت أباك قتيلاً أم كيف بك إذا وليّ هذا الأمر بنو أميّة وأميرها الرحب^(٣) البلعوم^(٤) الواسع الاعفاج^(٥) يأكل ولا يشبع ، يموت وليس له في السماء ناصر ولا في

-
- (١) الثقل محرّكة متاع المسافر وحشمه وكل شيء نفيس مصون ومنه الحديث اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي (ق) منه .
 (٢) السليم اللديغ أو الجريح الذي أشرف على الهلكة (ص) .
 (٣) رحب رحباً المتسع فهو رحب ورحب .
 (٤) البلعوم بالضم والبلعوم مجرى الطعام من الحلق (ص) .
 (٥) الاعفاج ما يصير إليه الطعام بعد المعدة وهو مثل المصارين صار الفيء دولة بينهم أي يتداولونه يكون مرّة لهذا ومرّة لهذا والجمع دولات ودول (ص) .

الأرض عاذر ، ثم يستولي على غربها وشرقها ، يدين له العباد ويطول ملكه ، يستنّ بسنن أهل البدع والضلال ، ويميت الحق وسنة رسول الله (ص) ، يقسم المال في أهل ولايته ويمنعه من هو أحقّ به ، ويذلّ في ملكه المؤمن ويقوّي في سلطانهم الفاسق ، ويجعل المال بين أنصاره دولاً ويتخذ عباد الله خولاً^(١) ، ويدرس^(٢) في سلطانه الحق ، ويظهر الباطل ويلعن الصالحين ، ويقتل من ناواه على الحق ويبيد من والاه على الباطل ، فكذلك حتى يبعث الله رجلاً في آخر الزمان وقلب^(٣) من الدّهر ، وجهل من الناس يؤيده الله بملائكة ويعصم أنصاره وينصره بآياته ، ويظهره على أهل الأرض حتى يدينوا له^(٤) طوعاً وكرهاً يملأ الأرض عدلاً وقسطاً ونوراً وبرهاناً يدين له عرض البلاد وطولها حتى لا يبقى كافر إلا آمن ولا طالع^(٥) إلا صلح وتصلح في ملكه السّباع^(٦) وتخرج الأرض نباتها وتنزل السّماء بركتها وتظهر له الكنوز ، يملك ما بين الخافقين^(٧) أربعين عاماً فطوبى لمن أدرك أيامه وسمع كلامه .

وفي البحار عن كتاب أعلام الدّين للدّيلمي قال : خطب الحسن بن علي عليهما السلام بعد وفاة أبيه ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما والله ما ثنانا عن قتال أهل الشام ذلّة ولا قلّة ، ولكن كنّا نقاتلهم بالسّلامة والصبر ، فشيب السّلامة بالعداوة والصبر بالجزع ، وكنتم متوجّهون معنا ،

(١) الخول بالتحريك الحشم أي الخدم (دستور) .

(٢) درس درساً ودَرساً : اندرس .

(٣) الكلب بالتحريك : الشدة .

(٤) دان له أي أطاع له ودنيت الرجل وكلته إلى دينه .

(٥) والطالع خلاف الصّالح .

(٦) الاعفاج من الناس ومن الحافر والسّباع كلها ما يصير الطعام إليه بعد المعدة وهو مثل المصارين .

(٧) الخافقان أفقا المشرق والمغرب (بحار) .

ودينكم أمام دنياكم ، وقد أصبحتم الآن ودنياكم أمام دينكم ، وكنا لكم
 وكنتم لنا ، وقد صرتم اليوم علينا ، ثم أصبحتم تصدّون قتيلين قتيلاً
 بصفين تبكون عليهم وقتيلاً بالنهروان تطلبون بشأركم ، فأما الباكي فخاذل
 وأما الطالب فثائر ، وإن معاوية قد دعى إلى أمر ليس فيه عز ولا نصفة فإن
 أردتم الحياة قبلناه منه وأغضضنا على القذى وإن أردتم الموت بذلناه في
 ذات الله وحاكمناه إلى الله فنادى القوم بأجمعهم بل التبعية والحياة .

قال عبد الحميد بن أبي الحديد : وروى المدائني عن إبراهيم بن
 محمد ، عن زيد بن أسلم قال : دخل رجل على الحسن عليهما السلام
 بالمدينة وفي يده صحيفة ، فقال له الرجل : ما هذه؟ قال : هذا كتاب
 معاوية يتوعد فيه على أمر كذا ، فقال الرجل : لقد كنت على النصف
 فما فعلت فقال له الحسن عليه السلام : أجل ولكنني خشيت أن تأتي يوم
 القيامة سبعون ألفاً وثمانون ألفاً تشخب أوداجهم دماً كلهم يستعدي الله فيم
 اهريق دمه .

قال أبو الحسن المدائني : وكان الحصين بن المنذر الرقاشي يقول :
 والله ما وفي معاوية للحسن عليه السلام بشيء مما أعطاه ، قتل حجراً
 وأصحاب حجر وبائع لابنه يزيد وسم الحسن عليه السلام .

أقول : اعلم أيّدك الله تعالى في الآخرة والأولى بعدما قرع سمعك
 من الأخبار الماضية الدالة على وجه الحكمة فيما فعله صلوات الله عليه
 من المداينة^(١) والمساهلة مع معاوية وتسليم الأمر إليه ، لا أظنك تحتاج إلى
 بسط الكلام في هذا المقام لأنهم عليهم السلام لا يفعلون شيئاً إلا بما
 وصل إليهم من الله العزيز العليم وهو يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

(١) والادهان التفاف وترك المناصحة والصدق والمداينة المساهلة .

الفصل السادس

فيما جرى بينه وبين معاوية وأصحابه من الاحتجاجات والمحاورات

روى الشيخ السعيد أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي أعلى الله درجته ومنزلته في كتاب الاحتجاج^(١) عن الشعبي وأبي مخنف ، ويزيد بن أبي حبيب المصري أنهم قالوا : لم يكن في الإسلام يوم في مشاجرة قوم اجتمعوا في محفل أكثر ضجيجاً ولا أعلى كلاماً ولا أشد مبالغة في قول من يوم اجتمع فيه عند معاوية بن أبي سفيان عمرو بن عثمان بن عفان وعمرو بن العاص وعتبة بن أبي سفيان والوليد بن عتبة بن أبي معيط والمغيرة بن شعبة وقد تواطشوا على أمر واحد ، فقال عمرو بن العاص لمعاوية : ألا تبعث إلى الحسن بن علي عليهما السلام فتحضره ، فقد أحيا سيرة أبيه وخفقت النعال خلفه أن أمر فاطمى وأن قال : فصّدق وهذان يرفعان منه إلى ما هو أعظم منهما ، فلو بعثت إليه فقصرنا به وبأبيه وسببناه وسببنا أباه ، وصغرنا بقدره وقدر أبيه ، وقعدنا لذلك حتى صدّق لك فيه ، فقال لهم معاوية : إني أخاف أن يقلدكم قلائد يبقى عليكم عارها حتى يدخلكم قبوركم والله ما رأيته قط إلا كرهت جنابه وهبت عتابه وإني إن بعثت إليه لأنصفته منكم ، قال عمرو بن العاص : أتخاف أن يتسامى باطله على حقنا ومرضه على صحتنا ، قال : لا . قال : فابعث إذا

(١) قد توهم بعض الأصحاب أن كتاب الاحتجاج تأليف الشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي صاحب تفسير مجمع البيان وهو غلط والعجب من المحقق الفاضل مولانا محمد أمين الاسترابادي أنه حكم بذلك في فوائد المدينة ولا وجه سوى المشاركة في النسبة إلى الطبري والحق الذي لا شك فيه أنه من تأليفات الشيخ أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي شيخ الشيخ محمد علي بن شهر آشوب .

إليه ، قال عتبة : هذا رأي لا أعرفه والله ما تستطيعوه أن تلقوه بأكثر ولا أعظم ممّا في أنفسكم عليه ولا يلقاكم بأعظم ممّا في نفسه عليكم وإنه لأهل بيت خصم جدل فبعثوا إلى الحسن عليه السلام فلما أتاه الرسول قال له : يدعوك معاوية ، قال : ومن عنده ، قال : الرسول عنده فلان وفلان وسُمي كلّاً منهم باسمه ، فقال الحسن عليه السلام : ما لهم اللّهم خروا عليهم السّقف من فوقهم وآتهم العذاب من حيث لا يشعرون ، ثم قال : يا جارية أبلغيني ثيابي .

ثم قال : اللّهم إنّي أدرك بك في نحورهم وأعوذ بك من شرورهم وأستعين بك عليهم فأكفنيهم بما شئت ، وأنّى شئت من حولك وقوتك يا أرحم الرّاحمين ، وقال للرسول : هذا كلام الفرج ، فلما أتى معاوية رحب به وحيّاه وصافحه فقال الحسن عليه السلام : إنّ الذي حيّيت به سلامة والمصافحة أمن ، فقال معاوية : أجل إنّ هؤلاء بعثوا إليك وعصوني ليقرّورك أنّ عثمان قتل مظلوماً ، وإنّ أباك قتله فاسمع منهم ، ثم أجبههم بمثل ما يكلّمونك ولا يمنعك مكاني من جوابهم . فقال الحسن عليه السلام : سبحان الله البيت بيتك والإذن فيه إليك والله لئن أجبتهم إلى ما أرادوا وإنّي لأستحي لك من الفحش ، ولئن كانوا غلبوك على ما تريد إنّي لأستحي لك من الضّعف فبأيّهما تقرّ وبأيّهما تعتذر أما إنّي لو علمت بمكانهم واجتماعهم لجئت بعدّتهم من بني هاشم مع أنّي مع وحدتي هم أوحش مني من جمعهم ، فإنّ الله عزّ وجلّ لوليّ اليوم وفيما بعد اليوم فليقولوا فاسمع ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم .

فتكلّم عمرو بن عثمان بن عفّان فقال : ما سمعت كالיום إن بقي من بني عبد المطلب على وجه الأرض من أحد بعد قتل الخليفة عثمان بن عفّان وكان ابن اختهم والفاضل في الإسلام منزلة والخاصّ برسول الله إثرة فبش كرامة الله حتى سفكوا اعتداء وطلباً للفتنة وحسداً ونفاة وطلب ما ليسوا بأهلين لذلك مع سوابقه ومنزله من الله ومن رسوله ومن الإسلام فيا ذلّاه أن يكون حسن وسائر بني عبد المطلب قتلة عثمان أحياء يمشون على

مناكب الأرض وعثمان مضرّج مع أنّ لنا فيكم تسعة عشر بقتلى بني أمية بيد.

ثم تكلم عمرو بن العاص فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أي ابن أبي تراب بعثنا إليك لنقرّرك أنّ أباك سمّ أبا بكر الصديق وأشرك في قتل عمر الفاروق وقتل عثمان ذو النورين مظلوماً وأدعى ما ليس له بحق ووقع فيه وذكر الفتنة وعيّره بشأنها ، ثم قال : إنكم يا بني عبد المطلب لم يكن الله ليعطيكم الملك فترتكبون فيه ما لا يحلّ لكم ، ثم أنت يا حسن تحدث نفسك بأنك كابن أمير المؤمنين وليس عندك عقل ذلك ولا رأيه فكيف وقد سلبته وتركت أحق في قريش وذلك لسوء عمل أبيك ، وإنما دعوناك لنسبك وأباك ، ثم أنت لا تستطيع أن يبعث علينا ولا أن تكذبنا به ، فإن كنت ترى أنّا كذبنك في شيء وتقولناه عليك بالباطل وأدعينا عليك خلاف الحق فتكلم والأفاعلم إنك وأباك من شرّ خلق الله ، أمّا أبوك فقد كفانا الله قتله وتفرد به ، وأمّا أنت فإنك في أيدينا نتخير فيك ، والله إن لو قتلناك ما كان في قتلك إثم عند الله ولا عيب عند الناس .

ثم تكلم عتبة بن أبي سفيان فكان أول ما ابتدأ به أن قال : يا حسن إنّ أباك كان شرّ قريش أقطعها لأرحامها وأسفكها لدمائها ، وإنك لمن قتلة عثمان ، وإن في الحق أن نقتلك به وأنّ عليك القود في كتاب الله عز وجل ، وإنّا قاتلوك به وأمّا أبوك فقد تفرد الله بقتله وكفانا أمره ، وأمّا رجائك الخلافة فلست فيها ولا في قدحة زندق ولا في رجحة ميزانك .

ثم تكلم الوليد بن عقبة بن أبي معيط بنحو من كلام أصحابه ، وقال : يا معاشر بني هاشم كنتم أول من رب بعيب عثمان وجمع الناس عليه حتى قتلتموه حرصاً على الملك وقطيعة للرحم واستهلاك الأمة وسفك دمائها حرصاً على الملك وطلباً للدنيا الخسيسة وجباً لها ، وكان عثمان خالكم فنعم الخال كان لكم ، وكان صهركم فكان نعم الصهر لكم ، قد كنتم أول من حسده وطعن عليه ، ثم توليتم قتله فكيف رأيتم صنع الله بكم .

ثم تكلم المغيرة بن شعبه فكان كلامه وقوله كله وقوعاً في علي عليه السلام ، ثم قال : يا حسن إن عثمان قتل مظلوماً فلم يكن لأبيك في ذلك عذر بريء ولا اعتذار مذهب غير أنا يا حسن قد ظننا لأبيك أنه في جملة قتلة عثمان وإيوائه لهم وذبه^(١) عنهم أنه بقتله راض وكان والله طویل السيف واللسان يقتل الحي ويعيب الميت ، وبنو أمية خير لبني هاشم من بني هاشم لبني أمية ومعاوية خير لك يا حسن منك لمعاوية ، وقد كان أبوك ناصب رسول الله صلى الله عليه وآله في حياته وأجلب^(٢) عليه قبل موته وأراد قتله فعلم ذلك من أمره رسول الله صلى الله عليه وآله ثم كره أن يبيع أبا بكر حتى أتى به قوداً ، ثم دسّ عليه فسقاه سمّاً فقتله ، ثم نازع عمر حتى همّ أن يضرب رقبته فعمل في قتله ، طم طعن في عثمان حتى قتله كل هؤلاء قد شرك في دمهم فأني منزلة له من الله يا حسن وقد جعل الله السلطان لولي المقتول في كتابه المنزل لمعاوية ولي المقتول بغير حق فكان من الحق لو قتلناك وأخاك والله ما دم علي بأحسن من دم عثمان وما كان الله ليجمع فيكم يا بني عبد المطلب الملك والنبوة ثم سكت .

ثم تكلم أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام فقال : الحمد لله الذي هدى أولكم بأولنا وآخركم بآخرنا وصلى الله على جدّي محمد النبي وآله والسّلام ، اسمعوا مني مقالتي واعيروني فهمكم وبك أبدأ يا معاوية ، ثم قال لمعاوية : إنه لعمر الله يا أزرق ما شتمني غيرك ، وما هؤلاء شتموني ولا سبني غيرك وما هؤلاء سبوني ، ولكن شتمني فسبّنتي فحشا منك وسوء رأي وبغياً وعدواناً وحسداً علينا وعداوة لمحمد صلى الله عليه وآله قديماً وحديثاً ، وإنه والله لو كنت أنا وهؤلاء يا أزرق متشاورين^(٣) في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وحولنا

(١) ذب من باب نصر طرد ومنع (دستور).

(٢) وأجلب على فرسه يجلب جلباً إذا صاح به من خلفه وأجلب عليه مثله (ص).

(٣) شور به فعل فعلاً تسخر منه شورت الرجل فتشور أي أخجل فخجل (ص).

المهاجرون والأنصار ما قدرُوا أن يتكلّموا بما تكلّموا به ولا استقبلوني بما استقبلوني به ، فاسمعوا مِنّي أيّها الملأُ المجتمعونُ المعاونون عليّ ولا تكتُموا حقاً علمتموه ولا تصدّقوا بباطلٍ إن نطقت به وسأبدأ بك يا معاوية شتمتموه صلّي مع رسول الله القبلتين كليهما وأنت تتراهما جميعاً ضلالة تعبد اللات والعزى وباع البيعتين كليهما بيعة الرضوان وبيعة الفتح وأنت يا معاوية بالأولى كافر وبالأخرى ناكث .

ثم قال : أنشدكم بالله هل تعلمون أنّ ما أقول حقاً أنّه لقيكم مع رسول الله صلّي الله عليه وآله يوم بدر ومعه راية النبي والمؤمنين ومعك يا معاوية راية المشركين وأنت تعبد اللات والعزى وترى حرب رسول الله والمؤمنين فرضاً واجباً ولقيكم يوم أحد ومعه راية النبي ومعك يا معاوية راية المشركين وتعبد اللات والعزى ، وترى حرب رسول الله صلّي الله عليه وآله والمؤمنين فرضاً واجباً ، ولقيكم يوم الأحزاب ومعه راية النبي صلّي الله عليه وآله ومعك يا معاوية راية المشركين كلّ ذلك يفلح^(١) الله حجّته ويحقّ دعوته ويصدّق أحوثه^(٢) وينصر رايته وكلّ ذلك رسول الله يرى عنه راضياً في المواطن كلّها عليك ساخطاً .

ثم أنشدكم بالله هل تعلمون أنّ رسول الله صلّي الله عليه وآله حاصر بني قريظة^(٤) وبني النضير، ثم بعث عمر بن الخطاب ومعه راية المهاجرين

(١) في حديث الدّعا أنشدكم دم المظلوم هو بفتح الهمزة وضم الشين متعدداً إلى مفعولين أو مضمناً أي اطلب منك وأسألك بحقك أن تأخذ بدم المظلوم يعني الحسين بن علي عليهما السلام وتنقم من قاتله ومن الذين استسوا أساس الجور والظلم عليه وعلى أهل بيته (مجمع) .

(٢) فلح من باب نصر ظفر (دستور) .

(٣) الاحدوثة ما يتحدث به (ق) .

(٤) قريظة كجهنية قبيلة من يهود خيبر ، والنضير حي منه .

وسعد بن معاذ ومعه راية الأنصار ، فأما سعد بن معاذ فجرح وحمل جريحاً ، وأما عمر فرجع هارباً وهو يجبن ويحب أصحابه ويحب الله وأصحابه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحب الله ورسوله كرار غير فرار ، ثم لا يرجع حتى يفتح الله على يده فتعرض لها أبو بكر وعمر وغيرهما من المهاجرين والأنصار وعلي يومئذ أرمد شديد الرمد فدعاه رسول الله فتفل في عينه فبرأ من رمده ، فأعطاه الراية ، فقال بعضهم :

وقال سأعطي الراية اليوم إلى صارماً كمياً محباً للرسول مؤاخياً
وكان علي أرمد العين يبتغي دواء فلما أن يحسن مداوياً
شفاه رسول الله منه متفلاً فبورك مرقى وبورك واقياً

فمضى ولم يش حتى فتح الله عليه بمنه وطوله وأنت يومئذ بمكة عدو الله ورسوله ، فهل يستوي بين رجل نصح الله ولرسوله ورجل عادى الله ورسوله ، ثم أقسم بالله ما أسلم قلبك بعد ولكن اللسان خائف فهو يتكلم بما ليس في القلب . أنشدكم بالله أتعلمون أن رسول الله استخلفه على المدينة في غزاة تبوك ولا سخط في ذلك ولا كرهه وتكلم به المنافقون فقال : لا تخلفني يا رسول الله فإنني لم أتخلف عنك في غزوة قط ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ أنت وصيبي وخليفتي في أهلي ، أنت مني بمنزلة هارون من موسى ، ثم أخذ بيد علي عليه السلام فقال : أيها الناس من تولاني فقد تولي الله ومن تولي علياً فقد تولاني ومن أطاعني فقد أطاع الله ومن أطاع علياً فقد أحبني الله ومن أحب علياً فقد أحبني .

ثم قال : أنشدكم بالله أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال في حجة الوداع : أيها الناس إنني قد تركت فيكم ما لم تضلوا بعده أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي فأحلوا حلاله وحرموا حرامه ، واعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه ، وقولوا : آمنا بما أنزل الله من الكتاب وأحبوا

أهل بيتي وعترتي أهل بيتي والوا من والاهم وانصروهم على من عاداهم ،
وإنهما لا يزالا فيكم حتى يردا علي الحوض يوم القيامة . ثم دعا وهو
على المنبر علياً فاجتذبه فأخذ بيده وقال : اللهم وال من والاه وعاد من
عاداه ، اللهم من عادى علياً فلا تجعل له في الأرض مقعداً ولا في السماء
مصعداً واجعله في أسفل درك من النار .

أنشدكم بالله أتعلمون أن رسول الله قال له : أنت يا علي الذائد^(١)
عن حوضي يوم القيامة يزود عنه كما يزود أحدكم الغربية من وسط ابله .

أنشدكم بالله أتعلمون أنه دخل على رسول الله في مرضه الذي توفي
فيه فبكى رسول الله فقال علي عليه السلام ما يبكيك يا رسول الله ،
فقال : يبكي أني أعلم أن لك في قلوب رجال من امتي ضغائن لا
يبدونها لك حتى أتولى عنك .

أنشدكم بالله أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله حين حضرته
الوفاة فاجتمع إليه أهل بيته قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي وعترتي اللهم وال
من والاهم وانصروهم على من عاداهم وقال : إنما مثل أهل بيتي فيكم
كمثل سفينة نوح من دخل فيها نجي ومن تخلف عنها غرق .

أنشدكم بالله أتعلمون أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله قد
سلموا عليه بالولاية في عهد رسول الله (ص) وحياته .

أنشدكم بالله أتعلمون أن علياً أول من حرم الشهوات كلها من
أصحاب رسول الله على نفسه فأنزل الله عز وجل : ﴿ يا أيها الذين آمنوا
لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين
وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون ﴾ . وكان
عنده علم المنايا وعلم القضايا وفصل الخطاب ورسوخ العلم ومنزل

(١) الذود المنع (ص) .

القرآن ، وكان في رهط لا يعلمهم^(١) ينمون عشرة نباهم الله أنهم مؤمنون وأنتم في رهط قريب من عدة أولئك لعنوا على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله فأشهد لكم وأشهد عليكم أنكم لعناء الله على لسان نبيه صلى الله عليه وآله كلكم .

أنشدكم بالله هل تعلمون أن رسول الله (ص) بعث إليك لتكتب له لبني خزيمة حين أصابهم خالد بن الوليد فأنصرف إليه الرسول فقال : هو يأكل فأعاد الرسول إليك ثلاث مرات كل ذلك ينصرف الرسول إليه ويقول هو يأكل ، فقال رسول الله (ص) : اللهم لا تشبع بطنه فهي والله في نهمتك^(٢) وأكلك إلى يوم القيامة .

ثم قال : أنشدكم بالله هل تعلمون أن ما أقول حقاً أنك يا معاوية كنت تسوق بأبيك على جمل أحمر ويقود أخوك هذا القاعد وهذا يوم الأحزاب فلعن رسول الله القائد والراكب والسائق فكان أبوك الراكب وأنت يا أزرق السائق وأخوك هذا القاعد القائد .

ثم قال : أنشدكم بالله هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله لعن أبا سفيان في سبعة مواطن أولهن حين خرج من مكة إلى المدينة وأبو سفيان جاء من الشام فوقع فيه أبو سفيان فنبشه وأوعده وهم أن يبطش به ثم صرفه الله عز وجل عنه .

والثانية يوم العير حيث طردها أبو سفيان ليحرزها من رسول الله صلى الله عليه وآله .

(١) قوله عليه السلام : لا يعلمهم ينمون عشرة قوله ينمون من نما ينمو أي زاد في محل النصب على أنه مفعول ثان لقوله لا يعلمهم أي لا يعلم أمير المؤمنين زيادة الرهط على عشرة بل تحقق عنده أنهم عشرة .

(٢) أنهم محركة والنهامة كسحابة افراط الشهوة بالطعام وان لا يمتلأ عن الأكل ولا يشبع (ق) .

والثالثة يوم أحد يوم قال رسول الله (ص) : الله مولانا ولا مولى لكم ، وقال أبو سفيان : لنا العزى ولا عزى لكم ، فلعن الله وملائكة ورسله والمؤمنون أجمعون .

والرابعة : يوم حنين يوم جاء أبو سفيان يجمع قريش وهوازن وجاء عينيه بغطفان^(١) واليهود فردّهم بغیظهم لم ينالوا خيراً ، هذا قول الله عز وجل أنزله في سورتين في كليهما يسمي أبا سفيان وأصحابه كفّار وأنت يا معاوية يومئذ مشرك على رأي أبيك بمكة وعلي عليه السلام يومئذ مع رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى رأيه ودينه .

والخامسة : قول الله عز وجل : ﴿ والهدي معكوفاً أن يبلغ محله ﴾ وصددت أنت وأبوك ومشركوا قريش رسول الله (ص) فلعنة الله لعنة شملته وذريته إلى يوم القيامة .

والسادسة : يوم الأحزاب جاء أبا سفيان بجمع قريش وجاء عيينة بن حصين بن بدر بغطفان فلعن رسول الله صلى الله عليه وآله القادة والأتباع والساقة إلى يوم القيامة ، فقل : يا رسول الله ألا في الأتباع مؤمن ؟ قال : لا تصيب اللعنة مؤمناً من الأتباع وأما القادة فليس فيهم مؤمن ولا مجيب ولا ناج .

والسابعة : يوم الثنية^(٢) يوم شدّ على رسول الله اثنا عشر رجلاً سبعة منهم من بني أمية وخمسة من سائر قريش ، فلعن الله تبارك وتعالى ورسول الله صلى الله عليه وآله من حل الثنية غير النبي (ص) وسائقه وقائده .

ثم أنشدكم بالله هل تعلمون أن أبا سفيان دخل على عثمان حين بويع في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : يا بن أخي هل علينا

(١) غطفان محرّكة حيّ من قيس (ق) .

(٢) الثنية العقبة أو طريقها أو الجبل أو الطريق فيه وإليه (ق) .

من عين ؟ فقال : لا . فقال أبا سفيان : تداولوا الخلافة فتيان بني أمية
فوالذي نفس أبي سفيان بيده ما من جنة ولا نار .

وأنشدكم بالله أتعلمون أن أبا سفيان أخذ بيد الحسين عليه السلام
حين بويح عثمان وقال : يا بن أخي اخرج معي إلى بقيع الغرقد^(١) فخرج
حتى إذا توسط القبور اجتريه فصاح بأعلى صوته يا أهل القبور الذي كنتم
تقاتلوننا عليه صار بأيدينا وأنتم رميم ، فقال الحسين بن علي عليهما
السلام : قبح الله شيتك وقبح وجهك ، ثم نثر يده وتركه فلولا النعمان بن
بشير أخذ بيده وردّه إلى المدينة لهلك .

فهذا لك يا معاوية فهل تستطيع أن تردّ علينا شيئاً ومن لعنتك يا
معاوية أن أباك أبا سفيان كان يهّم أن يسلم فبعثت إليه بشعر معروف
ومروي في قريش عندهم تنهاه عن الإسلام ونصده .

ومنها أن عمر بن الخطاب ولّاك الشام فخنت به وولّاك عثمان
فتربّصت به ريب^(٢) المنون ثم أعظم من ذلك جرأتك على الله ورسوله
أنك قاتلت عليّاً وقد عرفت موضعه وسوابقه وفضله وعلمه على أمر هو
أولى به منك ومن غيرك عند الله وعند الناس ولا دنية^(٣) له بل أوطأت
الناس عشوة^(٤) ، وأرقت دماء خلق من خلق الله بخدعك وكيدك

(١) العين الجاسوس والغرقد شجر عظام وهي العوسج اذا عظم ، واحده غرقده وبها سموا
بقيع الغرقد مقبرة المدينة لساكنها السلام لأنه كان منبتها (ق) .

(٢) الريب صرف الدهر والمنون الدهر والموت (ق) .

(٣) قوله ولا دنية بل أوطأت الناس عشوة ان كان من الدني الناقص بمعنى القريب أي لا
قراية لك ولا قرب عند الله وعند الناس بل أوطأت الناس عشوة أو أمراً على غير بيان
بل تليسياً ومكراً وخدعة ، فخدعت الناس وإن كان من الدني المهموز بمعنى الدون
فمعناه لا دنية له أي لا نقص لعلي عليه السلام وله عند الله جاء عظيم وعند الرسول
(ص) قدر حميم وأنت الدني الدون الناقص الذي أوطأت الناس عشوة (شرح) .

(٤) العشوة ان يركب أمراً على غير بيان يقال أوطأتني عشوة وعشوة أي أمراً ملتبساً .

وتمويهك ، فعل من لا يؤمن بالمعاد ولا يخشى العقاب ، فلمّا بلغ الكتاب أجله صرت إلى شرّ مثوى وعليّ إلى خير منقلب والله لك بالمرصاد ، فهذا لك يا معاوية خاصّة وما أمسكت عنه من مساوئك وعيوبك وقد كرهت به التطويل .

وأما أنت يا عمرو بن عثمان فلم تكن حقيقاً لحملك أن تتبع هذه الأمور ، فإنما مثلك مثل البعوضة إذ قالت للنحلة استمسكي فإني أريد أن أنزل عنك ، فقالت لها النحلة : ما شعرت بسقوعك فكيف يشق عليّ نزولك ، والله ما شعرت أنك تحسّ أن تعادي لي فيشق عليّ ذلك ، وإني لمجيبك في الذي قلت : إنّ سبّك عليّ عليه السلام أينقص في حسيبه أو يباعده من رسول الله أو بسوء بلاء في الإسلام أو بجور في حكم أو رغبة في الدنيا ، فإن قلت واحدة منها فقد كذبت وأما قولك إنّ لكم فينا تسعة عشر دماً بقتلى مشركي بني أمية بذر فإن الله ورسوله قتلهم ولعمري ليقتلن من بني هاشم تسعة عشر وثلاثة بعد تسعة عشر ثم يقتل تسعة عشر وتسعة عشر في موطن واحد سوى ما قتل بني أمية لا يحصى عددهم إلا الله إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال : إذا بلغ ولد الوزغ^(١) ثلاثين رجلاً أخذوا مال الله بينهم دولاً وعباده خولاً وكتابه دغلاً^(٢) فإذا بلغوا ثلاثمائة وعشراً حقّت اللعنة عليهم ولهم ، فإذا بلغوا أربعمائة وخمسة وسبعين كان هلاكهم أسرع من لوك ثمرة ، فأقبل الحكم بن أبي العاص وهو في ذلك الذكر والكلّام فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله اخفضوا أصواتكم فإنّ الوزغ يسمع ، وذلك حين رآهم رسول الله ومن يملك بعده منهم أمر هذه

(١) الوزغة محرّكة سام ابرص سمّيت بها لخفتها وسرعة حركتها ، قال في حديث اشتراط الساعة إذا كان المغنم دولاً جمع دولة بالضمّ وهو ما يتداول من المال فيكون يقوم دون قوم (نهاية) .

(٢) اتخذوا دين الله دغلاً أي يخدعون الناس وأصل الدغل التشجير الملتفّ الذي يمكن أهل الفساد فيه وقيل هو من قولهم ادغلت في هذا الأمر أي ادخلت فيه ما يخالفه ويفسده (نهاية) .

الامة يعني في المنام يتزودون ويشبون على منبره نزواً إلى القردة ، فساءه ذلك وشق عليه فأنزل الله عز وجل في كتابه : ﴿وما جعلنا الرؤية التي أريناك إلا فتنه للناس﴾ والشجرة الملعونة في القرآن يعني بني امية ، وأنزل أيضاً ليلة القدر خير من ألف شهر ، فأشهد لكم وأشهد عليكم ما سلطانكم بعد قتل علي إلا ألف شهر التي أجلها الله عز وجل في كتابه .

وأما أنت يا عمرو بن العاص الشامي اللعين الأبر ، فإنما أنت كلب أول أمرك أن أمك بغية ، وأنت ولدت على فراش مشرك ، فتحاكمت فيك رجال قريش منهم أبو سفيان بن حرب والوليد بن مغيرة وعثمان بن الحارث والنضر بن الحارث بن كلفة ، والعاص بن وائل كلهم يزعم أنك ابنه ، فغلبهم عليك من بين قريش الأهم حسباً وأخبتهم منصباً وأعظمهم بغية ، ثم قمت خطيباً وقلت : أنا شاميء محمد وقال العاص بن وائل إن محمداً رجل أبر لا ولد له ، فلو قد مات انقطع ذكره ، فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿إن شانتك هو الأبر﴾ وكانت أمك تمشي إلى عبد قيس تطلب البغية تأتيهم في دورهم وفي رجالهم وبطون أوديتهم ، ثم كنت في كل مشهد يشهده رسول الله صلى الله عليه وآله من عدوه هم أشد له عداوة وأشد لهم له تكديماً ، ثم كنت وأصحاب السفينة الذين أتوا النجاشي^(١) والمهاجرة الخارجين إلى الحبشة في الأشاطة بدم جعفر بن أبي طالب وسائر المهاجرين إلى النجاشي فحاق المكر السيء بك وجعل جدك الأسفل وأبطل امنيتك وخيب سعيك وأكذب أحوثك وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا ، قولك في عثمان فأنت يا قليل الحياء والذين الهبت عليه ناراً ثم هربت إلى فلسطين تتربص به الدوائر ، فلما أتاك خبر قتله حبست نفسك على معاوية فبعته دينك يا خبيث بدنيا غيرك ولسنا نلومك على بغضنا ولا نعاتبك على حبنا وأنت عدو لبني هاشم في الجاهلية والإسلام ، وقد هجوت رسول الله صلى الله عليه وآله بسبعين بيت

(١) النجاشي ملك الحبشة بتخفيف الياء سماعاً من الثقات وهو اختيار الفارابي .

من شعر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله اللهم إني لا أحسن الشعر ولا ينبغي لي أن أقوله فالعن عمرو بن العاص بكل بيت ألف لعنة .

ثم أنت يا عمرو المؤثر دنيا غيرك على دينك أهديت إلى النجاشي الهدايا ورحلت إليه رحلتك الثانية ولم تنهك الأولى عن الثانية ، كل ذلك ترجع مغلولاً حسيراً تريد بذلك هلاك جعفر وأصحابه ، فلما أخطأك ما رجوت وأملت أحلت على صاحبك عمارة بن الوليد ، وأما أنت يا وليد بن عقبة فوالله ما ألومك أن تبغض علياً وقد جلدك في الخمر ثمانين جلدة ، وقتل أباك صبراً بيده يوم بدر أم كيف تسبّه وقد سمّاه الله مؤمناً في عشرة آيات من القرآن وسمّاه فاسقاً وهو قول الله عز وجل : ﴿ أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون ﴾ ، وقوله : ﴿ أن جئناكم فاسق نبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾ وما أنت وذكر قریش وإنما أنت ابن علع من أهل صفورية اسمه ذكوان .

وأما زعمك أننا قتلنا عثمان فوالله ما استطاع طلحة والزبير وعائشة أن يقولوا ذلك لعلي بن أبي طالب عليه السلام فكيف تقوله أنت؟ ولو سألت أمك من أبوك إذ تركت ذكوان فالصقتك بعقبة بن أبي معيط اكتسبت بذلك عند نفسها سناء ورفعة مع ما أعد الله لك ولأبيك ولأمك من العار والخزي في الدنيا والآخرة وما الله بظلام للعبيد .

ثم أنت يا وليد والله أبعد في الميلاد ممن تدعى إليه فكيف تسبّ علياً ولو اشتغلت بنفسك لتبث نسبك إلى أبيك لا إلى من تدعى له ولقد قالت لك أمك يا بني أبوك والله ألام وأخبت من عقبة .

وأما أنت يا عتبة بن أبي سفيان فوالله ما أنت بخصيف ، فأجاويك ولا عاقل فأعاتبك ، وما عندك خير يرجى ولا شر يخشى ، وما كنت ولو سببت علياً عليه السلام لأعير به عليك ، لأنك عندي لست بكفول عبد عبد علي بن أبي طالب عليه السلام فأردّ عليك أو أعاتبك ولكن الله عز وجل لك ولأبيك ولأمك وأخيك لبالمرصاد وأنت ذرية آبائك الذين ذكرهم الله

تعالى في القرآن فقال : ﴿ عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية تسقى من عين
آنية ﴾ إلى قوله ﴿ من جوع ﴾ .

وأما وعيدك ليّاي بقتلي فهلاً قتلت الذي وجدته على فراشك مع
حليتك وقد غلبك على فرجها وشركك في ولدها حتى ألصق بك ولداً
ليس لك ويل لك لو شغلت نفسك بطلب ثارك منه كنت جديراً وبذلك
حرّياً اتسومني القتل وتوعدني به ولا ألومك ان تسبّ علياً وقد قتل أخاك
مبارزة واشترك هو وحمزة بن عبد المطلب في قتل جدك حتى أصلاهما الله
على أيديهما نار جهنم وأذاقهما العذاب الأليم ، ونفي عمك بأمر رسول
الله صلّى الله عليه وآله .

وأما رجائي الخلافة فلعممر الله إن رجوتها فإن لي فيها لملتماً وما
أنت بنظير أخيك ولا بخليفة أبيك لأن أخاك أكثر تمرّداً على الله وأشدّ طلباً
لإهراقه دماء المسلمين وطلب ما ليس له بأهل يخادع الناس ويمكرهم
ويمكر الله والله خير الماكرين .

وأما قولك : إنّ علياً شرّ قريش لقريش فوالله ما حقر مرحوماً ولا قتل
مظلوماً .

وأما أنت يا مغيرة بن شعبه فإنك لله عدوّ ولكتابه نابذ ولنبيّه مكذب
وأنت الزّاني وقد وجب عليك الرّجم وشهد عليك العدول البررة الأتقياء ،
فأخّر رجمك ودفع الحقّ بالباطل والصدق بالأغاليط ، وذلك لما أعدّ الله
لك من العذاب الأليم والخزي في الحياة الدنيا والآخرة ، ولعذاب الآخرة
أخزى وأنت ضربت فاطمة بنت رسول الله (ص) حتى أدमितها وألقت ما في
بطنها استدلالاً منك لرسول الله ومخالفة منك لأمره وانتهاكاً لحرمته ، وقد
قال لها رسول الله (ص) : أنت سيّدة نساء أهل الجنّة والله مصيرك إلى
النّار ، وجاعل وبال ما نطقت به عليك فبأيّ الثلاثة سببت علياً انقصا في
نسبه أم بعداً من رسول الله صلّى الله عليه وآله أم سوء بلاء في الإسلام ،
أم جوراً في حكم أم رغبة في الدنيا إن قلت بها فقد كذبت وكذبتك الناس

أتزعم أنَّ علياً قتل عثمان مظلوماً ، فعلي والله أتقى وأنقى من لائمة في ذلك ولعمري إن كان علي قتل عثمان مظلوماً فوالله ما أنت في ذلك من شيء فما نصرته حياً ولا تعصبت له ميتاً ، وما زالت الطائف دارك تتبع البغايا وتحيي أمر الجاهلية وتميت الإسلام حتى كان في الأمس ما كان .

وأما اعتراضك في بني هاشم وبني أمية فهو ادّعاؤك إلى معاوية .

وأما قولك في شأن الإمارة وقول أصحابك في الملك الذي ملكتموه فقد ملك فرعون مصرأً أربعمئة سنة وموسى وهارون نبيان مرسلان عليهما السلام يلقيان ما يلقيان وهو ملك الله يعطيه البر والفاجر ، وقال الله عز وجل : ﴿ وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين ﴾ ، وقال : ﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها^(١) ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً ﴾ .

ثم قام عليه السلام فنفض ثيابه^(٢) وهو يقول : الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات هم والله يا معاوية أنت وأصحابك هؤلاء وشيعتك والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرؤون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم هم علي بن أبي طالب وأصحابه وشيعته . ثم خرج وهو يقول : ذق وبال ما كسبت يداك وما جنيت وما قد أعد الله لك ولهم من الخزي في الحياة الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة .

فقال معاوية لأصحابه : وأنتم فذوقوا وبال ما جنيتم ، قال : فقال له الوليد بن عقبة : والله ما ذقنا إلا كما ذقت ولا اجتراً إلا عليك ، فقال معاوية : ألم أقل لكم إنكم لن تتقصوا من الرجل فهلاً أطمعنوني أول مرة وانتصرتهم من الرجل إذ فضحكم والله ما قام حتى أظلم علي البيت وهممت أن أسطويه^(٣) فليس فيكم خير اليوم ولا بعد اليوم .

(١) المترف كمكرم المتروك يصنع ما يشاء (ق) . مترفيها أي منعميها (كنن) .

(٢) نفض الثوب والشجر أنفضه نفضاً إذا حرّكه (ص) .

(٣) السطو : القهر والبطش .

قال : وسمع مروان بن الحكم بما لقي معاوية وأصحابه المذكورون من الحسن بن علي عليه السلام فأتاهم فوجدهم عند معاوية في البيت فسألهم ما الذي بلغني عن الحسن عليه السلام وزعله ، قالوا : قد كان كذلك ، فقال لهم مروان : أفلا أحضرتهموني على ذلك ، فوالله لاسبئنه ولاسبئ أباه وأهل البيت سباً يتغنى به الاماء والعبيد .

فقال معاوية والقوم لم يفتك شيء وهم يعلمون من مروان بذء^(١) لسان وفحش فقال مروان فأرسل إليه يا معاوية فأرسل معاوية إلى الحسن بن علي عليه السلام ، فلما جاءه الرسول قال له الحسن عليه السلام : ما يريد هذا الطاغية مني والله لئن أعاد الكلام لأوقرن مسامعه ما يبقى عليه عاره وشناره إلى يوم القيامة ، فأقبل الحسن عليه السلام فلما أن جائهم وجدهم بالمجلس على حالتهم التي تركهم فيها غير أن مروان قد حضر معهم في هذا الوقت فمشى الحسن عليه السلام حتى جلس على السرير مع معاوية وعمرو بن العاص .

ثم قال الحسن عليه السلام لمعاوية : لم أرسلت إليّ ؟ قال : لست أنا أرسلت إليك ولكن مروان الذي أرسل إليك ، فقال مروان : يا حسن أنت السبّاب رجال قريش ، قال : وما الذي أردت ؟ فقال مروان : والله لأسبئتك وأباك وأهل بيتك وذريتك ومن خرج من صلب أبيك سباً تتغنى به الاماء والعبيد ، فقال الحسن عليه السلام : أما أنت ينا مروان فلست أنا سببتك ولا سببت أباك ولكن الله عز وجل لعنك ولعن أباك وأهل بيتك وذريتك وما خرج من صلب أبيك إلى يوم القيامة على لسان نبيّه محمد صلّى الله عليه وآله . والله يا مروان لا تنكر أنت ولا أحد ممن حضر هذه اللعنة من رسول الله صلّى الله عليه وآله لك ولأبيك من قبلك وما زادك الله

(١) بذئه كمنعه رأى منه حالاً كرهها واحترقه ورمها وكبدع الرجل الفاحش فيه البذاء من الجفاء ، والبذاء بالمدّ الفحش في القول ، وفلان بذيء اللسان بقول منه (نهاية) .

يا مروان بما خَوَّفَكَ إِلَّا طَغْيَاناً كبيراً وصدق الله وصدق رسوله ، يقول الله تبارك وتعالى والشَّجَرَةُ الملعونة في القرآن ونخوْفُهُم فما يزيدهم إِلَّا طَغْيَاناً كبيراً وأنت يا مروان وذَرِيَّتِكَ الشَّجَرَةُ الملعونة في القرآن وذلك عن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله عن جبرئيل عن الله (ص) ، فوثب معاوية فوضع يده على فم الحسن عليه السلام وقال : يا أبا محمد ما كنت فحاشاً ، فنفض الحسن عليه السلام ثوبه وقام وخرج ، فتفرَّق القوم عن المجلس بغیظ وحزن وسواد الوجه .

قال علي بن عيسى الأربلي في كشف الغمّة قال الشعبي كان معاوية كالجمال الطَّيِّب^(١) قال يوماً والحسن عليه السلام عنده أنا ابن بحرهما جوداً وأكرمهما جدوداً ، وأنضرهما عوداً ، فقال الحسن عليه السلام : افعلني تفتخر أنا ابن عروة الثرى^(٢) ، أنا ابن سيّد الأنبياء ، أنا ابن سيّد أهل الدنيا ، أنا ابن من رضاه رضا الرّحمن وسخطه سخط الرّحمن ، هل لك يا معاوية من قديم تباهي أبواب تفاخرنني به قل لا أو نعم أيّ ذلك شئت ، فإن قلت نعم أبيت وإن قلت لا عرفت فقال معاوية : أقول لا تصديقاً لك ، فقال الحسن عليه السلام :

الحق ابلج ما تحيل سبيله^(٣) والحق يعرفه ذوو الألباب

(١) قال الهروي في الغريبين في حديث الشعبي ووصف معاوية كان كالجمال الطيب يعني الحاذق بالضراب وفلان طبّ بكذا أي حاذق به وقيل الطب من الإبل الذي لا يضع إلا حيث يبصر . وقال أبو بكر : الطبّ الشجر والمداوي قاله علي بن عيسى في كشف الغمة .

(٢) أقول : قال المجلسي في البحار : رأيت في بعض الكتب أنّ عروة الثرى إبراهيم لكثرة ولده في البداية ولعله عليه السلام عرض بكون معاوية ولد زنا ليس من ولد إبراهيم .

(٣) قوله : ما تحيل سبيله أي ما تغير . قال الفيروز ابادي : حال يحيل حولاً تغير . وفي كشف الغمة تخيل بالخاء المعجمة على صيغة الخطاب ونصب السبيل أي لا يمكنك أن توقع في الخيال غيره .

وفي الاحتجاج(*) مفاخرة الحسن بن علي عليهما السلام على معاوية ومروان بن الحكم والمغيرة بن شعبة والوليد بن عقبة وعتبة بن أبي سفيان :

قيل : وفد الحسن بن علي عليه السلام على معاوية فحضر مجلسه وإذا عنده هؤلاء ففخر كل واحد منهم على بني هاشم وضعوا منهم وذكروا أشياء ساءت الحسن بن علي عليهما السلام ، وبلغت منه فقال الحسن بن علي عليهما السلام : أنا شعبة من خير الشعب ، آبائي أكرم العرب ، لنا الفخر والنسب والسماحة عند الحسب من خير شجرة أنبتت فروعاً نامية ، وأثماراً زاكية ، وأبداناً قائمة ، منها أصل الإسلام ، وعلم النبوة ، فعلونا حين شمع بنا الفخر ، واستطلنا حين امتنع بنا العز بحور زاخرة^(١) لا تنزف وجبال شامخة^(٢) لا تقهر ، فقال مروان : مدحت نفسك وشمعت بأنفك هيهات يا حسن نحن والله الملوك السادة ، والأعزة القادة ، لا تبجحن^(٣) فليس لك عز مثل عزنا ، ولا فخر كفخرنا ، ثم أنشأ يقول :

شفيننا^(٤) أنفسنا طابت وقورا^(٥) فنالت عزها فيمن يلينا
فابنا بالغنيمة حين ابنا وابنا بالملوك مقرّنينا

ثم تكلم المغيرة بن شعبة فقال : نصحت لأبيك فلم يقبل النصيح ولولا كراهة قطع القرابة لكنت في جملة أهل الشام ، فكان يعلم أبوك أنني

(*) الاحتجاج ص ٢٨٠ .

(١) قال الجوهري : زخر الوادي إذا امتدّ وارتفع : يقال : بحر زاخر .

(٢) قال الجوهري : الجبال الشوامخ هي الشوامخ وشمخ الرجل بأنفه تكبر (انتهى) .

(٣) البجح بتقديم الجيم على الحاء الفرح ويحجته تبجيحاً فتبجح أي أفرحته وفرح .

(٤) شفى شفاء من باب ضرب .

(٥) وقوراً الوقار الحلم والرزانة وقد قر الرجل يقر وقاراً وقره فهو وقور (ص) .

أصدر^(١) السوراد من مناهلها^(٢) بزعة^(٣) قيس وحلم ثقيف^(٤) وتجاربها
للأمور على القبائل .

فتكلم الحسن عليه السلام فقال : يا مروان أجبننا^(٥) وخوراً^(٦) وضعفاً
وعجزاً أتزعم أنني مدحت نفسي وأنا ابن رسول الله ، وشمخت بأنفي وأنا
سيد شباب أهل الجنة ، وإنما يتبجح ويتكبر ويلك من يريد رفع نفسه ،
ويتبذخ^(٧) من يريد الاستطالة ، فأما نحن فاهل بيت الرحمة ومعدن
الكرامة ، وموضع الخيرة وكثر الإيمان ، ورمح الإسلام وسيف الدين ، ألا
تصمت ثكلتك أمك قبل أن أرميك بالقوائل^(٨) واسمك بميسم^(٩) تستغني
به عن اسمك ، فأما إيابك^(١٠) بالنهاب^(١١) والملك أفي اليوم الذي ولّيت فيه
مهزوماً^(١٢) لهوائل^(١٣) وانحجرت^(١٤) مذعوراً^(١٥) فكانت غنيمتك هزيمتك

- (١) أصدرته فصدر أي رجعته فرجع (ص).
- (٢) المنهل . المشرب والموضع الذي فيه المشرب .
- (٣) الزعارة بتشديد الزاء ولا يصرف منه فعل والزعرور الشيء الخلق (ص).
- (٤) ثقيف أبو قبيلة من هوازن .
- (٥) قوله : أجبننا أي أتزعم أنني أقول هذا جبناً .
- (٦) الخور بالتحريك الضعف .
- (٧) البلخ محرّكة الكبر وبذخ كفرح (ق).
- (٨) قوله القوائل يمكن أن يكون بالغين المعجمة لا بالقاف فمعناه الدواهي .
- (٩) الميسم المكواة (ق).
- (١٠) الإياب : الرجوع .
- (١١) والنهب الغنيمة والجمع النهاب بالكسر إشارة الى قوله وأتيا بالغنيمة .
- (١٢) هزم من باب ضرب هزماً وهزيمة فر .
- (١٣) الهوائل الفزعات .
- (١٤) والانحجاز الامتناع .
- (١٥) الذعر بالضم الخوف ذعر فلان فهو مذعور (ق).

وغدرك بطلحة حين غدرت به ، فقتلته فنجا لك ما أغلظ جلدة وجهك ،
 فنكس مروان رأسه وبقي المغيرة مبهوتاً ، فالتفت إليه الحسن عليه السلام
 فقال : أعور^(١) ثقيف ما أنت من قریش فافأخرك أجهلتني يا ويحك وأنا
 ابن خيرة الإماء ، وسيدة النساء ، غداً رسول الله بعلم الله تبارك وتعالى ،
 فعلمنا تأويل القرآن ، ومشكلات الأحكام ، لنا العزة الغلبا^(٢) والكلمة
 العليا ، والفخر والسنا ، وأنت من قوم لم يثبت لهم في الجاهلية نسب ولا
 لهم في الإسلام نصيب ، عبد أبى ، ماله والافتخار عند مصادمة الليث ،
 ومجاحشة^(٣) الأقران ، نحن السادة ونحن المذاويد^(٤) القادة نحمل
 الذمار وننفي عن ساحتنا العار ، وأنا ابن نجيبات الأبيكار ، ثم أشرت
 وزعمت إلى وصي خير الأنبياء ، وكان هو بعجزك أبصر وبجورك أعلم ،
 وكنت للرد عليك منه أهلاً لو عزك في صدرك ، وبدو الغدر في عينيك
 هيهات لم يكن ليتخذ المضللين عضداً ، وزعمت لو أنك كنت بصفين
 بزعارة^(٥) قيس وحلم ثقيف فيما ذا ثكلتك أمك أبعجزك عند المقامات
 وبفراك عند المجاحشات ، أما والله لو التفتت عليك من أمير المؤمنين
 الأشاجع^(٦) لعلمت أنه لا يمنعه منك الموانع ، ولقامت عليك المرينات^(٧)

(١) رجل أعور بين العور والجمع عوران وقولهم بدل أعور مثل يضرب للمذموم الخلف
 بعد الرجل المذموم (ص).

(٢) الغلبا الحديقة المتكاشفة كالمغلولة والهضاب المشرقة العظيمة ومن القبائل العزيزة
 المنبئة (ق).

(٣) المجاحشة : المدافعة .

(٤) الذائد الحامي الدافع والمزداد مبالغة فيه .

(٥) الزعر بالفتح والتحريك الضغن والحقن وبدو الغدر ظهوره .

(٦) الأشاجع أصول الأصابع التي تتصل بالعصب ظاهر الكف والثقات الأشاجع كناية
 عن التمكن والاقتدار منه .

(٧) والمرينات البواكي الصائحات عند المصيبة .

الهوالع^(١) وأما زعارة قيس فما أنت وقيس إنما أنت عبد أبى فثقف، فسَمِي ثقيفاً ، فاحتل لنفسك من غيرها ، فلست من رجالها ، أنت بمعالجة الشرك وموالج الزرائب^(٢) عرف منك بالحروب ، فأما الحلم فأبى الحلم عند العبيد القيون^(٣) ، ثم تمنيت لقاء أمير المؤمنين عليه السلام فذاك من قد عرفت أسد باسل^(٤) وسمّ قاتل ، لا تقاومه الأبالسة عند الطعن والمخالسة ، فكيف ترومه الضبعان ، وتناوله الجعلان ، بمشيتها القهقري ، وأما وصلتك فمنكورة ، وقرابتك فمجهولة وما رحمك منا إلا كبنات الماء^(٥) من خشفان الطباء^(٦) بل أنت أبعد منه نسباً، فوثب المغيرة

(١) والهلع افحش الجزع

(٢) والررائب جمع الرزية وهي الطنفة والحظيرة الغنم وكلاهما مناسبان وفي بعض النسخ الزرائب وهو جمع الزرب خرج المرأة .

(٣) القيون : جمع القين بمعنى العبد .

(٤) والبسالة الشجاعة وقد بسل فهو باسل أي بطل .

(٥) بنات الماء الحيوانات المتوالد فيه أو طيوره .

(٦) قوله عليه السلام : وما رحمك منه إلا كبنات الماء من خشفان الطباء يعني رحمك منه ليس إلا كقراية حيوان البحر بحيوان البر ، لأن بينهما بون بعيد وبعد شديد هو بحري وذاك بري ، في المغرب بنات الماء من الطير استعارة أيضاً والواحد ابن الماء كبنات المخاض في ابن المخاض انتهى . وذكر في مهذب الأسماء بنات الماء هو الحيوان الذي يعيش في الماء .

والخشف مثلثة ولد الظبي أول ما يولد كما ذكر في القاموس فما حصل معناه ليس قرابتك منه الا كقراية السمك مثلاً بأولاد الطباء وفي بعض النسخ المصححة كبنات الماء بتقديم النون على الباء وهو يفيد البعد ايضاً اذ أولاد الغزلان لا يمكنها الوصول الى ما نبت في البحر وهذا يدل ايضاً إلى بعد النسب لاختلافهما في الجنسية والمكان واما ما في بعض النسخ الظنا بالنون بعد الظا فلا يظهر له وجه مناسب والظاهر أنه تصحيف والله تعالى أعلم .

والحسن عليه السلام يقول : اعذرنا من بني أمية إن تجاوزنا بعد منطقة القيون^(١) ومفاخرة العبيد .

فقال معاوية : ارجع يا مغيرة فهؤلاء بنو عبد مناف لا يقاومهم الصناديد ولا يفاخرهم المذاويد ، ثم أقسم على الحسن عليه السلام بالسكوت فسكت عليه السلام .

وفيه أيضاً روي أنه لما قدم معاوية الكوفة قيل له : إن الحسن بن علي عليهما السلام مرتفع عن أنفس الناس ، فلو أمرته أن يقوم بدون مقامك على المنبر فيدركه الحداثة والعي ، فيسقط من أنفس الناس ، فأبى عليهم وأبوا عليه إلا أن يأمره بذلك ، فأمره فقام دون مقامه في المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد فإنكم لو طلبتم ما بين كذا وكذا لتجدوا رجلاً جده نبي لم تجدوه غيري وغير أخي ، وإننا أعطينا صفقتنا هذا الطاغية وأشار بيده إلى أعلى المنبر إلى معاوية وهو في مقام رسول الله صلى الله عليه وآله ، وإننا رأينا حقن دماء المسلمين أفضل من إهراقها ، وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين ، وأشار بيده إلى معاوية فقال له معاوية : ما أردت بقولك هذا ؟ فقال : أردت به ما أراد الله عز وجل ، فقام معاوية فخطب خطبة عيبة^(٢) فاحشة فثلب فيها أمير المؤمنين

(١) منطقة القيون قال الجزري فيه من يغدرني من رجل قد بلغني عنه كذا وكذا أي من يقوم بعذري أن كافئته على سوء صنيعه فلا يلومني ويحتمل أن يكون تحاورنا بالحاء المهملة من المحاورة أي لا تكلمنا مع بني أمية مع عدم قابليتهم فنحن معذورون بعد محاورة القيون (بحار) .

(٢) قوله فخطب خطبة عيبة بالياء بين من تحت من عي بالأمر وعي كرضي إذا لم يهتد لوجه مراده أو عجز منه وعي في المنطق كرضي عي بالكسر حصر كذا في (ق) .
واسناد العي إلى الخطبة مجاز .

قوله عيبة بتشديد الياء الثانية على فعيل من العي خلاف البيان يقال عي في منطقته فهو عيي ويحتمل أن يكون عيبة بالتاء المثناة الفوقانية من العتو والفساد أو بالغين =

عليه السلام فقام الحسن بن علي عليهما السلام فقال وهو على المنبر :
يا بن آكلة الأكباد ، أنت تسب أمير المؤمنين عليه السلام وقد قال رسول
الله صلى الله عليه وآله : من سب علياً فقد سبني ومن سبني فقد سب الله
ومن سب الله أدخله الله نار جهنم خالداً فيها مخلداً ، وله عذاب مقيم ،
ثم انحدر الحسن عليه السلام من المنبر فدخل داره ولم يصل .

وفي البحار عن المناقب قال معاوية للحسن بن علي عليهما
السلام : أنا خير منك يا حسن ، قال : وكيف ذاك يا بن هند؟ قال : لأن
الناس قد أجمعوا علي ولم يجمعوا عليك . قال : هيهات هيهات الشر ما
علوت يا بن آكلة الأكباد المجتمعون إليك رجلان بين مطيع ومكره ،
فالطائع لك عاص لله والمكره معذور بكتاب الله ، وحاش لله أن أقول أنا
خير منك فلا خير فيك ، ولكن الله برأني من الرذائل كما برأك من
الفضائل .

وفيه عنه أيضاً عن كتاب الشيرازي روى سفيان الثوري عن واصل ،
عن الحسن بن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وشاركهم في الأموال
والأولاد ﴾ أنه جلس الحسن بن علي عليهما السلام ويزيد بن معاوية
ياكلان الرطب ، فقال يزيد : يا حسن إنني مذ كنت أبغضك ، قال الحسن
عليه السلام : أعلم يا يزيد إن إبليس شارك أباك في جماعه فاختلط
الماءان فأورثك ذلك عداوتي لأن الله تعالى يقول : ﴿ وشاركهم في
الأموال والأولاد ﴾ وشارك الشيطان حرباً عند جماعة فولد له صخر فلذلك
كان يبغض جدتي رسول الله صلى الله عليه وآله .

قال عبد الحميد بن أبي الحديد ، قال أبو جعفر محمد بن حبيب ،
وروى ابن عباس قال : دخل الحسن بن علي عليهما السلام على معاوية
بعد عام الجماعة وهو جالس في مجلس ضيق ، فجلس عند رجله

= المعجزة والباء الموحدة من القباوة خلاف الفطنة وعلى كل التقادير توصيف الخطبة بها
مجاز ، وثله ثلثاً إذا صرح بالعيب وتنقصه (بحار الأنوار).

فتحدث معاوية بما شاء أن يحدث ، فقال : عجباً لعائشة تزعم أنني في غير ما أنا أهله وإن الذي أصبحت فيه ليس لي بحق ما لها ولهذا يغفر الله لها ، إنما كان ينازعني في هذا الأمر أبو هذا الجالس وقد استأثر الله تعالى به . فقال الحسن عليه السلام : أوعجب ذلك يا معاوية؟ قال : أي والله . قال : أفلا أخبرك بما هو أعجب من هذا؟ قال : ما هو؟ قال : جلوسك في صدر المجلس وأنا عند رجلك ، فضحك معاوية وقال : يا بن أخي بلغني أن عليك ديناً ، قال : إنه لعلِّي ديناً ، قال : كم هو؟ قال : مائة ألف ، فقال : قد أمرنا لك بثلاثة مائة ألف منها لدينك ومائة تقسمها في أهل بيتك ومائة لخاصة نفسك ، فقم مكرماً فاقبض صلتك ، فلما خرج الحسن عليه السلام قال يزيد بن معاوية لأبيه : تالله ما رأيت رجلاً استقبلك بما استقبلك به ، ثم أمرت له بثلاثة مائة ألف ، قال : يا بني إن الحق حقهم فمن أتاك منهم فاحث له^(١) .

(١) قال ابن أبي الحديد: جرى في مجلس بعض الأكابر وأنا حاضر القول في أن علياً عليه السلام تشرف بفاطمة عليها السلام فقال: إنسان كان حاضر المجلس بل فاطمة تشرفت به وخاض الحاضرون في ذلك بعد انكارهم وتلك اللقطة وسألني صاحب المجلس أن أذكر ما عندي في المعنى وأن أوضح أيهما أفضل علي عليه السلام أم فاطمة عليها السلام فقلت أما أيهما أفضل فإن أريد بالفضل الأجمع والشجاعة ونحو ذلك فعلي عليه السلام أفضل وإن أريد بالفضل الأرفع منزلة عند الله استقر عليه رأي المتأخرين من أصحابنا أن علياً عليه السلام أرفع المسلمين . وكما قال رسول الله (ص): من الذكور وفاطمة امرأة من المسلمين وإن كانت سيدة نساء العالمين ويدل على ذلك أنه قد ثبت أنه أحب الخلق إلى الله تعالى بحديث الطائر وفاطمة من الخلق وأحب الخلق إليه سبحانه أعظم ثواباً يوم القيامة على ما فسره المحققون من أهل الكلام وإن أريد بالفضل الأشرف نسباً ففاطمة عليها السلام أفضل لأن أباهما سيد ولد آدم من الأولين والآخرين فليس في آباء علي عليه السلام مثله ولا مقارنه وإن أريد بالفضل من كان رسول الله أشد عليه صنواً وأمس به رحماً ففاطمة أفضل لأنها ابنته وكان شديد الحب لها والخوف عليها جداً وهي أقر إليه نسباً من ابن العم ولا شبهة في ذلك .

وقال أيضاً : قال أبو الحسن المدائني : طلب زياد رجلاً من أصحاب الحسن عليه السلام ممن كان في كتاب الأمان ، فكتب إليه الحسن من الحسن بن علي عليهما السلام إلى زياد .

أما بعد فقد علمت ما كنا أخذنا من الأمان لأصحابنا ، وقد ذكر لي فلان أنك تعرضت له ، فأحب أن لا تتعرض له إلا بخير والسلام .

فلما أتاه الكتاب وذلك بعد أن ادّعه معاوية غضب حيث لم ينسبه إلى أبي سفيان ، فكتب إليه من زياد بن أبي سفيان إلى الحسن .

أما بعد فإنه أتاني كتابك في فاسق تأويه الفساق من شيعتك وشيعة أبيك ، وأيم الله لأطلبنه بين جلدك ولحمك ، وإن أحب الناس إلي لحمي ، أنا آكله للحم أنت منه والسلام .

فلما قرأ الحسن عليه السلام الكتاب بعث به إلى معاوية ، فلما قرأه غضب وكتب من معاوية بن أبي سفيان إلى زياد .

= فأما القول في أن علياً عليه السلام كانت أسباب شرفه وتمييزه عن الناس متنوعة انها ما هو متعلق بفاطمة عليها السلام ومنها ما هو مستقل بنفسه فأما الذي هو مستقل بنفسه فنحو شجاعته وعفته وحلمه وقناعته وسماحة أخلاقه وسماحة نفسه وأما الذي هو متعلق برسول الله نحو علمه ودينه وزهده وعبادته وسبقه إلى الإسلام وإخباره بالغيوب وأما الذي يتعلق بفاطمة فنكاحه لها حتى صار بينه وبين رسول الله (ص) القهر المضاف إلى النسب والسبب وحتى أن ذريته منها صارت ذرية لرسول الله (ص) وأجزاء من ذاته (ص) ، وذلك لأن الولد إنما يكون من مني الرجل ودم المرأة وهما جزءان من ذاتي الأب والأم ثم هكذا في الولد الولد ومن فيه من البطون دائماً فهذا هو القول في شرف علي عليه السلام بفاطمة .

فأما شرفها به وإن كانت ابنة سيد العالمين إلا أن كونها زوجة علي عليه السلام أفادها نوعاً من الشرف الآخر زائداً على ذلك الشرف الأول ألا ترى أن أباهما لو زوجها أبا هريرة وأنس بن مالك لم يكن حالها في العظمة والجلالة كما لها الآن وكذلك لو كان بنوها وذريتها من أبي هريرة وأنس بن مالك لم يكن حالهم في أنفسهم كحالهم الآن انتهى (ايضاح) .

أما بعد فإن لك رأيين رأياً من أبي سفيان ورأياً من سمية ، فأما رأيك من أبي سفيان فحلّم ، وحزم . وأما رأيك من سمية فما يكون من مثلها إن الحسن بن علي عليهما السلام كتب إليّ بأنك عرضت لصاحبه فلا تعرّض له ، فإنّي لم أجعل لك عليه سيلاً ، وإن الحسن ليس ممّن يرى به الرّجوان والعجب من كتابك إليه لا تنسبه إلى أبيه وإلى أمّه وكلّته فالآن حين اخترت له والسّلام .

وفي البحار عن المناقب في العقد أنّ مروان بن الحكم قال للحسن بن علي عليهما السلام : بين يدي معاوية أسرع الشّيب إلى شاربك يا حسن ، ويقال إن ذلك من الحزق ، فقال : ليس كما بلغك ولكننا معشر بني هاشم طيّبة أفواهنا عذبة شفاها ، فنساؤنا يقبلن علينا بأنفاسهنّ ، وأنتم معشر بني أميّة فيكم بخر شديد ، فنسائكم يصرفن أفواههنّ وأنفاسهنّ إلى أصدائكم ، فإنما يشيب منكم موضع العذار من أجل ذلك ، قال مروان : أما إنّ فيكم يا بني هاشم خصلة ، قال : وما هي ؟ قال : الغلّة . قال : أجل نزعنا من نسائنا ووضعنا في رجالنا ونزعنا الغلّة من رجالكم ووضعنا في نسائكم ، فما قام لأموية إلاّ هاشميّ ثم خرج يقول :

ومارست هذا الدهر خمسين حجةً وخمساً أرحي قابلاً بعد قابل
فما أنا في الدنيا بلغت جسيمها ولا في الذي أهوى كدحت بطائل
فقد اشرعني في المنايا أكفها وأيقنت أنّي رهن موت معاجل

قال عبد الحميد بن أبي الحديد ، روى المدائني قال : لقي عمرو بن العاص الحسن عليه السلام في الطواف ، فقال له : يا حسن زعمت أنّ الدّين لا يقوم إلاّ بك وبأبيك ، فقد رأيت الله أقامه بمعاوية ، فجعله راسياً بعد ميله ، وبيناً بعد خفائه أفيرضى الله بقتل عثمان أو من الحق أن تطوف بالبيت كما يدور الجمل بالطّحن عليك ثياب كغرقىء البيض ، وأنت قاتل عثمان ، والله إنّه لالّم للشّعث وأسهل للوعث أن يوردك معاوية حياض أبيك .

فقال الحسن عليه السلام : إن لأهل النار لعلامات يعرفون بها إلحاداً لأولياء الله وموالاة لأعداء الله ، والله إنك لتعلم أن علياً لم يرتب في الدين ولم يشك في الله ساعة ولا طرفة عين قط ، وأيم الله لتنتهين يابن أم عمرو أو لأنفذن حضيئك بنوافذ أشد من الأقضية فإياك والتهجم علي فإني من قد عرفت لست بضعيف الغمزة ، ولا هش المشاشة ، ولا مري المأكلة ، وإني من قريش كواسطة القلادة ، يعرف حسبي ولا ادعي لغير أبي ، وأنت من تعلم ويعلم الناس تحاكت فيك رجال قريش ، فغلب عليك جزارها الأهم حسباً ، وأعظمهم لؤماً ، فإياك عني فإنك رجس ونحن أهل بيت الطهارة ، أذهب الله عنا الرجس وطهرنا تطهيراً ، فافحم عمرو وانصرف كثيراً .

أقول : أخبار مثالب معاوية وأصحابه قد مضت في أحوال أمير المؤمنين عليه السلام بعد ذكر مناقبه صلوات الله عليه .

الفصل السابع

فيما جرى بين أصحاب الحسن عليه السلام وبين معاوية وأصحابه من الاحتجاجات والمحاورات

روى ابن بابويه رضي الله عنه في الخصال عن علي بن أحمد بن موسى ، عن أحمد بن يحيى بن زكريا القطان ، عن أبي محمد بكر بن عبدالله بن حبيب ، عن العباس بن الفرج ، عن أبي سلمة الغفاري ، عن عبدالله بن إبراهيم بن أبي فروة ، عن عبدالملك بن مروان قال : كنا عند معاوية ذات يوم وقد اجتمع عنده جماعة من قريش ، وفيهم عدة من بني هاشم ، فقال معاوية : يا بني هاشم بئتم تفتخرون علينا أليس الأب والأم واحداً والدار والمولد واحداً ، فقال ابن عباس : نفخر عليكم بما أصبحت تفخر به على سائر قريش ، وتفتخر به قريش على الأنصار وتفتخر به الأنصار على سائر العرب ، وتفتخر به العرب على المعجم برسول الله وبما

لا تستطيع له انكاراً ولا منه فراراً ، فقال معاوية : يا بن عباس لقد أعطيت لساناً ذليلاً^(١) ، تغلب بباطلك حق سواك ، فقال ابن عباس : مه فإن الباطل لا يغلب الحق ، ودع عنك الحسد ، فلبس شعار الحسد ، فقال معاوية : صدقت أما والله إنني لأحبك لخصال أربع مع مغفرتي لك خصالاً أربعاً ، فأما إنني أحبك فلقرابتك برسول الله صلى الله عليه وآله ، وأما الثانية فإنك رجل من أسرتي وأهل بيتي ومصاص^(٢) عبد مناف .

وأما الثالثة فإن أبي كان خللاً لأبيك .

وأما الرابعة فإنك لسان قريش وزعيمها^(٣) وفقهها .

وأما الأربع التي غفرت لك فعدوك علي بصفين فيمن عدى وإساءتك في خذلان عثمان فيمن أساء وسعيك على عائشة أم المؤمنين فيمن سعى ونفيسك عني زياداً فيمن نفى ، فضربت^(٤) أنف هذا الأمر وعينه حتى استخرجت عذرك من كتاب الله عز وجل ، وقول الشعراء ، أما ما وافق كتاب الله عز وجل فقله : ﴿ خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ﴾ وأما ما قالت الشعراء ، فقول أخي بني دينار : *يا جابر*

ولست بمستبق أخاً لا تلجمه على شعث أي الرجال المهذب

(١) ذلاقة اللسان حدثه يقال لسان ذلق بالفتح وذلق بضمين وذلق بضم الأول وفتح الثاني .

(٢) المصاص بالضم خالص كل شيء يقال فلان مصاص قوله إذا كان أخلصهم .

(٣) وزعيم القوم سيدهم .

(٤) قوله : فضربت أنف هذا الأمر هذا مثل تقوله العرب إذا أردت بيان الاستقصاء في البحث والفكر وإنما خص الأنف والعين لأنهما صورة الوجه والذي يتأمل من الإنسان إنما هو وجهه أي عرفت وجوه هذا الأمر على العقل واحداً واحداً وتأملت فيها ، قال الخليل في كتاب العين الضرب يقع على جميع الأعمال .
أقول : ويحتمل أن يكون الضرب بمعناه كناية عن زجره بأي وجه كان .

فاعلم أنني قد قبلت فيك الأربع الأولى ، وغفرت لك الأربع
الأخرى ، وكنت في ذلك كما قال الأول :

سأقبل ممن قد أحبَّ جميله واغفر ما قد كان من غير ذلك

ثم انصت فتكلم ابن عباس فقال : بعد حمد الله والثناء عليه أما ما
ذكرت أنك تحبني لقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله فذلك
الواجب عليك وعلى كل مسلم من آمن بالله ورسوله ، لأنه للأجر الذي
سألكم رسول الله على ما آتكم به من الضياء والبرهان المبين . فقال عز
وجل : ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ﴾ . فمن لم
يجب رسول الله صلى الله عليه وآله إلى ما سأله خاب وخزي وكبا في
جهنم .

وأما ما ذكرت أنني رجل من أسرتك وأهل بيتك فذلك كذلك ، فإنما
أردت به صلة الرحم ولعمري أنك اليوم ووصول مما قد كان منك مما لا
تثريب عليك فيه اليوم .

وأما قولك : إن أبي كان خلاً لأبيك فقد كان ذلك ، وقد سبق فيه
قول الأول :

سأحفظ من أخي أبي في حياته وأحفظه من بعده في الأقارب
ولست لمن لا يحفظ العهد وامقاً^(١) ولا هو عند النّائبات بصاحبي

وأما ذكرت أنني لسان قريش وزعيمها وفقهها فلأنني لم أعط من ذلك
شيئاً إلا وقد أوتيته غير أنك قد آبيت الآن بشرفك وكرمك إلا أن تفضلني
وقد سبق في ذلك قول الأول :

وكل كريم للكرام مفضل يراه له أهلاً وإن كان فاضلاً

(١) الوامق : المحب .

وأما ما ذكرت من عدوى عليك بصفين فوالله لو لم أفعل ذلك لكنت من الأم العالمين ، كانت نفسك تحدثك يا معاوية إنني أخذل ابن عمي أمير المؤمنين وسيد المسلمين وقد حشد له المهاجرون والأنصار والمصطفون الأخيار ، لم يا معاوية أشك في ديني أم حيرة في سجيّتي أم ضنّ بنفسي .

وأما ما ذكرت من خذلان عثمان فقد خذله من كان أقرب رحماً به مني ، ولي في الأقربين والأبعدين أسوة ، وإنني لم أعد عليه فيمن عدا ، بل كففت عنه كما كف أهل المروات والحجى .

وأما ما ذكرت من سعي على عائشة فإن الله تبارك وتعالى أمرها أن تقرّ في بيتها ، وتحتجب بسترها ، فلما كشفت جلباب الحياء وخالفت نبيها وسعنا ما كان منا إليها .

وأما ما ذكرت من نفي زياد فإني لم أنفه بل نفاه رسول الله (ص) إذ قال الولد للفراش وللعاهر الحجر وإنني من بعد هذا لأحب ما سرّك في جميع أمورك .

فتكلم عمرو بن العاص فقال : يا أمير المؤمنين والله ما أحبّك ساعة قطّ غير أنّه قد أعطى لساناً زرباً يقلّبه كيف شاء وإن مثلك ومثله كما قال الأول : وذكر بيت شعر .

فقال ابن عباس : إنّ عمرواً داخل بين العظم واللحم والعصا واللحاً ، وقد تكلم فليسمع فقد وافق قرناً أما والله يا عمرو إنني لأبغضك في الله وما أعتذر منه أنّك قمت خطيئاً ، فقلت : أنا شانيء محمد (ص) فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ فأنت أبتر الدّين والدّنيا ، وشانيء محمد (ص) في الجاهلية والإسلام ، وقد قال الله تبارك وتعالى : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ قديماً وحديثاً ، ولقد جهدت على رسول الله (ص) جهداً وأجلبت عليه بخيلك ورجلك حتّى إذا غلبك الله على أمرك وردّ كيدك في نحرك وأوهن

قوتك وأكذب احدثك نزع وأنت حسير ، ثم كدت بجهدك لعداوة أهل بيت نبيّه من بعده ليس بك في ذلك حبّ معاوية ولا آل معاوية إلا العداوة لله عزّ وجلّ ولرسوله (ص) مع بغضك وحسدك القديم لأبناء عبد مناف ومثلك في ذلك كما قال الأول :

تعرض لي عمرو وعمرو خزاية تعرض ضيع القفر للأسد الورد
فما هولي ند فاشتم عرضه ولا هولي عبد فابطش بالعبد

فتكلّم عمرو بن العاص فقطع عليه معاوية فقال : أما والله يا عمرو ما أنت من رجاله ، فإن شئت فقل وإن شئت فذع ، فاغتنمها عمرو وسكت ، فقال ابن عباس : دعه يا معاوية فوالله لاسمته بميسم يبقى عليه عاره وشناره إلى يوم القيامة تتحدّث به الاماء والعبيد ، ويتغنّى به في المجالس ويتحدّث به في المحافل .

ثم قال ابن عباس : يا عمرو وابتدا في الكلام فمدّ معاوية يده فوضعها على فم ابن عباس وقال له : أقسمت عليك يا ابن عباس إلا أمسكت وكره أن يسمع أهل الشام ما يقول ابن عباس ، وكان آخر كلامه اخسئ أيها العبد وأنت مذموم وافترقوا .

وروى الشيخ الطوسي في الأمالي بإسناده إلى عكرمة صاحب ابن عباس قال : لما حجّ معاوية نزل المدينة فاستأذن لسعد بن أبي وقاص عليه فقال لجلسائه : إذا أذنتم لسعد وجلس فخذوا من علي بن أبي طالب ، فأذن له وجلس معه السرير .

قال : وشتم القوم أمير المؤمنين عليه السلام فانسكبت عينا سعد بالبكاء ، فقال له معاوية : ما يبكيك يا سعد أتبكي أن يشتم قاتل أخيك عثمان بن عفان ؟ قال : والله ما أملك البكاء خرجنا من مكة مهاجرين حتّى نزلنا هذا المسجد يعني مسجد الرسول صلّى الله عليه وآله فكان فيه مقيلا ومبيتنا إذ أخرجنا منه وترك علي بن أبي طالب عليه السلام فيه ، فاشتدّ

ذلك علينا وهبنا نبي الله أن نذكر ذلك له فأتينا عائشة فقلنا : يا أم المؤمنين إن لنا صحبة مثل صحبة علي وهجرة مثل هجرته ، وإننا قد أخرجنا من المسجد وترك فيه فلا تدري من سخط من الله أو من غضب من رسوله ، فاذكري ذلك له فلما نهاه ، فذكرت ذلك لرسول الله فقال لها : يا عائشة لا والله ما أنا أخرجتهم ولا أنا أسكتته بل الله أخرجهم وأسكنه وغزونا خير فانهزم عنها من انهزم ، فقال نبي الله : لأعطين الرؤية اليوم رجلاً يحب الله ورسوله ويحب الله ورسوله ، فدعاه وهو أرمد فتفل في عينه وأعطاه الرؤية ففتح الله لنا وغزونا تبوك مع رسول الله ، فودع علي النبي صلى الله عليه وآله على ثنية الوداع ، فبكى فقال له النبي (ص) : ما يبكيك؟ فقال : كيف لا أبكي ولم أتخلف عنك في غزاة منذ بعثك الله تعالى ، فما بالك تخلفني في هذه الغزاة؟ فقال له النبي (ص) : أما ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ، فقال علي عليه السلام : بل رضيت .

وفي البحار عن كتاب المجالس للمفيد رحمه الله عن محمد بن عمران المرزباني ، عن محمد بن الحسين الجوهري ، عن علي بن سليمان ، عن الزبير بن بكار ، عن علي بن صالح ، عن عبدالله بن مصعب ، عن أبيه ، قال : حضر عبدالله بن عباس مجلس معاوية بن أبي سفيان فأقبل عليه معاوية فقال : يا بن عباس إنكم تريدون أن تحرزوا الإمامة كما اختصاصتم بالنبوة ، والله لا يجتمعان أبداً إن حججكم في الخلافة مشبهة على الناس إنكم تقولون نحن أهل بيت النبي فما بال خلافة النبوة في غيرنا وهذه شبهة لأنها يشبه الحق وبها مسحة من العدل ، وليس الأمر كما تظنون أن الخلافة تنقلب في أحياء قريش برضى العامة وشورى الخاصة ولسنا نجد الناس يقولون ليت بني هاشم ولونا ولو ولونا كان خيراً لنا في دنيانا وأخرانا ، ولو كنتم زهدهم فيها أمس كما تقولون ما قاتلتم عليها اليوم ، والله لو ملكتموها يا بني هاشم لما كانت ربيع عاد ولا صاعقة ثمود بأهلك للناس منكم ، فقال ابن عباس : أما قولك يا معاوية إنا نحتج

بالنبوة في استحقاق الخلافة فهو والله كذلك ، فإن لم يستحق الخلافة بالنبوة فبم يستحق .

وأما قولك إن الخلافة والنبوة لا يجتمعان لأحد فأين قول الله عز وجل : ﴿ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً ﴾ . فالكتاب هو النبوة والحكمة هي السنة والملك هو الخلافة ، فنحن آل إبراهيم والحكم بذلك جار فينا إلى يوم القيامة .

وأما دعوتك على حجبتنا أنها مشبهة فليس كذلك ، وحجبتنا أضوا من الشمس وأنور من القمر كتاب الله معنا وسنة نبيه فينا ، وإنك لتعلم ذلك ، ولكن ثنى عطفك وصعرك قتلنا أخاك وجدك وخالك وعمك فلا تبك على أعظم حائلة وأرواح في النار هالكة ، ولا تغضبوا الدماء أراقها الشرك وأحلها الكفر ، ووضعها الدين . وأما ترك القديم الناس لنا فيما خلا وعدولهم عن الإجماع علينا فما حرموا منا أعظم مما حرمنا منهم ، وكل أمر إذا حصل حاصله ثبت حقه وزال باطله .

وأما افتخارك بالملك الزائل الذي توصلت إليه بالمحال الباطل ، فقد ملك فرعون من قبلك فأهلكه الله وما تملكون يوماً يا بني أمية إلا ونملك بعدكم يومين ، ولا شهراً إلا ملكنا شهرين ، ولا حولاً إلا ملكنا حولين .

وأما قولك أنا لو ملكنا كان ملكنا أهلك للناس من ربح عاد وصاعقة ثمود ، فقول الله يكذبك في ذلك قال الله عز وجل : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ فنحن أهل بيته الأدنون وظاهر العذاب بتملكك رقاب المسلمين ظاهر للعيان ، وسيكون من بعدك تملك وولدك وولد أبيك أهلك للحق من الرّيح العقيم ، ثم ينتقم الله بأوليائه ويكون العاقبة للمتقين .

وفيه أيضاً عن بعض كتب المناقب القديمة ، روى أن معاوية كتب إلى مروان وهو عامله على المدينة أن يخطب على يزيد بنت عبد الله بن جعفر على حكم أبيها في الصداق وقضاء دينه بالغاً ما بلغ ، وعلى صلح

الحَيِّينَ بني هاشم وبني أمية فبعث مروان إلى عبدالله بن جعفر يخطب إليه ، فقال عبدالله إن أمر نسايتنا إلى الحسن بن علي عليهما السلام فاخطب إليه فاتى مروان الحسن خاطباً فقال الحسن عليه السلام : اجمع من أردت فأرسل مروان فجمع الحَيِّينَ من بني هاشم وبني أمية ، فتكلم مروان : فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإن أمير المؤمنين معاوية أمرني أن أخطب زينب بنت عبدالله بن جعفر على يزيد بن معاوية على حكم أبيها في الصداق وقضاء دينه بالغا ما بلغ ، وعلى صلح الحَيِّينَ هاشم وأميه ويزيد بن معاوية كفوا من لا كفوله ، ولعمري لمن يغبطكم بيزيد أكثر ممن يغبط يزيد بكم ويزيد ممن يستسقى الغمام بوجهه ثم سكت .

فتكلم الحسن عليه السلام : فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما ما ذكرت من حكم أبيها في الصداق فإننا لم نكن لنرغب عن سنة رسول الله صلى الله عليه وآله في أهله وبناته ، وأما قضاء دين أبيها فمتى قضت نسايتنا ديون آبائهن ، وأما صلح الحَيِّينَ فإنما عاديناكم الله وفي الله فلا نصالحكم للدنيا .

وأما قولك : من يغبطنا بيزيد أكثر ممن يغبطه بنا فإن كانت الخلافة فاقت النبوة فنحن المغبوطون به وإن كانت النبوة فاقت الخلافة فهو المغبوط بنا .

وأما قولك : إن الغمام يستسقى بوجه يزيد فإن ذلك لم يكن لآل رسول الله وقد رأينا أن تزوجها من ابن عمها القاسم بن محمد بن جعفر ، وقد زوجتها منه وجعلت مهرها ضيعتي التي لي بالمدينة ، وكان معاوية أعطاني بها عشرة آلاف دينار ، ولها فيها غنى وكفاية ، فقال مروان : أغدراً يا بني هاشم ، فقال الحسن عليه السلام : واحدة بواحدة ، وكتب مروان بذلك إلى معاوية فقال معاوية : خطبنا إليهم فلم يفعلوا ولو خطبوا إلينا لما رددناهم .

وفيه أيضاً عن كتاب الاختصاص للمفيد رحمه الله عن محمد بن

الحسين ، عن محمد بن جعفر المؤدب ، عن محمد بن عبدالله بن عمران ، عن عبدالله بن يزيد الغساني يرفعه ، قال : قدم وفد العراقيين على معاوية فقدم في وفد أهل الكوفة عدي بن حاتم الطائي ، وفي وفد أهل البصرة الأحنف بن قيس وصعصعة بن صوحان .

فقال عمرو بن العاص لمعاوية : هؤلاء رجال الدنيا وهم شيعة علي الذين قاتلوا معه يوم الجمل ويوم صفين ، فكن منهم على حذر فأمر كل رجل منهم بمجلس سري واستقبل القوم بالكرامة ، فلما دخلوا عليه قال لهم : أهلاً وسهلاً قدتم أرض المقدسة والأنبياء والرسل والحشر والنشر .

فتكلم صعصعة وكان من أحضر الناس جواباً . فقال : يا معاوية أما قولك أرض المقدسة فإن الأرض لا تقديس أهلها وإنما تقديسهم الأعمال الصالحة ، وأما قولك أرض الأنبياء والرسل فمن بها من أهل النفاق وأهل الشرك والفراغة والجباية أكثر من الأنبياء والرسل .

وأما قولك أرض الحشر والنشر فإن المؤمن لا يضره بعد المحشر والمنافق لا ينفعه قربه ، فقال معاوية : لو كان الناس كلهم أولدهم أبو سفيان لما كان فيهم إلا كيساً رشيداً ، فقال صعصعة : قد أولد الناس من كان خيراً من أبي سفيان فأولد الأحمق والمنافق والفاجر والفاقد والمعته والمجنون آدم أبو البشر فحجل معاوية .

وفيه أيضاً مسنداً عن هشام بن السائب عن أبيه ، قال : خطب الناس يوماً معاوية بمسجد دمشق وفي الجامع يومئذ من الوفود علماء قریش وخطباء ربيعة ومدارها^(١) وصناديد اليمن وملوكها ، فقال معاوية : إن الله تعالى أكرم خلفائه فأوجب لهم الجنة ، وأنقذهم من النار ، ثم جعلني منهم وجعل أنصاري أهل الشام الذابين عن حرم الله المؤيدين بظفر الله المنصورين على أعداء الله .

(١) المدرة كمنبر السيد الشريف والمقدم في اللسان واليد عند الخصومة والقتال ، (بحار) .

قال : وكان في الجامع من أهل العراق الأحنف بن قيس وصعصعة بن صوحان ، فقال الأحنف لصعصعة : أتكفيني أن أقوم إليه أنا ، فقال صعصعة للأحنف : بل أكفيكه أنا ، ثم قام صعصعة فقال : يا بن أبي سفيان تكلمت فأبلغت ولم تقصر دون ما أردت ، وكيف يكون ما تقول وقد غلبتنا قسراً ، وملكتنا تجبراً ، ودنتنا بغير الحق ، واستوليت بأسباب الفضل علينا .

فأما اطراؤك لأهل الشام فما رأيت أطوع لمخلوق وأعصى لخالق منهم قوم ابتغت منهم دينهم وأبدانهم بالمال ، فإن أعطيتهم حاموا عليك ونصروك ، وإن منعتهم قعدوا عنك ورفضوك .

قال معاوية : اسكت ابن صوحان فوالله لولا أنني لم أتجرع غصة غيظ قط أفضل من حلم وأحمد من كرم ، سيما في الكف عن مثلك والاحتمال لذويك لما عدت إلى مثل مقاتلتك ، فقعد صعصعة فأنشأ معاوية يقول :

قبلت جاهلهم حلماً ومكرمة والحلم عن قدرة فضل من الكرم وروى الشيخ الطوسي في أماليه بإسناده إلى معاوية بن ثعلبة قال : لما استوثق الأمر لمعاوية بن أبي سفيان أنفذ بشر بن أرطاة إلى الحجاز في طلب شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، وكان على مكة عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب فطلبه ، فلم يقدر عليه فأخبر أن له ولدين صبيين ، فبحث عنهما فوجدتهما فأخذهما وأخرجهما من الموضع الذي كانا فيه ، فلهما ذوابتان فأمر بذبحهما فذبحا ، وبلغ أمهما الخبر ، فكادت نفسها تخرج ثم أنشأت تقول :

ها من أحسن بنيّ الذين هما كالذرتين تشظى عنهما الصّدف^(١)

(١) ها : حرف تنبيه ، وقال الجوهري الشظية الفلقة من العصا ونحوها والجمع الشظايا يقال يشظى الشيء إذا تطاير شظاياه .

ها من أحسن بني الذين سمعي وعيني فقلبي اليوم يختطف
ثبت بسري وما صدقت ما زعموا من قولهم ومن الإفك الذي اقترفوا
أضحت على ودجي طفلي مرهفة مشحودة وكذاك الظلم والشرف
من دلّ والهة عبراء مفاجئة على صبيين فاتا إذ مضى السلف

قال : ثم اجتمع عبيد الله بن عباس من بعد ويسر بن أوطاة عند معاوية ، فقال معاوية لعبيد الله : أتعرف هذا الشيخ قاتل الصبيين؟ قال بسر : نعم ، أنا قاتلها ، فقال عبيد الله لو أن لي سيفاً قال بسر : فهاك سيفي وأومئ إلى سيفه ، فزبره معاوية وانتهره وقال : أف لك من شيخ ما أحملك ، تعمد إلى رجل قد قتلت ابنه فتعطيه سيفك كأنك لا تعرف أكباد بني هاشم ، والله لو دفعته إليه بدأ بك وثني بي ، فقال عبيد الله بل والله كنت أبداً بك ثم أثني به .

وفيه أيضاً روى بإسناده عن الحسن بن أبي الحسن البصري قال : كنت غازیاً زمن معاوية بخراسان وكان علينا رجل من التابعين فصلّى بنا يوماً الظهر ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال : أيها الناس إنه قد حدث في الإسلام حدث عظيم لم يكن منذ قبض الله نبيه صلى الله عليه وآله مثله بلغني أن معاوية قتل حجر وأصحابه ، فإن يك عند المسلمين غيراً فسيبيل ذلك وإن لم يكن عندهم غيراً^(١) فأسأل الله أن يقبضني إليه وأن يعجل ذلك ، قال الحسن بن أبي الحسن فلا والله ما صلى بنا صلاة غيرها حتى سمعنا عليه الصياح .

وروى الشيخ الطبرسي في الاحتجاج عن سليم بن قيس قال : قدم معاوية بن أبي سفيان حاجباً في خلافته فاستقبله أهل المدينة فنظر فإذا الذي استقبلوه ما فيهم أحد من قريش ، فلما نزل قال : ما فعلت الأنصار وما بالها لم يستقبلني ، فقيل له : إنهم محتاجون ليس لهم دواب ، فقال

(١) الغير بكسر الغين وفتح الياء الاسم من قولك غيرت الشيء فتغير (منه) .

معاوية : فأين نواضحهم ؟ فقال قيس بن سعد بن عبادة : وكان سيّد الأنصار وابن سيّدها : أفنوها يوم بدر وأحد وما بعدهما من مشاهد رسول الله (ص) حين ضربوك وأباك على الإسلام حتى ظهر أمر الله ، وأنتم له كارهون ، فسكت معاوية .

فقال قيس : أما إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله عهد إلينا أنا سنلقي بعده أثره فقال معاوية : فما أمركم به ، فقال : أمرنا أن نصبر حتى نلقاه ، قال : فاصبروا حتى تلقوه ، ثم إنّ معاوية مرّ بحلقة من قريش فلما رأوه قاموا غير عبد الله بن عباس ، فقال له : يا ابن عباس ما منعك من القيام كما قام أصحابك إلّا لموجدة إنّي قاتلتكم بصفين فلا تجد من ذلك يا ابن عباس فإن ابن عمّي عثمان قتل مظلوماً ، قال ابن عباس : فعمر بن خطاب قد قتل مظلوماً ، قال : إنّ عمر قتلته كافر . قال ابن عباس : فمن قتل عثمان . قال : قتله المسلمون . قال : فذاك أدحض^(١) بحجّتك . قال : فإننا قد كتبنا في الأفاق ننهي عن ذكر مناقب علي وأهل بيته عليهم السلام ، فكفّ لسانك . فقال : يا معاوية أئنهانا عن قراءة القرآن . قال : لا . قال : أئنهانا عن تأويله ؟ قال : نعم . قال : فنقرأه ولا نسأل عمّا عنى الله به ، ثم قال : فأيهما أوجب علينا قراءته أو العمل به ؟ قال : العمل به . قال : فكيف نعمل به ولا نعلم ما عنى الله به . قال : سل عن ذلك من يتأوله على غير ما تتأوله أنت وأهل بيتك . قال : إنّما أنزل القرآن على أهل بيتي فاسأل عنه آل أبي سفيان يا معاوية أئنهانا أن نعبد الله بالقرآن بما فيه من حلال وحرام فإن لم تسأل الأمة عن ذلك حتى تعلم تهلك وتختلف . قال : اقرؤا القرآن وتأولوه ولا تردوا شيئاً مما أنزل الله فيكم وارووا ما سوى ذلك . قال : فإنّ الله تعالى يقول في القرآن : ﴿ يريدون ليطفثوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلّا أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون ﴾ .

(١) دحضت حجته من باب منع دحوضاً : وثق .

قال : يا بن عباس أربع^(١) على نفسك وكفّ لسانك وإن كنت لا بدّ فاعلاً فليكن ذلك سرّاً لا تسمعه أحدٌ علانية ، ثم رجع إلى بيته فبعث إليه بمائة ألف درهم ونادى منادي معاوية أن برئت الذمة ممّن يروي حديثاً في مناقب علي عليه السلام وفضل أهل بيته عليهم السلام .

وكان أشدّ الناس بليّة أهل الكوفة لكثرة من بها من الشيعة ، فاستعمل زياد بن أبيه وضّم إليه العراقيين الكوفة والبصرة ، فجعل يتبع الشيعة وهو بهم عارف يقتلهم تحت كلّ حجر ومدّر وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل وصلبهم في جذوع النخل وسمل^(٢) أعينهم وطردهم وشرّدهم^(٣) حتّى نفوا من العراق ، فلم يبق بها أحد معروف مشهور فهم بين مقتول أو مصلوب أو محبوس أو طريد أو شريد .

وكتب معاوية إلى جميع عمّاله في جميع الأمصار أن لا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته عليهم السلام شهادة وانظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه ومحبي أهل بيته وأهل ولايته ، والذين يروون فضله ومناقبه ، فادنوا مجالسهم وقربوهم وأكرمهم واكتبوا بمن يروي من مناقبه باسمه واسم أبيه وقبيلته ، ففعلوا حتّى كثرت الرواية في عثمان ، وافتعلوها^(٤) لما كان يبعث إليهم من الصلاة والخلع والقطائع من العرب والموالي ، فكثّر ذلك في كلّ مصر وتنافسوا في الأموال والدنيا ، فليس أحد يجيء من مصر من الأمصار فيروي في عثمان منقبة وفضيلة إلّا كتب اسمه وقرب وأجيز فلبشوا بذلك ما شاء الله ، ثم كتب إلى عمّاله أن الحديث في عثمان قد كثّر وفشى في كلّ مصر ، فادعوا الناس إلى الرواية

(١) ربع كمنع وقف وتحبس ومنه قولهم أربع عليك أو على نفسك أو على طلّحك (ص).

(٢) سمل عينه فقأها .

(٣) شرد شروداً وشراداً بالكسر تفرق وشرّد من باب نصر .

(٤) افتعل عليه كذباً اختلقه أي افتراه .

في معاوية وفضله وسوابقه ، فإن ذلك أحب إلينا وأقرّ لأعيننا وأدحض لحجة أهل هذا البيت ، وأشدّ عليهم فقراء كلّ أمير وقاض كتابه على الناس ، فأخذوا الناس في الروايات في فضائل معاوية على المنبر في كلّ كورة^(١) وكلّ مسجد زوراً ، وألقوا ذلك إلى معلمي الكتاتيب^(٢) فعلموا ذلك صبيانهم كما يعلمونهم القرآن حتى علّموا بناتهم ونسائهم وحشمتهم فلبثوا بذلك ما شاء الله .

وكتب زياد بن أبيه إليه في حقّ الحضرميين أنّهم على دين علي وعلى رأيه ، فكتب إليه معاوية اقتل من كان على دين علي ورأيه فقتلهم ومثّل بهم .

وكتب معاوية انظروا إلى جميع البلدان انظروا من قامت عليه البيّنة أنّه يحبّ علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان .

وكتب كتاباً آخر انظروا من قبلكم من شيعة علي واتهمتموه بحبّه فاقتلوه وإن لم تقم البيّنة عليه فاقتلوه على التهمة والظنة والشبهة تحت كلّ حجر ومدر لو كان الرّجل يسقط منه كلمة يضرب عنقه حتّى لون كان الرّجل يرمي بالزندقة من الكفر كان يكرّم ويعظم ولا يتعرّض له بمكره والرّجل من الشيعة لا يأمن على نفسه في بلد من البلدان لا سيّما الكوفة والبصرة حتّى لو أنّ أحداً منهم أراد أن يلقي سرّاً إلى من يثق به لأتاه في بيته فيخاف خادمه ومملوكه ولا يحدثه إلّا بعد أن يأخذ عليه الإيمان المغلظة ليكتمن عليه ، ثم لا يزداد الأمر إلّا شدة حتّى كثر وظهر أحاديثهم الكاذبة ونشأ عليهم الصبيان يتعلّمون ذلك القراء المراءون المتصنّعون

(١) الكورة المدينة والصفع والجمع الكور (ص).

(٢) المكتب كمقعد موضع التعليم وقول الجوهري الكتاب والمكتب واحد غلط .

وكتاتيب كتبه علمه الكتاب، ومنه سلم غلامه إلى مكتب أي إلى معلم الخط روى بالتخفيف والتشديد وأما الكتب والكتاب مكان التعليم وقيل الكتاب للصبيان .

الذين يظهرون الخشوع والورع . وكذبوا وانتحلوا^(١) الأحاديث وولّدوها فيخطون^(٢) بذلك عند الولاة والقضاة ويدنون مجالسهم ويصيبون بذلك القطائع والأموال والمنازل حتى صارت أحاديثهم ورواياتهم عندهم حقاً وصدقاً فرووها وقبلوها وتعلّموها وعلموها وأحبّوا عليها وأبغضوا من ردّها أو شكّ فيها ، فاجتمعت على ذلك جماعتهم وصارت في يد المتنسكين والمتدينين الذين لا يستحلّون الافتعال لمثلها ، فقبلوها وهم يروون أنّها حقّ ولو علموا بطلانها وتيقّنوا أنّها مفتعلة لأعرضوا عن روايتها ولم يدينوا بها ، ولم يبغضوا من خالفها ، فصار الحق في ذلك الزمان عندهم باطلاً ، والباطل حقاً ، والكذب صدقاً والصدق إلى كذباً .

فلما مات الحسن بن علي عليه السلام ازداد البلاء والفتنة ، فلم يبق لله ولي إلاّ خائف على نفسه أو المقتلو أو طريد أو شريد . فلما كان قبل موت معاوية بسنتين حجّ الحسين بن علي عليهما السلام وعبدالله بن جعفر وعبدالله بن عباس معه ، وقد جمع الحسين بن علي عليهما السلام بني هاشم رجالهم ونسائهم ومواليهم وشيعتهم من يحج منهم ومن لم يحج ومرّ بالأنصار ممّن يعرفونه وأهل بيته ، ثم لم يدع أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله ومن أبنائهم والتابعين ومن الأنصار المعروفين بالصّلاح والنسك إلاّ جمعهم فاجتمع عليهم بمنى أكثر من ألف رجل ، والحسين عليه السلام في سرادقة عامتهم التابعون وأبناء الصّحابة فقام الحسين عليه السلام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أما بعد فإنّ هذه الطّاغية قد صنع بنا وبشيعتنا ما قد علمتم ورأيتم وشهدتم وبلغكم ، وإنّي أريد أن أسألكم عن أشياء فإن صدقت فصّدّقوني وإن كذبت فكذبوني اسمعوا مقسّاتي واكتموا قولي ، ثم ارجعوا إلى أمصاركم وقبائلكم من آمنتموه ووثقتم به فادعوه إلى ما تعلمون فلنّني

(١) انتحل من باب منع ادعى ما ليس به .

(٢) خطى من باب علم كرامى شدّ خطه .

أخاف أن يندرس هذا الحق ويذهب والله متم نوره ولو كره الكافرون ، فما ترك الحسين عليه السلام شيئاً أنزل الله فيهم من القرآن إلا قاله ، وفسّره . ولا شيئاً قاله الرسول في أبيه وأمه وأهل بيته عليهم السلام إلا رواه ، وكلّ ذلك يقول الصّحابة اللهم نعم ، قد سمعناه وشهدناه . ويقول التابعون : اللهم قد حدثناه من نصّدقه ونأتمنه حتى لم يترك شيئاً إلا قاله . ثم قال : أنشدكم بالله إلا رجعتم وحدثتم به من تثقون به ، ثم نزل وتفرق الناس على ذلك .

الفصل الثامن

في بيان جملة من تواريخه ومبلغ عمره
وكيفية شهادته صلوات الله عليه وآله

اعلم أنّه قد اختلف في زمان ولادته ومدة عمره عليه السلام ، وقد تقدم ما يدلّ على أن ولادته عليه السلام كانت في سنة ثلاث من الهجرة .

وفي الكافي بإسناده عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قبض الحسن بن علي عليهما السلام وهو ابن سبع وأربعين سنة في عام خمسين وعاش بعد رسول الله أربعين سنة .

وقال فيه أيضاً : ولد الحسن بن علي عليهما السلام في شهر رمضان في سنة بدر سنة اثنتين بعد الهجرة ، قال : وروي أنّه ولد في سنة ثلاث ومضى عليه السلام في شهر صفر في آخره من سنة تسع وأربعين ومضى وهو ابن سبع وأربعين سنة وأشهر .

وقال الشهيد في الدّروس : ولد عليه السلام في المدينة يوم الثلاثاء منتصف شهر رمضان سنة اثنتين من الهجرة .

قال : وقال المفيد رحمه الله سنة ثلاث وقبض بها مسموماً يوم الخميس سابع صفر سنة تسع وأربعين أو سنة خمسين من الهجرة عن سبع أو ثمان وأربعين سنة .

وقال المفيد في إرشاده : ومضى عليه السلام لسبيله في شهر صفر سنة خمسين من الهجرة وله يومئذ ثمانى وأربعون سنة ، فكانت خلافته عشر سنين .

وفي البحار عن المناقب ولد الحسن عليه السلام بالمدينة ليلة النصف من شهر رمضان عام أحد سنة ثلاث من الهجرة ، وقيل : سنة اثنتين عاش مع جده رسول الله سبع سنين وأشهرًا ، وقيل ثمان سنين ومع أبيه ثلاثين سنة ، وبعده تسع سنين . وقالوا : عشر سنين ، ويوبع بعد أبيه يوم الجمعة الحادي والعشرين من شهر رمضان في سنة أربعين ، وكان عمره لما يوبع سبعاً وثلاثين سنة ، فبقي في خلافته عليه السلام أربعة أشهر وثلاثة أيام ، ووقع الصلح بينه وبين معاوية في سنة إحدى وأربعين وخرج الحسن عليه السلام إلى المدينة فأقام بها عشر سنين ، وظل مظلوماً وبات مسموماً وقبض بالمدينة بعده مضي عشر سنين من ملك معاوية ، وكان سني إمامته أول ملك معاوية ، فمرض أربعين يوماً ومضى لليلتين بقيتا من صفر سنة خمسين من الهجرة ، وقيل سنة تسع وأربعين وعمره سبعة وأربعون سنة وأشهر ، وقيل : ثمان وأربعون ، وقيل في سنة تمام خمسين من الهجرة ، وكان قد بذل معاوية لجعدة بنت محمد بن الأشعث الكندي وهي ابنة أم فروة اخت أبي بكر بن أبي قحافة عشرة آلاف دينار وأقطع عشرة ضياع من سقي سور أو سواد الكوفة على أن تسم الحسن عليه السلام وتولى الحسين عليه السلام غسله وتكفينه ودفنه وقبره بالبقيع عند جدته فاطمة بنت أسد انتهى .

وفيه أيضاً عن كتاب عدد القوية عن كتاب الاستيعاب اختلف في وقت وفاته فقل مات سنة تسع وأربعين وقيل في ربيع الأول سنة خمسين بعد ما مضى من خلافة معاوية عشر سنين ، وقيل : بل مات سنة إحدى وخمسين ودفن بدار أبيه ببقيع الغرقد ، وصلى عليه سعيد بن العاص أمير المدينة ، قدمه أخوه الحسين عليه السلام وقال : لولا أنها سنة ما قدمتك سمته امرأته جعدة ابنة الأشعث بن قيس ، وقيل جون بنت الأشعث ، وكان

معاوية بن أبي سفيان قد ضمن لها مائة ألف درهم ، وأن يزوجه ابنه يزيد ، إذا قتلته ، فلما فعلت ذلك لم يف بها بما ضمن .

قال : وفي الدرّ عمره خمس وأربعون سنة وقيل تسعة وأربعون وأربع شهور وتسعة عشر يوماً .

وقيل كان مقامه مع جدّه سبع سنين ومع أبيه ثلاثة وثلاثين سنة وعاش بعده عشر سنين ، فكان جميع عمره خمسين سنة انتهى .

وقال كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي : كانت ولادة الحسن عليه السلام في النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة ، وكانت وفاته في الخامس من شهر ربيع الأول سنة تسع وأربعين منها ، فيكون مدّة عمره سبعاً وأربعين سنة ، كان منها مع جدّه رسول الله صلّى الله عليه وآله سبع سنين ، ومع أبيه علي عليهما السلام بعد وفاة جدّه ثلاثون سنة ، وبعد وفاة والده إلى وقت وفاته عشر سنين .

وقال في كشف الغمّة : قال ابن الخشاب رواية عن الباقر والصادق عليهما السلام قال : مضى أبو محمد الحسن بن علي عليهما السلام وهو ابن سبع وأربعين سنة ، وكان بينه عليه السلام وبين أخيه الحسين عليه السلام مدّة الحمل ، وكان حمل أبي عبد الله عليه السلام ستة أشهر ، ولم يولد مولود لستة أشهر فعاش غير الحسين عليه السلام ، وعيسى بن مريم عليه السلام ، فأقام أبو محمد الحسن (ع) مع جدّه رسول الله سبع سنين ، وأقام مع أبيه بعد وفاة جدّه ثلاثين سنة ، وأقام بعد وفاة أمير المؤمنين عليه السلام عشر سنين ، فكان عمره سبعاً وأربعين سنة فهذا اختلافهم في عمره عليه السلام .

وقال ابن أبي الحديد : قال أبو الفرج : اختلف الناس في سنّ الحسن عليه السلام وقت وفاته ، فقليل ابن ثمان وأربعون وهو المروّى عن جعفر بن محمد ، وفي رواية هشام بن سالم ، وقيل ابن ستّ وأربعين ،

وهو المروي أيضاً عن أبي جعفر (ع) في رواية أبي بصير . قال : وفي الحسن عليه السلام يقول سليمان بن قنة يرثيه وكان محباً له عليه السلام :

يا كذب الله من نعى حسناً ليس لتكذيب نعيه ثمن
كنت خليلي وكنت خالصتي لكل حي من أهله سكن
أجول في الدار لا أراك وفي الدار أناس جوارهم غبن
بذلتهم منك ليت أنهم أضحوا وبيني وبينهم عدن

وقد روى كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي في كتابه مطالب السؤل ، عن الحافظ أبي نعيم بسنده في حليته ، عن عمير بن إسحاق ، قال : دخلت أنا ورجل على الحسن بن علي عليهما السلام نعوذ فقل : يا فلان سلني ؟ قال : لا والله لا أسألك حتى يعافيك الله ، ثم نسألك . قال : ثم دخل ثم خرج إلينا فقال : سلني قبل أن لا تسألني ؟ قال : بل يعافيك الله ، ثم نسألك . قال عليه السلام : قد ألقيت طائفة من كبدي وإنني قد سقيت السم مراراً ، فلم أسق مثل هذه المرة ، ثم دخلت عليه من الغد وهو يجود بنفسه والحسين عليه السلام عند رأسه ، قال : يا أخي من تتهم ؟ قال : لم . قال : لتقتله ؟ قال : نعم . قال : إن يكن الذي أظن فالله أشد بأساً وأشد تنكيلاً ، وإن لم يكن فلا أحب أن يقتل بي بريء - الخير .

وفي الاحتجاج عن الأعمش عن سالم بن أبي الجعد قال : حدثني رجل منا قال : أتيت الحسن بن علي عليهما السلام فقلت : يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله أذلت رقابنا وجعلتنا معشر الشيعة عبيداً ما بقي معك رجل . قال : ومم ذاك ؟ قال : قلت بتسليمك الأمر لهذا الطاغية . قال : والله ما سلمت الأمر إليه إلا أنني لم أجد أنصاراً ولو وجدت أنصاراً لقاتلته ليلى ونهاري حتى يحكم الله بيني وبينه ، ولكنني عرفت أهل الكوفة وبلوتهم ولا يصلح لي منهم من كان فاسداً إنهم لا وفاء لهم ولا ذمة في قول ولا فعل ، إنهم لمختلفون ويقولون لنا إن قلوبهم معنا وإن سيوفهم

لمشهوره علينا . قال : وهو يكلمني إذ تنخع^(١) الدّم فدعا بطشت فحمل من بين يديه ملاً ممّا خرج من جوفه من الدّم ، فقلت له : ما هذا يا بن رسول الله إنني لأراك وجعاً . قال : أجل ، دسّ إليّ هذه الطّاغية وسقاني سمّاً فقد وقع على كبدي فهو يخرج قطعاً كما ترى ، فقلت : أفلا تتداوى له ، فقال : قد سقاني مرّتين وهذه الثالثة لا أجد لها دواء ، ولقد رقي^(٢) إليّ أنه كتب إلى ملك الرّوم يسأله أن يوجّه إليه من السمّ القتال شربة ، فكتب إليه ملك الرّوم أنه لا يصلح لنا في ديننا أن نعين على قتل من لا يقاتلنا ، فكتب إليه إن هذا ابن الرّجل الذي خرج بأرض تهامة قد خرج يطلب ملك أبيه وأنا أريد أن أدسّ عليه من يسقيه ذلك فأريح العباد والبلاد منه ووجه إليه بهدايا والطف فوجه إليه ملك الرّوم بهذه الشّربة التي دسّ بها إليّ فسقيتها واشترط عليه في ذلك شروطاً^(٣) .

وفي البحار بإسناده عن جنادة بن أبي أمية قال : دخلت على الحسن بن علي بن أبي طالب (ع) في مرضه الذي توفي فيه وبين يديه طشت يقذف عليه الدم ويخرج كبده قطعة قطعة من السمّ الذي أسقاه معاوية ، فقلت : يا مولاي ما لك لا تعالج نفسك؟ فقال : يا عبدالله بماذا أعالج الموت ، قلت : إنّا لله وإنّا إليه راجعون .

ثم التفت إليّ فقال : والله لقد عهد إلينا رسول الله صلّى الله عليه وآله أن هذا الأمر يملكه اثنا عشر إماماً من ولد علي وفاطمة عليهما السلام ، ما منّا إلّا مسموم أو مقتول ، ثم رفعت الطشت وبكى عليه السلام .

(١) نخع : دفع بشيء من صدره أو أنفه (ق) .

(٢) رقي إليه كرضي متعدّ كارتقى ورفى إليه كلاماً ترقيه : رفع (ق) .

(٣) هذه الرواية نقلتها عن كتاب كفاية الأثر في النصوص على الأئمة الاثني عشر لعلي بن محمد بن علي الخزّاز القمي رحمه الله كذا ذكره المجلسي رحمه الله في الفهرست (منه رحمه الله) .

قال : فقلت له : عظمي يابن رسول الله ، قال : نعم ، استعد لسفرك وحصل زادك قبل حلول أجلك ، واعلم أنك تطلب الدنيا والموت يطلبك ، ولا تحمل هم يومك الذي لم يأت على يومك الذي أنت فيه ، واعلم أنك لا تكسب من المال شيئاً فوق قوتك إلا كنت فيه خازناً لغيرك ، واعلم أن في حلالها حساب وفي حرامها عقاب ، وفي الشبهات عتاب ، فأنزل الدنيا بمنزلة الميتة ، خذ منها ما يكفيك فإن كان ذلك حلالاً كنت قد زهدت فيها ، وإن كان حراماً لم يكن فيه وزر ، فأخذت كما أخذت من الميتة ، وإن كان مشتبهاً فإن العتاب يسير ، واعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً ، وإذا أردت عزاً بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان فانخرج من ذل معصية الله إلى عز طاعة الله عز وجل ، وإذا نازعتك إلى صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا صحبته زانك ، وإذا خدمته صانك ، وإذا أردت منه معونة عانك ، وإن قلت صدق قولك وإن صلت شدّ صولك ، وإن مددت يدك بفضل مدّها وإن بدت منك ثلثة سدّها ، وإن رأى منك حسنة عدّها ، وإن سأله أعطاك ، وإن سكت عنه ابتدأك ، وإن نزلت بك إحدى الملّكات واساك من لا تأتيك منه البوائق ، ولا يختلف عليك منه الطرائق ، ولا يخذلك عند الحقائق ، وإن تنازعتما منقسماً أثرك .

قال : ثم انقطع نفسه واصفرّ لونه حتى خشيت عليه ودخل الحسين عليه السلام والأسود بن أبي الأسود فانكب عليه حتى قبل رأسه وبين عينيه ثم قعد عنده فتساراً جميعاً ، فقال أبو الأسود : إنا لله إن الحسن قد نعت إليه نفسه وقد أوصى إلى الحسين عليه السلام - الخير .

وفيه أيضاً بإسناده إلى بعض تأليفات الأصحاب أن الحسن عليه السلام لما دنت وفاته ونفدت أيامه وجرى السّم في بدنه تغير لونه واخضر فقال له الحسين عليه السلام : ما لي أرى لونك مائلاً إلى الخضرة ، فبكى الحسن عليه السلام وقال : يا أخي لقد صحّ حديث جدّي فيّ وفيك ، ثم اعتنقه طويلاً وبكى كثيراً ، فسأل عن ذلك فقال : أخبرني

جدِّي صَلَّى الله عليه وآله قال : لَمَّا دخلت ليلة المعراج روضات الجنان ومررت على منازل أهل الإيمان ، رأيت قصرين عاليتين متجاورين على صفة واحدة إلا أنَّ أحدهما من الزبرجد الأخضر والآخر من الياقوت الأحمر ، فقلت : يا جبرئيل لمن هذان القصران؟ فقال : أحدهما للحسن والآخر للحسين ، فقلت : يا جبرئيل فَلِمَ لم يكونا على لون واحد ، فسكت ولم يرد جواباً ، فقلت : لِمَ لا تتكلم ، فقال حياء منك ، فقلت له : سألتك بالله إلا ما أخبرتني ، فقال : أما خضرة قصر الحسن فإنه يموت بالسَّم ويخضر لونه عند موته ، وأما حمرة قصر الحسين فإنه يقتل ويحمر وجهه بالذَّم ، فعند ذلك بكيا وضجَّ الحاضرون بالبكاء والنحيب .

وفي إرشاد المفيد عن عبدالله بن إبراهيم عن زياد المخارقي قال : لَمَّا حضرت الحسن الوفاة استدعى الحسين بن علي (ع) فقال له : يا أخي إنِّي مفارقك ولاحق بربي ، وقد سقيت السَّم ورميت بكبدي في الطشت ، وإنِّي لعارف بمن سقاني السَّم ومن أين دهيت ، وأنا أخاصمه إلى الله تعالى ، فبحقِّي عليك إن تكلمت في ذلك بشيء وانتظر ما يحدث الله تعالى فيَّ ، فإذا قضيت نحبي فغمضني وغسلني وكفني واحملني على سريري إلى قبر جدي رسول الله لأجدد به عهداً ، ثم رُدني إلى قبر جدتي فاطمة فادفني هناك ، وستعلم يا بن أمِّ أنَّ القوم يظنون أنكم تريدون دفني عند رسول الله فيجلبون في منعكم عن ذلك ، وبالله أقسم عليك أن لا تهرق في أمري محجمة دم ، ثم وصَّى إليه بأهله وولده وتركاته ، وما كان وصَّى به إليه أمير المؤمنين عليه السلام حين استخلفه وأهله لمقامه ، ودلَّ شيعته على استخلافه ونصبه لهم علماً من بعده .

فلَمَّا مضى عليه السلام لسبيله غسله الحسين عليه السلام وكفَّنه وحمله على سريره ولم يشك مروان ومن معه من بني أمية أنهم سيدفنوناه عند رسول الله صَلَّى الله عليه وآله فتجمعوا له ولبسوا السلاح ، فلَمَّا توجه به الحسين عليه السلام إلى قبر جدِّه رسول الله ليجدد به عهداً أقبلوا إليهم

في جمعهم ولحقهم عائشة على بغل ، وهي تقول : ما لي ولكم تريدون أن تدخلوا بيتي من لا أحب وجعل مروان يقول : يا رب هيجا هي خير من دعه ، أيدفن عثمان في أقصى المدينة ويدفن الحسن مع النبي صلى الله عليه وآله لا يكون ذلك أبداً ، وأنا أحمل السيف وكادت الفتنة أن تقع بين بني هاشم وبين بني أمية .

وعن تسليمة المجالس أنهم رموا بالنبال جنازته حتى سل منها سبعون نبلاً .

وفي الرواية الأولى قال : فبادر ابن عباس إلى مروان فقال له : ارجع يا مروان من حيث جئت فإننا ما نريد دفن صاحبنا عند رسول الله لكننا نريد أن نجدد به عهداً بزيارته ، ثم نردّه إلى جدّته فاطمة فندفنه عندها بوصيته بذلك ، ولو كان وصى بدفنه مع النبي لعلمت أنك أقصر باعاً من ردنا عن ذلك لكنّه عليه السلام كان أعلم بالله وبرسوله صلى الله عليه وآله وبحرمته صلى الله عليه وآله من أن يطرق عليه هدماً كما طرق ذلك غيره ودخل بيته بغير إذنه .

ثم أقبل على عائشة وقال لها : وا سواتاه يوماً على بغل ويوماً على جمل تريدان أن تطفئي نور الله وتقاتلي أولياء الله ارجعي فقد كفيت الذي تخافين وبلغت ما تحبين ، والله تعالى منتصر لأهل هذا البيت ولو بعد حين .

وقال الحسين عليه السلام : والله لولا عهد الحسن عليه السلام إليّ بحقن الدماء وإلا أهرق في أمره محجمة دم لعلمتم كيف تأخذ سيوف الله منكم مأخذها وقد نقضتم العهد بيننا وبينكم وأبطلتم ما اشترطنا عليكم لأنفسنا ومضوا بالحسن عليه السلام فدفنوه بالبقيع ، عند جدّته فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف رضي الله عنها وأسكنها جنة النعيم .

أقول : قد مضى في أحوال أبيه أمير المؤمنين عليهما السلام فيما نقلناه عن الكافي أنّ الأشعث بن قيس شرك في دم أمير المؤمنين عليه

السلام وابنته جعدة سمّت الحسن عليه السلام ومحمد ابنه شرك في دم الحسين عليه السلام .

وقد روى في البحار عن كتاب عيون المعجزات للسيد المرتضى رحمه الله أنّ معاوية بذل لجعدة بنت محمد بن الأشعث زوجة أبي محمد عليه السلام عشرة آلاف دينار ، وقطعات كثيرة من شعب سورا وسوداء الكوفة وحمل إليها سمّاً فجعلته في طعام ، فلما وضعت بين يديه قال : إنا لله وإنا إليه راجعون والحمد لله على لقاء محمد سيد المرسلين وأبي سيّد الوصيّين وأمّي سيّدة نساء العالمين ، وعمّي جعفر الطيّار في الجنّة وحمزة سيّد الشهداء صلى الله عليهم أجمعين .

وروى الشيخ في أماليه بإسناده عن ابن عباس قال : دخل الحسين ابن علي عليهما السلام على الحسن بن علي عليهما السلام في مرضه الذي توفّي فيه ، فقال له : كيف تجدك يا أخي؟ قال : أجدني في أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا ، واعلم إنّي لا أسبق أجلي وإنّي وارد على أبي وجدي عليهما السلام على كره منّي لفراقك ، وفراق اخوتك وفراق الأحبة ، وأستغفر الله من مقالتي هذه وأتوب إليه بل على محبة منّي للقاء رسول الله وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأمّي فاطمة وحمزة وجعفر عليهما السلام ، وفي الله عزّ وجلّ خلف من كلّ هالك ، وغراء من كلّ مصيبة ، ودرك من كلّ ما فات ، رأيت يا أخي كبدي آنفاً في الطشت ، ولقد عرفت من دهاني ، ومن أين أوتيت ، فما أنت ضائع به يا أخي ، فقال الحسين عليه السلام أقتله والله ، قال : فوالله لا أخبرك به أبداً حتى نلقى رسول الله ولكن اكتب يا أخي هذا ما أوصى به الحسن بن علي إلى أخيه الحسين بن علي ، أوصى أنّه أشهد أنّ لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، وأنّه يعبدّه حقّ عبادته لا شريك له في الملك ولا وليّ له من الدّل ، وأنّه خلق كل شيء فقدره تقديراً ، وأنّه أولى من عبد وأحق من حمد من أطاعه رشد ومن عصاه غوى ، ومن تاب إليه اهتدى . وإنّي أوصيك يا حسين بمن خلّفت من أهلي وولدي وأهل بيتك أن تصفح

عن مسيئهم وتقبل من محسنهم وتكون لهم خلفاً ووالداً ، وأن تدفني مع جدتي رسول الله صلى الله عليه وآله فإني أحق به وببيته ممن أدخل بيته بغير إذنه ، ولا كتاب جاءهم من بعده فقال الله تعالى فيما أنزله على نبيه صلى الله عليه وآله في كتابه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾ فوالله ما أذن لهم في الدخول عليه في حياته بغير إذنه ولا جاءهم الإذن في ذلك بعد وفاته ، ونحن مأذون لنا في التصرف فيما ورثناه من بعده ، فإن أبت عليك المرأة فأنشدك الله بالقراءة التي قرَّب الله عز وجل منك والرحم المساسة من رسول الله صلى الله عليه وآله أن لا تهريق في محجمة من دم حتى تلقى رسول الله فنختصم إليه ونخبره بما كان من الناس إلينا بعده ، ثم قبض عليه السلام الخبير .

وفي ذيل الخبر الأول : فلما فرغ من شأنه وحمله ليدفنه مع رسول الله صلى الله عليه وآله ركب مروان بن الحكم طريد رسول الله صلى الله عليه وآله بغيته وأتى عائشة فقال لها : يا أم المؤمنين إن الحسين عليه السلام يريد أن يدفن أخاه الحسن عليه السلام مع رسول الله (ص) ، والله إن دفن معه ليذهبن فخر أبيك وصاحبه عمر إلى يوم القيامة ، قالت : فما أصنع يا مروان؟ قال : إلحقي به وامنعيه من أن يدفن معه . قالت : وكيف الحق؟ قال : اركبي بغلي هذه ، فنزل عن بغلته وركبتها وكانت تؤز الناس وبني أمية على الحسين عليه السلام وتحرضهم على منعه ، مما هم به فلما قربت من قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وكان قد وصلت جنازة الحسن عليه السلام فرمت بنفسها عن البغلة وقالت : والله لا يدفن الحسن ههنا أبداً أو تجز هذه وأومات بيدها إلى شعرها ، فأراد بنو هاشم المجالدة فقال الحسين عليه السلام : الله الله لا تضيّعوا وصية أخي وأعدلوا به إلى البقيع فإنه أقسم عليّ إن أنا منعت من دفنه مع جدّه أن لا أخاصم فيه أحداً ، وأن أدفنه بالبقيع مع أمّه ، فعدلوا به ودفنوه بالبقيع معها عليها السلام .

وفي الكافي بإسناده عن محمد بن مسلم قال : سمعت أبا جعفر

عليه السلام يقول : لما احتضر الحسن بن علي صوات الله عليهما قال للحسين : يا أخي إنني أوصيك بوصية فاحفظها ، فإذا أنا مت فهيتني ثم وجهني إلى رسول الله لأحدث به عهداً ، ثم اصرفني إلى أُمِّي فاطمة ، ثم ردني فادفني بالبقيع واعلم أنه سيصيني من الحميراء ما يعلم الناس من صنعها وعداوتها لله ولرسوله ، وعداوتها لنا أهل البيت .

فلما قبض الحسن عليه السلام وضع على سريره فانطلقوا به إلى مسجد رسول الله (ص) إلى المكان الذي كان يصلي فيه على الجنائز فصلّى على الحسن عليه السلام . فلما أن صلى عليه حمل فادخل المسجد ، فلما أوقف على قبر رسول الله بلغ عائشة الخبر وقيل لها : إنهم قد أقبلوا بالحسن بن علي عليهما السلام ليدفن مع رسول الله (ص) ، فخرجت مبادرة على بغل فسرّج ، فكانت أول امرأة ركبت في الإسلام سرجاً ، فوقفت وقالت : نَحُوا ابنكم عن بيتي ، فإنه لا يدفن فيه شيء ولا يهتك على رسول الله حجابيه ، فقال لها الحسين بن علي صلوات الله عليهما : قديماً هتكت أنت وأبوك حجاب رسول الله وأدخلت بيته من لا يحب رسول الله قربه ، وإن الله سائلك عن ذلك يا عائشة إن أخي أمرني أن أقربه من أبيه رسول الله ليحدث به عهداً واعلمي أن أخي أعلم بالله ورسوله وأعلم بتأويل كتابه من أن يهتك على رسول الله ستره ، لأن الله تبارك وتعالى يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾ وقد ادخلت أنت بيت رسول الله الرجال بغير إذنه . وقد قال الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ ولعمري لقد ضربت أنت لأبيك وفاروقه عند أذن رسول الله المعاول . وقال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغْضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى ﴾ ولعمري لقد ادخل أبوك وفاروقه على رسول الله صلى الله عليه وآله بقربهما منه الأذى وما دعيا من حقّه ما أمرهما الله به على لسان رسول الله (ص) ، إن الله حرّم من المؤمنين أمواتاً ما حرّم منهم أحياء وتالله يا عائشة لو كان هذا الذي كرهتيه

من دفن الحسن عند أبيه صلوات الله عليهما جائزاً فيما بيننا وبين الله
لعلمت أنه سيدفن وإن رغم مغطسك .

قال : ثم تكلم محمد بن الحنفية وقال : يا عائشة يوماً على بغل
ويوماً على جمل ، فما تملكين نفسك ولا تملكين الأرض عداوة لبني
هاشم ، قال : فأقبلت عليه فقالت : يا بن الحنفية هؤلاء الفواطم يتكلمون
فما كلامك؟ فقال الحسين عليه السلام : وأنت تبعدين محمداً من
الفواطم ، فوالله لقد ولدته ثلاث فواطم فاطمة بنت عمران بن عائذ بن
عمرو بن مخزوم ، وفاطمة بنت أسد بن هاشم ، وفاطمة بنت زائدة بن
الأصم بن رواحة بن حجر بن عبد معيص بن عامر . فقالت عائشة للحسين
عليه السلام : نحوا ابنكم واذهبوا به فإنكم قوم خصمون . قال : فمضى
الحسين إلى قبر أمه ثم أخرجه فدفنه بالبقيع .

وفي البحار عن المناقب حكى أن الحسن عليه السلام لما أشرف
على الموت قال له الحسين عليه السلام : أريد أن أعلم حالك يا أخي ،
فقال له الحسن عليه السلام : سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول : لا
يفارق العقل منا أهل البيت ما دام الروم فينا ، فضع يدك في يدي حتى
إذا عاينت ملك الموت أغمض يدك فوضع يده في يده فلما كان بعد ساعة
غمز يده غمزاً خفيفاً ، فقرب الحسين عليه السلام أذنه إلى فيه فقال : قال
لي ملك الموت أبشر فإن الله عنك راض وجدك شافع . وقال الحسين
عليه السلام لما وضع الحسن عليه السلام في لحدته :

أدهن رأسي أم تطيب محاسني	ورأسك معفور وأنت سليب
إن استمتع الدنيا لشيء أحبه	إلى كل ما أدنى إليك حبيب
فما زلت أبكي ما تغنت حمامة	عليك وما هبت صبا وجنوب
وما أهملت عيني من الدمع قطرة	وما اخضر في روح الحجاز قضيب
بكائي طويل والدموع غزيرة	وأنت بعيد والمزار قريب
غريب وأطراف البيوت تحوطه	الا كل من تحت التراب غريب

ولا يفرح الباقي خلاف الذي مضى وكلّ فتى للموت فيه نصيب
فليس حريب من أصيب بماله ولكنّ من وارى أخاه حريب
نسبك من أمسى يناجيك طيفه وليس لمن تحت التراب نصيب

وفي قرب الإسناد بإسناده عن الباقر عليه السلام أنّ الحسن عليه السلام تزوّج مائتين وخمسين امرأة .

وفي رواية أخرى ثلثمائة امرأة حتى أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال يوماً على المنبر : إنّ الحسن عليه السلام مطلق لا تزوّجوه بناتكم ، فقالوا : إذا تزوّج بناتنا ليلة كفانا ذلك لشرفه .

وفي بعض الروايات أنّ هذه النساء كلّهن خرجن خلف جنازته حافيات باكيات .

أقول : وفي رثاء الحسن عليه السلام يقول الأديب البارع والأريب الناصع ، والخطيب الصّادع ، العالم الفاضل في فنون التفاضل ، الأرشد الأمجد ، الشّيع عبدالحسين نجل العلامة زبدة العلماء الأفاخم ونخبة الحكماء الأعظم الشّيع أحمد شكر حيث قال رحمه الله :

هذه الهداية رزء حالك الشجن أبكي الفخار بدمع عنده هتن
لله رزء به كم للرّشاد هوى ركن وكم فيه بيت للضلال بني
رزء به عرصات العلم قد بقيت دوارساً من فروض الله والسّنن
لا غرو إن تكن الأكوان قد خلعت ثوب المحاسن من حزن على الحسن
فإنّه كان في الأشياء بهجتها قد قام فيها مقام الرّوح في البدن
ما للقصاء وللأقدار فيه مضت وهو الذي أبداً لولاه ما تكن
لله كم أقرححت جفن النبي وكم قد ألست فاطماً ثوباً من الحزن
لم أنس يوم عميد الدين دسّ به لجعدة السّم سرّاً عابد الوثن
كي ما تهد من العليا دعامتها فجرّعت الرّدى من جرعة اللّبن
فقطّعت كبداً ممن غدا كبداً أفاطم وحسى من بواحدن
حتى قضى بنجيع السّم ممثلاً لأمر بارثه في السّر والعلن

الشمس المنيرة في ثوب من الدّجن
 والمجد بعد نداء وابل العطن
 يا منزل المنّ والسّلوى بلا ضمن
 نهياً لحقد وللاضغان والاحن
 إنّ الحسين دماً يبكي على الحسن
 وأدمعها كالعارض الهتن
 فلم أجد كافلاً ذا اليوم يكفلني
 وقد أخذت قتام الحرب والفتن
 توحى وفي محكم التنزيل لم تكن
 كما أبوها نفى الكرار ذا المن
 لا تدخلوا ابنكم بيتي بلا اذن
 بحكم بارئنا تسع من الثمن
 جسم ابن سيدهم في أسهم الضغن
 بليت عليه بدمع فاضل الرّدن
 الكرار قدما أثارت محنة المحن
 فذا البناء على ذاك الأسار بني
 ليث متى رام أمراً قال كن يكن
 ومن دنى فيه لحظة شزرا له فني
 من آل سفيان بتاراً بلا سفن
 بعضبه للردى يدني لكل دنى
 ودادهم وولاهم جنة الجنن
 بغير حبكم لله لم يدن
 عند الممات وعند الدّرج في الكفن
 لا شك عند كرام الخلق لم تهن
 يجول ذكركم كالقمرط في الاذن
 عذراء قد زانها ثوب من الشجن
 آلائكم للورى في السر والعلن

فاعولت بعده العليا وبرقعت
 والكون أصبح داجي الليل مكتسباً
 من مبلغ الحيدر الكرار متدياً
 كيف المقام والسّبط الزكي غدى
 من مبلغ المصطفى والطهر فاطمة
 أزينب تدعوه ومقلتيه عبرى
 مات الحبيب ومات الحب ثم مضى
 لم أنس راكبة الاجمال حين أتت
 كأن للمصطفى أي التبرج لم
 أتت لنفي عن المختار عترته
 قالت ومن خلفها حزب الضلال إلا
 يا للرجال هل اختصت به ولها
 فأي أم ترى للمؤمنين رمت
 فلو رأت فاطم تطريد مهجتها
 لا غرو ان حاربت سبط الهدى فعلي
 وإن تكن فعلت في الال ما فعلت
 صبراً جميلاً بني المختار إنّ لكم
 ذو عزيمة ان يشأ يفني الوجود
 لله يوم جليل إذ يخوض به
 فذلك الليث للشارات مدّخر
 يا مصدر الجود والفيض العظيم ومن
 عطفاً على ذاك ان نوالكم
 فحققوا فيكم يا سادتي أملي
 فحجّتي أنّي عبد الحسين وذو
 فهاكم عادة في جيد جوهرها
 أت إليكم تهادي من محبتكم
 عليكم صلوات الله ما هطلت

خاتمة في ذكر أولاد الحسن بن علي عليه السلام وعدهم وأسمائهم وطرف من أخبارهم

قال المفيد في الإرشاد أولاد الحسن بن علي عليه السلام خمسة عشر ولداً ذكراً وأنثى : زيد بن الحسن واختاه أم الحسن وأم الحسين أمهم أم بشير بنت أبي مسعود عقبة بن عمرو بن تغلبة الخزرجية . والحسن بن الحسن أمه خولة بنت منظور الفزارية ، وعمر بن الحسن وأخواه قاسم وعبدالله ابنا الحسن أمهم أم ولد وعبدالرحمن بن الحسن أمه أم ولد ، والحسين بن الحسن الملقب بالأثرم وأخوه طلحة بن الحسن واختهما فاطمة بنت الحسن أمهم أم اسحاق بنت طلحة بن عبيدالله التميمي وام عبدالله وفاطمة وام سلمة ورقية بنات الحسن لأمهات شتى .

فأما زيد بن الحسن فكان يلي صدقات النبي وأسن ، وكان جليل القدر ، كريم الطبع ، ظريف النفس ، كثير البر ، ومدحه الشعراء ، وقصده الناس من الآفاق لطلب فضله ، وذكر أصحاب السير أن زيد بن الحسن كان يلي صدقات رسول الله (ص) ، فلما ولي سليمان بن عبدالملك كتب إلى عامله بالمدينة .

أما بعد إذا جاءك كتابي هذا فاعزل زيداً عن صدقات رسول الله وادفعها إلى فلان بن فلان رجل من قومه وأعنه على ما استعانك عليه والسلام .

فلما استخلف عمر بن عبد العزيز إذا كتاب قد جاء منه :

أما بعد فإن زيد بن الحسن شريف بني هاشم ، وذو سنهم ، فإذا

جاءك كتابي هذا فاردد إليه صدقات رسول الله وأعنه على ما استعانك عليه والسلام .

وفي زيد بن الحسن يقول محمد بن بشر الخارجي :

إذا نزل ابن المصطفى بطن قلعة نفى جذبها واخضر بالنبت عودها
وزيد ربيع الناس في كل شتوة إذا اخلفت انواؤها ورعودها
حمول لاشتاق الديات كأنه سراج الدجى إذ قارنته سعودها

ومات زيد بن حسن وله تسعون سنة ، فرثاه جماعة من الشعراء
وذكروا مآثره وبكوا ، فمن رثاه قدامة بن موسى الجمحي :

فإن يك زيد غالت الأرض شخصه فقد بان معروف هناك وجود
وإن يك أمسى رهن رمس فقد ثوى به فهو محمود الفعال فقيده
سميع إلى المعتر يعلم أنه سيطلبه المعروف ثم يعود
وليس بقوال وقد حط رحله لملتحمس المعروف أين تريد
إذا قصر الوقْد الدني نَمَى به إلى المجد آباء له وجدود
مباذيل للمولى محاشيد للقري وفي الرّوع عند الثّائبات أسود
إذا انتحل العزّ الطريف فإنهم لهم إرث مجد ما يرام تليده
إذا مات منهم سيّداً قام سيّد كريم يبني بعده ويشيد

في أمثال هذا ممّا يطول به الكتاب .

قال : وخرج زيد بن الحسن رحمة الله عليه من الدنيا ولم يدّع
الخلافة ولا ادّعاها لتصدع من الشيعة ولا غيرهم ، وذلك أن الشيعة رجلا
إمامي وزيدي ، فالإمامي يعتمد في الإمامة على النصوص وهي معدومة
في ولد الحسن باتفاق ، ولم يدّع ذلك أحد منهم لنفسه ، فيقع فيه ارتياب
والزّيدي لا يراعي في الإمامة بعد علي والحسن والحسين عليهم السلام
إلا الدّعوة والجهاد ، وزيد بن الحسن كان مسالماً لبني أميّة ومتقلّداً من
قبلهم الأعمال وكان رأيه التّقية لأعدائه والتّألف لهم والمداراة وهذا يضاد
عند الزّيدية علامة الإمامة كما حكيناها .

وأما الحشوية فإنها تدين بإمامة بني أمية ولا ترى لولد رسول الله
إمامة على حال .

والمعتزلة لا ترى الإمامة إلا لمن كان على رأيها في الاعتزال ، ومن
يولوهم العقد له بالشورى والاختيار ، وزيد بن علي على ما قدمنا ذكره
خارج عن هذه الأحوال .

والخوارج لا ترى إمامة من تولّى أمير المؤمنين عليه السلام ، وزيد
كان يتولّى أباه وجدّه بلا اختلاف .

فأما الحسن بن الحسن عليهم السلام فكان جليلاً رئيساً فاضلاً ورعاً
وكان يلي صدقات أمير المؤمنين صلوات الله عليه في وقته ، وله مع
الحجاج خبر رواه الزبير بن بكار .

قال : كان الحسن بن الحسن عليهما السلام والياً صدقات أمير
المؤمنين عليه السلام في عصره ، فسأيره الحجاج بن يوسف في موكبه
وهو إذ ذاك أمير المدينة ، فقال له الحجاج : ادخل عمر بن علي معك في
صدقات أبيه ، فإنه عمك وبقية أهلك ، فقال له الحسن : لا أغير ما شرط
عليّ ولا أدخل فيه من لم يدخل ، فقال : إذن ادخله أنا معك فنكص
الحسن بن الحسن عنه حتى غفل الحجاج .

ثم توجه إلى عبد الملك حتى قدم إليه فوقف ببابه يطلب الإذن ،
فمرّ به يحيى بن أمّ الحكم ، فلما رآه يحيى مال إليه وسلّم عليه وسأله
من مقدمه وخبره ، ثم قال : إني سأفعلك عند أمير المؤمنين يعني
عبد الملك بن مروان ، فلما دخل الحسن بن الحسن على عبد الملك رحّب
به وأحسن مسألته وكان الحسن قد أسرع إليه الشيب ويحيى بن أمّ
الحكم في المجلس ، فقال له عبد الملك : لقد أسرع إليك الشيب يا أبا
محمد ، فقال له يحيى : وما يمنعه يا أمير المؤمنين ، أما في أهل العراق
يفدون عليه الركب يمنونه الخلافة فأقبل عليه الحسن بن الحسن فقال له :
بش والله الرّفد وفد ليس كما قلت ، ولكنّا أهل بيت يسرع إلينا المشيب

وعبدالملك يسمع فأقبل عليه عبدالملك ، فقال : هلّم ما قدّمت له فأخبره
بقول الحجاج ، فقال : ليس ذلك له اكتب له كتاباً لا يتجاوزه ، فكتب
إليه ووصل الحسن بن الحسن فأحسن صلته .

فلما خرج من عنده لقيه يحيى بن أم الحكم فعاتبه الحسن على
سوء محضره ، وقال له : ما هذا الذي وعدتني ، فقال له يحيى : إياها
عنك فوالله لا يزال مهالك ولولا هيبتك ما قضى لك حاجة وما ألوتك وفداً
وكان الحسن بن الحسن حضر مع عمّه الحسين بن علي (ع) السّطف ،
فلما قتل الحسين عليه السلام وأسر الباقر من أهله جاءه أسماء بن خازجة
فانتزعه من بين الأسارى وقال : والله لا يوصل إلى ابن خولة أبداً ، فقال
عمر بن سعد : دعوا لأبي حسان ابن اخته ويقال : إنه أسر وكان به جراح
قد أشفى منها .

قال : وروي أن الحسن بن الحسين خطب إلى عمّه الحسين عليه
السلام إحدى ابنتيه فقال له الحسين عليه السلام : اخترياً بنّي أحبهما
إليك ، فاستحى الحسن ولم يرد حتى ابتاع فقال له الحسين عليه
السلام : فلأني قد اخترت لك ابنتي فاطمة أكثرهما شهاً بأبي فاطمة بنت
رسول الله صلّى الله عليه وآله .

وقبض الحسن بن الحسن وله خمس وثلاثون سنة وأخوه زيد بن
الحسن حيّ ووصى إلى أخيه من أمّه إبراهيم بن محمد بن طلحة .

ولما مات الحسن بن الحسن رحمه الله ضربت زوجته فاطمة بنت
الحسين عليها السلام على قبره فسقاطاً وكانت تقوم الليل وتصوم النهار ،
وكانت تشبه بالحدود العين جمالها ، فلما كان رأس السنة قالت لمواليها :
إذا أظلم الليل ففوضوا هذا الفسقاط ، فلما أظلم الليل سمعت قائلاً
يقول : هل وجدوا ما فقدوا ، فأجابه آخر : بل يشوا فانقلبوا ، ومضى
الحسن بن الحسن ولم يدع الإمامة ولا ادّعاها له مدّع كما وصفنا من حال
أخيه زيد رحمه الله

وأما عمر والقاسم وعبدالله بنو الحسن بن علي (ع) فإنهم استشهدوا
بين يدي عثمهم الحسين عليه السلام بالطف رضي الله عنهم وأرضاهم
وأحسن عن الذين والإسلام وأهله جزاهم .

وعبدالرحمن بن الحسن (ع) خرج مع عمه الحسين (ع) إلى الحج
فتوفي بالإيواء وهو محرم .

والحسين بن الحسن المعروف بالأثرم كان له فضل ولم يكن له ذكر
في ذلك .

وطلحة ابن الحسن كان جواداً انتهى كلام المفيد رحمه الله .

وقال كمال الدين : محمد بن طلحة الشافعي كان له من الأولاد عدد
لم يكن لكلهم عقب بل كان العقب لاثني منهم ، فقليل : كانوا خمسة
عشر وهذه أسمائهم الحسن وزيد وعمر والحسين وعبدالله وعبدالرحمن
وعبيدالله واسماعيل ومحمد ويعقوب وجعفر وطلحة وحمزة وأبو بكر
والقاسم والعقب منهم للحسين ولزيد ولم يكن لغيرهما منهم عقب ، وقيل
كان أولاده أقل من ذلك ، وقيل كان له بنت تسمى أم الحسن والله أعلم
بحقيقة الحال .

قد قبضنا من القلم العنان حين انتهى ما أردنا ذكره من لب المعاني
والبيان ، وبلغ ما قصدناه من مناقب لأئمتنا الأطياب ، وما نالهم من عظيم
المصائب ، وبعض مثالب أعدائهم الملعونين بنص الكتاب ، فتم ما أردنا
إثباته في الجزء الأول من كتاب الذمعة الساكنة في المصيبة الرابعة في
اليوم الثاني عشر من شهر رجب المرجب من سنة ١٣٧٦ السادس والسبعين
بعد المائتين ، والألف ويتلوه الجزء الثاني إن شاء الله تعالى في أحوال أبي
عبدالله الحسين وابنائهم الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين ونسأل الناظر
أن يسد الخلل ويصفع عن الزلل عن من لا عيب فيه وجل والحمد لله أولاً
وآخراً وظاهراً وباطناً وصلى الله على محمد وآله الطاهرين إلى يوم الدين .

أقول : ونقلت هذا الكتاب من عدة كتب وبذلت جهدي في تهذيبه وتنقيحه وألتمس من الناظر فيه الدعاء لي بالراحة وإصلاح ما زاغ عنه البصر ولم يؤد إليه الفكر والحمد لله حق حمده وصلواته وسلامه على محمد وآله الطاهرين من طلوع صبح الأزل إلى نهار غروب الأبد .

كتاب ما له في الدهر ثاني يضاهي في العلى سبع المثاني
وتحقيقاته عزز المعاني وفي ألفاظه درر المعاني

* * *



مركز تحقيقات علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کمپیوتر علوم اسلامی

jabir.abbas@yahoo.com

الفهرست

الموضوع الصفحة

بقية غزوات الإمام (ع)

٧	في وقعة الجمل
١٦	في حرب صفين
٢٥	في ليلة الهرير
٤١	في مقاتلته مع الخوارج
٥٩	المطلب الأول : في المطاعن التي رواها العامة في أبي بكر
٦٩	المطلب الثاني : في المطاعن التي نقلها السنة في عمر بن الخطاب
٨٠	المطلب الثالث : في المطاعن التي رواها الجمهور في عثمان
٨٥	المطلب الرابع : في المثالب التي روتها العامة في عائشة
٩١	المطلب الخامس : في مطاعن معاوية وعمر بن العاص، ومروان، ويزيد
١٠٧	الفصل الرابع : في بيان اخبار النبي بشهادة نفسه صلوات الله عليه
	الفصل الخامس : في كيفية شهادته ووصيته وغسله والصلاة عليه
١١٣	ودفنه عليه السلام
١٥٨	الفصل السادس : فيما وقع بعد شهادته (ع) ونبذة من حياة قتله
١٦٨	الفصل السابع : في ذكر أولاد أمير المؤمنين عليه السلام وعدد أسمائهم

١٧٠	خاتمة : في بعض ما ظهر عند الضريح المقدس من الكرامات والمعجزات
١٧٧	قصة أبي البقاء قيم مشهد مولانا أمير المؤمنين (ع)
١٧٩	قصة البدوي في شحنة الكوفة
١٨٠	قصة سيف سرق من الحضرة الشريفة وظهوره فيما بعد
١٨١	قصة لطيفة أخرى بالمناسبة

الباب الرابع

١٩٩	في أحوال الإمام الثاني أبي محمد الحسن بن علي عليهما السلام
٢٠١	الفصل الأول : في تاريخ ولادته وتسميته وكنيته ولقبه
٢٠٩	الفصل الثاني : في بعض مناقبه والنصوص الواردة عليه بالإمامة
٢٢٥	الفصل الثالث : في بيان بعض معجزاته عليه السلام
٢٣٢	في انقلاب الرجل امرأة والمرأة رجلاً بإذن الله تعالى
٢٣٤	في إحياءه للموتى وبعض آياته الأخرى
٢٤٠	الفصل الرابع : في مكارم أخلاقه وعلمه وشرفه وفضله وجلالته (ع)
٢٥٠	في كرمه وجوده وصلابته عليه السلام
٢٥٨	الفصل الخامس : في سبب صلحه مع معاوية وكيفية ما جرى بينهما
	الفصل السادس : فيما جرى بينه وبين معاوية وأصحابه من
٢٨١	الاحتجاجات والمحاورات
٢٨٨	في بعض خطبه عليه السلام
	الفصل السابع : فيما جرى بين أصحاب الحسن عليه السلام وبين
٣٠٧	معاوية وأصحابه من الاحتجاجات والمحاورات
٣٢٢	الفصل الثامن : في بيان مبلغ عمره وكيفية شهادته عليه السلام